



موسم
 الرسول المصطفى
 بإصطخام: محمد بن أحمد القاسمي



اسماء

الرسول المصطفى

والقابه وكناه ووصفاته

عبد الله بن محمد بن يحيى

الجزء الأول





اسماء
السُّورِ الْمُصْطَفِيِّ
وَالْقَابِ وَمَعْنَاهُ وَصِفَاتُهُ

تبریزیان، عباس، ۱۳۴۳ -
اسماء الرسول المصطفی و القابہ و کنایہ و صفاتہ / عباس تبریزیان، بمساعدہ
ہاشم الخاتمى۔ تہران: ژرف، ۱۳۸۱ -
ج - (موسوعہ الرسول المصطفی (ص) [ج: ۱])
ISBN: 964-6536-64-6

فہرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.
پشت جلد به انگلیسی:
Abbas Tabrizian.
Names, Nicknames, and character traits of Prophet
Mohammad

عربی
سری
کتابنامہ

۱. محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از ہجرت - ۱۱ ق. - کلمات قصار.
۲. محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از ہجرت - ۱۱ ق. - نامہا. ۳.
محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از ہجرت - ۱۱ ق. - لقبها. اللہ خاتمى،
ہاشم، ب. عنوان، ج. فروست.

۲۹۷ / ۳۱۸

BP ۱۳۳ / ۵ / ۲۲

ج. ۱

۱۷۶۹۲ - ۸۱ م

کتابخانہ ملی ایران



نیلکاپوب

اسماء الرسول المصطفی (ص) و القابہ و کنایہ و صفاتہ

عباس تبریزیان

لیتوگرافی شیرنگ

چاپ مہشید

چاپ اول ۱۳۸۱

تیراژ ۲۰۰۰ جلد

شابک ۶-۶۴-۶۵۳۶-۹۶۴

قیمت ۳۰۰۰ تومان

www.nilkapub.com

نشر ژرف - تہران - خیابان فخر رازی - شماره ۱۱۱ - تلفن ۶۴۰۱۷۲۷

مكتبة التجويد
بمؤسسة السيد محمد باقر
الشمسري
تأسست سنة ١٣٦١ هـ
عنوانها: طهران - الخزانة

اسماء

السيرة المصطفوية

وَالْقَابُ وَكُنَاهُ وَصِفَاتُهُ

بِحَبِّ سَيِّدِ زَيْنِ

الْمُحَمَّدِ الْأَوَّلِ



(١)

العنوان البريدي في لبنان :

بيروت - الغبيري - ص . ب ١٣٨ / ٢٥

العنوان البريدي في إيران :

مشهد - ص . ب ٤٤٣٦ / ٩١٣٧٥

الفاكس : ٢٢٢٢٤٨٣ - ٥١١ - ٠٠٩٨

البريد الإلكتروني : e-mails

almawsouah @ hotmail . com

almawsouah @ yahoo . com

الموقع في الإنترنت :

www.almawsouah.org

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى : بيروت - ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م

الطبعة الثانية : طهران - ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَبْدَ الْعَظِيمَ

الأخزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الناشر

لا شك أن التراث الفكري والثقافي لأيّة أمة، يعتبر العمود الفقريّ الأساس، في عملية نشوء تلك الأمة، ثم استقرارها وصمودها وتطورها عبر العصور.

وكلما كان ذلك التراث، أصيلاً مستقيماً ومتماسكاً، كلما استطاعت الأمة - بالالتكاء عليه والانتهاال من مناهله - الصبر والصمود والتصدي ومن ثم الاستمرار بشموخ وغبني في عملية التنازع الفكري المتواصل في هذا العالم.

ولا شك أيضاً أن المخزون الفكري، لتراثنا الديني والثقافي والعلمي، مخزون عظيم وهائل وضخم، لا يضاهيه ولا يجاربه أي مخزون فكري آخر في هذه المعمورة، ولا غرو، فهو يرتبط بالله ﷻ ارتباطاً لا تنفك عراه أولاً، ولكونه خاتمة البلاغات الإلهية التي اعتصرت في داخلها كلّ محاولات السماء للأخذ بيد أهل الأرض إلى حيث الرقي والعلو والسمو، واختزنت في مضامينها، كل عناصر الحقيقة، وكل قواعد الواقعية الفطرية والمنطقية السليمة.

إذن.. فما هي المشكلة؟ ولماذا هذا التأخر؟ ولماذا هذه الانهزامية؟

المشكلة - في نظرنا - تكمن في عاملين:

الأول: نسيان الجذور والاستهانة بها.

والثاني: عدم محاولة التطوير والإسهام في عملية البلورة.

ونقصد من العامل الأول أن الأمة، انبهاراً منها بالبريق الحضاري الزائف الذي خدع العالم بأسره، انطلت عليها هي الأخرى هذه الخدعة الكاذبة الموسومة بالعصرنة تارةً وبالتجديد المجنون أخرى وبالعولمة حاضراً ومستقبلاً، ولم تتوقف لتراجع ذاكرتها التاريخية أن هذا الرفض الغربي للدين والأخلاق والقيم إنما هو نتيجة لسنواتٍ مرّة عجاف، مرّت بها أمم غيرنا، كانت تعيش تحت وطأة أقدام من نسبوا إلى أنفسهم الدين واللاهوت من غير حق، وسحقوا لصالح أطماعهم المادية كلّ محاولات العلماء والمصلحين، وبعد كبت دام قرون، انفجر البركان وأحرق الأخضر واليابس وكان الرفض شعار هذا الانفجار، وندم الواعون وحاولوا الإمساك بالزمام، ولات حين مندم.

أما نحن في الشرق، وخاصةً من نعيش في أحضان الدين الحضاري المتكامل، لم نكن نحتاج إلى هذا الرفض ولم يكن من العقل والمصلحة في شيء أن نشترك في هذا الانفجار، نعم كان ينقصنا شيء هنا وأشياء أخرى هناك، ليس هنا مجال لشرحها.

فبالإذن: الرجوع إلى الجذور، والالتزام بالأصالة والالتفات إلى كل عوامل المجد الغابر.

أما العامل الثاني وهو عدم محاولة التطوير، فنقصد منه أننا وبفعل التأثيرات والمصالح السياسية في العهدين الأموي والعباسي، طُبعنا على الجمود في محاور مهمة - ليست بالقليلة - من المحاور الفكرية التي لم تكن لتجمد لولا الاتجاهات السياسية والمصالح الشخصية، هذه القوقعة الفكرية أدت إلى سيطرة الدكتاتورية في الجانب

السياسي مما أدّى بدوره إلى نوع من الجمود الفكري والتحجّر العقلي وفصل روح الدين عن الحياة، وهذا حديث يطول مما يحتاج إلى دراسة مفصّلة.

وليس لنا حلٌّ في مرحلة التنظير إلا بالسيطرة على هذين العاملين من عوامل وأسباب تخلف الأمة. فبالرجوع إلى الأصول والجذور الحيوية لتراثنا أولاً، وبخلق حالة من الجرأة والشجاعة - في الحد المتاح شرعاً - للإسهام في عملية التطوير والبلورة الفكرية والثقافية، تتمكن الأمة من الوقوف صامدةً شامخةً أمام التحديات الصعبة التي يمرُّ بها العالم في عصرنا الحاضر.

ومشاركة من (دار الأثر) واعتقاداً منها بأن الموسوعات الفكرية والتحليلية والعلمية تساهم - من دون شك - في التصدي لعاملي التخلف المذكورين، تصدّت لطبع ونشر هذه الموسوعة المباركة: موسوعة الرسول المصطفى ﷺ، علّنا نستطيع - حسب إمكاناتنا المتواضعة - المساهمة في عملية إنهاء الأمة، ومن الله العون والسداد، إنه سميع مجيب.

بيروت - دار الأثر
شاكر الإبراهيمي

حول هذه الموسوعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين الرسول المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم إلى يوم الدين.

ماذا تعني الكتابة عن الرسول؟

الكتابة عن الرسول المصطفى ﷺ تعني في الحقيقة الكتابة عن جميع رسالات السماء من لدن آدم ﷺ أبي البشرية إلى خاتم الرسل محمد ﷺ، لأن حياة الرسول ﷺ هي خلاصة لحياة جميع الأنبياء والمرسلين وعصارة لكل جهادهم وجهودهم في سبيل هداية البشرية.

الكتابة عن الرسول المصطفى ﷺ هي في الحقيقة كتابة عن مجمل القيم والمثل الخيرة والنييلة والأفكار الراقية في سبيل مصلحة المجتمع البشري.

وهي: كتابة عن تاريخ مسيرة البشرية في كفاحها المرير عبر العصور.

وهي: كتابة عن تاريخ صراع جهات الخير أمام فلول الشر في هذه المعمورة.

وهي: كتابة عن محاولات الخيرين والمصلحين في سبيل تقدم البشرية في حقول العلم والمعرفة والهداية والرشاد.

وقبل كل شيء... فالكتابة عن الرسول المصطفى ﷺ هي كتابة عن تطور الفكر البشري بأوسع مجالاته؛ لأن الرسول - بارتباطه بالله - في عقيدتنا التي لا نحيد عنها طرفة عين أبداً هو قمة القمم للمجموعة الفكرية السامية التي تمثل أنبل الرؤى وأعلى الأطروحات في سبيل هداية البشرية ورفيها وتقدمها وسبل تطورها السليم، قبل أن يكون مجرد وقائع تاريخية وسيرة عادية.

كتب السيرة وعصرنا الحاضر

بعد هذه الفذلكة الموجزة... نقول:

إن دراسة سريعة في كتب السيرة النبوية تجعلنا أمام واقع مرير وهو أن هذه المحاولات وإن كانت مفيدة وخيرة ولكنها تفقد عنصر البحث الفكري في حياة الرسول حيث أنها كانت تنصب قبل كل شيء في سرد الوقائع اليومية لحياة الرسول ولم تكن تحاول الوصول إلى الرسول كفكر ومدرسة ورسالة.

نعم... نحن لا ننكر أن التحقيق في كتب السيرة يرشدنا بالنتيجة، إلى فكر الرسول ومدرسته ولكنها نقول: إن اهتمام أصحاب السير وأربابها لم يكن في هذا السبيل بقدر ما كان في سبيل تسجيل وقائع الحياة اليومية له ﷺ.

وهناك مشكلة أخرى تلوح بشكل صارخ وهي أننا اليوم في هذا العصر نقف أمام تحديات صعبة جديدة لم تكن تشكل مشكلة لعلمائنا ومحققينا في العصور السالفة كمشكلة المدارس الفلسفية الحديثة والمدارس الاجتماعية والسياسية ومسألة حقوق

الإنسان والعلاقات الدولية وما شابه، حيث يصعب على المثقف في هذا العصر أن يصل إلى أجوبة شافية ورؤى حقيقية لهذه المسائل في كتب السيرة النبوية.

إضافة على صعوبة فهم الكتب القديمة حيث الأسلوب المعقد والأدب القديم والنمط الجامد الذي يسيطر على كتب السيرة هذه، حيث كتبت هذه الدراسات التاريخية لعصر مضى عليه أكثر من ألف سنة ولا يلائم عصر الكمبيوتر والانترنت.

والذي يهون الخطب، هو أن المكتبة الإسلامية ومنذ قرن أو أقل، بدأت تزخر بمحاولات جادة في سبيل البحث العلمي بشكل يلائم هذا العصر؛ ابتغاء الوصول إلى دراسة الرسول كفكر ومدرسة ولكن هذه المحاولات غالباً تفتقر - مع الأسف - إلى عنصر الاستيعاب لكل جوانب هذه المدرسة الإلهية أولاً ثم عنصر التحقيق العلمي المجرد والشامل.

هذه الموسوعة.. الثوابت والالتزامات

ونحن - في موسوعة الرسول المصطفى ﷺ - نحاول جهد إمكاننا أن نملأ بعض هذا الفراغ، علماً نوفق بإذن الله تعالى أن نساهم في إعطاء صورة دقيقة وناصعة عن حياة الرسول الفكرية في عصر نحن بأمس الحاجة فيه إلى ذلك.

وهنا يلزم علينا أن نحدد الإطار الدقيق الذي نريده لهذا المشروع العظيم ليتسنى للاخوة العلماء والمثقفين الذين يرغبون الاشتراك والمساهمة في هذه الموسوعة مراعاة بنوده ومتابعة ملامحه.

أولاً: يلزم على الباحث متابعة الأسس العلمية القديمة والحديثة في التحقيق والبحث العلمي. وعلى هذا الأساس، يلزم على من

يرغب المساهمة في هذه الموسوعة الفكرية أن يكون له إمام - ولو
بإجمال - بالعلوم التالية :

- ١ - القواعد العربية .
- ٢ - الأدب العربي .
- ٣ - علوم القرآن .
- ٤ - الفقه والأصول .
- ٥ - علم الدراية .
- ٦ - علم الرجال .
- ٧ - علم الحديث .
- ٨ - الفلسفة الإسلامية والمدارس الفلسفية الأخرى القديمة
والحديثة .
- ٩ - علم الكلام .
- ١٠ - الأديان والمذاهب .
- ١١ - قواعد البحث والتحقيق العلمي الحديث .
- ١٢ - علم التاريخ .
- ١٣ - المدارس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القديمة
والحديثة .
- ١٤ - قواعد التأليف العصري .

وهذا لا يعني أن كل من ينتخب للمساهمة في هذا المشروع
يلزم عليه أن يتقن كل هذه العلوم بشكل كامل، بل المطلوب أن يكون
له إمام بهذه الحقول من المعرفة وأن يكون له من الشروط الذاتية ما
يؤهله للخوض فيها. ومن الممكن اختيار من له اختصاص في بعض
هذه العلوم لكتابة ما يرتبط باختصاصه .

ثانياً: يلزم على المساهمين في هذه الموسوعة مراعاة قواعد البحث العلمي المجرد من كل تأثير فتوي أو طائفي أو مذهبي أو ما شابه، فإننا نريد لهذا الجهد الفكري أن يجري وراء الدليل أينما سارَ نسير.

ثالثاً: تخريج المصادر وتثبيتها بشكل دقيق لكل ما ينقل بالصفحات والمجلدات والطبعات وما أشبه وعدم نقل أي شيء من دون مصدر ثابت.

رابعاً: عدم استخدام الإشارات الطائفية من سب وشتم وما أشبه بل يلزم أن يكون البحث بأسلوب علمي مجرد ومهذب.

خامساً: الاستيعاب الكامل لكل المصادر الممكنة من القرآن الكريم، وتفاسيره وكتب الحديث وكتب السيرة والتاريخ المدونة من قبل علماء المسلمين سنة وشيعة، ومراجعة كل ما يرتبط بالبحث حتى يكون الجهد متكاملأ حد الإمكان.

سادساً: أن يكون البحث فكرياً، لأننا - في هذه الموسوعة المباركة كما أشرنا آنفاً - لا نريد أن نؤلف سيرة نبوية لوقائع حياة الرسول ﷺ بل نريد أن نبحث تلك الحياة، فكراً ومدرسة ورسالة. فمثلاً عندما نريد أن نتناول غزوة بدر بالبحث، ومثل ذلك الأحزاب وحنين وما أشبه لا نبحثها أين وقعت ومن قتل فيها وكم طالت...، بل نبحث موضوع الحرب والرسول، والسلم والرسول، والفنون والخطط العسكرية للرسول، وملاكات الحرب والصلح عند الرسول...، فإننا بذلك قد درسنا كل حروب الرسول وغزواته لا كوقائع تاريخية بل كدراسة فكرية، وهكذا بالنسبة لبقية جوانب حياة الرسول المصطفى ﷺ، العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما أشبه.

سابعاً: من اللازم أن يكون البحث بشكل يلائم الأسلوب الحديث في الكتابة والتأليف؛ فلا ينبغي أن يكون معقداً ذا نمط قديم بل يلزم الكتابة بشكل يستفيد منه طلبة الحوزات العلمية والجامعيون والعامّة من الناس في عصرنا هذا.

ثامناً: أن يتقبل من يساهم مع هذه الموسوعة إخضاع مجهوده أمام اللجنة العلمية التي تعينها إدارة الموسوعة لاختياره أو عدمه ولتصحيح ما تشاء تصحيحه.

ومن الجدير بالذكر أن إدارة الموسوعة على استعداد تام لتأمين ما يحتاج الكاتب من مصادر وكتب - حسب الإمكان - وتلتزم أيضاً أن تطبع البحوث المقبولة عند اللجنة العلمية باسم مؤلفيها وكتّابها.

كيف نكتب؟ ولمن نكتب؟

وقد يتحير الكاتب - في هذا العصر - كيف يكتب؟ ولمن يكتب؟ هل يكتب للعالم المتخرج من الحوزات العلمية الدينية؟ أم يكتب للمثقف المتخرج من الجامعات العصرية؟ أم أنّ يكتب للأوساط الشعبية المتلهفة للتعلم؟

كلنا يعلم أن أسلوب الكتابة للنخبة من المفكرين والباحثين يختلف عن أسلوب الكتابة لذوي الثقافة العادية.. علاوة على أن الأسلوب الحوزوي الذي تناقش خلاله الأفكار بمقاييس القواعد العلمية الدقيقة في حقول: الفقه والأصول والرجال والفلسفة وما شابه يختلف كثيراً عن الأسلوب المتبع في الجامعات العصرية من حيث المنهجية الخاصة بها وطرق البحث العلمي عندها، وإننا نعترف أن كتّابنا الكرام في موسوعة الرسول المصطفى ﷺ تحيروا كثيراً كيف يكتبون؟ ولمن يكتبون؟ وكنا نصرّ في جلساتنا الأسبوعية التي تشبه جلسات مناقشة رسالات الدكتوراه ويشارك فيها كل الباحثين والكتّاب

في الموسوعة والتي تقرر الخطوط العريضة لمنهجية الموسوعة وتناقش الأفكار والرؤى التي يريد الباحث أن يسبر غورها، ومن ثم تناقش البحوث المكتوبة، كنا نصر دائماً على مراعاة كل الشرائح الاجتماعية، وقد أخذ هذا الاهتمام الجمعي في عمل الكتاب، الوقت الكثير والجهد المضي منهم، شكر الله سعيهم.

وقد يلزم أن نقول إننا لم نوفق في كثير من الأحيان أن نتكلم بلغة الجميع ونكتب بأسلوب كل المستويات، خاصة عندما كان الباحث يصل إلى مناقشة حديث أو نص، حيث يتدخل علم الدراية أو يناقش قضية فقهية أو أصولية حيث ليس للكاتب من بد إلا الاستفادة من الاصطلاحات العلمية التخصصية، وهذا ما لا يمكن لأي كاتب تفاديه.

الموسوعة.. حقيقة أم مجاز

ومن الجدير بالذكر أن مواضيع هذه الموسوعة المباركة لا يرتبط بعضها ببعض الآخر، فكل موضوع مستقل بذاته وكل دراسة يمكن لها أن تكون كتاباً مستقلاً.

وربما يستشكل القارئ - بناءً على ما قدمنا - على تسمية هذه المجموعة بالموسوعة، فالموسوعة أو دائرة المعارف، اصطلاح خاص يقابلها بالانكليزية: Encyclopedia وهو ما يتداول الآن في الغرب والشرق على كتاب ضخيم ذي مجلدات متعددة في موضوع واحد كالنجوم أو النبات مثلاً بشرط أن تدون بالأسلوب المعجمي على طريقة الألفباء، أو تكون الموسوعة شاملة وجامعة لكل المفردات والحقول العلمية التي تشمل الإنسان والحيوان والنبات والأمكنة والعلوم وغيرها ولكنها بالنتيجة لا تخرج عن كونها سلسلة على طريقة الألفباء.

ونحن إنما أطلقنا كلمة: (الموسوعة) على عملنا هذا، بالمجاز أو الاستعارة، قد حدا بنا إلى هذا الاستعمال أن كل البحوث التي يحاول إخوتنا الكتاب دراستها يلزم إن تمت بصلة كاملة لشخصية الرسول المصطفى ﷺ، حتى لو كان عملنا ليس على طريقة الألفباء.

المحاولة.. والتكامل

وإننا لا ندعي في هذه الموسوعة اننا قد تمكنا من تقديم بحوث ودراسات لا نقص فيها، بل إنها محاولات في طريق التكامل إن شاء الله، علاوة على أننا أردنا بهذا العمل المتواضع استنهاض همم العلماء والمثقفين لمحاولات جادة لدراسة تاريخ الرسول كفكر ومدرسة ورسالة، وكم يسعدنا حقاً أن نتلقى من إخوتنا العلماء في الحوزات العلمية، وإخوتنا المثقفين في الجامعات العصرية وسائر من يهتم بالقراءة، إتحافنا انتقاداتهم العلمية وإرشادنا إلى مواقع الخطأ حتى نتكامل جميعاً في هذا السبيل العلمي الذي يصب قبل كل شيء في قناة تعريف الأمة بأكبر قيمة لها وهي قيمة الرسالة والرسول، ومن ثم تعريف العالم بأضخم رصيد فكري قد أتحفت السماء سكان الأرض به ألا وهو رصيد خاتم الأنبياء وسيد الرسل وأعلم خلق الله الرسول المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ.

أهل البيت امتداد طبيعي للرسول

وقد يرى القارئ خلال دراسات هذه الموسوعة، أحاديث مروية عن العترة الطاهرة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليهم أجمعين، غير أن هذا لا يعني أننا تجاوزنا الخط المرسوم لهذه الموسوعة أن تكون حول رسول الله ﷺ، لأن الاستشهاد بأحاديث أهل البيت إنما هو - في الحقيقة - استشهاد بأحاديث الرسول ومواقفه، فإنهم امتداد طبيعي له ﷺ، حيث استقوا علومهم من علمه ﷺ.

الموسوعة لكل الباحثين

وإننا في إدارة هذه الموسوعة نستقبل كل جهد فكري ينصبُّ في دراسة جانب من جوانب شخصية الرسول الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو غيرها - ولنا شروط ومعايير يمكن للذين يحبون المساهمة أن يناقشوها معنا عبر البريد أو الإنترنت. وعندما تنفق الإدارة مع الباحثين والكتاب، وتخضع البحوث والدراسات إلى إشراف من قبل إدارة الموسوعة ستصبح جاهزة للطبع على حساب الموسوعة وباسم مؤلفيها، علاوة على أمور أخرى يلزم أن تبحث بشكل مباشر مع الكتاب أنفسهم.

كلمة شكر خالصة

وأود هنا أن أقدم شكري الخالص للذي وقف معي منذ اللحظة الأولى لقيام هذه الفكرة، وشجعني وساهم مالياً لإنجاح هذا المشروع واشترط أن لا يُذكر اسمه.. فهنئاً له من عامل برٍّ لا يحب أن يُعرف.

دعاء

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيدي إختوتي العلماء والباحثين في هذه الموسوعة المباركة ليكملوا بحوثهم وينجزوا دراساتهم لتتسابق إلى النور، بعد جهد مشكور كنت ألمس يوماً ما يعانيه من تعب وإرهاق.. فشكر الله مساعيهم وجعل أجرهم شفاعة رسوله المصطفى محمد ﷺ.

محسن أحمد الخاتمي

بيروت ١٢/ صفر/ ١٤٢٣ هـ

٢٥/ نيسان/ ٢٠٠٢ م

حول هذا الكتاب

المرتبطون بالسماء، تنكشف الحقائق أمامهم انكشاف حرارة النار عندما يقترب الإنسان إليها للدفع في الشتاء، فلربما لا يحتاجون إلى الكلمة لتصف لهم الحقائق، فقلوبهم تحمل في ثناياها أدق لاقطات المعرفة وأقوى أجهزة التنصت المبكر.

ومن المحتمل أن قضايا الوحي ومساعي جبرائيل أمين سرّ السماء، إنما تُوسّل إليها لا لحاجة الرسول نفسه، بل ليرجم الرسول تلك الحقائق المنكشفة عنده في صيغة كلمات إلى المخلوقين دون مستواه، ولربما أراد الحبيب أن يناغي حبيبه، فتجاوزت المعرفة المنكشفة بالقلب البصير لتصبح كلمة.. ولتبقى أبد الدهر ذكرى لمن يريد أن يتذكر.

أما نحن المتخلفون.. فلا بد لنا من الكلمة لتشرح ولتبيّن وتوضّح.. بل لتصف لنا المجهول المعلوم.. بل المعلوم المجهول.

محمد.. تلك الحقيقة العُلوية المعلوم المجهولة.. المعلوم لدى الله.. والمجهولة لدى خلق الله.. المنكشفة للقلوب النيرة.. والمجهولة عند المتخلفين..

محمد.. ذلكم النور الذي لم يُعرف حتى في زمانه إلا عند القليل.. يلزم أن نعرفه في قالب ألفاظ.. ولا حيلة لنا غيره..

من هنا أراد أخي الفاضل عباس تبريزيان محاولة تعريف حقيقة محمد من خلال كلمات هي أسماؤه وألقابه وكُنَاه وصفاته ﷺ .

والغريب في الأمر أنّ كل اسم من أسمائه ﷺ وكل لقب وكنية وصفة له ﷺ، يشكل بحراً يمكن للباحث الغور في أعماقه ليصبح كل اسم كتاباً، وكل صفة دراسةً، وبما أن الموسوعة آلت على نفسها التقييد بالاختصار والسلاسة، اقتنع المؤلف ليُسرع في سرد هذه الأسماء والألقاب والكنى والصفات في جرد ألفبائي مع شرح بعض جوانب تلك الأسماء والصفات، علاوة على الإشارة إلى مبدع تلك الأسماء والصفات، فهناك أسماء سماها الله رسوله بها، وهي تلك التي أشرت في البدء أنها الحقائق المعلومة المجهولة، فإنها وجودات لفظية متنزلة بعدما كانت وجودات علوية نورانية ربانية، وهناك أسماء وألقاب من الأنبياء والرسل السابقين إخوة المصطفى في مهمة الدعوة، وهناك صفات أطلقها عليه ﷺ، أكثر الناس معرفة به وألصق الخلق بشخصه وبفكره وبمدرسته.. ألا وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ أخو الرسول وصهره ووصيه. وهناك أسماء وصفات أطلقها عليه أصحابه. وأخيراً فإن الشعراء والأدباء أيضاً كان لهم الدور الكبير في اختيار بعض تلك العناوين.

المهم أن كثرة الأسماء والصفات تدل على عظمة المسمى.. كما جاء في بحوث مقدمة الكتاب التي لا بد للقارئ أن يطلع عليها، فإنها تحتوي على نكات مهمة كحقيقة الأسماء وحدوثها وقداسة أسماء الرسول ومحورية التسمية بأسمائه والآثار النفسية المترتبة على عملية التسمية وما أشبه.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب هو المجلد الأول لأسماء الرسول ﷺ وقد تضمّن بين دفتيه (٢٨٣) عنواناً كما يلي:

٢٠٣ عناوين مصدرية بحرف الألف.

٢٥ عنواناً مصدرياً بحرف الباء.

٩ عناوين مصدرية بحرف التاء.

١ عنوان واحد مصدر بحرف الثاء.

٤ عناوين مصدرية بحرف الجيم.

٤١ عنواناً مصدرياً بحرف الحاء.

وسيليه مجلدان يستوعبان بقية الحروف إن شاء الله تعالى.

... محاولة أولى من أحد أبرز أعضاء موسوعة الرسول

المصطفى ﷺ، الباحث: عباس تبريزيان، لتكون بداية جهد الموسوعة
محاولة - عبر الكلمة.. وفي قوالب الأسماء والألقاب والكنى
والصفات - في سبيل معرفة ذلك المعلوم المجهول: محمد الرسول
المصطفى ﷺ.

محسن أحمد الخاتمي

بيروت ١٢/ صفر/ ١٤٢٣ هـ

٢٥/ نيسان/ ٢٠٠٢ م

مقدمة حول
الاسم والتسمية

مقدمة حول الاسم والتسمية

تعريف الاسم:

ذُكر للاسم تعريفات مختلفة في اللغة والنحو والاصطلاح. أما في اللغة فقليل: الاسم مشتق من سموت؛ لأنه تنويه ورفعة، وتقديره: إفع، والذاهب منه الواو؛ لأن جمعه أسماء، وتصغيره سُمِّي^(١).

وقيل: اسم الشيء علامته^(٢).

وقيل: الاسم أصل تأسيسه السموّ، وألف الاسم زائدة، ونقصانه الواو، فإذا صغرت قلت: سمي^(٣).

ويبدو أنّ الاسم ليس مجرد علامة، وإنما هو السموّ والرفعة؛ لأنه لا يُسمّى الشيء إلا إذا سما وارتفع قدره؛ فلذا لا يُسمّى أفراد الحيوان إلا إذا صار ذا قيمة عند صاحبه، وكذا أفراد النبات والجماد، ويكتفى باسمها النوعي.

ويؤيّده ما يُشاهد من تكثر أسماء الفرد كلما سما وارتفع نجمه، وتعاضمت قدرته ومكانته.

(١) الصحاح ٦: ٣٥٥ سما.

(٢) لسان العرب ١٤: ٤٠١ سما.

(٣) ترتيب كتاب العين ٢: ٨٦٠ سمو.

وعرّفه النحويون: ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمان^(١).

وعرّفه أصحاب الحديث: بأنه الدالّ على الذات من غير ملاحظة صفة^(٢).

وقيل في تعريفه أيضاً: بأنه ما أنبأ عن المسمّى.

وهو بإطلاقه يعني عدم لحاظ زمان فيه، وعدم لحاظ صفة خاصة. أي سواء كانت هناك صفة أولم تكن.

وقيل: الاسم هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعمّ أنواع الكلمة، وقد يقيد بالاستقبال والتجرّد عن الزمان، فيقابل الفعل والحروف على ما هو مصطلح النحاة^(٣).

والملفت للنظر في هذا التعريف تقييد اللفظ بكونه مفرداً، وعليه لا يكون المركّب من كلمتين اسماً. وهذا وإن كان الغالب في الأسماء هو ذلك، ولكن وجود الأسماء المركّبة من لفظين قطعيّ، فخير الأسماء ما حُمّد وعبّد كعبد الحميد وعبدالله مثلاً.

ويُحتمل أن يكون مُراد المفرد في مقابل التثنية والجمع، وهو أيضاً غير تام؛ لوجود أسماء بصيغة الجمع أو التثنية كـ «مشارك، ومروج، وعساكر، وحسنين، وأنعام، وغيرها» .

ومُراد من قوله: «على ما يعمّ أنواع الكلمة» هو اشتقاقاتها وحالاتها.

(١) شرح ابن عقيل ١: ١٥ .

(٢) البحار ٤: ١٥٥ .

(٣) شرح المقاصد ٤: ٣٣٨ .

والذي يهتَمنا في المقام هو تعريف أهل الحديث، وهو مادّ على الذات، وأما ملاحظة الصفة وعدمها فسيأتي الكلام عنها.

ولا يخلو عن تضمّن معنى السموّ والرّفعة، أو التمييز والسمة والعلامة على أقلّ تقدير .

فالاسم: ما يُوضع للدلالة على الذات بنحوٍ من السموّ والتمييز.

الاسم والمسّمى

لاشكّ أنّ الاسم غير المسّمى، وإنّما هو دالّ وكاشف عن المسّمى، وهذا هو المعروف المألوف في أذهان عامة العقلاء، والمتفق عليه بين علماء المذاهب، ما خلا الأشاعرة القائلين إنّ الاسم هو عين المسّمى أو غيره.

فقد قال الأشعري: إنّ أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام: ما هو نفس المسّمى مثل «الله» الدالّ على الوجود، أي الذات، وما هو غيره «كالخالق والرازق» ونحو ذلك مما يدلّ على فعل، وما لا يقال إنّهُ هو ولا غيره «كالعالم والقادر» وكلّ ما يدلّ على الصفات^(١).

ولما تحرّج أصحابه من هذا الكلام، ومن ادعاء العينية، صاروا في صدد توجيهه، وذكروا له عدّة توجيهات:

أوجهها أنهم قالوا: إنّ المراد بالتسمية اللفظ، وبالاسم مدلوله، كما يريدون بالوصف قول الواصف، وبالصفة مدلوله، وكما يقولون: إنّ القراءة حادثة والمقروء قديم، إلا أنّ سائر العلماء اعتبروا المدلول المطابقي، فأطلقوا القول بأنّ الاسم نفس المسّمى؛ للقطع بأنّ مدلول الخالق شيء ما له الخلق، لا نفس الخلق، ومدلول العالم شيء ما له

العلم لا نفس العلم، والشيخ الأشعري أخذ المدلول أعم، واعتبر في أسماء الصفات المعاني المقصودة، فزعم أن مدلول الخالق الخلق، وهو غير الذات، ومدلول العالم العلم، وهو لا عين ولا غير^(١).

ونحن نقول بصورة كلية: إن كون الأسماء والحروف المؤلفة المركبة عين ذاته تعالى باطل جداً؛ لأنه يستلزم كون الله تعالى مركباً وحادثاً، وهو سبحانه وتعالى مُتَزَّه عن ذلك.

ومع ذلك فإن الأسماء معلومة مُدركة، والله سبحانه وتعالى لا تُدركه الأوهام، فكيف تكون الأسماء عين ذاته.

وروي أن أبا عبد الله عليه السلام قال: «الله غاية من غيائه، فالمغيب غير الغاية، توحد بالربوبية، ووصف نفسه بغير محدودية، فالذاكر الله غير الله، والله غير الأسماء، وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواء فهو مخلوق، ألا ترى قوله: العزة لله، العظمة لله، وقال: لله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وقال: ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّ ما تدعو فله الأسماء الحسنى، فالأسماء مُضافة إليه، وهو التوحيد الخالص»^(٢).

الأسماء حادثة أو أزلية

بعد ما تبين أن الاسم غير المسمى، يأتي السؤال هل أن الأسماء أزلية أو حادثة؟

يرى البعض أنها أزلية، وهو أحد وجوه كلام الأشعري، يعني أنه إنما عني بالنفسية الكون مع الله تعالى من الأزل.

(١) شرح المقاصد ٤ : ٣٣٨.

(٢) البحار ٤ : ١٦٠ ح ٥.

ونحن نقول بصورة كلية: إذا كان المراد هو كون هذه الحروف المؤلفة والمركبة وهذه التقاطيع والهجاء موجودة من الأزل، فهو أيضاً غير معقول؛ إذ أن كلاً من ذلك مخلوق له تعالى، وكان الله ولم يكن معه شيء، كما تواترت به الأخبار.

نعم إن كونه تعالى في الأزل مُستحقاً لإطلاق تلك الأسماء عليه، وكون تلك الأسماء في علمه من غير ذاته تعالى وصفاته، ومن غير أن يكون معه شيء في الأزل، فهو حق.

ويدلّ على جميع ذلك: ما رواه في الكافي عن أبي جعفر الثاني عليه السلام سأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إن لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول: هي هو، أي أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك.

وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل، فإنّ "لم تزل" محتمل معنيين، فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم.

وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولاخلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه، ويعبدونه، وهي ذكره، كان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات»^(١) الحديث.

(١) الكافي ١: ١١٦ ح ٧. ولو كان هناك إشكال في سند هذه الرواية كالرفع وغيره، فإنّ مضمونها عبارة عن استدلال عقلي مدعوم بسنة متواترة مضمونها «كان الله ولم يكن معه شيء» فلا محيد عن قبولها كدليل عقلي مدعوم بسنة قطعية.

هذا حال أسماء الله بكلّ ما تحمله من معنى، وأما حال أسماء الأنبياء والأوصياء وسائر الناس فبطريق أولى تكون حادثة ومخلوقة ومتأخرة عن أسمائه ظرفاً ورتبة.

الأسماء في سلسلة العِلل

بعد ما علمنا أنّ الأسماء حادثة ومخلوقة، لا بد من ملاحظة محلّ الأسماء المبحوث عنها في سلسلة العِلل.

فأول ما خلق الله ﷻ أسماء صارت بدورها علةً لحدوث أسماء أخرى، وصارت الأسماء الثانية علةً لأسماء ثالثة، وهذه الثالثة هي المنطوقات والحروف المقطعات، والثانية الصور الذهنية التي هي علة لحصول المنطوقات، ولولاها لما تحققت هذه المنطوقات والألفاظ.

وإنما حدثت الأسماء الذهنية بسبب الأسماء الأولى التي خلقها الله تعالى، وصار لها صدى في أذهان خاصّة مُستعدّة، أو عامّة مهما قلّ استعدادها.

ولذا قال بعض الحكماء: إنّ لوجوده تعالى أسماء وصفات، وهي لوازِم ذاته، وليس المراد من الأسماء هنا هي ألفاظ العالم والقادر وغيرها، وإنّما هي أسماء الأسماء في اصطلاحهم^(١).

وقال آخر بعد نقل كلام الأوّل: بل أسماء أسماء الأسماء، فإنّ الأسماء و الصفات في كلامه ههنا مفاهيمها، كما عبّر فيما بعد عنها بالمحمولات العقلية، وحقائق الأسماء والصفات عندهم كما صرح - قدس سرّه - في كتبه نفس الوجود ملحوظاً بتعيّن نورّي، فإنّ نفس الوجود المرسل غير الملحوظ بتعيّن هو المسمّى والموصوف والذات،

وملحوظاً ما به الانكشاف لكل وجود و ماهية اسم «العليم» وبأنه فيأض الأنوار القاهرة و الإسفهبديية و غيرها عن علم و مشيئة^(١)، انتهى.

ومهما يكن من أمر فقد جعل الأول الأسماء الأولى المفهومات الكلّية، وجعلها الثاني نفس الوجود ملحوظاً بتعين نوري، وكلاهما غير المسمّى، ولكن لا يفهم منه أنه مخلوق له تعالى وحادث، غير أنّ الروايات صرّحت بأنّ الأسماء الأولى مخلوقة له تعالى، ولم يكن معه في الأزل غير العلم بها واستحقاق التسمية.

إلا أن يكون مراد هؤلاء هو الاستحقاق المتوقّف عدم ظهوره على نقص في المخلوق أو غيره، وليست هي لوازم ذاته كما قال الأول، ولا هي نفس الوجود الملحوظ بتعين نوري كما قال الثاني، حيث جعله هو الوجود بشرط اللحاظ. وأنا أميل إلى أنّ جميعها مخلوقة حادثه، وأنّ جميعها من سنخ واحد، وأنّها غير المسمّى، إلا أنّ بعضها صار علّة لبعض، وأنّ حالها حال الصوت وانعكاساته.

فهو صوت في صوت، غير أنّ الأول أثر في جدار مستعدّ، فعكس ذلك الصوت، وحقق وجوداً ثانياً اسمه الصدى، وثالثاً.

وقد يؤثّر في جدار غير مستعد، فإنّه قد يحصل التأثير والتأثر من دون بروز شيء وظهوره، وهذا معنى دقيق يحتاج إلى التأمل.

ومُلخّص الاستدلال: أنّك تعلم أنّ كلّما وقع عليه و همك فهو مخلوق، فلا تتعسّف.

ويدلّ على جميع ذلك ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ

الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطوق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محبوب عنه حسّ كلّ متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت، فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان، لكلّ اسم من هذه أربعة أركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكلّ ركن منها ثلاثين فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس... إلى آخر الخبر^(١).

ثم إنّ المرحلة الثالثة من الأسماء، وهي الأسماء المنطوقة والحروف المقطعة والألفاظ صارت سبباً لحدوث بعض أسماء الأنبياء، حيث إنّ الاشتقاق حصل منها.

فقد روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ورفعني في سمائه، وشقّ لي اسمي من أسمائه، فسّماني محمّداً وهو محمود»^(٢).

التسمية والوضع

عندما نراجع أنفسنا نجد أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً وتلازماً بين الاسم والمسمّى في الذهن، بحيث صار إلقاء الألفاظ على الأسماع يساوق إلقاء المعاني؛ إذ أنّ سماع اللفظ وحضور صورته في الذهن يجزّ وراءه المعنى بلا واسطة ولا فصل.

(١) الكافي ١: ١١٢، التوحيد: ١٩٠، البحار ٤: ١٦٦ ح ٨.

(٢) معاني الأخبار: ٥١، البحار ١٦: ٩٢ ح ٢٧.

وإنما الكلام في منشأ هذا الترابط والتلازم.

وبصورة كلية لا يحصل هذا التلازم في الذهن بين شيئين إلا لأحد علتين:

العلّة الأولى: هو طول التقارن بين صورتَي الشئين في الذهن، بمعنى التواجد في زمانٍ واحد فيه، سواء كان لأجل التقارن الخارجي أو غيره.

والمقصود بطول التقارن هو تكرر التقارن وتواليه، فتحصل من جرّاء ذلك الملازمة بينهما في الذهن بحيث إذا حضر أحدهما حضر الآخر معه.

والعلّة الثانية: التقارن الدفعي في ظرفٍ حاد، فإنّه سيؤدي أيضاً إلى حصول الملازمة و التداعي القهري.

وهذا التقارن قد يحصل صدفة من دون تعمد، وقد يكون هناك شخص يتعمّد إيجاد الملازمة بعد إجراء عملية ذهنيّة وخارجيّة، وهذا ما يسمّى بالواضع، وحيث إنّ التلازم يكون مسبوقاً بالعدم، فلا بدّ من معرفة ما يفعله الواضع حتى يحصل ذلك التلازم.

فأول ما يفعله الواضع هو إيجاد التلازم الاعتباري، بمعنى اعتبار وجود ملازمة بين شيئين: بين لفظ محمّد مثلاً والطفل، لاحقيقة لها ولا وجود لها، وهو عبارة عن تقارن بين الصورتين، أي صورة اللفظ وصورة المسمّى، سرعان ما يتحوّل إلى تلازم وترابط حقيقي؛ إذ أنّ ظرف التسمية هو ظرف الولادة عادة، وهو ظرف حاد بحسب العادة؛ إذ أنه يكون بعد انتظارٍ طويل وترديد وآلام ومصائب وغيرها من الأمور التي تُشكّل ظرفاً حاداً.

فبمجرّد ما يتصوّر اللفظ و يعتبر التلازم بينهما و يبيّثُ بذلك تحصل الملازمة الذهنية، و عند إبلاغ الآخرين بذلك وهم يعيشون

ظروفاً كظروفه يحصل التقارن الذهني الذي سرعان ما يتحوّل إلى ملازمة حقيقية.

وهذا أبداع تصوير لعملية التسمية والوضع، وإن كان هناك وجوه أخرى مطروحة في البين، منها: رجوع عمل الواضع إلى التعهّد، وهو جارٍ في كلّ مُستعمل، وبذلك يكون الجميع واضعاً.

ومنها: عدم التخطي عن ساحة الاعتبار، والملازمة الاعتبارية.

ومنها: جعله نحو اختصاصٍ للفظ بالمعنى لاندخل في تفاصيلها.

الواضع للأسماء

اختلفوا في الواضع للأسماء والمسمّي الأوّل، فقيل: الواضع هو الله ﷻ على ما جاء في القرآن: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) وقيل: إنّ لكلّ لغة واضعها، وقيل: هو تواضع، وقيل غير ذلك.

ولا شكّ عندنا أنّ الواضع لأسماء الله تعالى في الجملة هو الله عز اسمه، وقد دلّت عليه الرواية السابقة، وروايات أخرى كثيرة.

منها: ما روي عن أبي الحسن الرضا ﷺ في الحديث: «اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوها؛ لأنه إذا لم يُدعَ باسمه لم يُعرف، فأوّل ما اختار لنفسه العليّ العظيم؛ لأنه أعلى الأسماء كلّها، فمعه الله، واسمه العليّ العظيم هو أوّل أسمائه؛ لأنه عليّ على كلّ شيء»^(٢).

وفي خبر آخر عنه ﷺ: «ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وعبّدهم وابتلاهم إلى أن يدعوها بها، فسّمى نفسه سمياً بصيراً قادراً»^(٣) إلى آخره.

(٢) البحار ٤: ١٧٥ ح ٣

(١) البقرة: ٣١.

(٣) البحار ٤: ١٧٧ ح ٥.

وأما سائر الأسماء، فهناك ما يدلّ على أن الواضع الأوّل لها هو الله ﷻ، وهي الروايات المفسّرة لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

فقد روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ ربي مثل لي أمّتي في الطين، وعلمّني أسماء أمّتي، كما علّم آدم الأسماء كلّها»^(١). وهو يقضي بأنّ الله ﷻ علّم شخص آدم لا نوعه، كما هو مقتضى التشبيه، وكذا يقضي بأنه علّمه أسماء الأشخاص بمقتضى المقابلة مع تعليم النبي ﷺ أسماء أشخاص أمته، وكذا غير الأشخاص بمقتضى عموم كلمة «كلّها».

ويدلّ على تسمية الله تعالى خصوص الأنبياء ما روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ ربيّ مثل أمّتي في الطين، وعلمّني أسماء الأنبياء، كما علم آدم»^(٢). يعني علم آدم ﷺ أسماء الأنبياء.

ويدلّ على ذلك في عامة أسماء المؤمنين والكافرين ما روي أنّ رسول الله ﷺ خطب الناس ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه، قائلاً: «أتدرون ما في كفي؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «فيها أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة».

ثم رفع يده اليسرى فقال: «أيّها الناس أتدرون ما في يدي؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: «فيها أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة»^(٣).

(١) بصائر الدرجات: ١٠٦، الكافي ١: ٤٤٤.

(٢) بصائر الدرجات: ١٠٦، تحريرات في الأصول ١: ٥٧، ترجمة القاضي نور الله: ٢٠.

(٣) بصائر الدرجات: ٢١٢.

هل الأسماء تنزل من السماء

لم أتحرّق منشأ هذا القول من النقل، وهل له أصل روائي، أم أنه مستوحى من الأخبار و الروايات، أم هو مجرد مقولة معروفة لا أصل لها سوى معرفيتها ؟

ويمكن أن يكون لها أصل وأساس، أقعدني قصوري أو تقصيري عن الوصول إلى مصدرها ومنبعها الأول، ومع ذلك فهي مذكورة في بعض الكتب كقولٍ يُؤثّر، لا بعنوان أنها رواية^(١)، ومهما يكن من ذلك فهي مدعومة ببعض المؤيدات.

منها: حساب الجداول و النجوم التي قيل: إنها حق لكنها تتوقف على معرفة الأسماء، ولا يمكن إنكار صحّة بعض لوازمها وآثارها. ومن ناحية ثانية؛ فإنّ مقر الإنسان هو وجه الأرض، يعني أنه واقع بين الأرض والفضاء المحيط بها الذي يسمى بـ «السماء» ومعه لا يخرج وصول العلم بشيء من الأشياء وخطوره في ذهنه أو سماعه بجنانه عن كونه من داخل الأرض أو مما علاها من الفضاء. ولما كان الوصول إليه من داخل الأرض لا وجه له، تحتم نزوله من السماء.

وهذا مجرد توجيه واحتمال، يحتاج إلى بسط الكلام وتقوية الاستدلال لكشف بعض الحقائق وله محل آخر، وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما مضى.

تسمية النبي ﷺ

لاشك أن للرسول أسماء سمي بها من سالف الزمان، وحتى قبل أن يولد، وبها سمّاه الأنبياء السابقون، وبشروا بها، وهي مذكورة

(١) بحار الأنوار ٤٨ : ٣٢٩، تحريرات في الأصول ١ : ٥٧، ترجمة القاضي نور الله : ٢٠.

في كتبهم. فقد قال الله ﷻ: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾^(١).

وقال عز من قائل حاكياً كلام عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢).

ولاشك في دخوله في الأسماء التي علمها آدم فقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ عذة وجوه، منها: أن المراد جميع الأسماء، في مقابل الأفعال والحروف، ومنها: أن المراد أسماء جميع البشر، ومنها: جميع أسماء الأنبياء، ومنها: خصوص أسماء الخمسة، وهو ﷺ داخل في جميع الوجوه والتأويلات. وورد في بعض الأخبار كتابة اسمه على باب الجنة وساق العرش وغيرها.

ويعلم من جميع ذلك: أن الواضع لتلك الأسماء هو الله ﷻ.

ويدل على ذلك روايات كثيرة منها ما روي أنه ﷺ قال: «أنا أشبه الناس بآدم، وإبراهيم أشبه الناس بي خلقه وخلقته، وسماني الله ﷻ من فوق عرشه عشرة أسماء، وبين الله وصفي وبشر بي على لسان كل رسول بعثه إلى قومه، وسماني ونشر في التوراة اسمي، وبشّر ذكري في أهل التوراة والإنجيل، وعلمني كتابه، ورفعني في سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه، فسماني محمداً وهو محمود، وأخرجني في خير قرن من أمتي، وجعل اسمي في التوراة أحمد، وهو من التوحيد، فبالتوحيد حرّم أجساد أمتي على النار، وسماني في الإنجيل أحمد، فأنا محمد في أهل السماء الخير»^(٣).

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) الصف: ٦.

(٣) الخصال ٢: ٤٧، معاني الأخبار: ١٩، البحار ١٦: ٩٢ ح ٢٧.

وفي خبر آخر: «أن له عشرة أسماء في القرآن، وما محمد إلا رسول» إلى آخره^(١).

وفي خبر ثالث: «إن لرسول الله ﷺ عشرة أسماء، خمسة منها في القرآن، وخمسة ليست في القرآن»^(٢).

فالتيجة أن الله ﷻ هو الواضع لبعض أسماء النبي ﷺ لا محالة. ولكن يبقى هل أنه أخبر بها النبيين بإسماع الألفاظ وتقاطع الحروف، ولو بواسطة جبرائيل، أو بنحو آخر؟

وأساساً كيف علم آدم الأسماء؛ إذ هي المرحلة الأولى، فهل علمه بإسماعه الكلام و الألفاظ والأصوات، أو بإيداع الملكة والقدرة على التعبير عن المعاني بالألفاظ؟

ولما كان دأب الله تعالى في التعبير عن الخلق التكويني بالقول، إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، أو قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وقوله: قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، وهكذا فكلما قال تعالى: ﴿قُلْنَا﴾ فهو يعني «فعلنا» فلا يبعد جرّ ذلك إلى مثل ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ فهو تعالى أودعه القدرة والملكة على الكلام، والتعبير عن مقاصده بالألفاظ.

ويشكل على ذلك: أنه كيف علمه أسماء الأنبياء بالخصوص كما ورد في بعض الأخبار، فلا ملازمة بين القدرة والملكة، ومعرفة أسماء بخصوصها، إلا أن نتصور علم آدم بهم ﷺ ورؤية أشباحهم ومقاماتهم في الجنة، فظلت صوراً ذهنية شاخصة تشغل باله، قام بوضع الأسماء لها ليتوسل باسمائهم، أو غير ذلك، وهوليس بعيد.

(١) الخصال: ٤٢٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٣٢.

فإذن لا يتحتم من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أن يكون أسمع الألفاظ، كي يكون إيجاد الملازمة في الأذهان من جراء التصريح بالوضع والإخبار اللفظي به.

وعلى هذا الأساس يكون الواضع للأسماء إذن هو آدم، أي بمعنى إيجاد الملازمة بين الاسم والمعنى، ومن ورائه والداعم له هو خلق الله وإعطاؤه القدرة على ذلك.

ومع ذلك فإنه يمكن التزام الوضع بذلك المعنى من قبل الله ﷻ، وذلك فيما أوحى به إلى الأنبياء، وما أنزل عليهم من كتب فيها أسماؤه، بتقاطيع الحروف والهجاء، أو الكتابة، فلا مانع من الالتزام بأن الواضع الأول لبعض الأسماء هو الله تعالى

توقيفية أسمائه ﷻ وعدمها

عقدنا البحث السابق في أسماء خاصة مذكورة في كتب السابقين أو القرآن الكريم، أو غيره.

وأما عامة أسمائه وصفاته وألقابه وكناهه فهل هي توقيفية، ومن وضع الله تعالى، أو من وضع الناس، ومنهم الأنبياء، أو من وضع النبي ﷺ وأهل بيته؟

والجواب: أنه لما كان الرسول المصطفى ﷺ في ذروة الخلق البائد والباقي، وهو أكملهم وكان الناس عامة، ومن التفت حوله خاصة يتابعون أعماله وأحواله وصفاته وحركاته وسكناته، وقارن ذلك دعواه النبوة، وهي غريبة وعجيبة، فمن أجل ذلك تكون كل حركة وسكون، وكل صفة إنما تحدث في ظرف حاد، وتوجد في الأذهان ملازمة بين شخص الرسول وتلك الصفة واسمها، أو الفعل واسمه.

وأظنّ أنّ هذا هو الغالب في اسمائه وصفاته، ولا ننفي أن يكون بعض اسمائه حصل من جراء ملازمته لحالة أو صفة استعملت فيه مدة طويلة بنحو المجاز، وحصل من جراء ذلك ملازمة ذهنية، بالوضع التعييني.

ومن ناحية ثانية؛ لما جعل الله ﷻ نبيّه في الذروة، صار له مكان رفيع في الأذهان ساوق كل صفات الكمال، فمهما تسمع صفة من صفاته الجميلة أو اسماً من اسمائه لا تجده غريباً، بل تراه مأنوساً معروفاً، كأنك تعرفه قبل ذلك.

فيهذا المعنى يكون من وضع الله تعالى، يعني أنه سبحانه هو الموجد للملازمة في الأذهان، وذاك بجعل النبي ﷺ في مرتبة ومقام يلازم كل صفات الكمال.

وعليه فالتوقيفية لو كانت فإنما تكون بهذا المعنى، وهي لاتنافي التسمية بالأسماء الجميلة المأنوسة والمناسبة لكماله.

أما التوقيفية بالمعنى الجاري في الأحكام، وهي عدم جواز تسميته باسم لم يثبت من طرق الشرع، فلم يثبت عندي، ولم نجد عليه دليلاً.

وأضف إلى ذلك فإن التوقيفية بهذا المعنى لم تثبت في أسماء الله تعالى، كيف! ويسميه أهل كل لغة باسم، وهو بمسمع ومرأى من النبي ﷺ والأئمة والعلماء على مر العصور، من دون أدنى نكير أو منع أو مذمة، فهذه الفرس تسميه «خدا»، والانكليز «God» و...

وبذاك يكون جواز التسمية في النبي ﷺ أولى. وكذا دلّ بعض الأخبار على أنّ الأمم المختلفة تسمي النبي ﷺ بأسماء مختلفة، وبما تقتضيه لغاتها، ويشكل تصوّر صدور جميع ذلك من أنبيائهم ورسولهم

السابقين. فقد ورد في خبر طويل: «أن أهل الروم يسمونه الحلِيم، وأهل مصر المختار، وأهل مكة الأمين، وأهل المدينة الميمون، والزنج مهمت، والترك صانجي، والعرب الأمي، والعجم أحمد»^(١).

أسماء النبي ﷺ العشرة

ذكرت الأخبار أعداداً في أسماء النبي ﷺ لا بد من الإشارة إليها وملاحظة الوجه فيها.

فاول هذه الأعداد هو «عشرة» حيث تكرر ذكر أن أسماء النبي عشرة، أو أن له عشرة أسماء.

فقد ورد: «إن لرسول الله ﷺ عشرة أسماء، خمسة منها في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: فمحمد، وأحمد، وعبدالله، ويس، ون، وأما التي ليست في القرآن: فالفتاح، والخاتم، والكاف، والمقفي، والحاشر»^(٢).

ومع ذلك فقد ورد في خبر آخر عن الكلبي عن أبي عبد الله ﷺ قال، قال لي: «كم لمحمد ﷺ اسم في القرآن؟». قال، قلت: اسمان أو ثلاثة، فقال: «يا كلبي له عشرة أسماء»^(٣) وساق الحديث.

فقد دلت الرواية الأولى على أن لرسول الله ﷺ عشرة أسماء خمسة منها في القرآن، ودلت الرواية الثانية على أن له عشرة أسماء في القرآن.

والمسألة وإن كانت بحيث لا يدخلها الإشكال؛ فإنها مثبتات،

(١) البحار ١٦: ١٠٤ ح ٤٠.

(٢) الخصال ٢: ٤٨، البحار ١٦: ٩٦ ح ٣١.

(٣) البحار ١٦: ١٠١ ح ٣٩.

وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فإثبات أنّ له خمسة أسماء في القرآن لا ينافي أن يكون له عشرة أسماء فيه، ولكن من الممكن أن يكون لذكر عددٍ بخصوصه وجه خاص.

وهناك رواية ثالثة تدل على أن الله ﷻ سمي النبي ﷺ عشرة أسماء، فقد روي أن رسول الله قال: «أنا أشبه الناس بآدم ﷺ، وإبراهيم ﷺ أشبه الناس بي خلقه وخلقه، وسماني الله من فوق عرشه عشرة أسماء، ويتن الله وصفي، وبشر بي على لسان كل رسول بعثه إلى قومه، وسماني ونشر في التوراة اسمي»^(١) الحديث.

فيبدو أن رقم «عشرة» يرجع إلى ما سماه الله تعالى به، كما يبدو أن هذا الرقم لا يعني العدد النهائي لأسمائه، بل هذا ما سماه الله تعالى به في بعض المواطن، فقد يسميه عشرة أسماء من فوق عرشه، ويسميه عشراً في القرآن، ويسميه عشراً في سائر الكتب وسائر المواقف. وكما قلنا إنّ قوله «له عشرة أسماء في القرآن» لا ينافي أن تكون أسماؤه في القرآن أكثر من ذلك، فقد قيل: إنه تعالى سماه في القرآن بأربعمائة اسم^(٢).

كثرة الأسماء علامة على السموّ

إذا راجعنا قواميس اللغة العربية، وجدنا أن الشيء كلما عظم في عيون الناس كثرت أسماؤه، وتوالت على الألسن صفاته. ألا ترى أن الأسد أكثر أسماء من سائر الحيوانات، لأنه سيد الحيوانات وأشجعها، والمهيمن على مراتعها.

وكذا السيف الذي كانت العرب تدفع به الشرور، وتكسب به

(١) الخصال ٢: ٤٧، معاني الأخبار: ١٩، البحار ١٦: ٩٢ ح ٢٧.

(٢) ذكر ذلك في كتاب المناقب وذكر الأسماء بآياتها، وانظر البحار ١٦: ١٠١ ح ٤٠.

معادل العز ودواعي الافتخار وأنواع الغنائم والأموال، وضعت له أسماء عديدة، ووصفته بأوصاف كثيرة.

وكذا الناقة التي هي وسيلة لبلوغ مآربهم، ومشربهم، ومآكلهم، ومنافع كثيرة.

وأبلغ من كلّ ذلك المحبوبة والمعشوقة وأعضاؤها وحركاتها وسكناتها، فقد لا تحصى أسماؤها.

ومهما كثرت أسماء الأمثلة السابقة وغيرها، فهي لا تبلغ أسماء النبي المختار ﷺ، ولا تقاربها حسناً وعدداً.

وذلك لأنه محبوب وسيد أوصلهم إلى معاهد العز ودواعي الفخر، وبه دُفعت عنهم الشرور، وقامت أمور معاشهم وغنموا واستغنوا، فهو يحمل كل ما يمكن أن نتصور من الدواعي الخيرة لتكثّر أسماء الشيء.

وأفضل من كل ذلك ارتباطه برب السماء، إذ أرسله بشيراً ونذيراً، ليخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، ويهديهم إلى صراط الحميد، فيستنقذهم من نارٍ سعتها جبارها بغضبه، ويأخذ بأيديهم إلى جنات عدن خالدين فيها أبداً.

الأسماء والصفات

إنّ ملاحظة الآيات والروايات التي حملت أسماءه ﷺ توصلنا إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ غالب صفاته ﷺ تقصد إلى معنى وصفة، وليست مجرد اسم يُنبىء عن المسمّى فحسب، بل هي صفات تحمل معها معانٍ تشير إلى وجودها في النبي ﷺ، أو القاب عُرف بها.

فمنها المدثر، و المزمّل، والبشير، والنذير، عدّت جميعاً من أسمائه، وهي صفات.

وهكذا سائر أسمائه، فنحن نعتقد انها صفات، إلا أن يستنكر ذلك في الرموز مثل «طه» و«يس» و«ن» ومع ذلك فإنه لا يبعد أن تكون فيها اشارة إلى معان وصفات خفية رمزية.

وبناءً على هذا فكل صفاته يمكن أن تكون أسماءه، ويمكن تسميته بها، ولكن الأولى هو ما سماه به الله سبحانه تعالى، وسمى النبي ﷺ نفسه بها أو أحد الأئمة المعصومين، ثم الذين يلونهم؛ الأمثل فالأمثل.

ولا يكفي الاقتصار في مسألة التمييز بين الاسم والصفة بهذا المقدار، ولا بد من بسط الكلام فيه.

فقد قيل: إن الاسم هو الدال على الذات من غير ملاحظة صفة، والصفة مادلاً على الذات متصفة بصفة^(١).

فالمهم البحث في اعتبار عدم ملاحظة الصفة في صدق الاسم وعدمه، فإذا سمي المولود أسود، أو أفتس بملاحظة وجود الصفتين فيه، فهل لا يكون هذا اسماً ويكون صفة. وإذا سمي باسم يحمل صفة موجودة فيه ولكن من دون ملاحظتها فهل لا يكون هذا صفة أم يكون صفة؟

وإني أعتقد أن الأمر في مسألة الاسم والصفة أوسع من كل ذلك وأسمى، بل يتجاوز كل حد يرسم له، وأظن أن النسبة بين الاسم والصفة هي العموم والخصوص من وجه مع ندرة الافتراق من الطرفين واقعاً، والكثرة لحاظاً واعتقاداً.

أما ندرة الافتراق فلأجل قلة ما ليس بصفة من الأسماء، أي

(١) شرح ابن عقيل ١: ١٥.

يكون فاقداً للمعنى، وكذا قلة الصفات التي لا يسمى بها.

وأما كثرة الافتراق للحاظي؛ فلأن التسمية بأسماء الآخرين كالأنبياء والأوصياء رائجة من دون الثفات إلى معاني الكلمات، بل قد لا يعرف اللغة ويستعمل فيها اللفظ في معناه كما هو حال أتباع الديانات من غير أهل لغتها.

وقيل: إنَّ الصفة ما كان من الأسماء مخصصاً مفيداً، مثل زيد الظريف وعمرو العاقل، وليس الاسم كذلك، فكل صفة اسم، وليس كل اسم صفة، والصفة تابعة للاسم في الإعراب، وليس كذلك الاسم من حيث هو اسم، ويقع الكذب والصدق في الصفة لاقتضائها الفوائد، ولا يقع ذلك في الاسم واللقب، فالقائل للأسود أبيض على الصفة كاذب، وعلى اللقب غير كاذب.

والصحيح من الكلام ضربان أحدهما يفيد فائدة الإشارة فقط، وهو الاسم العَلَم واللقب، وهو ما صح تبديله واللغة بحالها كزيد وعمرو؛ لأنك لو سميت زيداً عمراً لم تتغير اللغة.

والثاني ينقسم أقساماً، فمنها: ما يفيد إيانة موصوف من موصوف، كعالم وحي.

ومنها: ما يبيِّن نوعاً من نوع كقولنا لون وكون واعتقاد وإرادة.

ومنها: ما يبيِّن جنساً من جنس، كقولنا جوهر وسواد. وقولنا شيء يقع على ما يعلم وإن لم يفد أنه يعلم^(١).

ومقتضى كلامه جعل الصفة اسماً، وجعل النسبة عموماً وخصوصاً مطلقاً، والأصح عدم كون الصفة اسماً، وأن النسبة هي

(١) معجم الفروق اللغوية: ٣١٤.

العموم من وجه وإن ندر مورد الافتراق، وهذا ما نجده في أنفسنا من وجود الفرق بينهما.

نعم قد يتسامح في إطلاق الاسم على الصفات؛ لندرة مورد الافتراق، ومع ذلك فإن جعل الميزان للتمييز هو الصدق والكذب في الصفة دون الاسم أكبر شاهد على ذلك.

ومهما يكن من أمر فقد أحسن في جعل الصدق والكذب وعدمهما هو الميزان، وهو أفضل ما يخطر ببالي من وسائل التمييز بينهما، وإن كان سائر الموازين التي ذكرها لا تخلو عن فائدة.

فالمتميّن من الأسماء هو ما يضعه الوالد لولده ويخصّه به حينما يولد، فهذا اسم لا محالة، دلّ على معنى وصفة أو لم يدل، لاحظ فيه تلك الصفة أولم يلاحظ، تركب من ثلاثة أحرف أو أقل أو أكثر، وكان لفظاً واحداً أو أكثر. ولكن العرف يستنكر ما تركب من أكثر من كلمتين ويختصره لامحالة.

ويبقى الكلام في أمور:

١. ما يطلق على الشخص لصفة فيه غير اختيارية خاصة به لا في مقام التسمية، حتى يصير علماً فيه، كخاتم الرسل.

٢. السابق من دون صيرورته علماً.

٣. ما يطلق على الشخص باعتبار الصفات الخاصة التي اكتسبها حتى يصير علماً يعرف به كخير الخلق، أو خير البشر.

٤. السابق إذا لم يصير علماً.

٥. ما يطلق على آحاد طائفة خاصة من الناس اختياري أو غير اختياري كالعالم والسيد بحيث صار يعرف به.

٦. السابق إذا لم يعرف به.

٧. ما يطلق على شخص من الصفات باعتبار وجود ضدها فيه، حتى صار علماً.

٨. السابق إذا لم يصر علماً.

٩. ما كان جملة أو تركيب من ثلاث كلمات فصاعداً.

١٠. ما يبدأ بـ «الذي ومن».

١١. ما كان حرفاً واحداً مثل «ن» أو «ق» أو غيرها.

واختصار الكلام أنّ الذي يُطلق عليه الاسم حقيقة من الأسماء والصفات، هو ما يوضع عند الولادة بكل الأحوال، وقد نتجاوز ذلك إلى ما صار علماً يعرف به من الصفات اختيارية اكتسابية أولاً إذا كان لفظاً واحداً، وقد نبالغ في التجاوز حتى نطلقه على ما تركب من كلمتين مما صار علماً فيه ولو عند طائفة من الناس صغيرة. وهذا غايته.

وقد أطلق الاسم على ذلك في الأخبار والروايات، ويبقى الباقي عبارة عن صفات، بل حتى قد لا تسمى صفات، بل هو شرح حال.

وأبعدها عن التسمية بشيء من ذلك ما بدأ بـ «الذي» و «من» وغيرها من الموصولات وأسماء الإشارة وحروف الجر والاستفهام.

وأما ما كان حرفاً واحداً، فهو مقبول إذا كان رمزاً، وهو وإن لم يكن متداولاً سابقاً، ولكنه يتم تداوله هذه الأيام بشكل وسيع.

وإليك بعض الروايات التي استعمل فيها كلمة الاسم ..

فقد روي أنّ نصرانياً خرج إلى أمير المؤمنين من دير عند رجوعه

من صفين ومعه كتب فيها أسماء النبي ﷺ، فقال: «اسمه محمد، وعبدالله، ويس، والفتاح، والخاتم، والحاشر، والعاقب، والماحي، والقائد، ونبي الله، وصفي الله، وحبيب الله، وأنه يذكر إذا ذكر، أكرم خلق الله على الله، وأحبهم إلى الله، لم يخلق الله ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا من آدم ﷺ فمن سواه خيراً عند الله، ولا أحب إلى الله منه، يقعه يوم القيامة على عرشه، ويشقعه في كل من يشفع فيه، باسمه جرى القلم في اللوح المحفوظ، محمد رسول الله»^(١) الخبير.

ولو كان قوله: «و أنه يذكر إذا ذكر» وما بعده عطفاً على قوله «حبيب الله» فهو يعني استعمال كلمة «الاسم» فيما ترتب من أكثر من كلمتين، بل ما كان جملة اسمية أو فعلية ولكن الظاهر أنه معطوف على كلمة اسمه، فلا يكون اسماً، ويكون صفة، أو شرح حال.

وروي أنه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم فيما سأله، فقال له: لأي شيء سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟ فقال النبي ﷺ «أما محمد فإني محمود في الأرض، وأما أحمد فإني محمود في السماء، وأما أبو القاسم فإن الله ﷻ يقسم يوم القيامة قسمة النار...»^(٢).

وفي سؤال اليهودي «لأي شيء سميت» دلالة على ارتكاز ملاحظة الصفات عند التسمية، وكذا في جواب النبي ﷺ دلالة على ذلك، وإلا لأجابه بما يفهم منه أن الاسم لا تلاحظ فيه الصفة، وإن كان من المحتمل التجوز في كلمة «سميت» وأن المراد بها «وصفت».

وفي خبر: «أن لرسول الله ﷺ عشرة أسماء، خمسة منها في

(١) غيبة النعماني: ٣٥، البحار: ١٦: ٨٤ ح ١.

(٢) الأمامي: ٢٥٦، معاني الأخبار: ٥٢، البحار: ١٦: ٩٤ ح ٢٨.

القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: محمد، وأحمد، وعبدالله، ويس، ون، وأما التي ليست في القرآن: فالفتاح، والخاتم، والكاف، والمقفي، والحاشر^(١). وبهذا يتم ما أردنا الذهاب إليه في إطلاق الاسم، وعند مراجعة سائر الأخبار يتأيد ذلك ويتم.

الكنى والألقاب

فالكنية في اللغة: اسم يعلق على الشخص تعظيماً له أو علامة عليه، أو العَلَمُ المصدّر بلفظ الأب، أو الابن، أو الأم، أو البنت^(٢).

وقال في المصباح المنير: الكنية اسم يطلق على الشخص للتعظيم، نحو: أبي حفص، وأبي الحسن، أو علامة عليه^(٣).

ومنه يعلم أن للكنية ركنين، الأول: هو كونها اسم يعلق على الشخص للتعظيم، وبهذا يختلف عن الاسم، فإنه لا يجعل للتعظيم، بل للدلالة عليه.

الثاني: تصدّره بلفظ الأب، أو الأم، أو الابن، أو البنت.

والنتيجة أنّ الكنية من سنخ الاسم، وكلّ كنية اسم، ولكن ليس كلّ اسم كنية، وقد تغلب الكنية على الاسم، كما في أبي عبدالله عليه السلام، أو أبي العلاء، أو أبي فراس، أو أبي العتاهية، أو أبي لهب الذي اسمه عبد العزى ولكن يعرف بكنيته، وذكره الله تعالى بها، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٤).

(١) البحار ١٦ : ٩٦ ح ٣١.

(٢) المنجد: ٧٠١.

(٣) المصباح المنير: ٢٠٧.

(٤) المسد: ١.

والكنية محبذة في الشرع، بل يستحب أن يُكنى الولد وهو صغير، وحتى من لم يكن له ولد، وورد في الخبر: «من السنة أن يكنى الرجل باسم ابنه»^(١).

ونهى رسول الله ﷺ عن أربع كنى: عن أبي عيسى، وعن أبي الحكم، وعن أبي مالك؛ وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمداً^(٢)، وذلك لأنّ عيسى ﷺ ليس له أب، والحكم هو الله تعالى، ومالك خازن النار.

وأما اللقب فقد قيل: هو ما غلب على المسمى من اسم علم بعد اسمه الأوّل، فقولنا زيد ليس بلقب؛ لأنه أصل، فلا لقب إلا وهو علم، وقد يكون علم ليس بلقب.

وقال النحويون: الاسم الأوّل هو المستحق بالصورة، مثل رجل وظبي وحائط وحمار، وزيد هو اسم ثان، واللقب ما غلب على المسمى من اسم ثالث^(٣).

وعرّفه آخر: بأنه اسم يسمّى به الإنسان سوى اسمه الأوّل، ويشعر بمدح أو ذم باعتبار معناه الأصلي^(٤).

وقيل: إنّ اللقب هو النيز بالتسمية، ونهي عنه والجمع ألقاب، ولقبته بكذا، وقد يجعل اللقب علماً من غير نيز، فلا يكون حراماً، ومنه تعريف بعض الأئمة المتقدمين بالأعمش والأخفش والأعرج

(١) الكافي ٢: ١٣٠ ح ١٣، الوسائل ٢١: ٣٩٧ ح ٢٧٣٩٨.

(٢) الكافي ٦: ٢١ ح ١٥، التهذيب ٧: ٤٣٩ ح ١٧٥٢، الخصال: ٢٥٠ ح ١١٧، الوسائل ٢١: ٤٠٠ ح ٤٠٦ ٢٧.

(٣) معجم الفروق اللغوية: ٥٢.

(٤) المنجد: ٧٢٨.

ونحوه؛ لأنه لا يقصد بذلك نيز، ولا تنقيص، بل محض تعريف مع رضا المسمى به^(١).

وقال الخليل: اللقب نيزُ اسم غير ما سُمي به، وقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تدعوا الرجل إلا بأحب الأسماء إليه^(٢).

والنتيجة أن اللقب هو اسم، وكل ما هو غير الاسم الأول، وفيه ما هو مذموم للمسمى به، وما هو محبوب، وقد لا يكون محبوباً ولا مذموماً.

ويختلف عن الاسم بكونه ثانٍ، وفيه التفات إلى المعنى الأول، حيث لا يتحتم الالتفات إلى المعنى في الاسم.

ويختلف عن الكنية بلزوم قصد التعظيم فيها دونه، وتصدرها بالاب أو الابن أو الأم أو البنت، دونه. ويختلف عن الصفة، بوقوع الصدق والكذب في الصفة لاقتضائها الفوائد، دون الاسم واللقب، فالقائل للأسود أبيض على الصفة كاذب، وعلى اللقب غير كاذب، فقد يلقب الصغير فيلاً، فالتلقيب بما هو مصاد للموجود كثير ومألوف، فيسمى الاعمى البصير، وأمثلة اللقب كثيرة.

ولا شك في كون المختومة بياء النسبة كلها ألقاب، كالأمي، والبصري، والأحمدي، والمكي، والمدني، والعراقي، والنبوي، والهاشمي، وغيرها.

للوجود الرابع اسم

كل موجود نحن نعلم بوجوده من الممكن فرض أربعة وجودات له، ومنها أفراد الإنسان.

(١) المصباح المنير: ٢١٢.

(٢) ترتيب كتاب العين ٣: ١٦٤٧، والآية في سورة الحجرات: ١١.

الوجود الأول: الوجود الخارجي، وهو هذا الذي يتحقق في الخارج مما يقع عليه العلم، وفي الإنسان ما تدركه الحواس، وتبصره الأبصار، يتحرك ويأكل ويشرب.

الوجود الثاني: الوجود الذهني، وهو صورة الشيء في الذهن، وما تلاحظه في ذهنك عند غياب شخصه عنك.

الوجود الثالث: الوجود اللفظي، وهو اللفظ الذي إذا سمعته تحضر صورة الشيء في الذهن بلا اختيار، وإنما سمي وجوداً للشيء لشدة ارتباطه بالمعنى حتى صار وجوده وجوداً للمعنى، حتى أن السامع قد لا يلتفت إلى نوع اللفظ ويعرف المعنى.

الوجود الرابع: الوجود الكتابي، وهو هذه النقوش والخطوط التي يصورها الإنسان على الورق أو الأرض أو الجدار، والتي تعبر عن الألفاظ، وهي تعبر عن المعاني.

وإنما عقدنا هذا البحث لأجل الوجود الكتابي للأشخاص، وهو النقوش والخطوط التي ترسم وتعتبر عن اسم شخص، فكتابة «محمد» تعتبر عن لفظه، فأنت تقرأها وتعرف معناها.

فنحن حينما نتكلم عن الأسماء، هل تدخل هذه النقوش في الأسماء، أو لا، وإنما هي تعتبر عن الأسماء، وتحكي عنها، وهي علامة لها؟

فهل يمكنني أن أشير إلى كتابة «محمد» وأقول: هذا اسم النبي ﷺ، أو أن اسم النبي ﷺ هو اللفظ فقط؟

المعروف المشهور أن المكتوبات تدخل في عنوان الأسماء، فيقال لاتبس اسم النبي، واكتب اسم النبي ﷺ وانظر اسم النبي ﷺ ومع ذلك إذا سئلت: ما هو اسم النبي ﷺ أجبت بالقول، وليس

بالكتابة، نعم اذا سئلت بالكتابة، بادرت فأجبت بالكتابة، وليس بالقول.

فمن الممكن فرض أنّ الكتابة اسم باعتبار شدة التلازم بينها وبين القول والمعنى، ووجود الارتباط الوثيق الذي يجعلها واحداً.

ولذا ورد حرمة مس اسم الله ﷻ، وقد يعبر البعض بحرمة مس كتابة اسم الله ﷻ. ومهما يكن من أمر فإنّ فرض العلماء الكتابة وجوداً رابعاً يؤيد كونها اسماً أو يطلق عليها الاسم.

حكم مس أسماء النبي ﷺ

إنّ السلف الصالح، والسابقين من العلماء، أكثر وقوفاً على حرمة الأنبياء، والأوصياء وعظّم خطرهم، ومدى لزوم احترامهم، والحذر من توهينهم بأي نوع من التوهين والتنقيص، بل وكل ما يرتبط بهم بنحو من الأنحاء، وخصوصاً أسماءهم وحديثهم، ولذا بادر العلماء فأفتوا بحرمة مسّ الجنب والحائض أسماء النبي ﷺ ولم يترقبوا في ذلك دليلاً؛ مكتفين بكرامته، بعد ما استشعروا أنّ تحريم مس كتابة القرآن لكرامته المستفاد من قوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١)، فعطفوا على ذلك أسماء الله واسماء الأنبياء والأوصياء.

وأول من ذهب إلى ذلك الشيخ المفيد والشيخ الطوسي^(٢) وتبعهما ابن زهرة في الغنية وادعى عليه الإجماع^(٣) ولم يجازف أحد من العلماء في نفي الغضاضة والكراهة في ذلك، وإن ناقش في أصل الحرمة.

(١) الواقعة: ٧٩.

(٢) المقنعة: ٦، المبسوط: ١: ٢٩.

(٣) المعتبر: ١: ١٨٨.

فقد قال المحقق الحلبي في المعتمر: ويحرم على الجنب مس اسم الله - إلى أن قال - وقال الشيخان: ولا أسماء أنبياء الله، ولا الأئمة، ولا أعرف المستند، ولعل الوجه رفع اسمائهم عن ملاقاته ما ليس بظاهر، وليس حجة موجبة للتحريم، والقول بالكراهية أنسب^(١).

وقال في المدارك: لا بأس بالكراهة لمناسبة التعظيم^(٢).

استدل القائل بالحرمة بأمور:

١. الشهرة الفتوائية القائمة على حرمة مسها.
٢. الإجماع على الحرمة كما عن ابن زهرة.
٣. إن مسها جنباً خلاف تعظيم شعائر الله سبحانه، وقد وصف عز من قائل تعظيمها بأنه من تقوى القلوب.

وقد ذهب البعض إلى حرمة مس اسم النبي ﷺ وأحد الأئمة ﷺ من دون وضوء^(٣).

والوجه فيه: أن المناط في حرمة مس كتابة القرآن كونها من المقدسات الدينية، ويجري هذا المناط في كل مقدس ديني، بل مذهبي حتى في أسماء الأنبياء، ولا دليل على الخلاف إلا الأصل، ودعوى الشهرة، وتوهم أنه لا يجب الوضوء في مس أجساد المعصومين ومصافتهم ﷺ فكيف بأسمائهم؟

والكل مخدوش؛ إذ الأصل محكوم بما ذكر من المناط؛ لأنه كالأمانة المقدمة عليه. وأما الشهرة فغير ثابتة، أو غير معتبرة.

(١) المعتمر ١: ١٨٨.

(٢) المدارك ١: ٢٨٠.

(٣) حكاية عن كشف الالتباس في مفتاح الكرامة ١: ٢٧٧.

وأما الأخير فلوجود المانع، وهو لزوم العسر والحرج، خصوصاً مع الأزواج والمخالطين أو غير ذلك، لا لعدم المقتضي.

ويكتفى في التنبيه عليه توبيخ الإمام بعض أصحابه على دخوله عليه وهو جنب^(١)، فهو يكشف عن وضوح لزوم احترام الإمام وضرورته، وأنه لما كان هو قرين القرآن ثبت له كل ما للقرآن، فإذا حرم مس القرآن للجنب حرم الدخول على الإمام كذلك، وهكذا تثبت كل حرمة للإمام وما يتعلق به، كاسمائه، وتكون هذه الحرمة لأسماء النبي ﷺ بطريق أولى.

ولكن الإنصاف أنّ الركون إلى حرمة المس بهذا المقدار مشكل؛ لعدم قطعية الملاك، ولا بد من المصير إلى الكراهة، كما صار إليه المتأخرون، وإن كنت أميل إلى اختيار أحد الطرفين إما الحرمة، أو الإباحة، ولا أرى دليلاً على التوسط والقول بالكراهة.

هذا كله إذا لم يستلزم هتكاً، فإن المس محكوم بالحرمة في هذه الصورة لا محالة، بل لا يختص بأسماء الأنبياء والأئمة ﷺ، ويتعدى إلى أسماء العلماء وصالحى العباد إذا كان كذلك.

التسمية واختيار الاسم

لا بد من تعلق اسم بكل فرد من أفراد الإنسان يُدعى به وينادى، ومن لا اسم له لا وجود له ولا يبقى إنسان بغير اسم ولا صفة مشخّصة، وهذا واضح وضروري وغير قابل للإنكار.

وقد جرت سنة البشر على وضع اسم للمولود من قبل أبويه أو

(١) الخرائج والجرائح: ٦٥، كشف الغمة ٢: ١٨٨، الوسائل ٢: ١٩٣ ح ١٦٠٧، وص ٢١١ ح ١٩٥٤، ١٩٥٥.

غيرهما ممن يحيط به، وهو مما اتفق عليه العقلاء في مقام العمل، وتبانوا عليه جميعاً.

وإذا لم يبادر أحد من المحيطين بالمولود الى وضع اسم له؛ فمرور الأيام سيتعين له اسم عفوي مأخوذ من بعض صفاته وحالاته. ولهذا يبادر الآباء إلى التسمية، قبل حصول الاسم العفوي، والذي يكون عادة غير مناسب، لأنه ينبع من مشخصات الفرد ونواقصه الجسمية عادة، فيسمى بالأعرج، أو الأشهب، أو اليتيم، أو الفقير، وغيرها.

ومن ناحية أخرى، فإنّ عملية تولّد إنسان، أو حتى نفس وجوده يُعدّ خطيراً وأمرأ سامياً، مهما كان المولود حقيراً أو معدماً أو منقطعاً.

وإذا سما الشيء سمي باسم، وجُعِلت له علامة يعرف بها، ويسأل بها عنه.

وخصوصاً في هذه الأزمنة المحكومة بقوانين الجنسية والهوية الشخصية والأحوال المدنية، بحيث لا يمكن أن يتردد إنسان بدون بطاقة فيها اسمه وبعض صفاته، فقد أنهت كل ترديد وشك في هذا المجال.

ولما كان الدين الإسلامي ديناً شاملاً لجميع جوانب الحياة، فلم يغفل الرسول المصطفى ﷺ عن هذه الحقيقة، وأولاها اهتماماً بالغاً، وطالب بعدة أمور في مجال التسمية.

الأمر الأوّل: المبادرة إلى جعل اسم، والتبكير في ذلك، وعدم تأخيره، فقد عمد هو ﷺ إلى ذلك، حتى ورد أنه سمي «محسناً» ابن فاطمة ﷺ قبل أن يولد^(١).

(١) الكافي ٦: ١٨٢، الوسائل ٢١: ٣٨٧ ح ٣٧٢٢. ٢٧.

الأمر الثاني: المطالبة بتسمية كل فرد من أفراد الإنسان، وكل ما يصدق عليه إنسان، أو ما كان مبدأ نشوء إنسان، وحتى السقط.

فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «سَمُوا أَسْقَاتِكُمْ؛ فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا دَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ تَعَلَّقَ الْأَسْقَاتُ بِآبَائِهِمْ، فَيَقُولُونَ: لَمْ لَمْ تَسْمُونَا؟!».

فقالوا: يا رسول الله، هذا مَنْ عرفناه آتَه ذكر سميناه باسم الذكور، ومن عرفنا أنه أنثى سميناه باسم الأناث، أرايت من لم يستبن خلقه، كيف نسميه؟

قال: «بالأسماء المشتركة، مثل زائدة وطلحة وعنبسة وحمزة»^(١).

وهذا يعطي شدة اهتمام الرسول عليه السلام بتسمية الأولاد حتى الأسقاط وحتى من لم يستبن أنه ذكر أو أنثى، وذلك لحاجتهم إليها، المستفاد من توبيخ آبائهم على عدم تسميتهم.

الأمر الثالث: اختيار الاسم الحسن بمعناه ولفظه، وهو مقتضى إطلاق قوله عليه السلام «استحسنوا أسماءكم؛ فإنكم تدعون بها يوم القيامة: قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لانور لك»^(٢).

وبهذا أعطى الرسول عليه السلام برهاناً صادقاً على لزوم تحسين الأسماء؛ فإن الشخص إذا دعي به ونودي باسمه في مجلس أو محفل من الناس وكان اسمه حسناً كان هذا الاسم وساماً له ونوراً يظهر به ويُعرف به ويفتخر.

(١) قرب الإسناد: ٧٤، الوسائل ٢١: ٣٨٨ ح ٢٧٣٧٣.

(٢) الكافي ٦: ١٩ ح ١٠، الوسائل ٢١: ٣٨٩ ح ٢٧٣٧٥.

وأما إذا دعي ونودي باسمه وكان اسمه رديئاً مضحكاً، أورثه الحسرة، وهو يريد أن يختفي من الناس، فكان ظلمة له وعاراً يهرب منه ويستتر ويودّ أن لا يُعرف به.

وما زالت تتوالى توجيهات النبي ﷺ في مجال تحسين الأسماء، حتى جعل انتخاب الاسم الحسن حقاً للولد على الوالد، حينما قال رجل يارسول الله، ما حق ابني هذا؟ قال: «تحسن اسمه وأدبه، وتضعه موضعاً حسناً»^(١).

وهذا يعني أنه أوّل حقوق الولد على الوالد، ومقدم على الادب والوضع في الموضع الحسن.

ولم يكتف الرسول الأعظم ﷺ بذلك المقدار من التوجيه والتعريف، بل أراد أن يجعل هذا العمل باقياً ومستمراً وموروثاً على مرّ العصور، فأدخله في وصيته، حتى كان فيما أوصى به علياً عليه السلام: «يا علي، حقّ الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه، ويضعه موضعاً صالحاً»^(٢).

وهذا يحكي عن شدة اهتمامه ﷺ بأمر الأمة، وأراد لها أن تكون أمة سامية، وأسمائها حسنة جميلة.

ولو لم يكن هذا الاهتمام منه ﷺ لكانت أسماء الأمة إلى اليوم تتراوح بين حرب وصخر وجراد وجلمود وحية وعقرب وكلب بل عبد كلاب وغيرها مما تضحك من جهلها وسفاهتها سائر الأمم.

وبذلك تعرف - أيها القارئ العزيز - مدى حقّ الرسول المصطفى ﷺ على عاتق هذه الأمة، فهذا جانب يسير من دوره في تعاليتها ورفيها.

(١) عدة الداعي: ٧٦، الوسائل ٢١: ٣٩٠ ح ٣٨٠ ٢٧.

(٢) الفقيه ٤: ٢٦٩ ذح ٨٢٤.

التسمية باسماء النبي ﷺ

لما أودع الله القدرة على وضع الأسماء للأشياء في خلق الإنسان، بحيث صار يضع لكلّ شيء يراه ويرتفع في نظره اسماً، ومن ذلك وضع الأسماء لأبناء نوعه، وخصوصاً المواليد، وقد مضت عادة الناس طراً على تسمية المولود الجديد، حتى أنّه ما نشأ طفل وعرف نفسه إلا وله اسم يعرف به، وهذا مما لا يختلف فيه البشر.

وإنما يختلفون في انتخاب الاسم، فمنهم من يرغب أن يسمي أولاده بأسماء العظماء والمشاهير، ويتفأل بذلك أن يكون الولد عظيماً كسميه، أو حباً لذلك العظيم وكرامة له.

ومنهم من يرغب في اختيار الأسماء الغريبة التي لم يُسم بها، أو أسماء الأمم الأخرى.

ومنهم من يرغب في اختيار الأسماء السهلة التلفظ والجزيلة والجميلة.

ومنهم من يرغب في توحيد سجع أسماء أولاده، ولا يهمه معانيها وباقي نواحيها.

ومنهم من يلتفت إلى معاني الألفاظ وشموخها.

ولابد من ملاحظة ما أراه الله تعالى واستحبه لعباده، وإن كانت يد العباد مبسوطة في هذا الجانب، ولا تحرم التسمية بأي إسم، نعم يكره اختيار بعض الأسماء كما سيأتي.

فقد مر سابقاً أنّ الله هو الذي اختار أسماء أنبيائه كلّها أو بعضها على الأقل، واشتق بعضها من أسمائه، ومعلوم أنّ الله سبحانه يختار لهم أحسن الأسماء وأفضلها بجزالة ألفاظها، وارتفاع معانيها.

فقد ورد: «أصدق الأسماء ما سَمِيَ بالعبودية، وأفضلها أسماء الأنبياء»^(١).

وفي خبر آخر: «وخيرها أسماء الأنبياء»^(٢).

ولم يكتف الباري تعالى بإرشاد الناس على لسان أنبيائه إلى أفضل الأسماء، وخيرها، حتى صار يعطي الجوائز الدنيوية والأخروية على ذلك.

فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أهل بيت فيهم اسم نبي إلا بعث الله ﷻ إليهم ملكاً يقدسهم بالغداة والعشي»^(٣).

ومقتضى إطلاق هذه الروايات استحباب التسمية بكلِّ أسمائهم، ويشمل جميع أسماء النبي الواحد إذا كان له عدّة أسماء.

ومعلوم إذا كان أفضل الأسماء أسماء الأنبياء، فأفضل أسماء الأنبياء اسم أفضلهم، أعني خاتم النبيين «محمد» ﷺ.

فإنّ المتيقّن من الأسماء التي اختارها الله ﷻ ووضعها هو اسم نبينا محمد ﷺ، وهو مشتق من اسمه تعالى كما جاء في بعض الأخبار المارة.

وكيف العدول عن اسم اختاره الله تعالى، واستحب لعباده التسمية به، وجعل على ذلك الجوائز العظيمة، ورتّب عليه الفوائد الجسيمة التي لا تنتهي عند حدِّ دون الجنة.

(١) الكافي ٦ : ١٨ ح ١، التهذيب ٧ : ٣٤٨ ح ١٧٤٧، الوسائل ١٥ : ٣٩١ ح ٢٧٣٨١ عن أبي جعفر ﷺ.

(٢) معاني الأخبار : ١٤٦، الوسائل ١٥ : ٣٩١ ذح ٢٧٣٨١، عن أبي جعفر ﷺ.

(٣) أمالي الطوسي ٢ : ٦٩، ١٢٤، الوسائل ١٥ : ٣٩١ ح ٢٧٣٨٣.

فمن تلك الجوائز هي الجائزة التي أوجيها لمن يسمي ابنه باسم نبي من الأنبياء المارة، وكذا فقد ورد: «ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدس كل يوم»^(١).

وروي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من مائدة وضعت فقعد عليها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدّس ذلك المنزل في كل يوم مرتين»^(٢).

وهناك جوائز تختص بالمسمّى باسم النبي محمد ﷺ، دون سائر الأنبياء، ومنها ما ورد في الخبر: «البيت الذي فيه اسم محمد يصبح أهله بخير، ويمسون بخير»^(٣).

والمراد بالخير هو خير الدنيا والآخرة، ومنه نفي الفقر عن أهل تلك الدار فقد روي: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد»^(٤) الحديث.

وإذا كان الرحمن يحب هذا الاسم، ويستحب التسمية به، ويعطي الجوائز على ذلك فمن الواضح أنّ الشيطان يبغض ذلك الاسم، ويكره أن يسمع به، بل يتأثر ويضطرب إذا نودي به شخص، بل أكثر من ذلك.

فقد روي: «إنّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي يا محمد يا علي ذاب كما يذوب الرصاص»^(٥).

والمراد بـ «يا محمد يا علي» هو نداء الأولاد الذين أسماؤهم محمد وعلي، وليس نداء نفس النبي والوصي ﷺ وإن كان فيه كل

(١) الكافي ٦: ٣٩٩ ح ٢، الوسائل ٢١: ٣٩٣ ح ٣٨٧ ٢٧ عن أبي عبد الله ﷺ.

(٢) صحيفة الرضا ﷺ: ٨٨ ح ٢٠، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٩ ح ٣١.

(٣) عدة الداعي: ٥٩، البحار ١٠١: ١٣١ ح ٢٧.

(٤) عدة الداعي ٥٩، البحار ١٠١: ١٣١ ح ٢٥.

(٥) عدة الداعي: ٥٩، البحار ١٠١: ١٣١ ح ٢٦.

الفضل، ولكن ليس المراد هنا ذلك، ويعلم ذلك مما رواه الشيخ الكليني في الكافي عن أبي جعفر ﷺ أنه قال لابن صغير: «ما اسمك؟» قال: محمد، قال: «بم تكني؟» قال: بعلي، فقال أبو جعفر: «لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً، إنَّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد أو يا علي ذاب كما يذوب الرصاص»^(١).

وما عساک تحکم في شخص يكون في بيتٍ يقْدَس كل يوم مرتين، وإذا سمع الشيطان اسمه احتظر وذاب كما يذوب الرصاص، وهو سمي خير الأنام، اسم يحبه الله تعالى، ويستحبه لعباده، فهل يدخله النار، أم أنه يدخله الجنة كرامةً لنيبه؟

فقد روي عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ألا ليقم كل من اسمه محمد، فليدخل الجنة لكرامة سميّه محمد ﷺ^(٢).

هذا كله إذا سمي الرجل ولده أو أحد أولاده باسم النبي ﷺ وما يصيبه من الثواب الدنيوي والأخروي.

ولا تظنّ بعد كلّ هذا الثواب في التسمية لا يكون هناك حزازة ومنقصة في ترك التسمية باسم النبي ﷺ، وكان الذي يسمّي أولاده الواحد بعد الآخر بأسماء بعيدة غافلاً عن نبيه ﷺ وسائر الأشراف، غير محبٍّ لأن يسمع اسمه أو أسمائهم، وهو من الجفاء.

ولذا روي أنّ النبي ﷺ قال: «من ولد له أربعة أولاد ولم يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني»^(٣). بل روي في خبر آخر أنه ﷺ قال: «من

(١) الكافي ٦: ٢٠ ح ١٢، الوسائل ٢١: ٣٩٣ ح ٢٧٣٨٦.

(٢) كشف الغمّة ١: ٢٨، الوسائل ٢١: ٣٩٥ ح ٢٧٣٩٣.

(٣) الكافي ٦: ١٩ ح ٦، التهذيب: ٤٣٨ ح ١٧٤٧، عدة الداعي: ٥٩، الوسائل ٢١:

٣٩٢ ح ٢٧٣٨٥، البحار ١٠١: ١٣١ ح ٢٤.

ولد له ثلاث بنين ولم يسم أحدهم محمداً فقد جفاني،^(١)

وأخيراً نتأمل من رجال أمتنا الإسلامية ونسائها أن لا يتركوا هذا الشرف العظيم، ولا يفرطوا بثواب هذا العمل، وليقتدوا بالأئمة الصالحين؛ إذ كانوا لا يتركون التسمية باسم النبي ﷺ، بل ورد عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمداً، فإذا مضى لنا سبعة أيام فإن شئنا غيرنا، وإلا تركنا»^(٢).

وأودُّ أن أضرب لك مثلاً عن مدى حب الأئمة عليهم السلام للنبي ﷺ وشوقهم إلى سماع اسمه واستحبابهم التسمية به.

فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليساً لأبي عبدالله عليه السلام بالمدينة، ففقدني أياماً، ثم إنني جئت إليه فقال: «لم أرك منذ أيام يا أبا هارون؟».

فقلت: ولد لي غلام.

فقال: «بارك الله لك، فما سميته؟».

قلت: سمّيته محمداً.

فأقبل بخذه نحو الأرض وهو يقول: «محمد، محمد، محمد» حتى كاد يلصق خذه بالأرض، ثم قال: «بنفسي، وبولدي، وبأهلي، وبأبوي، وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداء لرسول الله ﷺ، لاتسبه».

(١) أمالي الطوسي ٢: ٢٩٥، الوسائل ٢١: ٢٩٤ ح ٢٧٣٨٨، والجمع بين هذا الخبر والخبر السابق، هو أنّ السابق حدّد بالأربعة، ولم يعين كونهم كلهم ذكوراً أو بعضهم، بينما عيّن في هذا الخبر كونهم ذكوراً، فإذا كانوا أربعة ذكور وإناث ولم يسمّ أحداً من الذكور باسمه فقد جفاه ﷺ، وإذا كانوا ثلاثة ذكور ولم يسم أحدهم محمداً فقد جفاه ﷺ.

(٢) الكافي ٦: ١٩ ح ٦، الوسائل ٢١: ٣٩٢ ح ٢٧٣٨٤.

ولا تضربه، ولا تسيء إليه، واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقديس كل يوم»^(١) الحديث.

بقي هنا أمران:

الأمر الأول: هل إن استحباب التسمية يجري في جميع أسماء النبي ﷺ، أو خصوص المذكورات في الأخبار؟

وإن كان هناك إطلاق، فهل هناك مستثنيات أم لا؟

أما السؤال الأول؛ فإن مقتضى بعض الأخبار، كأخبار استحباب التسمية بأسماء الأنبياء الشمول لجميع أسماء النبي الواحد كما مرّ.

وكذا فقد عبّر في بعض الروايات بقوله ﷺ: «لم يسمّ أحدهم باسمي» فهو يشمل كل اسم له ﷺ، وخصوصاً مع جمعه مع قوله ﷺ: «إن لي عشرة أسماء» أو «سمّاني ربي عشرة أسماء» وغيرها، إلا أن يُدعى الانصراف إلى خصوص اسم «محمد» وهو غير بعيد.

بل قد يستفاد من بعض الروايات عدم جواز ذلك في غير المأذون فيه من الأسماء.

فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن صفوان رفعه إلى أبي جعفر ﷺ قال: «هذا محمد أذن لهم في التسمية به، فمن أذن لهم في يس - يعني التسمية - وهو اسم النبي ﷺ؟!»^(٢).

ومنه يعلم أن التسمية بأسماء النبي ﷺ تتوقف على الإذن، ولا يحق التسمية بكل اسم من أسمائه ﷺ، فلا بد من الاقتصار على المذكور في الأخبار.

(١) الكافي ٦: ٣٩ ح ٢، الوسائل ٢١: ٣٩٣ ح ٢٧٣٨٧.

(٢) الكافي ٦: ٢٠ ح ١٢، البحار ١٦: ٨٦ ح ٨، الوسائل ٢١: ٣٩٨ ح ٢٧٤٠١.

ولكن من الصعب إثبات الحرمة بذلك الخبر على الرغم من وضوح دلالة على الحرمة، وقد يكون ذلك لضعف سنده بالرفع والإرسال؛ فإن صفوان لا يروي عن أبي جعفر عليه السلام ولم يدركه، وهو من أصحاب أبي الحسن موسى عليه السلام، والرواية صرّحت بالرفع، ولكنه من مشايخ الثقات ولا يرسل إلا عن ثقة^(١) فهي معتبرة.

والوجه في الحمل على الكراهة هو مخالفتها لسيرة المسلمين المستمرة على مرور العصور من التسمي بأسماء النبي عليه السلام على اختلافها، وعدم التفات العلماء إلى ذلك، وهو قرينة على عدم إرادة الحرمة.

والالتزام بصدور الإذن في جميع تلك الأسماء مشكل فلا بد من الاقتصار على المذكور في هذه الرواية، وهو اسم «يس» مع الحمل على الكراهة لإعراض العلماء عنها.

وبهذا يستثنى اسم «يس» من دائرة استحباب التسمي باسم الرسول عليه السلام.

الأمر الثاني: ورد النهي عن التكني بكنية النبي عليه السلام لمن كان اسمه اسم النبي عليه السلام فقد روي بسند لا يخلو عن اعتبار: «أن النبي عليه السلام نهى عن أربع كنى، عن أبي عيسى، وعن أبي الحكم، وعن أبي مالك، وعن أبي القاسم، إذا كان الاسم محمداً»^(٢).

وفي خبر: «ولا تكني بأبي القاسم إذا كان الاسم محمداً»^(٣).

(١) عدة الأصول ١: ٣٨٦.

(٢) الكافي ٦: ٢١ ح ١٥، التهذيب ٧: ٤٣٩ ح ١٧٥٢، الخصال: ٢٥٠ ح ١١٧، الوسائل ٢١: ٤٠٠ ح ٢٧٤٠٦.

(٣) فقه الرضا: ٢٣٩، البحار ١٠١: ١٣٠ ح ١٨.

ويدلّ عليه أيضاً استثناء ذلك لأمير المؤمنين علي فقد روي عنه ﷺ أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن ولدك غلام، فسّمه باسمي، وكنّه بكنيتي، وهو لك رخصة دون الناس»^(١).

والنهي يقتضي الحرمة، ولكن لم أر من يذهب الى حرمة ذلك.

إكرام المسمّى باسم النبي ﷺ وعدم إيذائه

لقد منح الله ﷺ لسمي حبيبه المنزلة الرفيعة، والمكانة الاجتماعية المرموقة في خلايا مختلفة من المجتمع، كالعائلة، والمجالس، والشورى، وغيرها وليس ذلك إلا كرامة لنبيه ﷺ، ولسرّ يعود إلى التأثير في سلوك المسمّى بذلك الاسم، واكتسابه بعض الملامح العالية، ليكون مذكراً بالنبي ﷺ، ولكي يكتسب شيئاً من العزة وارتفاع النفس المبعد عن المهانة التي قد تنعكس على النبي ﷺ بنحو ما. وقد يكون غير ذلك من الحكّم الإلهية التي لا يمكن حصرها عادة.

ويشعر بذلك ما ورد في الخبر: «أن رجلاً يؤتى في القيامة واسمه محمّد، فيقول الله له: ما استحيت أن عصيتني، وأنت سمّي حبيبي؛ وأنا استحي أن أعذبك وأنت سمّي حبيبي»^(٢).

فمنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى إنّما رخص في التسمية باسم حبيبه لأنه ينتظر من ذلك محافظة المسمّى ومواظبته على تجنّب الذنوب، ولما أعطاه الله المكانة الرفيعة فهو بطريق أولى ينتظر منه المحافظة والمواظبة على ذلك.

(١) البحار ١٠١: ١٣١ ح ٢٣ نقلاً عن كتاب فضائل الصحابة للسمعاني.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٥.

مكانته في الأسرة والدار:

وأما المكانة التي يُعطاها المسمّى باسم النبي ﷺ في عائلته، فتتلخّص في احترامه من قبل أبويه وسائر أفراد الأسرة، وعدم لعنه وسبّه وتقبّيحه وضربه في المرحلة الأولى، وهذا مما لا يحتاج إلى دليل، فكم هو قبيح قرن اللعن باسم محمد، بل هما لا يقترنان.

ومع ذلك فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا تسموا أبناءكم محمداً ثمّ تلعنوهم»^(١).

وفي المرحلة الثانية: عدم ردّه عن حاجته، وعدم استقباله بما يكره أو بكلام فيه غلظة، فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «إذا سمّيت محمداً فلا تقبّحوه ولا تجبّوه ولا تضربوه»^(٢).

فقد قال في لسان العرب:

جبّه الرجل الرجل: ردّه عن حاجته واستقبله بما يكره، أو بكلام فيه غلظة^(٣).

وفي المرحلة الثالثة: الأمر بإكرامه، وإعزازة، حتى قال رسول الله ﷺ: «إذا سمّيت الولد محمداً فأكرموه»^(٤).

وفي المرحلة الرابعة، إعطاء الشأن والمنزلة لتلك الأسرة وتلك الدار؛ وذلك لوجود من اسمه محمد فيها، وكتابة البركة لهم، وما زالوا يصبحون بخير ويمسون بخير.

(١) مستدرك الوسائل ١٥ : ١٣٠ ح ١٧٧٥٦.

(٢) مكارم الأخلاق : ٢٥، مستدرك الوسائل ١٥ : ١٣٠ ح ١٧٧٥٥.

(٣) لسان العرب ١٣ : ٤٨٣.

(٤) صحيفة الرضا ﷺ : ٨٨، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢ : ٢٩ ح ٢٩، الوسائل ٢١ : ٣٩٤ ح ٢٧٣٩٠.

فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «بورك بيت فيه محمد»^(١).

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «وما من مائدة وضعت فقعد عليها من اسمه محمد أو أحمد إلا قُدس ذلك البيت في كل يوم مرتين»^(٢).

وفي خبر: «واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تُقدس كل يوم»^(٣).

وفي خبر آخر: «البيت الذي فيه محمد يصبح أهله بخير و يمسون بخير»^(٤).

مكاته في المجلس:

وأما المكانة التي أُعطي المسمى باسم النبي ﷺ في المجلس بصورة عامة، تتمثل في أمر الحاضرين بالتوسعة له في المجلس؛ لذا روي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سميتم الولد محمداً فآكروموه، وأوسعوا له في المجلس، ولا تقبحوا به وجهاً»^(٥).

وأفضل من ذلك حلول البركة في ذلك المجلس على أهله، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «بورك بيت فيه محمد، ومجلس فيه محمد، ورفقة فيها محمد»^(٦).

والمراد بالرفقة، هم الأناس الذين يكونون في الطريق، أو على

(١) مكارم الأخلاق: ٢٥، مستدرك الوسائل ١٥: ١٣٠ ح ١٧٧٥٥.

(٢) صحيفة الرضا(ع): ٨٨ ح ٢٠، عيون أخبار الرضا(ع) ٢: ٢٩ ح ٣١، الوسائل ٢١: ٣٩٤ ح ٢٧٣٩٢.

(٣) الكافي ٦: ٣٩ ح ٢، الوسائل ٢١: ٣٩٣ ح ٢٧٣٨٧.

(٤) الوسائل ٢١: ٤٩٤ ح ٢٧٣٨٩، البحار ١٠٤: ١٣١ ح ٢٧.

(٥) صحيفة الرضا(ع): ٨٨ ح ١٨، عيون أخبار الرضا(ع) ٢: ٢٩ ح ٢٩، الوسائل ٢١: ٣٩٤ ح ٢٧٣٩٠.

(٦) مكارم الأخلاق: ٢٥، مستدرك الوسائل ١٥: ١٣٠ ح ١٧٧٥٥.

سفر، فقد دعا لهم رسول الله ﷺ بالبركة، وهو يقضي أن المستحسن اصطحاب من اسمه محمّد في السفر أو في الطريق، ليكون السفر مباركاً ومأموناً.

مكانته في مجالس المشورة:

من المعروف أنّ مجالس المشورة تُعقد لعظائم الأمور، والمسائل التي لها خطر، وقد تكون مصيرية.

وتكمن أهمية هذه المجالس في ما يترتب عليها من الآثار وما تنجم عنها القرارات المأخوذة فيها، فقد تسوق أهلها إلى الخير والصلاح، وقد تعود عليهم بأنواع الشرور والويلات، خصوصاً في مثل التصميمات المتخذة في النزاعات والرئاسات واتخاذ الاجراءات وسنّ القوانين.

ويكون أمثال ذلك مشمولاً بعناية الله تعالى، وينتهي بأهله إلى مرافئء الخير إذا حضر المشورة من اسمه محمّد أو أحمد فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من قوم كانت لهم مشورة، فحضر من اسمه محمد أو أحمد فادخلوه في مشورتهم إلا كان خيراً لهم»^(١).

ويبدو أنّ السر كله يكمن في مادة الحمد ولفظه واشتقاقه، وأن الخير في مجلس مشورة فيه من في اسمه حمد، ولذا لا يقتصر رجاء الخير في مجلس يحضره من اسمه محمد أو أحمد، بل كل اسم مادته الحمد، كحامد ومحمود.

ولعلّ هذا ما يبعث التفاؤل وتوقع الخير، وتفاءلوا خيراً تجدوه، وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن.

(١) صحيفة الرضا: ٨٨ : ١٩، عيون أخبار الرضا: ٢ : ٢٩ ح ٣٠، الوسائل: ٢١ :

فقد روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمّد أو حامد أو محمود أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم»^(١).

فأعظم بتلك المنازل، وأكرم بتلك المقامات، وبذلك فليفتخر المسمّون بتلك الأسماء.

وهذا مما يسلب الإنسان المؤمن الخيار عند إرادة اتخاذ تصميم حينما يريد أن يضع اسماً لولده، وهو على حق وإن كثّر المسمّون بتلك الأسماء ممن حوله، وإنما يجزّ الخير بذلك العمل لنفسه ولأهله، ويعكس مدى حبه لربه ونبيه.

وبذلك فليرغب الراغبون، ويتنعم المتنعمون.

القسمية بالأسماء الدخيلة

الجمال كل الجمال، والإبداع كل الإبداع، والأنغام كل الأنغام، والألحان كل الألحان في الأسماء الغربية، والألفاظ الأوربية، حيث تتلوّى بها الأفواه، وتتقسّم بها الأصوات، وتحكي عن شعر ذهبي، وعيون زرقاء، وخدود ناعمة، وشفاه عذبة، وحياة هائلة، هكذا يعتقد البعض، بل غلب وشاع بين كثير من بلاد الإسلام.

تعباً لهم وسحقاً ما هم بعرب ولا مسلمين، فان تقليد كلام الغربيين يعتبر نوعاً من التبعية والإنهزامية ولا شك أن لغة القرآن لها الشرف كل الشرف على سائر اللغات.

فاللغة العربية هي الأجزل ألفاظاً، والأروع بناءً، والأطبع إلى الأسماع، وفيها ما هو في غاية الجمال، ونهاية الحسن والإبداع.

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٩، البحار ١٠١: ١٢٨ ح ١٠.

فأحلى النثر قرآنها، وأحلى الشعر أشعارها وأحلى الأنغام
أنغامها، وفيها ما يشبه السحر، ويعجز عن وصفه الكلم، وتذوب به
صخور القلوب، وتطرب له أشلاء الأموات، ويتمايل به قويم
القامات.

ومنه ما يبصره الأعمى ويُسمع الصم، ويعرفه القرطاس والقلم،
وبذلك قال المتنبّي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
الليل والخيل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فأين يراد بكم، وأين تتيهون، وكيف تصرّفت بكم أيدي
الأعداء، وسافتكم سوائقها، وخذت بكم حواديتها.

ويسنحني هنا دراسة العلل الأساسية لذلك:

العلّة الأولى:

ابتعاد الناس عن الدين الحنيف، فصاروا يجهلون حقيقة
التسمية، وآثارها، ومدى تأثيرها في سلوك الإنسان، وارتباط بعض
الحقائق بالأسماء، وحلول البركة من أجلها، وجلبها الخير لأهلها،
وهي مع ذلك إخلاد لذكرى الصالحين، وحثّ على الاقتداء بهم،
وتعود عليهم بالنفع، فقد قيل لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إنا نسّمِي
بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟ فقال: «إي والله، وهل الدين
إلا الحب؟ قال الله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ﴾» (١).

وهذا ما أدركه السلف الصالح، فما لبثوا أن سموا أبناءهم باسم

(١) تفسير العياشي ١: ١٦٧، البحار ١٠١: ١٣٠ ح ١٩ والآية في سورة آل عمران: ٣١.

النبي الكريم ﷺ، حتى فاقت التسمية باسمه كلّ الأسماء، وصار اسمه أكثر اسم في العالم، وهكذا سائر الصالحين.

ولا تظن أنّ الغربيين غفلوا عن ذلك، بل هم يسمون أبناءهم بأسماء الأنبياء والصالحين، ولكن قد تختلف مع ما نعرفه من الأسماء باختلاف يسير، فما «ماري» أو «ماريا» إلا وهي «مريم» وما «ديفيد» إلا وهو «داود»، وما «جوزيف» إلا وهو «يوسف» و «آبراهام» هو إبراهيم، و «آدم» هو «آدم»، و «موش» هو «موسى»، و «ايسو» هو «عيسى» وغيرها، وهي الغالبة في أسمائهم.

ولو سمّيت ابنك «ديفيد» وسمى الغربي ابنه كذلك، ربح هو وخسرت أنت، فهو سماه بذلك لأجل أنه اسم نبي باعتقاده، وإنما سمّيته أنت بذلك لاعتقادك أنه غربي غريب .. والأولى أن تسمّيه داود حتى تريح الجمال والثواب والأصالة.

العلة الثانية:

ابتعاد الناس عن اللغة العربية، فهم يجهلون محاسنها وبديع اشتقاقاتها، ومستحسن أسمائها، وقد شرّقت وغرّبت بهم اللهجات الرديئة، والاستعمالات المنفورة، والأسماء البذيئة، التي ولّدت نفرة عارمة، حدث بهم إلى القفزة التي يتوخّونها، فسّموا أبناءهم بالأسماء الغربية بعد ما كان اسم الأب «دريهم» و «زرزور».

ولو طالعوا الكتب العربية، أو رجعوا الى قواميسها، وتعرفوا على الأسماء، وعرفوا محاسنها، واختاروا ما به يفتخر الفتى من الأسماء، سواء كان لسيولة لفظه، أو عذوبة معناه، أو سموحه، لما حدث هذا التغرّب، وما سلكوا تلك المتاهات.

العلة الثالثة:

الغزو الثقافي الهادف أو غير الهادف، عبر شاشات التلفزيون، وباقي وسائل الاتصال والإعلام، أو نتيجة لكثرة الاختلاط بالغربيين من جرّاء كثرة السفر إلى بلادهم.

فقد صنع الإعلام المبطن بأنواع الفنون الجميلة من الحياة الغربية جنة سامية في أذهان بعض المسلمين.

وذلك باستخدام الوسائل المتعدّدة، كالممثلات المجملّة و الجميلة، والحركات المحركة، واللحظات الراقصة والساخنة، والصور المغيّرة، واعتماداً على الشهوات التي أودعها الله تعالى في الإنسان لأهداف صادقة لا غير.

ومن ناحية أخرى فقد تطاول اندماج الناس مع تلك الأوضاع، واستمر التعايش مع تلك الأجواء، وما انفكوا يشاهدون الأفلام، مما حدى بهم إلى نسيان هويتهم، وتطبيق ما يشاهدونه على حياتهم، حتى حصلت عملية المسخ بالتدرّج، فصاروا غربيين في قلب المسلمين.

ولا تعجب أن يُسمّى كيان خاسر كهذا ابنه «وليام» أو ابنته «لينا» غافلاً عن أنّ هذه الأسماء لها الأثر البالغ في سلوك الأولاد، وهو تبليغ لكل مادة الضلال والفساد وإن أبيت إلا الإصرار، فاصبر فإنّ وعد الله حق، ولا يغرنك الذين لا يوقنون..

تغيير النبي ﷺ لأسماء الأشخاص

عندما يُلقى المتطلّع نظرة على أحوال الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، ويتخيّل دعاء بعضهم بعضاً بأسمائهم، يفكر أنه في ميدان قتال، أو في غابة، أو أنه تاه في أرض وعرة، أو تغوّكته الغيلان،

فهذا يقول: حرب، وذاك ينادي فاتك، وذاك يُدعى كلب، وآخر فهد، وثالث نمر، ومن ناحية أخرى ينادي شخص صخر، وآخر حزن، ورابع غيلان، وخامس حباب وهو اسم الشيطان، والحباب ضرب من الحيات، والعرب تسمي الحية شيطاناً.

ولا ترجع هذه التسميات إلى سفاهة العرب أو جهلهم، أو أنه حصل عبثاً، وإنما جاء عن حكمة، وله دواعي معقولة.

فقد سئل الرضا عليه السلام: لِمَ سَمَّوا العرب أولادهم بكلب ونمر وفهد وأشباه ذلك؟

فقال: «كانت العرب أصحاب حرب، فكانت تهول على العدو بأسماء أولادهم، ويسمّون عبيدهم: فرج، ومبارك، وميمون، وأشباه ذلك يتيمنون بها»^(١).

ويكشف ذلك وغيره عن أنّ الأسماء عند العرب ليست هي ألفاظ محضة، بل لهم عناية بمعانيها، ويعتقدون تأثير تلك المعاني بأنحائها.

فهم يعتقدون أن تسمية الوالد بـ «أسد» أو «نمر» يدعو إلى تصوّر الحيوان المفترس إلى جانب تصوّر الولد، مما يضفي إليه مهابة، ويزرع الذعر في قلوب الأعداء.

ولم يقتصروا على هذا الجانب من المعاني التي تدعو بطبعها إلى الخوف والمهابة، بل كانوا يخرجون عنها إلى معاني الصلاح، وهم يتوخّون منها البركة، ويرجون من ورائها الخير.

ولذا كانوا يسمون ما لا يريدونه للحرب كالمماليك بأسماء

الخير كفرج ومبارك وميمون يتيمنون بها.

وعندما حمل النبي ﷺ الرسالة إلى أبناء الجزيرة وغيرهم، ودعا إلى عبادة الله تعالى، وكان هدفه الأول هو هداية الناس، لم يغفل عن الأسماء في الوصول إلى هذا الهدف الأسمى.

فإنه ﷺ وإن كان في مهامه القتال والحرب للدفاع عن الرسالة، ولكنه لم يرد القتال لأجل القتال والغلبة والقهر، وإنما أرادته للوصول إلى الهدف الأسمى وهو التوحيد وعبادة الله تعالى، ونفي الشرك والظلم، وترك عبادة الأصنام حيث أعلن من اليوم الأول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم»^(١).

فاعتمد الرسول المصطفى ﷺ عملية تغيير الأسماء التي لا تصب في ذلك السبيل، وكان هذا مشهوداً، فما أن يأتيه رجل أو وفد إلا وسأل عن اسمه أو أسمائهم، فيعتمد إلى تغيير الرديء منها المنافي لذلك الهدف.

فعن عبدالله بن سلام قال: كان اسمي في الجاهلية غيلان، فسمااني رسول الله ﷺ عبدالله^(٢). وغيلان جمع غول، والغول عظيم الجن.

وعن عبدالله بن الحارث ابن جزء، قال توفي رجل ممن قدم على النبي ﷺ فأسلم غريباً، فقال رسول الله ﷺ وهو عند القبر: «ما اسمك؟» فقلت: العاصي، وقال لابن عمر: «ما اسمك؟» فقال: العاصي، وقال للعاصي «ما اسمك؟» فقال: العاصي، فقال رسول

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ٧٠ ح ٢٨٠، عوالي اللثالي ١: ١٥٣.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ٥٤.

الله ﷻ: «أنتم عبيد الله انزلوا» قال: فوارينا صاحبنا ثم خرجنا من القبر وقد بُدلت أسماءنا^(١). فما فتأ أن جعل رسول الله ﷺ العاصين عباد الله تعالى، أملاً أن يكونوا كذلك.

ولما كان النبي هو نبي الرحمة، ويدعو إلى عبادة رب رحيم يستفتح كلامه بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» فأراد النبي ﷺ أن يكونوا عباد الرحمن، دون ما سواه.

فعن أبي هريرة قال: كان اسمي عبد شمس، فسماني النبي ﷺ عبد الرحمن^(٢).

وعن عبد الرحمن بن عوف: كان اسمي عبد عمرو، فسماني رسول الله ﷺ عبدالرحمن^(٣).

ولما كان من مهام الرسول الأعظم ﷺ التحذير من الشيطان، والنهي عن متابعتة، والمبالغة في ذلك، كره أن يتسمى الرجل باسم الشيطان فقد روي أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن أبي سلول: «ما اسمك؟» قال: إن اسمي الذي سماني أبي الحباب، فقال: «الحباب شيطان، أنت عبد الله»^(٤).

وقال أبو عبد الله ﷺ لعبد الملك بن أعين: «كيف سميت ابنتك ضريساً؟» قال: كيف سمّاك أبوك جعفرأ؟ قال: «إن جعفرأ نهر في الجنة، وضريس اسم شيطان»^(٥).

وجاء عبد الله بن قرط الأزدي إلى النبي ﷺ، فقال له

(١) مجمع الزوائد ٨ : ٥٣.

(٢) مقدمة فتح الباري : ٢٤١.

(٣) مجمع الزوائد ٨ : ٥٣.

(٤) تصحيفات المحدثين للعسكري : ٤١٢.

(٥) رجال الكشي ٢ : ٤١٢ ح ٣٠٢، الوسائل ٢١ : ٣٩٩ خ ٢٧٤٠٤.

النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: شيطان بن قرط، قال: «أنت عبد الله ابن قرط»^(١).

تغيير الأسماء القبيحة

ونحن إذ دافعنا عن موقف العرب في التسمية بالأسماء المرهبة، لا يعني عدم وجود المتسفة الذي يسمي أبناءه بالأسماء القبيحة بمعانيها كأسماء الحيوانات التي لا تعطي القوة والشجاعة، أو تعيد بعض الحيوانات، أو التسمية باسم بعض الحشرات، وكل ما هو قبيح منفور.

فإن النبي الأعظم جاء ليرفع من قيمة الإنسان، ويوقفه على حقيقته، ويضعه في مرتبته التي أرادها الله تعالى له. فقد قال عز من قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢).

وذلك بعد ما اختار الإنسان لنفسه الحياة الحيوانية من الاهتمام بالأكل والشرب، والافتراس والفرس، والتوحش والقتل مما يشاركه فيها كثير من الحيوانات.

بينما أراد الله تعالى له أن يتحلّى بالقيم المثلى، ويتحلّى بمكارم الأخلاق، والفضائل والآداب.

ولا يناسب هذا الإنسان أن يتسمى بالأسماء الرديئة والقبيحة، كعبد كلاب، أو عبد كلال، أو جندب وهو من الجراد، أو حزن، أو ذباب، أو مرّة، وغيرها.

(١) مجمع الزوائد ٨ : ٥١.

(٢) الإسراء : ٧٠.

فقد روي أنّ النبي ﷺ قال لرجل: «ما اسمك؟» قال: غراب، قال: «أنت مسلم»^(١).

وقال ﷺ لآخر «ما اسمك؟» قال: عتلة فقال النبي ﷺ: «بل أنت عتبة»^(٢).

والعتلة: الهراوة الغليظة، أو الناقة لا تلقح، وعتبة منعطف الوادي^(٣).

وقال لثالث: «ما اسمك؟» قال: نعم، فقال: «بل عبدالله»^(٤).

وعن عبدالله بن سمرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد كلاب، فسّماني رسول الله ﷺ عبدالرحمن^(٥).

وفي رواية أن أباذر لما دخل على عثمان قال له: لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جنيدب، وسماني رسول الله ﷺ عبدالله، فاخترت اسم رسول الله ﷺ الذي سماني به على اسمي، فقال عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: إنّ يد الله مغلولة، وإن الله فقير ونحن أغنياء؟! فقال أبوذر: لو كنتم لاتزعمون لأنفقتم^(٦) الحديث.

ولقد أساء عثمان حينما ترك اسماً سماه به رسول الله ﷺ، وسمّاه باسمه الأوّل.

(١) مجمع الزوائد ٨ : ٥٢ .

(٢) مجمع الزوائد ٨ : ٥٣ ،

(٣) المجلد : ٤٩٩ ، المنجد : ٤٨٥ .

(٤) مجمع الزوائد ٨ : ٥٣ .

(٥) مجمع الزوائد ٨ : ٥٥ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٥٥ .

وهكذا كان الرسول ﷺ يغيّر كل اسم قبيح كزحم، وحزن، وحرام، وضرار، حتى مثل شهاب اسم من أسماء النار، كما في الخبر^(١).

ولم تتأطر محاولة الرسول الأعظم بأسماء الأشخاص القبيحة، وشملت أسماء القرى والبقاع، فقد مرّ ﷺ بأرض يقال لها: عفرة، فسماها خضرة^(٢). والعفر التراب.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يغيّر الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان»^(٣).

بقي أمران:

الأمر الأول: ورد النهي عن التسمية بأسماء بعينها لا لقبها، بل لاختصاصها بالله تعالى أو النبي ﷺ، أو أنه يبغضها.

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ دعا بصحيفة حين حضره الموت يريد أن ينهى عن أسماء يتسمى بها، فقبض ولم يسمها، منها: الحكم، وحكيم، وخالد، ومالك، وذكر أنها ستة أو سبعة مما لا يجوز أن يتسمى بها»^(٤).

ويبدو أنّ الأسماء المنهية عنها مبغوضة لله تعالى.

فلذا ورد في الخبر: «إن أبغض الأسماء إلى الله حارث ومالك وخالد»^(٥).

(١) نوادر الراوندي: ٩، البحار ١٠١: ١٣٠ ح ٢١.

(٢) مجمع الزوائد: ٥١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٤٢.

(٤) الكافي ٦: ٢٠ ح ١٤، التهذيب ٧: ٤٣٩ ح ١٧٥١ الوسائل ٢١: ٣٩٨ ح ٢٧٣٩٩.

(٥) الكافي ٦: ٢١ ح ١٦، التهذيب ٧: ٤٣٩ ح ١٧٥٣.

حيث يعلم منه أن هناك أسماء أخرى مبغوضة، هذه أبغضها، ولا تخرج تلك المبغوضة عن هذه الستة أو السبعة المذكورة في الروايات.

وهناك أسماء يبغضها رسول الله ﷺ، وهي الأسماء الدالة على القسوة والظلم.

فقد قال رسول الله ﷺ: «شر الأسماء ضرار، ومرة، وحرب، وظالم»^(١).

الأمر الثاني: حكم التسمية باسم عبد النبي، أو عبد الرسول، أو عبد محمد أو أحد الأئمة، فقد تنزه عنه البعض، وقد يعدّه البعض الآخر من الشرك؛ لأنّ العبادة لله تعالى وحده.

ويدلّ على المنع قول عليّ ﷺ: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً»^(٢).

ولكن شيئاً من ذلك لا يتم، لأجل أن كون شخص عبد شخص لا يعني الشرك، كيف! وقد أقرّ الإسلام الرقية، وجعل لها أحكاماً، وإنما منع من أن يكون المسلم عبداً للكافر، وألزم شراءه منه قهراً، ولو من بيت المال. وأما كون الإنسان عبداً للنبي ﷺ أو أحد الأوصياء والمعصومين فهو فخر ووسام، ويصب في مجرى عبادة الله تعالى؛ لأنه إنّما يكون عبداً له لأن النبي ﷺ عبد الله الحقيقي ورسوله وصفيّه من خلقه هذه هي الطولية المخالفة للشرك.

ولو كان في ذلك غضاضة وحرمة أو حتى كراهه لغير الرسول المصطفى ﷺ اسم جدّه عبدالمطلب، ولما تسمّى الكثير من الناس من

(١) الخصال: ٢٥٠ ح ١١٨، الوسائل ٢١: ٣٩٩ ح ٣٧٤٠٣.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٥١.

جميع الفرق بعبد النبي، وعبدالرسول وغيره، وهو مشهود في كتب الرجال.

ولا يتحرّج الشيعة الإمامية من التسمية بذلك، بل يبغون من ورائه الخير والبركة، وذلك لأن أميرهم، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كرر القول: «أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله».

وتفصيله: أنه جاء حير من الأخبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربك؟ فقال: «ثكلتك أمك، ومتى لم يكن حتى يقال: متى كان، كان ربي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده، فهو منتهى كلّ غاية» فقال: يا أمير المؤمنين أفنبي أنت؟ فقال: «ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله»^(١).

ويكمن في هذا الحديث قصص وغصص، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام واقعاً على عظم النبي صلى الله عليه وآله وعلوّ مقامه فتواضع أمام ذلك الصرح الشامخ، ولم يعده كواحد من الناس، بينما ترّقع من ناواه عن ذلك، ولم يقولوا كقوله، فتابعهم أتباعهم، وسلكوا مسلكهم، ونهجوا طريقتهم. ومما يضحك الثكلى خضوع أبناء الأمة الإسلامية للغرب والشرق الكفرة، وإبائهم عن التسمية بعبد النبي أو عبد محمد أو ماشابه ذلك!

ومن ذلك يعلم حال ما روي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: كان اسمي عبد عمرو، فسماني رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالرحمن^(٢). فإنّ عبد الرحمن لما أسلم، وأريد بعمره الإشارة إلى شخص بارز في

(١) الكافي ١: ٩٠ ح ٥، ٨، التوحيد للشيخ الصدوق: ١٧٥.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ٥٣.

قبيلة عبد الرحمن أو كان سيده وكان عبد الرحمن عبداً له، وكان عمرو كافراً، فقد رفض الرسول المصطفى أن يكون المسلم عبداً لكافر ولو بالاسم؛ لأن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه. وهذا ما يصطلح عليه بأنه قضية في واقعة لا يمكن الاستدلال به على شيء.

ويؤيد جميع ما ذكرنا ما تكرر في الاخبار من دعاء الرسول يا بني عبد مناف، ويا بني عبدالمطلب وغيرهما^(١)، ولو كان فيه حزاة ومنقصة لبدله بلفظ غيره، مثل يا بني هاشم.

ولما تمثل ﷺ :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
إلفات نظر:

ولما كنا نحن الإمامية واقفين على مقام الأئمة المعصومين، والزهراء سيّدة نساء العالمين، ونفتخر أن نكون لهم عبيداً حقيقيين بمعنى الرق، فلا نأبى عن التسمي بذلك بل نطلب بذلك البركة والشفاعة عند رب العالمين.

تأثير الأسماء الجميلة والقبيحة

لا شك في تأثير حُسن الأسماء وقُبْحها باعتبار معانيها في بعض الأمور الاعتبارية؛ حيث يسقط اعتبار من قُبِح اسمه في نظر المجتمع مهما بلغ مقامه. فمن كان يعرف بـ «ابن أبيه» متهم بأنه من زنا وحرام؛ لجهل أبيه كما اتفق لزياد بن أبيه، وهو من الحكام.

ويختلف هذا التأثير باختلاف مراتب القبح واختلاف الأحوال، فقد يعود في بعضها توهيناً، أو يدخل في الهتك كتلقب

(١) انظر اختلاف الحديث للشافعي: ٥٠٤.

المؤمن بـ «زاني» أو «فاسق» وهو محرم.

وقد يكون مجرد تنقيص، ويدعو إلى التمسخر، كتسمية الرجل الجليل عصفوراً أو بعوضة. وقد يكون مجرد عدم مناسبة.

ثم إن العكس أيضاً متصوّر، وهو أن يزري المسمّى على الاسم، كما لو سمي الرجل الفاسق عادلاً، والفاجر شريفاً، والكافر مؤمناً، كما اتفق ليزيد بن معاوية.

ويخلص جميع ذلك إلى وجود التأثير والتأثر في الاسم والمسمى بما يحمل الأوّل من المعنى، وما يحمل الثاني من الصفات، فرب ذليل زاده اسمه شرفاً، ورب شريف أورثه اسمه خسة، ورب جميل ضافه اسمه جمالاً، أو قبيح زاده اسمه قبحاً، أو بالعكس.

وليس هذا هو محل البحث وإنما محل البحث هو أنّ تسمية الطفل باسم، هل تُساهم في صناعة شخصيته، فهل إن تسميته شجاعاً مثلاً يصنع منه شجاعاً، أو تسميته كريماً يصنع منه كريماً، أو تسميته سعيداً هل يجعله سعيداً.

وأكثر من ذلك هل تسميته غنياً يؤثر في رزقه ويجعله غنياً، أو تسميته مباركاً يجعله مباركاً وميموناً؟

ومن ناحية أخرى، فهل إن تسميته باسم شخص، يحدو به إلى التخلّق بأخلاق ذلك الشخص، ومقاربة صفاته، والافتداء به، أو بلوغ مكانته، أو سلوك طريقه.

وأكثر من ذلك، هل إنّ تسمية الشخص قوياً يزيد في قوّته؟ أو تسميته سفينة يزيد في قدرة حملة للأشياء؟

وأبعد من ذلك، هل إنّ التسمية بالأسماء الحسنة أو بأسماء

الأنبياء تؤثر في حفظه وسلامته، وابتعاد الشيطان عنه، ونزول البركة عليه؟

وفي مقام الجواب بعد فرض عدم خلق الاسم من التأثير في أول البحث، يجب أن نقول: لا يمكن إنكار عامة التأثيرات بالمرّة.

كما لا يمكن تصديق كافة التأثيرات المستول عنها، وإلا ما وجدت فقيراً على وجه الأرض؛ لشدة علاقة الناس بتوقُّ أولادهم، ولو أحسوا ذلك أو شعروا به ما عدلوا عن تسمية أولادهم بغني، أو ملك، أو رئيس، أو مؤمن، وغيرها، ولما وجدنا من اسمه كريم بخيلاً، ولا وجدنا من اسمه علي وضيعاً، ولا من اسمه غني فقيراً، ولا مهدي ضالاً.

فيبقى تشريح المقبول من التأثيرات:

التأثير الأوّل: هو التأثير العام وفي الجملة على مسير حركة المجتمع الكلية، فبعنوان المثال لما اخترع توماس أديسن الكهرباء، أخذ الناس في الغرب يسمون أبناءهم باسمه، مما يحكي عن عمق حب الناس للعلم والتطور، وهذه الحكاية تجعل الجيل الصاعد يرغب أن يقتضي أثر توماس، لكي يخلد اسمه كما خلد اسم توماس، ويرغب في شق طريقه، وهذا مما دفع الناس الراغبين إلى الراحة بطبعهم إلى تحمل مشاق التعلم والترقي، فكثُر المكتشفون على أثر ذلك.

وأفضل من ذلك المثال هو بعثة النبي الكريم ﷺ، فإن تسمية الناس أبناءهم باسمه يحكي عن حبهم له، وحبهم لما جاء به من الشريعة والدين، مما يحث على الاقتداء بالنبي ﷺ واقتفاء آثاره، كي ينال حظاً من ذلك الشرف، ويوجد المحبة إلى الخير والتكامل، باعتباره ﷺ هو الإنسان الكامل.

التأثير الثاني: وهو تأثير الأسماء بما لها من المعاني على سلوك الشخص بنحو الاقتضاء، لا الفعلية، بمعنى أنّ من يسمّى كريماً أو جواداً يكون أكرم ممن يكون في شرائطه وظروفه، واسمه غير ذلك.

ويعود السبب في ذلك إلى إحساسه بنوع من التناقض لو خالف ذلك أولاً، وعدم تخلّصه من التفرّيع المتكرّر ثانياً، فلو بخل من اسمه كريم، قيل له: ليت أنّ اسمك كان بخيلاً، أو لم يكن اسمك كريماً أو جواداً. وتكرّر هذا التفرّيع يدعو إلى الحياء، وكثير من الأمور تقوم عليه، حتى قيل لولا الحياء ما بذل الباذلون.

التأثير الثالث: التأثير على الهواجس والأسماع، فما وقع الأسماء الجميلة أقل من وقع تغريد البلابل في النفوس، وأجذب للقلوب.

ولذلك سمى الله نفسه بأحسن الأسماء، وسمّى أنبيائه بحسّن الأسماء، وغير رسول الله ﷺ أسماء أصحابه.

التأثير الرابع: التأثير المنصوص عليه في الأخبار كحلول البركة في تلك الدار لمن تسمّى باسم النبي أو اسم واحد من الأنبياء والأوصياء، وقد مرّ بعض الكلام فيه.

التأثير الخامس: المدعاة إلى التفاؤل، والتفاؤل لا يخلو من التأثير خصوصاً لمن اعتمد عليه، واعتقد به.

وبقي شيء:

أنّه ورد في الأخبار حصول بعض التأثيرات الخارقة للعادة في بعض الأحيان، فقد ورد في رجل اسمه سفينة، قال له شخص: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك، سماني رسول الله ﷺ سفينة، قلت: ولم سماك سفينة؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل

عليهم متاعهم، فقال لي: «إبسط كساءك» فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، ثم حملوه عليّ، فقال لي رسول الله ﷺ: «احمل، فإنما أنت سفينة» فلو حملت يومئذٍ وقر بعير، أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل عليّ إلا أن يجفوا^(١).

فهذا الحديث لو تم يجب أن تحمله على أنه كرامة للنبي ﷺ ومعجزة من معجزه، لا مجرد تأثير الاسم.

ويشبه أن يكون من هذا القبيل ما ورد عن سعيد بن المسيب أنه حدّث أن جدّه حزناً قدم على النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟» قال: اسمي حزن، قال: «بل أنت سهل» قال: ما أنا بمغيّر اسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة^(٢).

والحزونة: الوعورة في الأرض، ويمكن إدخال هذا المورد في أحد الموارد السابقة المقبولة، كالتفأول وغيره.

التوسّل باسم النبي ﷺ وآله

كل إنسان يُدرك دركاً أكيداً أنّ الدنيا مليئة بالشدائد والمصاعب والمصائب، وأنّ بعض المصائب شديدة جدّاً يدعو إلى الأياس والقنوط، ويجد الإنسان نفسه محاصراً في طريق مسدود، كلّما تخرّص في أطرافه، وتأمّل في منافذه وجدها مسدودة مغلقة، وهو في أشدّ تلك الحالات يتأمّل وجود المخلص، وحضور المنقذ، وهو يحدث نفسه عن حتمية وجود مفتاح لأبواب تلك الشدائد، بل مفاتيح، غير أنه قد لا يعرفها.

(١) مسند أحمد ٥ : ٢٢١.

(٢) صحيح البخاري ٧ : ١١٧.

والموحدون يعتقدون وجود المخلص، وأنه من جانب الله تعالى، وقد جعل لمغالتق أبوابها مفاتيح يعرفها البعض ويجهلها الآخرون، وقد يعرف بعضها ويجهل بعضها الآخر.

ومن أفضل تلك المفاتيح هو التوسل بمحمد وآل محمد ﷺ، وهو المفتاح الذي استعان به الأنبياء على فتح مغالتيق السماء عند نزول عظيم البلاء.

فما قبلت توبة آدم ﷺ إلا به، وما نجا نوح من الغرق إلا به، وهكذا سائر الأنبياء.

قال رسول الله ﷺ: «إنه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكني أقول: إن آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها له، وإنّ نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فأنجاه الله منه، وإنّ ابراهيم لما ألقى في النار قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإنّ موسى لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما آمنتني، فقال له الله ﷻ: لا تخف إنك أنت الأعلى»^(١).

وإنما أوردت هذه الرواية كنموذج، وإلا فالروايات كثيرة، وليس هذا عمل الانبياء المذكورين فيها فحسب، بل ذكرت روايات أخرى لأنبياء آخرين.

ولا ننسى قصّة الخشبة التي عثر عليها سالمة من بقايا سفينة نوح، وهي موجودة الآن في بعض متاحف العالم كتب عليها ما

(١) أمالي الصدوق: ٢٠٨ ح ٧، الوسائل ٧: ١٠٠ ح ٨٨٤٦.

ترجمته: يا رب ساعدني، فإنني محتاج لمساعدتك، بحق محمد وآل محمد وإيليا وفاتيماوشير وشبير.

ومن هذا تعرف فضل تلك الأسماء، وفضل البحث فيها، وهي مفاتيح مقاليد السماء.

من أحب أن يرزق ولداً ذكراً

إنّ من أصعب ما يحاول علماء الطب الحديث الاحتيال فيه هي مسألة التحكم في ذكورة الحمل وأنوثته، وما زالت مسألة تحوّل الجنين إلى ذكر أو أنثى من أصعب المعضلات التي تواجه الدائمين في تغيير سنن الحياة، فإنّ هذه المسألة مما يشتد الطلب إليها والإلحاح عليها في كثير من العوائل، ويطالبون بالحيلة والطريق إلى التحكم بذلك، فيعجزون عنه.

ولما قرّرت بعض الدول تحديد المواليد بمولود واحد في كل عائلة، اشتد طلب الولد الذكر، حيث إنهم يرون الولد إذا كان واحداً تحتم أن يكون ذكراً؛ لأجل عادة حبّ الولد الذكر المسيطرة في كثير من أصقاع العالم، وليقوم ببعض مصارف العائلة مثلاً، ويتكلف مشاق أعمالها.

ولما لم يكتشفوا السبيل إلى ذلك أقدموا على أفضع الأعمال، وأعادوا أرجس أعمال الجاهلية، حيث أخذوا يقتلون المولود إذا كان انثى؛ ليحتفظوا بحق انجاب ولد عسى أن يكون ذكراً.

ولما خلصوا إلى تلك الحلول المشؤمة، غفلوا عن أنّ سنن الله تعالى وأفعاله تخفي وراءها أعظم المصالح، وأفضل المنافع، وأنجح السبل لتوفير حياة مستقيمة ومتعادلة.

وما مرّت السنون، حتى التفتوا إلى أذّ الجيل الصاعد سيصبح كلّه ذكوراً، وهم بحاجة إلى نساء، ليسكنوا إليها، ويديموا نسلهم، فوقعوا في ورطة عظيمة، هي أعظم من الأولى، ولذا اضطروا إلى إجراء العمليات الجراحية على الذكور لتحويلهم إلى إناث بحسب الظاهر.

وعلى رغم تلك المصالح الكامنة في اختيار الله تعالى لذكورة الحمل وانوثته، فقد جعل الله تعالى المقتضي للذكورة في تسمية الحمل «محمداً» قبل بلوغه أربعة أشهر، حباً لنبيه، وأثر كثرة وجود من إسمه «محمد» على تلك المصالح العظيمة والمنافع الجسيمة. فما أن يسمّى الحمل محمداً إلا وكان المولود ذكراً، إلا إذا لم تُرَاعَ بعض الشروط، أو كانت هناك موانع كبيرة، وإلا فالأغلب يكون كذلك.

وليس هذا إلا برهاناً على صدق دعوة نبينا، وأنه حبيب الله، يحبه، ويحبّ كلّ من يتسمّى به، ويقدم ذلك على كثير من المصالح والسنن.

فقد روى الشيخ الكليني أن رسول الله ﷺ قال: «من كان له حمل، فنوى أن يسميه محمداً أو علياً ولد له غلام»^(١).

وهي مطلقة تعطي كفاية مطلق النية في أي وقت كان، سواء تجاوز الأربعة أشهر أو لم يتجاوز، دعا بالدعاء المأثور، أو لم يدع.

غير أنها لم تقتصر على اسم النبي ﷺ وخيّرت بينه وبين اسم علي ﷺ، وذلك لأن علياً ﷺ هو نفس النبي ﷺ بدليل ما جاء في آية المباهلة، قال تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

(١) الكافي ٦: ١٢ ح ٤، الوسائل ٢١: ٣٧٧ ح ٢٧٣٤٦.

وَفَسَاءَ كُتْمٍ وَأَفْسَأَ وَأَفْسَأَ وَأَفْسَأَ ﴿١﴾ الآية، وخرج بالحسنين ﷺ وأمهما الزهراء ﷺ وأبيهما علي ﷺ، وبهذا يكون علي هو نفس الرسول ﷺ بشهادة القرآن.

ويدلّ على ذلك ما رواه الشيخ الكليني بسند معتبر عن الحسين بن سعيد، أنّه دخل هو وابن غيلان علي أبي الحسن الرضا ﷺ فقال له ابن غيلان: بلغني أنّ من كان له حمل فنوي ان يسميه محمّداً ولد له غلام، فقال: «من كان له فنوي أن يسميه علياً ولد له غلام» ثم قال: علي محمّد، ومحمّد علي شيئاً واحداً^(٢) الحديث.

ويروي الشيخ الكليني بسند معتبر عن أبي عبدالله ﷺ أنّه قال: «ما من رجل يُحمل له حمل فينوي أن يسميه محمّداً إلا كان ذكراً إن شاء الله»^(٣).

وهي بظاهاها تدلّ على كفاية النية في تحقّق ذلك، وإنّ أوّل كلامه يشعر بلزوم المباشرة في النية بمجرد العلم بالحمل أو مقارناً لانعقاد نطقته، ولكن ليست بدلالة.

واحتفظ الإمام ﷺ بالجواب عن تخلف الموارد النادرة بالتقييد بإشاعة الله تعالى، ويكون قد أثبت الاقتضاء بذلك، دون العليّة التامة، بيد أنّ الغالب هو تأثير المقتضي.

و قد فصلت وقيدت بعض الروايات بأكثر من ذلك، فقد روى الشيخ الكليني بسند آخر عن أبي عبدالله ﷺ قال: «إذا كان بامرأة

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الكافي ٦: ١١ ح ٢، الوسائل ٢١: ٣٧٦ ح ٢٧٣٤٢.

(٣) الكافي ٦: ١١ ح ٣. ليس في طريقه ما يتوقف فيه، سوى إسماعيل بن مرار، وهو كثير الرواية عن يونس بن عبدالرحمن، وثقة؛ لأنّه وقع في اسناد علي بن إبراهيم.

أحدكم حبل فاتى عليها أربعة أشهر، فليستقبل بها القبلة، وليقرأ آية الكرسي، وليضرب على جنبها، وليقل: اللهم إني قد سميتك محمداً، فإنه يجعله غلاماً، فإن وقى بالاسم بارك الله له فيه، وإن رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار، إن شاء أخذه، وإن شاء تركه^(١).

ومقتضى قوله: «إن رجع» اعتبار الجزم في النية، وأن لا يكون مردداً، وإلا لما كان هناك معنى للرجوع.

وينبغي أن يكون ذلك قبل إكمال الأربعة أشهر؛ فإنه يتعين كونه ذكراً أو أنثى بعده، كما جاء في بعض الأخبار.

ولذا قال في خبر آخر: «ياخذ بيدها ويستقبل بها القبلة عند الأربعة الأشهر ويقول: اللهم إني سميتك محمداً، ولد له غلام، وإن حول اسمه أخذ منه»^(٢).

والرواية السابقة وإن رددت في الأخذ وعدمه، ولكن يبدو منها إرادة البت، فإن هذا الترديد بهذا المقدار موجود في كل موجود حي، فلا بد أن المراد أكثر من ذلك، وهو رجحان الأخذ والموت.

تمتة: في من أراد أن يُرزق ولداً

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون بعض الناس عقيماً، قال تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُرِّيَّاتَنَا وَاتْنَسَابًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾^(٣). وذلك لوجود مصالح كامنة في هذه السنة الإلهية، ومنافع قد لاتدرك.

ولكن الله ﷻ جعل في العزم على تسمية المولود باسم النبي

(١) الكافي ٦: ١١ ح ١.

(٢) الكافي ٦: ١٢ ذ ح ٣.

(٣) الشورى: ٥٠.

محمد ﷺ ذريعة لإنجاب بعض العقماء؛ حباً لنبيه، وكرامة له، بل يرى أنّ فيه مصلحة تفوق تلك المصالح.

فقد روى الشيخ الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام أنه شكّا إليه رجل أنه لا يولد له، فقال له: «إذا جمعت فقل: اللهم إن رزقتني ولداً سميته محمداً قال: ففعل ذلك فرزق»^(١).

الصلاة على النبي ﷺ عند سماع اسمه

المعروف أنّ للمُحِبِّ دلائل، منها أنه إذا سمع اسم محبوبه اضطرب وتغيّر وتأوّه، أو ذُكر عنده من له يد عليه وإنعام واحسان، أنعم عليه وذكره بخير، وإذا حنّ إلى بعيد سلّم عليه. ويجمعها حدوث رد فعلٍ يعكس ذلك الحب والتقدير والحنان والاحترام.

وما الصلاة على النبي ﷺ عندما يذكر اسمه، إلا من هذا القبيل، و تدخل في هذا السبيل، فلا تحتاج الى دليل أو برهان، بل هو أمر طبيعي متعارف.

غاية ذلك أنّ الله ﷻ حدّد نوع ردّ الفعل والعمل المنبئ عن ذلك الحب بالصلاة على النبي، وليس بقول: أنعم، أو سلام، أو كلام آخر، واختار ذلك لنفسه أولاً، ثم فرضه على عباده فقال عزمن قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢). وهكذا فإن الصلاة على النبي واجبة في الجملة، ولا شك في وجوبها في الصلاة، وذهب البعض إلى وجوبها كلما يذكر

(١) الكافي ٦: ٩ ح ٧.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

النبي ﷺ أويذكر اسمه، بينما اكتفى البعض بالاستحباب الأكيد. وقد بينا أنه لا يحتاج إلى دليل.

ومع ذلك فقد روي أن فيه ثواباً عظيماً، وورد تقرير شديد لتارك الصلاة عند سماع اسمه ﷺ:

فقد روي أن النبي ﷺ حينما أسري به كَلَّمَ ملكاً وظيفته الإحصاء، فقال: يا رسول الله حساب لا أقدر عليه بما عندي من الحفظ والتذكر والأيدي والأصابع، فقال: «أي حساب هو؟» فقال: «قوم من أمتك يحضرون مجمعا، فيذكر اسمك عندهم، فيصلون عليك، فأنا لا أقدر على حصر ثوابهم»^(١).

وورد في الطرف المقابل أنه ﷺ قال: «يومر بأقوام إلى الجنة فيخطئون الطريق» قيل: يا رسول الله لم ذاك؟ قال: «سمعوا اسمي ولم يصلوا علي»^(٢).

والمهم عندنا كلمة «اسمي» وماذا تعني، وهل هو ما سمته امه وهو «محمد» أو كل اسم له، وكلما اطلق الاسم عليه، وهي القابه وصفاته وكناه؟

مقتضى إطلاق قوله: «اسمي» الشمول لكل اسم، وإن كان المتيقن هو «محمد» والذي جرى عليه عمل الناس.

ومع ذلك فالمستفاد من الروايات عدم الحصر، بل الشمول لكل اسم، بل كلما ذكر بأيّ نحو من أنحاء الذكر.

فقد روي أنه ﷺ قال: «من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي

(١) مستدرک الوسائل ٥: ٣٥٦ ح ٦٠٧٣.

(٢) مستدرک الوسائل ٥: ٣٥٦ ح ٦٠٧٣.

خطيء به طريق الجنة»^(١)، والمراد بالنسيان هو النسيان الناشئ عن عدم المبالاة وعدم الاهتمام بأمر التوبة والرسالة.

بل في خبر آخر: «من ذكرت عنده فلم يصل عليّ دخل النار فأبعده الله»^(٢).

وأفضل من كلّ ذلك مما يبحث على الصلاة على النبي ﷺ ويذكر لها فضل عظيم خارج عن حد التصوّر، ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قال: «إذا ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلاة عليه؛ فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة، صلى الله عليه ألف صلاة، في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برىء الله منه، ورسوله، وأهل بيته»^(٣).

فبعد سماع أو قراءة هذه الرواية والتأمل في معانيها، وتصور صلاة الله على المصليّ على النبي ﷺ وذلك في ألف صف من الملائكة، وصلاة كل مخلوق على أثر ذلك عليه لا أظن أنّ أحداً يتكاسل عن الصلاة عليه ﷺ عندما يذكر باسمه أو بأسمائه أو بأي نحو من الأنحاء، طمعاً في ذلك الثواب؛ فإنّ احتمال الحصول عليه كاف في تعميم الصلاة لكل نحو من انحاء ذكر النبي ﷺ، بل يكتفى بالاشارة إليه.

وهي مع ذلك طالبت باكثر الصلاة على النبي ﷺ عندما يذكر،

(١) الكافي ٢: ٣٥٩ ح ١٩، المحاسن: ٩٥ ح ٥٣، أمالي الصدوق: ٤٦٥ ح ١٩، عقاب الأعمال: ٢٤٦ ح ١، الوسائل ٦: ٤٠٨ ح ٨٢٩٩.
 (٢) ثواب الأعمال: ١٨٥، الوسائل ٧: ١٩٣ ح ٩٠٩.
 (٣) الكافي ٢: ٣٥٧ ح ٦.

وعلمته بعظم الثواب، ولعل من وجوه الإكثار هو الصلاة عليه كلما ذكر وبأي نحو من الذكر، وتكرار الصلاة عليه ﷺ.

قائمة الكتب للمؤلفة في أسماء النبي ﷺ

هناك كتب ورسائل متعددة من علماء الفريقين في أسماء النبي ﷺ، نشير إلى أهمها.

١. تفسير أسماء النبي ﷺ لإمام اللغة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي صاحب مجمل اللغة، ومقاييس اللغة، توفي بالري عام ٣٩٠ هـ^(١).

٢. رسالة في أسماء النبي ﷺ والأئمة ﷺ لأبي عبدالله الحسين بن احمد الخصيبي الجنبلائي المتوفى ٣٥٨ هـ ذكرها الشيخ في الفهرست، ولعله ما عبر عنه النجاشي بتاريخ الأئمة^(٢). وعبر عنها الشيخ في الفهرست «كتاب أسماء النبي ﷺ».

٣. المغني في أسماء النبي ﷺ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المار^(٣).

٤. أرجوزة في أسماء النبي ﷺ لأبي عبدالله القرطبي، ثم شرحها فيها فذكر ما زاد على الثلاثمائة^(٤).

٥. أسماء النبي لأبي الحسن علي بن أحمد الحراني، اقتصر

(١) ابن خلكان ١ : ٣٦، الذريعة ٤ : ٣٤٧ / ١٥٢٤.

(٢) الذريعة ١١ : ٧٦.

(٣) الذريعة ٣ : ٢١٦.

(٤) كشف الظنون ١ : ٦٢.

منها على تسعة وتسعين اسماً؛ ليناسب عدد الأسماء الحسنی، ثم شرحها^(١).

٦. أسماء النبي ﷺ للقاضي ناصرالدين أبي عبدالله محمد بن عبد الدائم المعروف بـ «ابن البلق» لخص فيها كتاب ابن دحية المسمى بالمستوفي^(٢).

٧. المنبي في أسماء النبي ﷺ لابن فارس أحمد اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥هـ^(٣).

٨. سد اسكندر معميات بعدد أسماء النبي التسع والتسعين، طبق أسماء الله الحسنی، لكل اسم بيت، نظمها عبد المؤمن نركستان محمد المتخلص «اشكى»^(٤).

(١) كشف الظنون ١ : ٨٩.

(٢) كشف الظنون ١ : ١٨٩.

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٨٤٨.

(٤) الذريعة ١١ : ٧٦.

أسماء الرسول المصطفى ﷺ وألقابه وكناه وصفاته

حرف الألف

الأسماء المصدرة بالألف

١. أثر الخلق عند الله

إذا تتبع الباحث كلمة «أثر» واستقصى استعمالاتها، يجد أنها إذا ضيفت إلى شيء أو مجموعة كآثر الأنبياء وآثر الطلاب تُعطي معنى التقديم والتفضيل، وأن المنعوت بها يكون أعلى منزلة وأعز قدراً ممن أضيف إليهم، ويكون هو المقدم عليهم.

ويستدعي الكلام في التقديم والتفضيل والتقريب والإثارة، الإشارة إلى أن التقديم والتفضيل أمر طبيعي، بل قهري وحاصل عند جميع العقلاء وذوي الشعور بل ذوي الإحساس.

وهكذا فإن كل من له ممتلكات، وكل صانع لمصنوعات، وكل مخالط لجماعة تجده يقدم البعض على البعض الآخر، ويدني بعضهم ويقربه، بينما يُرجي الآخر ويبعده، على أن كل ذلك تابع لاحتفاظه بملاكات ترجع إلى حسن بعض الأمور بنظره وقبح البعض الآخر، فيطبق تلك الملاكات ويقرب من يقربه على أساسها، ويبعد من يبعده على أساسها.

ومن المعلوم أن الله ﷻ عيّن ملاكات وقرّر قواعد وقوانين، وأنه يرى حُسن بعض الأشياء وقبح الآخر، وأن هناك ما يرضيه وما يسخطه، فإذا استوفى بعض عباده ومخلوقاته المحسنات، أو تلبسوا

ببعض المقبّحات تتفاوت درجات قربهم وبعدهم عنه، فيقرب البعض ويبعد الآخر، ويكون بعضهم أثر عنده من البعض الآخر.

ولا يعدم هذا التقريب والتقديم والإرجاء والتباعد وجود من هو أقرب ومن هو أبعد، ومن هو أثر وغير أثر، وكذلك من هو أثر من الجميع وأقرب إليه سبحانه من الكل، ومن هو أبعد منهم جميعاً.

وقد بات واضحاً أنّ الرسل والأنبياء عامة تتوفّر فيهم ملاكات الحسن أكثر ممن عداهم، مما يشهد له متابعة أممهم وانقيادهم لهم طوعاً وورغبة، ونقلهم فضائلهم ومحاسنهم ومحبتهم لهم، وتصديقهم بحقيقة دعوتهم وصدقهم وفضلهم، كل ذلك بمنظار العقل دون الشهوة والغريزة، بل بما هم عقلاء.

والدليل الآخر على توفّر ملاكات الحسن وصدق نياتهم وأعمالهم وإخلاصهم هو تنامي أعمالهم وأقوالهم. بيد أن الأعمال التي لا تتجاوز إطار هذه الدنيا مهما كانت عظيمة وملفتة للنظر، إلا أنها لا تصمد في وجه التاريخ، وسرعان ما تذوب في مستنقعات الزمن، ولا يبقى لها أثر في قلوب الأجيال.

وعلى العكس من ذلك أعمال الرسل والأنبياء الصالحين تبقى خالدة وتنمو وتتزايد حتى يصير لكل عمل من أعمالهم ولكل قول من أقوالهم سعة وشمول، كما ويصير لها تطبيق في مجال واسع، بحيث تدخل في حياة الناس وتصبح ركناً لها.

فصلاة النبي ﷺ تنامت وزادت حتى صارت صلاة المليارات من الناس، وهكذا صومه وسائر أعماله، وأصبح لكلامه الواحد ملايين الأمثلة والنظائر التي تجري على شفاة أتباعه وغيرهم ينقلها بعضهم لبعض، ويحدّث بها بعضهم بعضاً، ويعظ بها بعضهم بعضاً، كما أن

اسمه الشريف صار أكثر اسم في العالم كما ذكّرت ذلك بعض الإحصائيات.

ومع ذلك ينادى كل يوم باسمه الشريف مع الشهادة له بالنبوة على المآذن مرات ومرات.

وإذا عملنا مقايسة بين الأنبياء أنفسهم نجد أن الرسول المصطفى ﷺ أكثر توفيقاً، وأكثر صدى من سائر الأنبياء، بدليل شدة تمسك المسلمين بتعاليمهم بالقياس إلى غيرهم، وتزايد جموعهم يوماً بعد يوم، حتى أن شرعه ﷺ سيكون هو الحاكم على الأرض في آخر المطاف ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

ومن ذلك وأمثاله يتجلى مدى توقّر ملاكات الحسن في هذا الوجود المبارك، ممّا يجعله أقرب وأحظى عند الله ﷻ، وأنه أثر الأنبياء عنده، وبالتالي أثر الخلق عنده.

وكان كل ذلك في علم الله سبحانه ولم يزل، حتى أخبر به آدم ﷺ لما حشر له ذريته فرأى طائفة منهم أشد نوراً فسأل ربه وقال: من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال: يا رب فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟

قال: لفضله عليهم جميعاً. قال: ومن النبي ﷺ يا رب وما اسمه؟ قال: هذا محمد نبي ورسولي وأميني ... وأكرم خلقي علي، وأحبهم إلي، وأثرهم عندي^(٢).

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) سعد السعود: ٣٥، البحار: ١١: ١٥٢.

ثم إن آثر في اللغة بمعنى أكرم وأفضل وأقدم، والنبى ﷺ أكرم الخلق عند الله، وهو المفضل والمقدم عليهم تفضيلاً وتقديماً بالغاً.

وذلك أن كلمة «آثر» واشتقاقاتها إنما تستعمل في كلام الله تعالى في التفضيل والتقديم البليغ، ألا ترى حكايته تعالى قول إخوة يوسف بعد ما صار وزيراً للملك: ﴿لَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(١) بينما حكى تفضيل أبيهم ليوسف عليهم بكلمة أحب، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا﴾^(٢) ولم يقل: آثر.

٢. الأخذ بأمر الله

إذا كان المراد بأمر الله هو أوامره ونواهيه التي أمر بها النبي ﷺ ونهاه عنها؛ فإن الأخذ يكون بمعنى الامتثال والإطاعة. وإنما عبّر بالأخذ، باعتبار أن امتثال أوامر الله تعالى هو أقوى مستمسك للنجاة، وأقوى حجة للتخلص من العذاب.

والروايات عبّرت عن أمر الله بالحُجزة، وهي معقد الإزار، وموضع التكة من السراويل^(٣)، وأقوى ما يتمسك به الشخص إذا هوى فأراد أن يمسك بغيره، فإنه يأخذ بحجزته.

وروي عن أمير المؤمنين: «أن رسول الله يوم القيامة آخذٌ بحجزة الله، ونحن آخذون بحُجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجرتنا».

قلت: يا أمير المؤمنين وما الحجزة؟

قال: «الله أعظم من أن يوصف بحجزة أو غير ذلك، ولكن

(١) يوسف: ٩١.

(٢) يوسف: ٨.

(٣) المنجد: ١١٩، واسمه اليوم المحزم أو الحزام.

رسول الله ﷺ أخذ بأمر الله، ونحن آخذون بأمر نبينا، وشيعتنا آخذون بأمرنا»^(١).

٣. الأخذ بحُجزة الله

تقدّم في العنوان السابق أنّ الحُجزة كناية عن أمر الله تعالى ونهيه، بل هي كل دينه بما فيه من أصول وفروع، فقد ورد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يجيء رسول الله ﷺ آخذاً بحُجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجرتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله، و حزب الله هم الغالبون، والله ما نزعم أنها حُجزة الإزار، ولكنها أعظم من ذلك، يجيىء رسول الله ﷺ آخذاً بدين الله، ونجيبى نحن آخذين بدين نبينا، ويجيىء شيعتنا آخذين بديننا»^(٢).

وورد توصيف الرسول المصطفى ﷺ بأنه الأخذ بحجزة الله تعالى في روايات عديدة^(٣).

٤. الأخذ بدين الله

الأخذ هو التمسك، وهو كناية عن الاحتجاج والتذرع بدين الله تعالى والاعتصام به؛ ليكون الوسيلة والسبب للنجاة من العذاب، وقد

(١) التوحيد: ١٦٥، نور البراهين ١: ٤١٦، البحار ٤: ٢٤ ح ١.
 (٢) التوحيد: ١٦٥، ١٦٦، نور البراهين ١: ٤١٨، البحار ٤: ٢٥ ح ٣.
 (٣) النهاية في غريب الحديث ١: ٣٣١ قال ومنه الحديث: «والنبي أخذ بحجزة الله» أي بسبب منه، لسان العرب ٥: ٣٣٢، مسند الإمام الرضا عليه السلام ١: ٤٥ ونقل عن والده أنه قال: الحجزة النور، وعنه في نور البراهين ١: ٤١٧، المحاسن ١: ١٨٢ ح ١٧٩، و ص ١٨٣، معاني الأخبار: ١٦، المحتضر: ٣٤، البحار ٤: ٢٤ ح ١، و ص ٢٥ ح ٣، البحار ٢٧: ١٢٢ ح ١٠٨ و ج ٣١: ٣٤٠، و ج ٣٥: ٥٣ ح ٧، و ج ٣٦: ٢٢٨ ح ٧، و ج ٨١: ٢٦٣ ح ٦٤، و ج ٩٩: ١٢٤.

تقدّم الكلام في دليله، أي في كلام أبي عبد الله ﷺ وهو قوله: «يجيء رسول الله ﷺ آخذاً بدين الله» في العنوان السابق.

٥. الآخر

قال رسول الله ﷺ: «أنا الأوّل والآخر والباطن والظاهر»^(١).

فهو الأوّل على الإطلاق، والأوّل في كل شيء، والسابق في كل الخيرات، والأوّل في الخلق، خلقه الله نوراً فجعله محمداً بعرضه. وهو ﷺ الآخر على الإطلاق، بمعنى أنه يبقى كل شيء منه بعد فناء كل شيء، بيد أنه أوّل مخلوق وآخر فإن بعد فناء كل شيء، إذ أن حقيقة النبي هو علمه واعتقاده وسنته.

والنبي ﷺ هو الباقي بعد فناء الأنبياء، أي آخر النبيين مبعثاً، وآخرهم ديناً، وآخرهم ذكراً، وآخرهم أتباعاً، وإنما تقوم الساعة على أمته، ودينه الذي سيحكم الأرض في آخر المطاف، ويشمل جميع الأرجاء، فقد روي أنه ﷺ قال: «أنا الأوّل والآخر، أوّل في النبوة وآخر في البعثة»^(٢).

وأودّ أن أشير هنا إلى حقيقة تنفع خواص الأمة، أصحاب النظر الثاقب، والنظرة البعيدة، على أن تطوّر العلوم أثبت إمكان ما كان يُعدّ مستحيلاً، وقرب ما كان يُعدّ بعيداً، فإنّ في كلمة «أنا الأوّل والآخر» أسراراً لا يحتملها الناس، ومعانٍ لا يصدقها البشر.

فقد روي أنّ أمير المؤمنين ﷺ كان قاعداً في المسجد وعنده جماعة من أصحابه فقالوا له: حدثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم:

(١) الاختصاص: ١٦٣، البحار ٤٢: ١٨٩ ح ٨، مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٨٥.

(٢) كشف الغمّة ١: ١٣، البحار ١٦: ١٢٠.

«ويحكم إن كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون» قالوا: لا بد من أن تحدثنا.

قال: «قوموا بنا» فدخل الدار، فقال: «أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي أحيي وأميت، أنا الأول والآخر، والظاهر والباطن» فغضبوا وقالوا: كفر، وقاموا.

فقال عليّ للباب: «يا باب استمسك عليهم» فاستمسك عليهم الباب، فقال: «ألم أقل لكم إن كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون، تعالوا أفسر لكم، أما قلتي أنا الذي علوت فقهرت، فأنا الذي علوتكم بهذا السيف فقهرتكم حتى آمنتم بالله ورسوله، - إلى أن قال - وأنا أول من آمن بالله وأسلم، وآخر من سجد على النبي ثوبه ودفنه»^(١).

فإن هذا الحديث والحديث الذي سبقه عن رسول الله ﷺ يحتمل فيه أمران:

الأمر الأول: أن يكون قوله ﷺ: «أنا الأول والآخر» أولاً، مجرد استقزاز كي يبقى ويرسخ تفسيره «أي كونه الأول في الخلق أو النبوة والآخر في البعث» في الأذهان.

الأمر الثاني: أراد أن يبلغ ألفاظ ما لا تحتمله عقول الناس آنذاك إلى من تحتمله عقولهم، ففسره للسامعين بما تحتمله عقولهم، كي ينقلوا ألفاظ ما لا يحتملوه ولا يعقلوه إلى من يعقله ويفقهه على أثر تطوّر العلوم، ولولا تفسيره الناقص ذاك ما نقلوه ولا حملوه ولا احتملوه.

وهذا التفسير الثاني والاحتمال الثاني هو الراجح، ولولا ذلك

(١) الاختصاص: ١٦٣، مستدرک سفینه البحار ١: ٢٤٨.

لقال رسول الله ﷺ من أوّل الأمر: أنا الأوّل في النبوة أو الخلق والآخر في المبعوث، وما قال: أنا الأوّل والآخر، ثم يفسره بعد استغراب السامع كما هو مستفاد من رواية أمير المؤمنين ﷺ.

بل هو ﷺ الأوّل والآخر، وذلك أنه ﷺ قال: «أنا الأوّل والآخر»^(١) وكان فيما قال الله تعالى لعيسى بن مريم ﷺ «يا عيسى بن الطاهرة البتول اسمع قلبي، وجدّ في أمري، إنّي خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين، فأياي فاعبد، وعلّي فتوتك، وخذ الكتاب بقوة، ثم فسّره لأهل سوريا، وأخبرهم أنّي أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم الذي لا أحول ولا أزول، فأمنوا بي ورسولي النبيّ الأمي الذي يكون في آخر الزمان، نبي الرحمة والملحمة، الأوّل والآخر، قال: أوّل النبيّين خلقاً، وآخرهم مبعثاً»^(٢).

ومنه يعلم أنّ أوّل من أطلق عليه ﷺ هذا الاسم هو الله ﷻ، وعلمه عيسى ﷺ، وصار يعرف بهذا الاسم من زمان عيسى ﷺ.

وليس يراد بالآخر في الحديث الأوّل هو آخر مبعوث فقط، وإلا لقال: آخر مبعوث، بل هو الآخر على الإطلاق، بمعنى أنّه ينتهي عنده كلّ حدّ، وينقضي عنده كلّ أميد، وهو نهاية كلّ شرف، وغاية كلّ هدف، وآخر مراتب العلل.

٦. آخر الأنبياء

كان فيما قال الله ﷻ لآدم ﷺ حينما اقترف الخطيئة وسأل الله بحق محمّد ﷺ أن يفرّ له، أن قال: «هو آخر الأنبياء من ذريتك»^(٣).

(١) كشف الغمّة ١ : ١٣.

(٢) إقبال الأعمال ٢ : ٣٤٠.

(٣) تحقيق النصرة للمراغي: ١١٣ - ١١٤.

ونادى النبي نوح ﷺ باسم النبي ﷺ ووصفه بأنه آخر الأنبياء في أول دعوة دعا بها قومه إلى اعتزال الأصنام، وعبادة الله الواحد الأحد، وله قصة مفصلة جاء فيها أنه ﷺ مضى يوم عاشوراء إلى قومه وفي يده عصا بيضاء، وكان رؤساؤهم سبعين ألف جبار عند أصنامهم في يوم عيدهم، فنادى: «لا إله إلا الله، آدم المصطفى، وإدريس الرفيع، وإبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى المسيح خلق من روح القدس، ومحمد المصطفى آخر الأنبياء، هو شهيدي عليكم أني قد بلغت الرسالة»^(١).

ولا شك أن النبي محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء، وهذا وصف له ونعت لحاله، وليس اسم يُنادى به.

وقد تكرر ذكره في الأخبار، ومنها: ما حكاه بعضهم، فقال: «حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعة يقول: سلوا أهل هذا الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم؟ قالوا: نعم، فقال: سلوه هل ظهر أحمد بن عبد المطلب؟ فهذا هو الشهر الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء»^(٢) الخبر.

وقريب منه قصة الشجرة التي نام عندها النبي ﷺ وفيها قال الراهب: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ثم قال: في عينيه حمرة؟ قال ميسرة: نعم لا تفارقه، قال الراهب: هو هو، آخر الأنبياء»^(٣).

ومنها: أن يهودياً جاء إلى نادي قريش فقال: «يا معشر قريش

(١) البحار ١١ : ٣٤١. نقلًا عن كتاب القصص لمحمد بن جرير الطبري.

(٢) الخرائج والجرائح ١ : ١٢٥ ح ٢٠٩، البحار ١١ : ٣٤١، ج ١٥ : ٢١٦.

(٣) أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢ : ٢٧٧ بتفاوت.

هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا، قال: أخطأتم والتوراة، ولد إذن بفلسطين، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، ففرّق القوم، فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل واحد منهم أهله بما قال اليهودي، فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن في هذه الليلة، فأخبروا بذلك يوسف اليهودي^(١).

ومنها: قصة تفسير أمير المؤمنين عليه السلام ما يقول الناقوس لراهب فأسلم وقال: إني وجدت في الكتاب إن في آخر الأنبياء من يفسر ما يقول الناقوس^(٢).

وهكذا كرّر النبي ﷺ نعت نفسه بأنه آخر الأنبياء، ومنها ما روي أنه ﷺ قال: «إن الله لم يبعث نبياً إلا حذّر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة»^(٣). وكذا جاء في كلام أصحابه^(٤).

٧. الآزفة

أطبق اللغويون والمفسرون على أن معنى أزف هو دنا وقرب وعجل، والآزفة الدانية والقريبة، وتطلق على القيامة باعتبار أن كل آتٍ قريب، وخصوصاً الأمر الخطير، وقيل: هي الساعة.

وعلى هذا فما ورد من قول رسول الله ﷺ: «أنا الآزفة»^(٥) يكون أقرب معانيه: أنا الساعة التي وعد بها السابقون، والأمم الماضية،

(١) حلية الأبرار ١: ٣٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٣٢.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٥٩ ح ٤٠٧٧، معجم أحاديث الإمام المهدي ٢: ١٢ ح ٣٨٥.

(٤) انظر صحيح مسلم ٤: ١٢٤.

(٥) نهج الإيمان: ٤١٧.

ويحتمل أن يكون المراد الرجعة، فقد ورد التعبير عنها بالساعة. ويمكن حمله على أنه ﷺ علامة على الساعة نفسها أو قرينها، خصوصاً بعد ملاحظة قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١)، فالآزفة بالمعنى الدقيق هي قرين الساعة وليست نفس الساعة، وإطلاق الساعة عليها يكون إطلاقاً مجازياً بعلاقة المشاركة، على أن يبقى باب الاحتمال في هذا الباب مفتوحاً على مصراعيه، فاغتنم.

٨. أكل الذراع

كان الرسول المصطفى ﷺ عزوف النفس، عارفاً بما يضرّ وينفع من الطعام، وكان يحب أكل الذراع ويقول: «هو أقرب إلى المرعى وأبعد من المبال»^(٢)، وفيه آيات لعلماء الطب والتشريح لمعرفة امتياز البعد عن الحشى والمبال في كثرة النفع وقلة الأذى.

ولأن آدم قرّب قرباناً عن الأنبياء من ذريته فسّمى لكل نبي من ذريته عضواً، وسّمى لرسول الله ﷺ الذراع، فمن ثمّ كان النبي ﷺ يحبها ويشتهيها^(٣).

وجاءت تسمية الرسول ﷺ بهذا الاسم من سالف الزمان، وفي الأمم السابقة، بيد أنها لم تأت عبثاً وخبثاً؛ لأن في حديث الذراع قصصاً وغصصاً.

(١) أمالي المفيد: ١٨٧، البحار: ٢٦٣ ح ١٢.

(٢) الوسائل ٢٥: ٥٨ ح ٣١١٦٨.

(٣) الكافي ٦: ٣١٥ ح ١ ومن الصعب تصوّر تسمية كل عضو لنبي؛ لأنه يلزم منه أن يكون أعضاء الشاة ١٢٤٠٠٠ عضو عدد الأنبياء، فإن امتنع لأبد من حمله على خصوص أولي العزم منهم، أو أصحاب الرسالات منهم، أو أن رسول الله ﷺ حُصّ بعضو كبير كالذراع من بينهم، وقسم الأعضاء الصغيرة بين باقي الرسل، فتأمل.

أولها: أنك عرفت الوجه في حب رسول الله ﷺ للذراع، وهو قريبها من المرعى وبعدها من المبال، وقد أكد ذلك الأئمة عليهم السلام من بعده، حتى استفاض عنهم أن رسول الله ﷺ كان يحب الذراع لقربها من المرعى وبعدها عن المبال، ويكره الورك لقربها من المبال^(١)، كما روى حبه ﷺ للذراع كل من البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده، وأبي داود في سننه، والهيثم في زوائده، وغيرهم^(٢).

بينما يحاول البعض ممن يظمر العداة لرسول الله ﷺ ويجد في تنقيص شأنه وإنزاله من مرتبته؛ فيصور الرسول ﷺ منهوماً يعجل عند الأكل، لا يستطيع صبراً، بينما ينكر تفضيله ﷺ للذراع، فقد رواوا عن عائشة أنها قالت: ما كان الذراع أحب اللحم إلى رسول الله ﷺ، ولكن كان لا يجد اللحم إلا غباً، فكان يعجل إليه؛ لأنه أعجلها نضجاً^(٣).

وكيف يكون الرسول ﷺ يحب الذراع - كما رواه الكثير - ولا يحب الذراع، كما روي عن عائشة، وهذا يدل على التناقض المنبئ عن عدم صلاحية الحديث الأخير؛ فلا محيص عن طرحه لاستفاضة الأول وتسليمه.

وآخرها: قصة الذراع المسمومة، وذلك أن يهودية أهدت إلى

(١) الكافي ٦: ٣١٥ ح ١، ٢، المحاسن ٢: ٤٧٠ ح ٤٥٧ - ٤٥٩، بصائر الدرجات: ٥٢٣، علل الشرائع ١: ١٣٤ ح ٢، دعائم الإسلام ٢: ١١٠ ح ٣٥٦، الوسائل ٢٥: ٥٧ ح ٣١١٦٥ - ٣١١٦٨ والورك: ما فوق الفخذ الصحاح ٤: ٣٩٩.

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٠٥، وج ٥: ٢٢٥، مسند أحمد ١: ٣٩٤، ٢٩٧، و ص ٣٣١، سنن أبي داود ٢: ٢٠٤ ح ٣٧٨١، مجمع الزوائد ٣: ١٠٩.

(٣) سنن الترمذي ٣: ١٨١ ح ١٨٩٨، شرح مسلم ٣: ٦٥.

النبي ﷺ شاة مصلية وسمته فيها، وأكثرت في الكتف والذراع حيث أخبرت أنهما أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ.

فلما دخل رسول الله ﷺ معه بشر بن براء المعرور أخو بني سلمة، قُدمت إلى رسول الله ﷺ، فتناول الكتف والذراع وانتهش منها، وتناول بشر عظماً آخر.

فلما أرغم رسول الله ﷺ أرغم بشر ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم؛ فإن كتف الشاة تخبرني أنني قد بغيت فيها، وأنها مسمومة»^(١).

وأصل هذه القصة مروية من طرفنا أيضاً^(٢)، و كان ﷺ يصيبه منها عداد حتى توفي ﷺ، والعداد هو عود المرض والألم بين الفترة والأخرى.

وبهذا تعرف الوجه في نعت النبي ﷺ بذلك عند ذكر صفاته في التوراة بأنه: «راكب الجمل، أكل الذراع، قابل الهدية، محرم الميتة، حامل الهراوة، خاتم النبوة»^(٣).

وما ذلك إلا لتتم الحجّة بذلك على بني إسرائيل، حيث كانت اليهودية التي سمته تعرف أنه يقبل الهدية ويأكل الذراع، وأنه خاتم الأنبياء، فسمته.

(١) صحيح مسلم ١ : ١٢٩، سنن أبي داود ٢ : ٣٦٩، سنن الترمذي ٤ : ٢٣، مجمع الزوائد ٦ : ١٥٣، وج ٨ : ٣١١، مستد أحمد ٢ : ٤٣٥. أرغم اللقمة: ألقاها في التراب.

(٢) الكافي ٦ : ٣١٥ ح ١ - ٣، المحاسن ٢ : ٤٧٠ خ ٤٥٧، بصائر الدرجات: ٥٢٣، قرب الإسناد: ٣٢٦، دعائم الإسلام ٢ : ١١٠ ح ٣٥٦، الوسائل ٢٥ : ٥٧ ح ٣١١٦٦، ٣١١٦٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٤، البحار ١٦ : ١٠٧.

٩. الأمر بأمر الله

تعود حقيقة أمر الله ﷻ وكنهه إلى إيداع المصالح والمفاسد العائدة إلى البشر في ابتداء الخلق والفتق، وليست أوامره كأوامر الرؤساء والملوك التي تعود إلى مصالحهم ومنافعهم، ولا هي اعتبار وإبراز، ولا هي معاملة وأخذ وعطاء، وإنما هو عطاء صرف، بل نفع يتبعه نفع كثير وحياة هي الحياة .

وعليه يكون أمر الرسول ﷺ بأمر الله ﷻ هو إدراك تلك المصالح والإحاطة بها ثم إرشاد الناس إليها، والتحذير من مغبة فواتها وتفويتها، والتنزيه عن المضار والمفاسد، وأما طريق الوقوف على تلك المصالح فيبدأ بالتكليم والوحي، وينتهي بإيداع القدرة على الدرك وإعطاء النباهة الأكثر.

وبهذا تعلم معنى قول النبي ﷺ: «أنا الأمر بأمر الله»^(١).

١٠. الأبطحي

ينبع هذا اللقب السامي من الشرف الأسنى، والنسب الأرفع، والمجد الشامخ الذي إذا تعالى لا يتوقف عند حد، ولا يستقرّ على نجم، بيد أنه يختص بالمتفآخرين بالأنساب من الناس، وهم قبائل العرب من أبناء الجزيرة الحافظين لأنسابهم، والعارفين بأصولهم وفروعهم.

ولا يشمل جميع قبائل العرب، بل يختص بأشرفها وأعرفها، وهي قبيلة قريش، التي تنتهي إلى سلسلة الأنبياء إسماعيل وإبراهيم ومن سبقهم عليهم السلام، وأيضاً هم قوام البيت، وسدنته، والقائمون بأمر الحجيج.

(١) نهج الإيمان لابن جبر: ٤١٦.

ويستمرّ في سبيل الشرف ليختص بأشرف قريش، وهم قريش البطاح، ومنهم بنو هاشم.

وذلك أنّ قريش بعد ما أخرجوا خزاعة من مكة بعد ما استولت عليها مدة من الزمان، اقتسموا، فأصاب بنو كعب بن لؤي البطحاء، وأصاب بنو عامر بن لؤي وغيرهم الظواهر، وأكرمهما قريش البطحاء^(١).

وإنما سمي البطحاويون بطحاويين لأنهم أصابوا البطحاء لما اقتسموا واقترعوا وهم بنو كعب، وسمي الظواهر ظواهر لأنهم أصابوا الظواهر لما اقتسموا واقترعوا، وهم بنو عامر، وبقي هذا الاسم في أعقابهم أينما ذهبوا.

والأبطح والبطحاء هو مسيل الماء الذي فيه دقاق الحصى والرمل المنبسط مما يأتي به السيل، ويطحاء مكة هو ما حاز السيل من الردم يميناً مع البيت، وليس الصفا من البطحاء، وهو أقرب إلى منى^(٢).

قال الزبير بن أبي بكر: هذا تعريف للقبائل لا للمواضع؛ فإنّ البطحاويين لو سكنوا بالظواهر كانوا بطحاويين، وكذلك الظواهر لو سكنوا البطحاء كانوا ظواهر، وأشرفهم البطحاويون^(٣).

(١) انظر معجم ما استعجم للبكري ١، ٢٥٧، ومعجم البلدان ١ : ٤٤٤.

(٢) انظر ترتيب كتاب العين ١ : ١٧٠ «بطح»، وقال ابن دريد: الأبطح أثر المسيل ضيقاً كان أو واسعاً، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصب، وهو خيف بني كنانة وقد قيل إنه ذو طوى وليس به، وذكر بعضهم: أنه إنما سمي أبطح؛ لأن آدم ﷺ بطح فيه - معجم البلدان ١ : ٧٤.

(٣) معجم البلدان ١ : ٤٤٤.

ويستفاد من الأخبار أنّ الرسول المصطفى ﷺ كان يُعرف بالأبطحي من سالف الزمان، وقد يعود إلى زمان عيسى ﷺ، فقد جاء في كلام «بحيرا» الراهب مع أبي طالب في الشام حينما رأى النبي ﷺ وهو صغير وعرفه قال: «لقد والله أخبرتك عن أمره، وهذا الذي نجده عندنا مكتوباً في سفر كذا وكذا من الإنجيل، وهو الذي بشرنا به السيد عيسى بن مريم ﷺ - إلى أن قال - وآته الغلام الهاشمي القرشي الأبطحي»^(١).

وجاء في رسالة أرسلها سطيح الكاهن إلى زرقاء اليمامة: «من سطيح صاحب القول الفصيح إلى فتاة اليمامة المنعوتة بالشهامة، من سطيح الغساني، الذي ليس له في عصره ثاني، أما بعد فإنني كتبت إليك كتابي وأنا في هموم وسكرات، وغموم وخطرات، وقد تعلمين ما الذي يحل بنا من الدمار والهلاك من خروج التهامي الهاشمي الأبطحي العربي المكي المدني، وقد رأيت برقة لمعت، وكواكباً سطعت، وإني أظن أنّ ذلك من علاماته، ولاشك أنه قرب أوانه»^(٢).

ولما نشأ النبي ﷺ كان يفتخر بهذا اللقب، ويكرّر نعت نفسه به، وخصوصاً في مكاتيبه ومراسلاته، فقد جاء في عدة مكاتيب: «من محمّد رسول الله النبي الأمي العربي الهاشمي الأبطحي التهامي»^(٣).

وذكره أبو عبد الله الصادق ﷺ في خطبة فقال: «هاشمي لا يوازي، أبطحي لا يسامي»^(٤).

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٩.

(٢) البحار ١٥: ٣٠٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٠٩، البحار ٩١: ٢٢٠، مكاتيب الرسول ٣: ٧٤٦، تذكرة الموضوعات: ٢١١.

(٤) الكافي ١: ٤٤٤، البحار ١٦: ٣٦٩.

وأشدد ابن داغر يمدح النبي:
 عرج على المصطفى ياسائق النجيب
 عرج على خير مبعوث وخير نبي
 عرج على رحمة الباري ونعمته
 عرج على الأبطحي الطاهر النسب^(١)
 وكان البعض يتوسل إلى الله تعالى بهذا الاسم.

فقد ورد: أَنَّ الصادق عليه السلام كان جالساً في الحرم في مقام إبراهيم، فجاء رجل شيخ كبير قد فنى عمره في المعصية فنظر إلى الصادق عليه السلام فقال: نعم الشفيح إلى الله للمذنبين، فأخذ بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

بحق جلالك يا وليي بحق الهاشمي الأبطحي
 وحق أئمة سلفوا جميعاً على منهاج جدّهم النبي
 وحق القائم المهديّ لما غفرت خطيئة العبد المسي^(٢)

١١. الأبلج

الأبلج في اللغة هو المشرق والمضيء، والحسن الواسع الوجه، وأبلج الوجه مسفره ومشرقه^(٣).

وقد تبادلت الكلمات المعبرة عن لون الرسول عليه السلام وإشراقه ونوره وتلألؤه، بينما يصر كل من وصفه على الإشارة إلى إشراقه وبياضه ونوره، وكذا كل من مدحه وقال فيه شعراً أو نثراً لا يخلو كلامه من

(١) الغدير ٧ : ٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٧٧، الفضائل: ٦٩، مستدرک الوسائل ٥ : ٢٣٠ ح ٥٧٦.

(٣) انظر لسان العرب ٢ : ٢١٥، النهاية لابن الأثير ١ : ١٤٩.
 البحار ١٦ : ١٤٨ ح ٤.

الإشارة إلى ذلك، ومنهم هند بن أبي هالة الذي كان وصافاً للنبي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر - إلى أن قال - : أزهر اللون^(١).

مما يبدو أن هيبة الرسول ﷺ وفخامته أخذت بأنياط قلبه فكان أول ما ذكره هو الفخامة، بينما ملأ نور رسول الله ﷺ عينيه فعطف على ذكر نوره وتلألؤه وعاود وقال مرة أخرى: أزهر اللون.

وهكذا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام حينما قيل له صِف لنا نبينا ﷺ كأننا نراه فإننا مشتاقون إليه، بادر فقال: «كان نبي الله أبيض اللون»^(٢).

على أن تلك الكلمات وإن كانت توحى إلى بياض جسدي ونور وإشراق مادي ولكن غيرها يشير إلى أكثر من ذلك وأشد أهمية، وهو البياض المعنوي بمعنى النقاء من الرذائل والنقصان، ويعبر بالنور والإشراق عن الجلاء في الأذهان، ويستشعر ذلك من نظم أبي طالب عمه قائلاً:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأراامل

أشار بذلك إلى أنّ البياض المراد هو البياض الذي يجلب الخير والمطر، ولا يراد به البياض الجسدي المادي، فإنه لا يجلب المطر والخير. وإنما ذاك بياض القلب وصفاء النفس.

وأوضح من ذلك ما ورد أنه لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ قال: «أيكم يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟» قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله، قال: «لست أنساه بمكاذب على جمل أحمر يخطب الناس

(١) البحار ١٦: ٤١٤٨ ح ٤.

(٢) البحار ١٦: ١٤٧ ح ٣.

وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا، فإذا اجتمعتم فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا، فإذا وعيتم فقولوا، فإذا قلتُم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً - ويستمر في موعظته إلى أن قال - إن للسماء إلهاً هو الذي خلقها، وبالكواكب زينها وبالقمر المنير أشرقها، أظلم ليلها وأضحى نهارها، وسوف تعمهم من هذه الرحمة وأوماً بيده نحو مكة وبالكواكب برجل أبلج من ولد لؤي بن غالب يقال له محمد ﷺ، يدعو إلى كلمة الإخلاص، ما أظن أنني أدركه، ولو أدركت أيامه لصفقت بكفي على كفه، ولسعيت معه حيث يسعى^(١).

فهذا موحد عرف النبي ﷺ قبل ولادته، تجده حينما ذكر النبي ﷺ ترك جميع صفاته، وقال: «أبلج» أي مشرق وضاء، ما ذاك إلا لأن في ذهنه صورة مشرقة وضاء كالشمس في محفل ظلمات الجهل والشرك ملأت كل ذهنه، ألا وهي حقيقة النبي محمد ﷺ، وإلا فهو لم يره ولم ير جسده ولم ير وجهه، وإنما رأى حقيقته، وعرف مقداره.

وقال رسول الله ﷺ على أثر ذلك: «رحم الله أخي قساً يحشر يوم القيامة أمة واحدة»^(٢).

ويبدو أن قساً لم يذكر ذاك الوصف مرة واحدة، بل كان يكرره على الدوام، فقد ورد أن رجلاً خرج في طلب بعير له، فإذا هو بقس قائماً يصلي بين قبرين فأخذ يحدثه عن حال الناس إلى أن قال له: سوف تعمهم من هذه الرحمة - وأوماً بيده نحو مكة - برجل أبلج من ولد لؤي بن غالب يقال له محمد ﷺ، فاغتنم.

(١) مستدرک سفینة البحار: ٨: ٥١٩، المعجم الكبير للطبراني ١٢: ٦٩.

(٢) كنز الفوائد للكراچكي: ٢٥٥.

١٢. ابن بطحاء مكة

إن مكة هي أشرف بقاع الأرض وحرم الله وأمنه، فيها أول بيت وضع للناس، والبطحاء - كما قلنا - مسيل الماء، وما حاز السيل من الردم إلى يمين البيت^(١) - وغيره يسمى الظواهر - والبطحاء أقرب إلى البيت والمكان الذي بطح فيه آدم ﷺ^(٢)، وقد توطنه أشرف قريش وأكرمهم بنو كعب بن لؤي، ومنهم بنو هاشم.

وذلك أن خزاعة استولت على مكة مدة من الزمن، فلما أخرجتهم قريش اقتسموا فأصاب بنو كعب بن لؤي البطحاء، وأصاب بنو عامر بن لؤي وغيرهم الظواهر^(٣)، وقال ابن عربي وغيره: وأشرفهم قريش البطاح^(٤).

وبهذا ينسب الرسول إلى سهمي الشرف، شرف البقعة، وشرف الساكنين، وهم قريش البطحاء، فقد ورد في ألقابه أنه «ابن بطحاء مكة»^(٥). ويمكن أن يقال في هذا العنوان أنه كنية له، لأنه مصدر بكلمة ابن، إلا أن يكون المقصود بتصدير الإبن ما كان يرمز إلى البؤنة الحقيقية فتدبر.

وقد مرّ مزيد تفصيل في لقب «الأبطحي».

١٣. ابن الذبيحين

قال النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»^(٦).

-
- (١) انظر ترتيب كتاب العين ١ : ١٧٠ «بطح».
- (٢) معجم البلدان ١ : ٧٤ قال: وذكر بعضهم أنه إنما سمي أبطح؛ لأن آدم ﷺ بطح فيه.
- (٣) انظر معجم ما استعجم للبكري ١ : ٢٥٧.
- (٤) حكى ذلك في معجم البلدان ١ : ٤٤٤.
- (٥) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٥٣، البحار ١٦ : ١٠٥.
- (٦) الفقيه ٤ : ٣٦٨، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢ : ١٧ ح ١، الخصال ٥٥ : ح ٧٨، البحار ١٢ : ١٢٢.

والمعروف أنّ إسماعيل عليه السلام هو أحد الذبيحين المذكورين من آباء النبي صلى الله عليه وآله، وهو الذي أسلم للذبح إذ قال له أبوه: يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك، فقال له: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتلّه للجبين، ما عملت في ذبحه السكين، وناداه ربّه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، وفديناه بذبح عظيم. وبذلك نجا إسماعيل من الذبح، وسمي الذبيح، بعلاقة المشاركة.

وفي محاولة أراد البعض إثبات أنّ إسحاق عليه السلام الابن الآخر لإبراهيم عليه السلام هو الذبيح، وقد دلّت بعض الأخبار على أنّ الذي أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه هو إسحاق، فيكون النبي صلى الله عليه وآله ابنه باعتبار أنّ العم يطلق عليه «الأب».

ولكن الأخبار الدالة على أنّ الذبيح هو إسماعيل هي الأكثر والأشهر، وإن كانت الأخبار الدالة على أنّ الذبيح هو إسحاق غير عزيزة ومنها ما هو معتبر، ولكن ترجح الأولى على الثانية بالأكثرية والشهرة.

ويبقى الكلام في الذبيح الثاني، فقد ذهب البعض إلى أنه إسحاق؛ لأنه تمتى الذبح، ويكون النبي صلى الله عليه وآله ابنه باعتبار أنّ لفظ «الأب» يطلق على العم.

والحق أنّ الذبيح الثاني هو عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن قصة ذبح عبده الله معروفة، والروايات المصرّحة بها أكثر اعتباراً.

وأما حديث تمتى إسحاق الذبح، وتسميته بذلك ذبيحاً، مع التزام أنّ ابن الأخ ابن، فهو مجاز في مجاز، وبعيد جداً.

فقد روي عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن معنى

قول النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل ﷺ وعبدالله بن عبد المطلب، أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَأْتِيَتِ أَقْعَلُ مَا تُؤْمَرُ - ولم يقل له: يا أبت افعل ما رأيت - سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أنثى، وإنما قال الله جلَّ وعزَّ له: كن، فكان ليفدي به إسماعيل، فكلُّ ما يُذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر؛ فإنَّ عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا لله ﷻ أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله ﷻ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشرة أولاد قال: قد وفى الله لي فلافين الله ﷻ فأدخل ولده الكعبة، وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله ﷺ وكان أحبَّ ولده إليه، ثمَّ أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله، ثمَّ أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله ﷻ في قتل ابنك، قال: فكيف أعذر يا بنتي، فإنك مباركة، قالت: أعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل، وأعط ربك حتى يرضى.

فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة

فضرب فخرج السهم على الإبل. فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة.

فقال عبد المطلب: لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرّات، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجله فحملوه وقد انسلخت جلدة خذه الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب، وأمر عبد المطلب أن تُنحر الإبل بالحزورة^(١) ولا يُمنع أحدٌ منها وكانت مائة.

وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجزاها الله في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء، وسنّ الدية في القتل مائة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمي زمزم لما حفرها سقاية الحاجّ، ولولا أنّ عبد المطلب كان حجة وأنّ عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنّهما الذبيحان في قوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين» والعلة التي من أجلها رفع الله ﷻ الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي ﷺ والأئمة ﷺ في صلبهما، فببركة النبي والأئمة رفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كلّ أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم، ويات كلّ ما يتقرب الناس به إلى الله ﷻ من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة^(٢).

وروى القمي في التفسير، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى

(١) الحزورة: موضع بمكة.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ١٨٩، الخصال ١: ٥٦، البحار ١٢: ١٢٢.

وحماد، عن عبدالله بن المغيرة، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألتناه عن صاحب الذبيح فقال: «إسماعيل» وروي عن رسول ﷺ أنه قال: «أنا ابن الذبيحين، يعني إسماعيل وعبدالله بن عبد المطلب»^(١).

ووردت أخبار في الكافي مضمونها: «لو علم ﷺ شيئاً أكرم من الضأن لهدى به إسماعيل ﷺ»^(٢).

وإذا شئت تفصيل الأقوال والأخبار في المسألة فراجع البحار^(٣).

ويبدو أنّ هذا الاسم كان معروفاً ومنتشراً، فقد ورد أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين، فتبسّم، فسئل عن ذلك فقال: «إنّ عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر إن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده، فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله وقالوا له: ادفأ ابنك بمائة من الإبل، فقدها بمائة من الإبل، والذبيح الثاني إسماعيل»^(٤).

بقي أنّ في قوله ﷺ «أنا ابن الذبيحين» إشارة إلى عناية الله تعالى به على مرّ العصور والقرون، وأنه تعالى نجّى أبويه لأجله وأجل ذريته المعصومين بعد تعرضهما للذبح المحتم، ويدلّ عليه ذيل الرواية المتقدمة عن أبي الحسن الرضا ﷺ.

١٤. ابن شيبه الحمد واللواء

شيبه الحمد اسم عبد المطلب جد الرسول ﷺ، وقيل: اسمه

(١) تفسير القمي ٢: ٢٢٦، البحار ١٢: ١٢٧ ح ٣.

(٢) الكافي ٦: ٣١٠ ح ٣ - ١، البحار ١٢: ١٣٠ ح ١٢.

(٣) انظر البحار ١٢: ١٢١.

(٤) مفاتيح الغيب ٧: ١٥٥ - ١٥٦.

شبية، وقيل: عامر، على أنه جاء في علة تسميته بشبية أنه ولد وفي رأسه شعرة بيضاء^(١).

ولاشك أن عبد المطلب ممن يفتخر به؛ لمواقفه الشجاعة في قصة الفيل وغيرها، ولجوده وكرمه حتى أن العرب كانت تسميه مطعم طير السماء؛ لأنه لما نحر فداء ابنه عبد الله والدة النبي ﷺ مائة بعير فرقها على رؤوس الجبال فأكلتها الطير^(٢).

ثم إن التعبير باللواء هو كناية عن ظهور فضائله وشرفه وارتفاعه وعلوّ صيته بحيث صار يعرفه القريب والبعيد، كما أن اللواء - أي العلم - يراه القريب والبعيد.

ومن هنا انبرى النبي ﷺ مفتخراً: «أنا ابن شبية الحمد واللواء، والمجد والفخر والثناء»^(٣).

١٥. ابن عبدالله

تطاول عُديّ بن نوفل في الكلام على عبد المطلب جدّ النبي ﷺ فكان فيما قال له: «إنما أنت غلام من غلمان قومك ليس لك ولد» فاستشاط عبد المطلب غضباً، وقال: «يا ويلك تعيرني بقلة الولد»، ثم نذر الله نذراً فقال: «إن رزقني الله عشرة أولاد ذكوراً لأنحرن أحدهم في سبيله إكراماً له، وإجلالاً لحقه تعالى» فرزقه الله تسعة أولاد ينتظر عند انعقاد كل ولد انتقال نور النبوة الذي في غرته إليه، فلم يتنقل منه إلى أحدهم، فاغتمّ لذلك، حتى غشي يوماً زوجته فاطمة المخزومية، فزال النور عن جبهته، وانتقل منه إلى صدر فاطمة يضيئ، فولد له

(١) البحار ١٥: ١١٨.

(٢) مجمع البحرين ٢: ٩٥.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٦.

عبدالله وسطع النور من غرّته، وتشعشع حتى بلغ عنان السماء، فأقبل إليه الناس يزورونه معجبين بحسنه وجماله، وقد دهشوا من نور جبينه، وكان يشبّ في الشهر كما يشب غيره في السنة، وبعد ما بلغ عبد الله من العمر أحد عشر سنة، ذكر عبد المطلب نذرَه، فجمع أولاده، ولم يتأخر غير عبد الله؛ لأنه كان أصغرهم، فسألهم عنه فقالوا: ما لنا به علم، فخرج إليه بنفسه حتى ورد منزل فاطمة زوجته فأخذ بيده، فتعلقت به أمه فجعل أبوه يجذبه منها، وهي تجذبه منه، وهو يريد أباه، وهو يقول: «يا أماء اتركيني أمضي مع أبي ليفعل بي ما يريد» فتركته وشقّت جيبها وصرخت وقالت: لفعلك يا أبا الحارث فعل لم يفعله أحد غيرك، فكيف تطيب نفسك بذبح ولدك؟! وإن كان ولا بد من ذلك فخلّ عبد الله؛ لأنه طفل صغير، وارحمه لأجل صغره. ولأجل هذا النور الذي في غرّته.

فلم يكثرث بكلامها، ثم جذبه من يدها فقامت عند ذلك تودّعه، فضمّته إلى صدرها وقالت: حاشاك يا رب أن يطفأ نورك، وقد قلت حيلتي فيك يا ولدي، وأحزناً عليك يا ولدي، ليتني قبل غيبتك عني وقبل ذبحك يا ولدي غيّبت تحت الثرى، لثلا أرى فيك ما أرى، ولكن ذلك بالرغم مني لا بالرضا سوقك من عندي من غير اختياري.

فلما سمع ذلك أبوه بكى بكاءً شديداً حتى غشي عليه وتغيّر لونه.

فقال عبد الله لأمه: دعيني أمضي مع أبي فإن اختارني ربي كنت سامحاً ببذل روحي له.

وتستمر القصة: إلى أن خرج صاحب القداح وهو قابض على عبد الله وقد جعل رداءه في عنقه وهو يجرّه وقد زالت النضارة من

وجهه، واصفرّ لونه، وارتعدت فرائصه وقال له: يا عبد المطلب هذا ولدك قد خرج عليه السهم فإن شئت فاذبحه.

فلما سمع كلامه خرّ مغشياً عليه، ولما أفاق قبض على يده وأراد أن يذبحه، حتى بلغ الحد أنه أضجعه وعقل رجله.

وقد تقدمت تتمة القصة، وإن الله نجا عبد الله ﷺ من الذبح وفدي بمائة من الإبل.

وأعقب ذلك محاولات لليهود لقتله لما عرفوا من عظم شأنه، وأن نبي السيف سيولد منه، حتى خرج مرة إلى الصيد وكانوا تتبعوا أثره، فأحاطوا به، فرفع عبدالله رأسه إلى السماء ودعا الله تعالى وأقبل إليهم وقال: يا قوم ما شأنكم؟ فوالله ما بسطت يدي إلى واحد منكم بمكروه أبداً فتطالبوني به، ولا غضبت مالأً قط، ولا قتلت أحداً فأقتل به، فما حاجتكم؟ فلم يردوا عليه جواباً، وهموا بالهجوم عليه، فجعل نبلة في كبد قوسه ورمى بها نحوهم فأصابت رجلاً منهم فوقع ميتاً، ثم رماهم بأربعة نبال فأصابت أربعة فاشتغلوا عنه بأنفسهم، وأنشأ يقول:

ولي همة تعلو على كل همة
 وقلب صبور لا يروع من الحرب
 ولي نبلة أرمي بها كل ضيغم
 فتنفذ في اللبات والنحر و القلب

واشتبك معهم بسيفه، فجعل يكرّ فيهم يميناً وشمالاً، وعند ذلك أدركه بنو هاشم وفتيان مكة، وكان قد رأى قبل ذلك في المنام سيوفاً مجردة بأيدي قردة، فكان هذا تفسيرها^(١).

ولما كان إبان علق آمنة زوجة عبدالله بالنبى ﷺ راودت عبدالله امرأة وعرضت نفسها عليه طمعاً في النور الذي في غرته على أن تعطيه مائة من الإبل، فامتنع وقال: أما الحرام فلا^(١).

وإنما سردت لك تلك القصص لأضع بعض النقاط على الحروف حول شخصية عبد الله والد الرسول ﷺ وهي كالآتي:

١. شباهة عبدالله بجده إسماعيل في قصة الذبح، والأهم فيها تسليم عبدالله للذبح كتسليم جدّه إسماعيل وقوله لأمه: «دعيني أمضي مع أبي، فإن اختارني ربي كنت راضياً سامحاً ببذل روحي له» كما قال جدّه إسماعيل: ﴿يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَبْدِينَ﴾^(٢).

ويبدو أن قول إسماعيل ذلك كان مد نظر عبدالله وغيره، ويعدّ غاية العبودية لله تعالى بحيث يأمل بعضهم أن يبلغ تلك المرتبة الجليلة.

ومهما يكن من أمر فهو يحكي عن مدى اعتقاد عبدالله وصدقه، ومدى التزامه بسنن إبراهيم وإسماعيل دون من سواهما.

٢. جمال عبدالله ورشده وتميّزه عن إخوته، وتفوّقه عليهم.

٣. شدّة حبّ أبيه وأمه له، وفرط تعلقهما به، مما يحكي عن أدب وسؤدد وفصاحة لسان وحب الآخرين له، وغيرها من المؤهلات التي تؤهل كون الولد أحب الأولاد إلى أبيه.

٤. شجاعته وحزمه وقوّته وثباته ورباطة جأشه مما جعله يكرّ على جمع غفير وهو واحد كما جاء في القصة المارة.

(١) انظر البحار ١٥ : ٧٦.

(٢) الصافات: ١٠٢.

٥. تمسكه بدينه واعتقاده واجتنابه المحرمات رغم الإغراءات، مما يحكي عن ورع وتقوى وارتفاع النفس، وله بذلك شبه بيوسف عليه السلام، ولذا قيل: لقي عبدالله في زمانه ما لقي يوسف الصديق في زمانه^(١).

وبذلك تعرف المعنى حينما نقول في الرسول المصطفى عليه السلام أنه ابن عبد الله، فهو يعنى أنه ابنه ووارثه في صفات كريمة وخلال عظيمة، كالجمال والشجاعة والاعتقاد والثبات، ورباطة الجأش، وإن كان رسول الله عليه السلام لا يقاس به من سواه، وهو أديب الرب. ولكن هذا وأمثاله مما أعدّه ومهّده الله سبحانه لصناعة شخصية الرسول وتأصل بعض الصفات والخلال الكريمة فيه.

١٦. ابن عبد المطلب

انهزم الناس عن رسول الله عليه السلام يوم حنين، والنبى يقول قُدماً:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فعطف المسلمون وعادوا واصطلموا بالسيوف، فقال النبى عليه السلام:
«الآن حمى الوطيس» وهزم الله المشركين^(٢).

وهذا كناية عن عظم عبد المطلب في نفسه وفي أنظار الناس، حيث هزّ اسمه عواطف المسلمين وهواجسهم، وأعاد الكفرة على الكافرين بعد ما كانت لهم.

وهذا لو ثبت يعكس واقعاً أسمى في سماء العز والعظمة، حيث يجلّي انتساب الرسول العظيم عليه السلام إليه في موقف صعب كهذا الموقف،

(١) البحار ١٥ : ٧٨.

(٢) مجمع الزوائد ٦ : ١٨٢ - ١٨٣ قال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وافتحاره بذلك أكبر آية على وجاهة عبد المطلب وعلو منزلته ومقامه بحيث يدعم اسمه موقف الرسول ﷺ ومكانته.

وهو دليل صارخ على إيمانه وتوحيده، إذ لا يعقل افتخار الرسول ﷺ بكافر أو مشرك، وكيف يعقل ذلك؟!

بل لابد أن يكون بمنزلة عالية جداً، ومرتبة رفيعة، كالوصاية العيسوية، أو الإتياع للحنيفية في مجتمع سيطرت عليه ظلمات الكفر والشرك، وورد: أنّ عبد المطلب يحشر وحده أمة^(١)، مما يدل على تفرده بالتوحيد بين أمة مشركة.

وأصل الرواية وإن لم توردها جميع الفرق، غير أنّ الشعر والواقعة من المشهورات المنقولة على الأفواه، والمتحدث بها في المجالس، ومثل هذه الشهرة كافية في هذا المقام.

وأخرج الهندي: «أنا النبي ﷺ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأتى يأتيني اللحن»^(٢).

١٧. ابن العواتك

روي أنّ جابر قال: رأيت رسول الله ﷺ يوماً يضرب بسيفه في سبيل الله فقال: «خذها وأنا ابن العواتك» انتمى إلى جدّاته من سليم^(٣).

وانتماء النبي ﷺ إلى أمهاته في موقف كهذا يعكس أمرين: الأمر

(١) الكافي ١: ٤٤٦، البحار ١٥: ١٥٧ عن أبي عبد الله ﷺ.

(٢) كنز العمال ٣: ٨٧٩.

(٣) كنز العمال ٣: ٨٧٩ ح ٩٠١٧.

الأول شجاعة قبيلة سليم وقوتهم وحزمهم، والثاني: تأثير شجاعة قبيلة الأم في خروج الولد شجاعاً قوياً.

وله مؤيدات كثيرة منها قصة زواج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة الكلابية بعد ما سأل أخاه عقيل أن يختار له امرأة ولدتها الفحول كي تلد له ولداً ينصر أبا عبدالله الحسين عليه السلام في كربلاء، فولدت له أبا الفضل العباس عليه السلام ^(١).

وكذا العكس فإن قصة محمد بن الحنفية معروفة، حيث تكأكأ في معركة الجمل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أدركك عرق من أمك» ^(٢).

يبقى هنا أمور:

الأمر الأول: إن الأخبار والروايات مختلفة في نقل الرواية، فبعضها ينقل قوله عليه السلام «أنا ابن العواتك»، والبعض الآخر «أنا ابن العواتك من سليم» ^(٣).

أما أصل قول النبي عليه السلام «أنا ابن العواتك فهو مسلمٌ ترويه جميع فرق المسلمين، فقد روى الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد: يا سوء صباحاه، فسمعها رسول الله عليه السلام في الجبل فركب فرسه في طلب العدو، وكان أول أصحابه، لحقه أبو قتادة على فرس له، وكان تحت رسول الله عليه السلام

(١) عمدة الطالب: ٣٥٧، سر السلسلة العلوية: ٨٨.

(٢) البحار ٤٢: ٩٨ ح ٣١، شرح نهج البلاغة ١: ٢٤٣.

(٣) انظر مجمع الزوائد ٨: ٢١٨، ٢١٩، والمعجم الكبير ٧: ١٦٩، ٢٠١ كنز العمال ح ٣١٨٧٤، ٣٢٠٨٥، ٣٥٥٠٤، الأحاد والمثاني ٣: ٩٥، الفائق في غريب الحديث ٢: ٣٣٠، النهاية في غريب الحديث ٣: ١٧٩.

سرج دفتاه ليف ليس فيه أشر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلقوا أحداً، وتتابعت الخيل، فقال أبو قتادة: يارسول الله إن العدو قد انصرف؛ فإن رأيت أن نستبق، فقال: «نعم» فاستبقوا فخرج رسول الله ﷺ سابقاً عليهم، ثم أقبل عليهم، فقال: «أنا ابن العواتك من قريش، إنه لهو الجواد البحر»^(١).

ويرعى الانتباه أنّ هذه الرواية قيّدت بالعواتك من قريش، ولا أثر فيها للتقييد ببني سليم.

وقال اليعقوبي في تاريخه: روي أنّ رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول: «أنا ابن العواتك» وربما قال: «أنا ابن العواتك من سليم»^(٢).

فيبدو أنّه كان يقول ذلك كله في مواطن مختلفة، ويكثر قول: «أنا ابن العواتك» بينما فسّرت رواية جابر قوله ﷺ: «أنا ابن العواتك» بالعواتك من بني سليم فتكون عبارة: «من بني سليم» من تفسير جابر.

الأمر الثاني: قال البحراني: قوله ﷺ: «أنا ابن العواتك» هو جمع عاتكة وهي المرأة المجرمة بالطيب، وكان هذا الاسم لثلاث نسوة من أمهاته ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ فالأولى من العواتك عمة الثانية، والثانية عمة الثالثة، قيل: وبنو سليم كانوا يفتخرون بهذه الولادة، وقيل: العواتك في جدات النبي ﷺ تسع، ثلاث من بني سليم وهن المذكورات، والبواقي من غيرهم^(٣).

(١) الكافي ٥: ٥٠ ح ١٦، الوسائل ١٣: ٣٤٦ ح ٢. وهي تعطي أنّ السبق يتوقف على جود الفرس وأصلته، وكما يتوقف على حزم الراكب الموروث، دون المتكلف.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٠.

(٣) الحدائق الناضرة ٢٢: ٣٥٧.

وقال اليعقوبي: واللاتي ولدنه من العواتك اثنتا عشرة عاتكة: عشر منهن مضريات، وقحطانية، وقضاعية، والمضريات ثلاث من قريش، وثلاث من سليم، وعدوانيتان، وهذلية، وأسدية^(١). انتهى ما أردنا نقله من كلامه، وقد ذكر بعده أسماءهن واحدة واحدة لا حاجة بذكره.

الأمر الثالث: ذكرت أكثر كتب اللغة أن معنى العاتكة هي المتضمخة بالطيب، وهي التي تفوح منها رائحة الطيب، ولا يبعد استعمال هذا اللفظ ليكنى به عن شيوع محاسن المرأة، وانتشار صفاتها الحسنة كانتشار رائحة الطيب، والنبى ﷺ إنما عنى بقوله «أنا ابن العواتك» أن أمهاته لهن سمعة طيبة ومعروفة بالشرف ومحاسنهن شائعة، وهذا ما يصح أن يفتخر به، وأما صرف كون اسم أمه عاتكة لا يكون دليلاً على الفخر.

ولذا قال في تاج العروس: امرأة عاتكة بها ردع طيب، وقيل: سميت لشرفها^(٢)، فيكون مراده ﷺ أن جميع أمهاته لهن سمعة طيبة. إلا أن يفرض لنساء سليم عامة مكانة ومنزلة وشرف رفيع ومعروف يفتخر بهن النبى ﷺ، أو كان ذلك مخصوص بتلك النسوة الثلاث.

وقال ابن سعد وغيره: العاتكة هي الطاهرة^(٣).

وبهذا يكون النبى ﷺ قد افتخر بكل أمهاته، وأراد المعنى دون الاسم، وهذا هو الأقرب، خصوصاً أن الرواية المقيدة بقوله ﷺ: «من بني سليم» ضعيفة وغير معتبرة، وطرقنا قيدت بقوله ﷺ: «من قريش».

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٠.

(٢) تاج العروس ٧: ١٥٩.

(٣) نقله عنه في سبل الهدى والرشاد ١: ٣٢٣.

فيكون معنى قوله ﷺ «أنا ابن العواتك» هو أنه ﷺ ابن الطاهرات العفيفات اللواتي لهن شرف وسمعة حسنة. وهو المعقول من دواعي الفخر والاعتزاز، سواء كان في ميادين السبق أو ميادين القتال.

ويؤيد ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»^(١) قال ذلك لأنه ابن الطاهرات.

١٨. ابن الفتى

روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى»^(٢).

والفتى في اللغة والعرف العام هو الشاب الحدث القوي^(٣).

ولا ينبغي أن يكون هذا هو المراد من قول النبي ﷺ؛ فإن كلمة الفتى تعطي معنى آخر، وهو السخي والكريم^(٤).

وهذا الآخر ليس هو المراد من هذه الكلمة.

فإن الاستفادة من كلام الله تعالى - كما سيأتي - أن المراد بالفتى الشخص الذي يأتي بالأمر العظيم، والإنجاز الكبير النابع من إيمان راسخ، وعزم أكيد، وقدرة عالية جوارحية أو جنانية.

ومن ذلك نداء المنادي من السماء يوم أحد:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(٥)

(١) الجامع الصغير: ١: ٦٠١ ح ٣٩٠٣، كنز العمال ١١: ٤٠٢ ح ٣١٨٧١.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٦٨، معاني الأخبار: ١١٩ ح ١، البحار: ٤٢: ٦٤.

(٣) أنظر المصباح المنير: ١٧٥، ١٧٦، والصحاح ٦: ٤٥٤.

(٤) ذكره الجوهري في الصحاح ٦: ٤٥٥.

(٥) مستدرک سفینه البحار ٨: ١٢٥.

ومنها: قوله تعالى حاكياً كلام قوم النبي إبراهيم ﷺ بعد ما كسر الأصنام وقام بهذا العمل العظيم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُٗ إِبْرَاهِيمُ﴾^(١).

ومنها: لما آوى أصحاب الكهف إلى الكهف وتركوا جنات وعيوناً ليبلغوا رضوان الله تعالى بجهد جناني إيماني عظيم، ناشئ عن معتقد راسخ، وعزم ثابت، فقال تعالى: ﴿إِذْ آوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾^(٢).

ويروي سليمان الهمداني عن مولانا الصادق ﷺ أنه قال: «يا سليمان، من الفتى؟» قلت: جعلت فداك، الفتى عندنا الشاب، قال لي: «أما علمت أنّ أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولاً، فسماهم الله فتية بإيمانهم، يا سليمان من آمن بالله واتقى فهو الفتى»^(٣).

وبهذا يُعرف المراد بقول النبي ﷺ أنا ابن الفتى من خلال الآيات المارة؛ فإنه أراد بذلك إبراهيم ﷺ.

وورد: أنّ أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فخرج إليه في رداء ممشق^(٤) فقال: يا محمد لقد خرجت إليّ كأنك فتى، فقال ﷺ: «نعم يا أعرابي أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى».

فقال: يا محمد، أما الفتى فنعم، وكيف ابن الفتى؟ فقال: «أما سمعت قول الله ﷻ يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُٗ إِبْرَاهِيمُ﴾ فأنا ابن إبراهيم، وأما أخو الفتى؛ فإن منادياً نادى من السماء يوم أحد:

(١) الأنبياء: ٦٠.

(٢) الكهف: ١٠.

(٣) مستدرک سفينة البحار ٨: ١٢٥.

(٤) الممشق المصبوغ بالمغرة، وهي الطين الأحمر. المنجد: ٧٦٣.

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فعلي أخى، وأنا أخوه»^(١).

فقد طاوعت نفس الأعرابي وصف النبي ﷺ بالشاب الحدث، وأجابه النبي ﷺ بنعم أنا الفتى، وهو يريد قوة الإيمان وعظيم ما أتى به، وعرف الأعرابي ما أرادته ﷺ، فسأله عن ابن الفتى، إذ لم يسمع لعبد الله والد الرسول ﷺ أمراً عظيماً وعملاً خالداً، فلما أجابه النبي ﷺ عن ذلك لم يسأل عن أخ الفتى، لمعرفته بالمراد به، وهو الذي اتخذته أخاً يوم آخى بين المسلمين، وهو علي بن أبي طالب ﷺ، ومع ذلك بين له النبي ﷺ ذلك.

١٩. ابن الفخر والمجد والثناء

روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن شيبة الحمد واللواء، والفخر والمجد والثناء، والجد جدي بالحمد، وما كان له بطير أباييل، وأهلك الله جند الفيل»^(٢).

أراد ﷺ بالفخر والمجد والثناء هو جدّه عبد المطلب، فهو فخر العرب ومجدها وسناؤها بمواقفه الشجاعة في قصة الفيل، ویده المعطاة في حفره لبشر زمزم ووقفها على الحاج وتسميتها «سقاية الحاج» وغير ذلك من المفاخر والمآثر التي مرّ طرف منها تحت عنوان «ابن شيبة الحمد» وعنوان «ابن عبد المطلب».

فيقول الرسول ﷺ: أنا ابن تلك الصفة التي كانت لعبد المطلب وهي صفة المجد والثناء، والفخر والاعتزاز، فهي عندي موروثه لا أتكلّفها، ولا هي معدومة فاتجشمها، وأعظم بها من صفة.

(١) معاني الأخبار: ١١٩، أمالي الشيخ الصدوق: ٢٦٧، مدينة المعاجز ١: ١٠٩،

الأمثال النبوية للغروي ١: ١٨١، مستدرک الوسائل ٣: ٢٥٢.

(٢) نهج الإيمان: ٤١٦.

٢٠. ابن الفواطم

توالى علينا افتخار الرسول المصطفى ﷺ بأمهاته في المواقف الصعبة، والموارد الحازمة فتجده يفتخر بعد ما سبق فرسه ويقول: «أنا ابن العواتك»، وروي أنه كان يكثر يوم حنين ويقول: «أنا ابن الفواطم»^(١) ونادى بذلك يوم أحد^(٢).

وهذا ما يدعو إلى التأمل والتدبر والتفكير بعد ما اشتهر من أن العرب أيام الجاهلية لا تقيم للمرأة وزناً، وتعاملها بوحشية كما تعامل دوابها وما زالت تند البنات، وتدفعها وهي حية.

فكيف يمكن تصوّر افتخار النبي ﷺ بما لا يعدّه الناس فخراً؟! وكيف يشدّ عزيمة المسلمين بقوله «أنا ابن الفواطم» يوم حنين بعد تراجعهم وانكسارهم، وهم يرونه وهناً وضعفاً؟!!

وكذا يوم أحد حيث انهزم المسلمون وتركوه.

والقول الفصل أن الاستفادة من تتبّع التاريخ ومن هذه الأخبار وأمثالها أن العرب كانت تعطي لبعض النساء قيمة بالغة، حتى قد تفوق على الرجال في بعض الموارد، وخصوصاً تلك الطائفة من النساء التي تطعن في السن، ويكون لها رأي وحزم وتدبير وأولاد، فيكون لها ذكر شائع، ومواقف خالدة تذكرها العرب بالتعظيم والتبجيل.

ومن ناحية أخرى كان البدوي غيوراً، شديد الغيرة على النساء، وإنما وأد البنات في بعض الأحيان لكي لا تذهب أسيرة في يد

(١) تاريخ يعقوبي ٢: ١٢٢. قال: أخبرني غير واحد من أهل العلم أنه كان يكثر يوم حنين ويقول: أنا ابن الفواطم.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٠٨.

المناوئين، مما يكلفه الذل والعذاب الروحي؛ فإن ذكر أسماء بناته أو زوجاته أو أمهاته كان يسيئه، بل ونساء قومه وشريفاتهم، وهو مما يشير عنده الحمية والغيرة، فيبذل الجهد الأقصى للذود عنهن، ولتعلم قريش وغيرهم من مناوئيه أنه منهم، وقد ولدته أشراف نسايتهم، ليفت عزائمتهم في حربه، ويستعطفهم في قبول دعوته.

وكل ذلك يوحى إلى أن جذات الرسول من العواتك والفواطم كن جميعهن من النساء اللواتي لهن شرف وقيمة، وسمعة طيبة، وهن ذوات حزم ورأي يشير ذكر أسمائهن الحمية والغيرة عند القرشيين وغيرهم.

ولا يشذ عن الأذهان محاولة الرسول ﷺ الاستفادة من شدة الموقف لإعطاء المرأة المكانة المرموقة، والرفع بها إلى محلها الحقيقي، والمنزلة الرفيعة التي أرادها الله تعالى للإنسان بجنسيه:

وأما تسمية من ولدن الرسول ﷺ من الفواطم فقال اليعقوبي: أخبرني النسابون أنه ولده من الفواطم أربع فواطم: قرشية، وقيسيان وأزدية، فأما القرشية فوالدته من قبل أبيه عبدالله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، والقيسيان أم عمرو بن عائذ بن عمران، وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رازم بن بكر بن هوازن، وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور، والأزدية أم قصي بن كلاب، وهي فاطمة بنت سعد بن سيل^(١).

وقال الزبيدي: والفواطم اللاتي ولدن النبي ﷺ سبع: قرشية، وقيسيان، ويمانيان، وأزدية، وخزاعية، هكذا ذكر ابن بري، ثم ذكر

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٢، وانظر تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٠٨.

اثنتين وقال: والباقيات لم أعرفهن مع كثرة استقصائي^(١).

ويبقى أن كلمة فاطمة مأخوذة من فطمت المرضع الرضيع فطماً فصلته عن الرضاع فهي فاطمة^(٢).

وإنما تسمى العرب البنت فاطمة تنفءل أن تكون البنت ولوداً تلد وتُرضع وتفظم، فتكون فاطمة كما سميت.

ففاطمة ذات بعل ليست ببائر، وولود ليست بعافر يشنؤها زوجها وأهله، ولا يموت لها ولد فلا يتم فصاله، بل يبقى أولادها فترضعهم وتفظمهم، ويكثر بها العدد، ويبقى بها النسل، وتعزّ بها العشيرة.

ولذلك سمي النبي ﷺ سيدة نساء العالمين الحوراء الإنسية بـ «فاطمة» عليها السلام أراد لها أن تكون ولوداً، ويكون نسله منها، وأراد لها الله ﷻ أن تفظم شيعتها من النار كما جاء في الأخبار^(٣) ولا يبعد عن الأذهان بعد ملاحظة قول الرسول «فاطمة أم أيها» أن يكون قوله «أنا ابن الفواطم» أراد به فاطمة الزهراء ﷺ، وصيغة الجمع للتعظيم.

٢١. ابن معد بن عدنان

المشاهد أن الرسول المصطفى ﷺ يعاود بين الكرة والأخرى الانتساب إلى بعض أجداده وآبائه، خصوصاً في المواقف الحازمة والميادين الساخنة، فمرة يقول: أنا ابن عبد المطلب، ومرة يقول: أنا ابن هاشم، ومرة يقول: أنا ابن الذبيحين.

(١) تاج العروس ٩ : ١٣.

(٢) المصباح المنير: ١٨٢.

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٣٥، معاني الأخبار: ٣٩٦ ح ٥٣، بحار الأنوار

٤٣ : ٤ ح ٣، و ص ١٨ ح ١٧.

ولا يخرج هذا الانتساب عن حالين، إما أن يكون لذلك الجد مفاخر فائقة وكرامات ظاهرة وتكون للرسول ﷺ مواقف مشابهة، فيقول أنا ابن فلان ليلفت أنظار الناس إلى مشابهة الموقف، وتطابق النتائج.

الحال الثاني هو الاخبار عن حدث هام وشدة واجهها ذلك الجد فاستنقذه الله ﷻ منها بشكل الإعجاز، ليحفظ ذلك الجد من أجل وجود نور الرسول ﷺ في صلبه، كقوله أنا ابن الذبيحين المار، أراد به أن الله سبحانه نجاهما من الذبح ليقدر مجيء الرسول ﷺ.

ومن هذا القبيل قول رسول الله ﷺ «أنا ابن معد» فإن لمعد هذا قصة عجيبة، وحادثة غريبة.

وذلك أن بني إسرائيل لما أخذوا بقتل أنبيائهم - وكان آخرهم يحيى بن زكريا - وعدا العرب على نبيهم فقتلوه وذلك في عهد عدنان، أذن الله في فناء ذلك القرن وسلط الله عليهم نبوخذ نصر، إذ بعث إليه بعض الأنبياء واسمه برخيا، فأخبره بأن الله أوحى إليه أن يقطع دابر الظالمين، وبذلك بعث الله بختنصر على بني إسرائيل، فلما فرغ من خراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نسفاً، فأوردتهم أرض بابل، أمره ذلك النبي أن يدخل بلاد العرب فلا يستحي فيها إنسياً ولا بهيمة، وأن يتسف ذلك نسفاً حتى لا يبقى لهم أثراً، فنظم بختنصر ما بين إيلة والأبلة خيلاً ورجلاً ثم دخلوا على العرب، فاستعرضوا كل ذي روح أتوا عليه، وقدروا عليه، وعندها أوحى الله تعالى إلى أرميا وبرخيا أن الله قد أنذر قومكما فلم ينتهوا، فعادوا بعد الملك عبيداً وقد تقدمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوا إلا لجاجة، وقد سلطت بختنصر عليهم لانتقم منهم، فعليكما بمعد بن عدنان الذي من ولده محمد ﷺ الذي أخرجه في آخر الزمان أختم به

النبوة، وأرفع به من الضعة، فخرجا تطوى لهما الأرض حتى سبقا بختنصر، فلقيا عدنان قد تلقاهما فطوياه إلى معد، ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة، فحمله برخيا على البراق، وردف خلفه، فانتها إلى حران من ساعتها، وطويت الأرض لأرميا فأصبح بحران، فالتقى عدنان بختنصر بذات عرق، فهزم بختنصر عدنان وسار في بلاد العرب حتى قدم إلى حضور واتبعد عدنان فانتهى إلى حضور في اليمن، فانتهى بختنصر، فلما رجع بختنصر مات عدنان، وبقيت بلاد العرب خراباً في حياة بختنصر، فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء أنبياء بني إسرائيل ﷺ حتى أتى مكة، فأقام أعلامها فحج، وحج الأنبياء معه. ثم خرج معد حتى أتى ريسوب فاستخرج أهلها وسأل عمه بقي من ولد الحارث الجرهمي، فقيل له: بقي جرشم، فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد، وله تسعة أولاد آخرين، وكان يكنى أبا قضاة، وكان أول من وضع رحلاً على جمل وناق، وأول من زمها بالنسج^(١).

وروي أنّ معد خاف أن يدرس الحرم فوضع أنصابه، وكان أول من وضعها.

ومهما يكن من أمر فإن قصة استنقاذ معد من القتل ونقله إلى حران في الشام في ساعة ما هو إلا كاستنقاذ إسماعيل من الذبح لأجل النبي، وكاستنقاذ عبد المطلب من جيش أبرهة وأمثال ذلك مما يحكي عن عناية الله ﷻ بهذا الرسول العظيم واحتفاظه به في مسار الأحداث.

هذا بالإضافة إلى مفاخر معد التي تؤهله لأن ينتسب إليه النبي ﷺ، فقد جاء في خطبة لأمير المؤمنين ﷺ: «وأضاءت بنا مفاخر

(١) تاريخ الطبري ١: ٣٩٨، كتاب المحبر للبغدادي: ٥٧، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٣.

معد بن عدنان^(١)، وروي عن رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى من العرب معداً»^(٢) وهناك رواية تشير إلى أن معد كان نبياً من الأنبياء، وفي رواية كان له قتال مع اليهود.

وأخيراً، ومن جميع ما تلونا عليك وغيره تعرف الوجه في قول رسول الله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين المفتدين بالتحف من بحبوحة الشرف، أنا ابن معد بن عدنان»^(٣).

٢٢. ابن هاشم

هاشم بن عبد مناف جد والد النبي ﷺ الذي احتمل نور النبي ﷺ كسائر آبائه، الذين أخذت عليه العهود والمواثيق المؤكدة بأمر من الله سبحانه بحفظ نور النبوة وتجنبيه عن الأرحام النجسة بالكفر والفحشاء.

ويُذكر أن هاشماً ولد هو وأخوه توأمان في بطن واحد وكان إصبع كل منها ملتصقاً بإصبع الآخر ففصل بينهما بالسيف، وبذلك جرت العداوة القابلية الهايلية والدم بين ذراريهما إلى آخر الأبد.

وكان اسم هاشم عمرو العلاء، وإنما اشتهر بهاشم لكثرة جوده وأنه كان يهشم الثريد لقومه ولحجاج بيت الله، ويحمل لهم الطعام إلى منى وعرفات.

وأصاب أهل مكة ضيق وجذب في بعض السنين فباع جمالاً له واشترى بأثمانها طعاماً من الشام، ففرقه على أهل مكة والحاج، ولم يبق لنفسه شيئاً.

(١) الكافي ٨ : ٢٨.

(٢) شرح أصول الكافي ١١ : ٢٨٦.

(٣) نهج الإيمان : ٤١٧.

فأنشد قائلهم:

يا أيها الرجل المجد رحيله
 هلا مررت بدار عبد مناف
 ثكلتك أمك لو مررت ببابهم
 لعجبت من كرم ومن أوصاف
 عمرو العلاء هشم الثريد لقومه
 والقوم فيها مسنتون عجاف
 بسطوا إليه الرحلتين كليهما عند الشتاء ورحلة الأصياف

ولم يزل كذلك حتى أخذ الناس يتحدثون به ويجوده في الآفاق، فخضعوا له وعظموه وسلموا إليه مفاتيح الكعبة، ولواء نزار، ونعل شيث، وخاتم نوح عليه السلام، وقميص إبراهيم عليه السلام، وقوس إسماعيل عليه السلام وغير ذلك من آثار العظمة.

ثم إن هاشم تزوج بسلمى بنت عمرو المدنية على أثر رؤيا رآها، فولدت له في المدينة عبد المطلب الذي انتقل إليه نور النبي عليه السلام، وقد صاحب ذلك الزواج والولادة معاجز كثيرة خلّفت ذكرى طيبة عن هذا النسل الكريم، لا يبعد مساهمتها في نصره أهل المدينة لرسول الله عليه السلام بعد أن زهد فيه قومه.

وأخيراً تعرف الوجه في قول الرسول عليه السلام «أنا ابن هاشم»^(١) إذ أن هاشم بجوده وكرمه وتوحيده وإيمانه ممّا يوجّه افتخار النبي عليه السلام به والانتساب إليه، كما عرفت أن لهاشم يداً في نجاح دعوة النبي عليه السلام ومؤازرة الأنصار له، فيكون الرسول عليه السلام وليداً لمجد هاشم وسؤدده، كما أنه وليد صلبه.

(١) نهج الإيمان: ٤١٦.

٢٣. أبو إبراهيم

ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من أم إبراهيم مارية القبطية - التي أهداها صاحب الإسكندرية مع البغلة الشهباء لرسول الله ﷺ - بعالية في قبيلة مازن، في مشربة أم إبراهيم، ويقال: ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة.

ولما بلغ له من العمر سنة وعشرة أشهر وخمسة أيام جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ وكان على فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبل هذا، وتارة يُقبَل هذا؛ إذ هبط جبرئيل، وقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لست أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه.

فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى وقال: «إن إبراهيم أمه أمة، ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي، وحزن ابن عمي، وحزنت أنا عليه، وأنا أثر حزني على حزنهما، يا جبرئيل يقبض إبراهيم، فلدَيْتُهُ للحسين» فقبض بعد ثلاثة أيام، وكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين مقبلاً قلبه وضمه إلى صدره، ورشف ثناياه وقال: «فليت من فليتته بابني إبراهيم»^(١). ولعل عدم حزن أم إبراهيم هو اعتياد التفريق في الإمام والعبيد.

وبذلك تم لإبراهيم سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، وهو آخر أولاد رسول الله ﷺ الذكور. وقد حزن عليه حزناً شديداً، وكأنه علم أنه لا يبقى له ولد ذكر.

وروي أنه لما مات إبراهيم بكى النبي ﷺ حتى جرت دموعه

على لحيته، فقيل له: يا رسول الله تنهى عن البكاء وأنت تبكي؟! فقال: «ليس هذا بكاء، إنما هذا رحمة، ومن لا يرْحَم، لا يُرْحَم»^(١).

وقال أيضاً: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»^(٢).

وهناك من شدّد حزن رسول الله ﷺ في مصيبة إبراهيم، بزعم إذهاب الحزن من قلبه، فقد روي أنه لما هلك إبراهيم بن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه، إنه ليس منك، وإنما هو من جريح القبطي؛ فإنه يدخل إليها في كل يوم، وكثر على مارية الكلام.

فغضب رسول الله ﷺ، وبعث علياً عليه السلام وأمره بقتله، فذهب عليّ إليه ومعه السيف، فولى جريح مدبراً وصعد في نخلة، وصعد عليّ في أثره، فلما دنا منه رمى جريح بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء، فانصرف عليّ إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون كالمسمار المحمي أم أثبتت؟ فقال: «لا بل تثبت» قال: والذي بعثك بالحق ماله ما للرجال وماله ما للنساء، فقال: «الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت».

وقيل: إنّ جريح هو الذي أخبر علياً بأنه محبوب، فأتى به رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «ما شأنك يا جريح؟» فقال: يا رسول الله ﷺ إنّ القبط يجتّبون حشمهم ومن يدخل إلى أهاليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطيين، فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأونسها، هذا مضمون ما ورد في عدّة أخبار^(٣).

(١) أمالي الشيخ: ٢٤٧، البحار ٢٢: ١٥١ ح ١.

(٢) الكافي ٣: ٢٦٢ - ٢٦٣ ح ٤٥، البحار ٢٢: ١٥١ ح ١٦.

(٣) انظر البحار ٢٢: ١٥٣ ح ٨ - ١٢، وص ١٦٧ ح ٢٦.

وورد في تعليل ذلك أَنَّ أمر رسول الله ﷺ علياً لم يكن عزيمة من رسول الله ﷺ، ولو كان عزيمة من رسول الله ﷺ ما رجع علي حتى يقتله، لكن إنما فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها^(١).

ثم إنه جرت في موت إبراهيم ثلاث سنن: انكسفت الشمس، فقال ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ».

وأمر الرسول علياً ﷺ بتجهيزه ولم يصل عليه، وقال: «لَا أَصَلِّي إِلَّا عَلَى مَنْ صَلَّى».

ولم ينزل في قبره فقال الناس: لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكُمْ بِحَرَامٍ أَنْ تَنْزِلُوا فِي قُبُورِ أَوْلَادِكُمْ، وَلَكِنْ لَسْتَ آمِنٌ إِذَا حَلَّ أَحَدُكُمْ الْكَفْنَ عَنْ وَلَدِهِ أَنْ يَلْعَبَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَيَدْخُلَهُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْجُزْءِ مَا يَحْبِطُ أَجْرَهُ»^(٢).

٢٤. أبو الأرامل

لما كان الأب في الغالب يرعى أولاده ويتعاهدهم، وهو الكافل لهم، ويهتم بما يصيبهم وما يصيرون إليه، ويريد لهم التوفيق والنجاح في أعمالهم، ويوقر وسائل معاشهم، وهو يحتاط عليهم ويحامي عنهم، ولا يرضى لهم الدنيئة، أخذ العرف يسمي كل من يتعاهد شيئاً ويهتم بشأنه «أباً»، حتى لو كان المتعاهد جماداً أو نباتاً أو غيره.

وتدخل تكنية النبي ﷺ بـ «أبي الأرامل» في هذا السياق، وتصب في هذا المصعب، وتنشأ من شدة اهتمامه بالأرامل، ورعايته لهم، وتعاهد أمورهم، والتكفل لهم، والاهتمام بما يصيبهم وما يصرن

(١) البحار ٢٢: ١٥٤ ح ٩.

(٢) المحاسن: ٣١٣، البحار ٢٢: ١٥٥ ح ١٣.

إليه، وهو يحتاط عليهن ويحامي عنهن، أكثر من مراعاة الأب الرؤوف، والوالد العطوف، حتى صار له صيتاً أخيراً به الله رسله، فقد جاء في التوراة أن اسم النبي ﷺ ماد وكنيته أبو الأرامل^(١).

ولما كان المقدّر له أن يكون نبي السيف دفاعاً عن الإسلام، فسيخلف ما يخوضه من المعارك أرامل وأيتاماً، أوجب اهتمامه بهن، ورعايته لشؤونهن، حتى يرغب المسلمون في القتال، ولا يشغل بالهم ما يصير إليه عوائلهم وأهاليهم.

وحتى زواج الرسول ﷺ ببعض الأرامل، والإكثار من اختيار الزوجات يدخل في هذا السبيل، كي يتكفل من يتزوج بها، ويرغب المسلمون في ذلك، حتى لا تترك الحروب والمعارك التي يخوضها عواقب مضرّة وتوالي فاسدة.

هذا بالإضافة إلى أن العرب قبل الإسلام كانوا قد خاضوا حروباً داخلية وقبلية طاحنة خلفت أرامل وأيتاماً كثيرين، كان مصيرهم الضياع والحرمان وغصب حقوقهم المادية والاجتماعية من قبيل قادة العرب آنذاك، فكان الرسول المصطفى ﷺ أباً لأولئك الأيتام، وكفياً لتلك الأرامل.

كما نشاهد ذلك في حث القرآن الكريم على رعاية الأيتام والأرامل في آيات عديدة.

٢٥. أبو الأمة

إن دراسة صفات الأب وأحواله تنتهي بنا إلى تقسيمها إلى

(١) انظر البحار ١٦: ١٢٠ جاء فيه: وقيل اسمه ﷺ في التوراة ماد ماد وصاحب الملحمة وكنيته أبو الأرامل.

قسمين، القسم الأول يعود إلى وجود الابن؛ فإنه يتوقف على وجود الأب، وأن الأب هو علة تحققه وحياته، وخروجه من ظلمة العدم إلى فيض الوجود.

والقسم الثاني يعود إلى ترعرع الولد ونشوته واستمرار حياته ورفع حوائجه، والاهتمام بأمره وتعاهده ودفع الشرور والأذى عنه وتهيئة مناخ الرشد والنمو، وتوفير ظروف العيش الهانئ له.

والرسول المصطفى ﷺ يحمل تلك الصفات بقسميها، فإن له حق الحياة على هذه الأمة وهو الداخل في علة تحققها ووجودها كأمة إسلامية، وخروجها من ظلمة العدم إلى فيض الوجود. وكذا فهو العلة في وجودها بذاتها لا كأمة إسلامية، بمعنى أنه لو لم يكن رسول الله ﷺ ما كانت هذه الأمة ولا غيرها من الأمم، بل ما كان الكون من أساسه، المستفاد مما ورد في الحديث القدسي: «لولاك ما خلقت الأفلاك»^(١).

كل ذلك عن الوجود، وأما الحياة فإن قوام الحياة لا يكون بالروح فقط، فرب ذي روح ميت مات قلبه، ورب ما لا روح له حي، فمن مقومات الحياة الإيمان وإن الآخرة لهي الحيوان، وكذا العلم، فالناس موتى وأهل العلم أحياء.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(٢).

ولا شك أن النبي ﷺ هو الذي أخرج هذه الأمة من ظلمات الكفر والجهل وأحيها بالإيمان والعلم.

(١) إغاثة الطالبين للبكري ١: ١٣، مناقب آل أبي طالب ١: ١٨٦، البحار ١٥: ٢٨.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

وكذا تتوقّر فيه الصفات من القسم الثاني، فإن المتتبع لسيرة النبي وأقواله و دعائه، وإلحاحه على ربّه يجد أن الرسول المصطفى ﷺ كان همّه الأوّل هو أمته، وما زال يتوسل إلى الله ﷻ وينادي أمّتي أمّتي حتى قبض، وما زال يطلب التخفيف عليهم ورفع الآصار وشديد الأحكام عنهم.

وأما دوره في ترعرع هذه الأمة، ونشوتها، وتوفير مناخ الرشد والنمو، وظروف العيش واستمرار حياتها وعدم تفرّقها وتشتت كلمتها، ودفع الشرور عنها فهو واضح، إذ جعلها أمة واحدة بعد ما كانت قبائل متناحرة، أو بلدان متحاربة، وقد حفظ بذلك حياتها البدنية والمعنوية، كما تجده يكثر العناية بمن يأتي من الأجيال، وخصوصاً أهل آخر الزمان، ويوصي مرة بالأنصار، ويعطف ثانية على قوم سلمان، وغيره مما لا يمكن حصره في كتاب.

وبهذا يكون النبي ﷺ حاملاً لجميع صفات الأبوة من الحياة والحنو والرأفة والرحمة والسعي في استمرار حياتها وإسعادها، بل أكثر مما يحمله الآباء من صفات الأبوة؛ إذ أنه ﷺ لاحظ الحياة الجسدية والمعنوية معاً، وأراد لهم السعادة الأبدية قبل وبعد الموت مما لا يتوفر في الآباء من دون دعوة النبي وجده وجهده.

فلا يحتاج إثبات هذه الكنية أو الصفة له ﷺ إلى دليل وراء ذلك، ومع ذلك فقد روي بطرق متعددة أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»^(١).

وقال أمير المؤمنين علي ﷺ: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة».

(١) إكمال الدين: ١٥١، ١٥٢، أمالي الصدوق: ٣٩٠، البحار: ١٦: ٣٦٤.

وقالت فاطمة عليها السلام: «أبوا هذه الأمة محمّد وعلي».
وقال الحسن بن علي عليهما السلام: «محمّد وعلي أبوا هذه الأمة، فطوبى لمن كان بحقهما عارفاً».

وقال الحسين بن علي عليهما السلام: «من عرف حق أبويه الأفضلين محمّد وعلي وأطاعهما حق طاعته قيل له: تبجح في أي الجنان شئت».

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «إن كان الأبوان إنما عظم حقهما على أولادهما لإحسانهما، فأحسان محمّد وعلي إلى هذه الأمة أجل وأعظم منهما بأن يكونا أبويهم أحق».

وقال محمّد بن علي عليهما السلام: «من أراد أن يعلم كيف قدره عند الله، فلينظر كيف قدر أبويه الأفضلين عنده محمّد وعلي».

وقال جعفر بن محمّد عليهما السلام: «من رعى حق أبويه الأفضلين محمّد وعلي لم يضره ما أضر من حق أبوي نفسه وسائر عباد الله، فإنهما يرضيانهم بسعيهما».

وقال موسى بن جعفر عليهما السلام: «يعظم ثواب الصلاة على قدر تعظيم المصلّي على أبويه الأفضلين محمّد وعلي»^(١).

٢٦. أبو الدرّتين

الدرّة: اللؤلؤة العظيمة الكبيرة^(٢)، واللؤلؤ: ما يؤخذ من الصدف، وهو حجر كريم له لمع وبرق، ومنه يقال تلالاً النجم، أي برق ولمع^(٣). وكلما كبر اللؤلؤ عظم لمعه وبرقه وزاد ثمنه.

(١) وردت هذه الأحاديث جميعها في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٣٠ - ٣٣١ ح

١٩٠ - ١٩٧، وعنه في البحار ٢٣: ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) المصباح المنير: ٧٣.

(٣) المنجد: ٧٠٨.

فإن فاطمة الزهراء عليها السلام هي درة لاشك فيها، ولكن الثنية تنقل
الذهن إلى ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله وهما الحسن والحسين عليهما السلام.
وإنما عبر عنهما بالدرتين، لتألؤهما وسطوع ضوئهما في محفل
البشرية، ومحافل السماء، وهما درتا الفردوس، وبهذا صار النبي صلى الله عليه وآله
يكنى بـ «أبي الدرتين».

ذكر ذلك ابن شهر آشوب في جملة كنى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: «كناه
أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيب، وأبو المساكين، وأبو
الدرتين، وأبو الريحانتين، وأبو السبطين»^(١).

٢٧. أبو الريحانتين

الحسن والحسين، وذاك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنهما ريحانتي
من الدنيا»، يعني الحسن والحسين عليهما السلام^(٢)، وقال صلى الله عليه وآله: «الولد الصالح
ريحانة من رياحين الجنة»^(٣).

وبهذا يعلم أن الحسن والحسين عليهما السلام هما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله
وريحاناه.

وقال المناوي في شرح ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «ريح الولد من
ريح الجنة» يحتمل أن ذلك في ولده خاصة فاطمة وابنيها؛ لأن في
ولدها طعم ثمار الجنة بدليل خبر الولد الصالح ريحانة من رياحين
الجنة، ومنه قيل لعلي أبو الريحانتين^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٤.

(٢) أمالي الصدوق: ١٢٣ ح ١٢، المناقب ٣: ٢٣٠، البحار ٤٣: ٢٦٢ ح ٥، رواه
الصدوق بسنده عن ابن عمر. ونقله في المناقب عن أبي عيسى في جامعه، وأبي
نعيم في حليته، والسمعاني في فضائله، وابن بطة في إبانته.

(٣) الكافي ٦: ٣ ح ١٠، الوسائل ١: ٣٥٨ ح ٢٧٢٩٥.

(٤) فيض القدير للمناوي ٤: ٥٥.

وأساساً: الريحان هو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم، ويقضي أن الحسن والحسين ﷺ هما نبتان أنبتهما رسول الله ﷺ، وهذا مما لاشك فيه، ولا شبهة تعتريه.

وأما طيب ريحهما؛ فإذا أريد عطر بدنهما فهو أيضاً مسلّم فيهما وفي أمهما الزهراء ﷺ؛ لأن فيهم طعم ثمار الجنة.

ويمكن أن يكون كناية عن شيوع محاسنهما وذيوع فضائلهما وانتشار صيتهما، وهذا مما يعرفه مجبوهم ومناوؤهم حتى قاتليهم.

٢٨. أبو الطاهر

الطاهر جنبذة ينعت من أطيب الأصول، وأفضل نبت عرفته الأكوان، هو ابن رسول الله ﷺ من خيرة النساء، الولود الودود خديجة الطاهرة، واسمه عبدالله المولود في حرم الله وأمنه، وفي خير الظروف، وأبرك الأزمان، يعني بعد ظهور الإسلام وديب الإيمان، ولذلك لُقّب بالطاهر والطيب^(١).

غير أنّ أيدي الأجل المحتوم، اقتطفت تلك الجنبذة الطيبة، ولما يبلغ عمرها عمر الزهور، لتكفره بالتراب، فيسقى بأطهر الدموع الساكبة، ويعصف نبتة الياقاع بأطيب الحشرات الكامنة، والآهات المؤلمة.

وهكذا دأب الدهور مع الأولياء، خالصة البشرية المنتشرة،

(١) انظر مروج الذهب ٢: ٢٩١، وتاج المواليد للطبرسي: ٨، وتهذيب الكمال ١: ١٩١، ونقله في ذخائر العقبى: ١٥١ عن الزبير بن يكار، والدارقطني، وهناك أقوال آخر، فقد قيل إن عبدالله والطاهر والطيب ثلاثة أولاد لرسول الله ﷺ كما في شرح الأخبار للنعمان ١: ١٨٦، وقال ابن شهر آشوب: أولاده من خديجة القاسم وعبد الله وهما الطاهر والطيب - المناقب ١: ١٤٠.

والدهور اللاحقة والغابرة، تعاملهم ببيع أثمانه كؤوس الغصص،
وشراب المحن، وأنواع الآلام والأسقام، بل حتى عذب الأرواح
وعزيز النفوس، ودماء النحور، على أن تعوضهم فسيح الجنان،
والقصور والحدور المائلة عليهم بالعطف والحنان.

ولا يختص ذلك البيع بالأولياء، بل يشمل محبيهم وإن قلت
أقذارهم، فلا يغتر بهذه الدنيا المؤمنون ولا ينخدعوا بزخرفها فإنها
تخفي لهم سمّاً قاتلاً، وجرائر مؤلمة، وآلام وأسقام مضية.

على أنه ورد في بعض الأحاديث عن الباقر عليه السلام قال: «لما توفي
الطاهر ابن رسول الله نهى رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة عن البكاء، فقالت:
بلى يا رسول الله، ولكن درّت عليه الدريرة فبكيت، فقال: أما ترضين
أن تجديه قائماً لك على باب الجنة، فإذا رآك أخذ بيدك، فأدخلك
الجنة أطهرها مكاناً وأطيها؟!»

قالت: فإن ذلك كذلك؟

قال صلى الله عليه وآله: الله أعزّ وأكرم من أن يسلب عبداً ثمرة فؤاده فيصبر
ويحتسب ويحمد الله ثم يعذبه^(١).

وما نهاها رسول الله صلى الله عليه وآله عن البكاء إلا لأن بكاءها يعزّ عليه؛
حباً بها وعطفاً عليها، وشدة شعفه بها، وما نهاها عن البكاء إلا
ليبكي هو الآخر، ويتحمل عنها بعض المصاب، فقد ورد عن السائب
ابن يزيد أن النبي صلى الله عليه وآله لما مات ابنه الطاهر ذرفت عيناه، فقيل: يا
رسول الله بكيت؟! فقال صلى الله عليه وآله: «إن العين تلدف، وإن الدمع يغلب،
وإن القلب يحزن، ولا نعصي الله عز وجل»^(٢).

(١) الكافي ٣: ٢١٩ ح ٧، مشكاة الأنوار: ٦٠، بحار الأنوار ١٦: ١٦ ح ١٥ و ج
٧٩: ١٠٣ ح ٥١.

(٢) مسكن الفؤاد: ٩٥، الجامع الكبير ١: ٢٠٧.

ويعد كل ذلك لا نشك أنّ الرسول ﷺ هو «أبو الطاهر»، وأن ذلك صار كنية من كناه، غير أنني ما عثرت على تكنيته بذلك سوى في كتاب المناقب لابن شهر آشوب، وعنه في كتاب البحار^(١)، قال: كُناه أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيب... .

غير أنه - رحمه الله - نقل تكنيته بأبي الطاهر من وجوهٍ أخرى، وهو من البواطن والأسرار، التي لا يستسيغها إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

فقد ورد: الماء على ضربين طاهر ونجس، فعلي طاهر لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ وعدوه نجس ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ الطهور: الطاهر والمطهر، والنجس: نجس عينه كيف يطهر غيره ﴿فَلَمَّ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ فمحمد الطهور، وعلي الصعيد؛ لأن محمداً أبو الطاهر وعلي أبو التراب^(٢).

٢٩. أبو القاسم

هذه أول كنية لرسول الله ﷺ، وهي التي نهى ﷺ عن التكني بها لمن كان اسمه محمداً فقال: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي»^(٣). وقد مرّ الكلام في ذلك في المقدمات.

وإنما صارت أول كنية له ﷺ؛ لأن القاسم هو أول ولده، وورد: «أنه من السنة أن يكتنى الرجل باسم ابنه»^(٤).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٥٤ طبعة دار الأضواء.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٦١، ٦٢.

(٣) ورد مضمونه بسند لا يخلو عن اعتبار في الكافي ٦: ٢١ ح ١٥، والتهذيب ٧: ٤٣٩ ح ١٧٥٢، والخصال: ٢٥٠ ح ١١٧، والوسائل ٢١: ٤٠٠ ح ٢٧٤٠٦، والبحار ١٠١: ١٣٠ ح ١٧.

(٤) الوسائل ٢١: ٣٩٧ ح ٢٧٣٩٨.

والأخبار حول القاسم قليلة جداً، وغاية ما ذكر عنه أنه أول
أولاد رسول الله ﷺ من الذكور والإناث، وأنه بلغ حداً يقدر معه على
المشي، ومات ولم يفطم بعد بمكة.

وروي: أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة بعد موت القاسم
وهي تبكي فقالت: يا رسول الله ﷺ درت لبينة القاسم، فلو كان عاش
حتى يستكمل رضاعته لهون عليّ .

فقال: «إن شئتِ أسمعتك صوته في الجنة».

فقالت: بل أصدق الله ورسوله^(١).

ومهما يكن من أمر فقد مات أولاد رسول الله ﷺ الذكور وهم
صغار، ولم يبقَ لرسول الله ﷺ ولد.

وقد شاءت إرادة الله تعالى أن لا يبقى لرسول الله ﷺ ولد ذكر،
كما شاءت أن يولد هو ﷺ يتيماً من قبل.

بقي أنه جاء في أخبار كثيرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أبو
القاسم، الله يعطي، وأنا أقسم»^(٢).

ويبدو أن يد التحريف عبثت بهذا الحديث وليس الأمر كما
نقلوه، ولو كان الأمر كذلك لقال أنا القاسم، فإنه إذا كان يقسم فهو
قاسم، لا أبو القاسم.

والسر في ذلك أن القاسم هو علي بن أبي طالب ﷺ فهو قسيم

(١) سبل الهدى والرشاد ١١: ١٩، بنايع المودة لذوي القربى ٢: ٤٩، هامش البداية
والنهاية ٢: ٣٥٩ الروض الأنف ١: ٣٢٧.

(٢) مسند أحمد ٢: ٤٢٣، مستدرک الصحيحين ٢: ٦٠٤، تاريخ دمشق ١: ٢٧٧،
الطبقات لابن سعد ١: ٦٧، كنز العمال ح ٤٥٢٥٤، ٤٥٢٦٤، البحار ١٦:
١١٤، الجامع الصغير للسيوطي ١: ٤١٢.

الجنة والنار، كما ورد ذلك في الأحاديث الكثيرة، والرسول ﷺ هو أبو هذه الأمة، ومنهم علي ﷺ فهو أبو القاسم. ولكن لما ثقل على مناوئي علي ﷺ هذا المعنى بعد إقصائه عن الخلافة ولو احقها، جعلوا القاسم هو رسول الله ﷺ وربطوا كنيته بذلك.

ولذا قال في فيض القدير عند شرح الحديث: «وأنا أقسم» المراد أن المال مال الله، والعباد عباد الله، وأنا قاسم بإذن الله^(١)، ولم يقل وأنا أبو القاسم.

والذي يدل على جميع ذلك ما رواه الصدوق بسنده عن الحسن بن فضال، قال: سألت أبا الحسن ﷺ فقلت له: لم كني النبي ﷺ بأبي القاسم؟ فقال: «لأنه كان له ابن يقال له قاسم، فكنتي به».

قال، فقلت له: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: «نعم، أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة؟». قلت: بلى.

قال: «أما علمت أن رسول الله ﷺ أب لجميع أمته، وعلي فيهم بمنزلته؟» فقلت: بلى.

قال: «أما علمت أن علياً قاسم الجنة والنار؟» قلت: بلى. قال: «فقيل له أبو القاسم؛ لأنه أبو قسيم الجنة والنار» فقلت له: وما معنى ذلك؟

فقال: «إن شفقة النبي ﷺ على أمته شفقة الآباء على الأولاد، وأفضل أمته علي ﷺ، ومن بعده شفقة علي ﷺ عليهم كشفقته ﷺ لأنه وصيه وخليفته، والإمام بعده، ولذلك قال ﷺ: أنا وعلي أبوا هذه الأمة، وصعد النبي ﷺ المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإلى، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم

وأمهاتهم، وأولى بهم بأنفسهم من أنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده جرى ذلك له ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

٣٠. أبو النور والإشراق

لا شك أنّ فاطمة الزهراء سلام الله عليها هي نور، وقد يكون سائر بنات الرسول صلى الله عليه وآله وأولاده كذلك نوراً، ومن ناحية أخرى فإن الرسول صلى الله عليه وآله هو أبو الأمة، وفيهم الإمام الهمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الآخر نور، وكل ذلك بدليل ما ورد من أمر الله تعالى نبيه قائلاً: «زوج النور من النور» ^(٢)، وبذلك يظهر الوجه في ما ورد من قول الرسول صلى الله عليه وآله: «أنا أبو النور والإشراق» ^(٣).

ولما كان الإشراق هو الظهور والبزوغ، فيكون سهمه في بزوغ هذين النورين والقمرين هي مساهمة الأب في وجود الابن، صار عليه السلام أبا الإشراق أيضاً.

كما ويحتمل أن يكون المراد من النور هو النبي صلى الله عليه وآله نفسه، سواء كان بمعنى نور وجهه وغرته المتحدث عنه في الأخبار وما صوره واصفوه بقولهم: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتلأأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر» ^(٤).

أو كان المراد هو نور العلم الذي انتشر منه في كل الأصقاع، أو نور الإيمان الذي أشرق في مكة وأضاء قلوب المؤمنين، والتعبير بالأب بمعنى صاحب كما هو جارٍ في السنة العرف، فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وآله صاحب النور والإشراق.

(١) علل الشرائع ١: ١٢٧ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٩١ ح ٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٤، البحار ٤٣: ١٠٩.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٧.

(٤) البحار ١٦: ١٤٩ ح ٤.

٣١. اتقى ولد آدم

روي عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَسَمَ الْخَلْقَ قَسَمَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قَسْماً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَصْحَابِ الشَّمَالِ، وَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَسَمَيْنِ اثْنَلَاثاً، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا ثَلَاثاً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ وَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ، وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ، ثُمَّ جَعَلَ الْإِثْلَاقَ ثَلَاثَ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاكَ شُعْرَبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ فَأَنَا أَتْقَى وَوَلَدُ آدَمَ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ جَلُّ ثَنَاؤِهِ وَلَا فَخْرَ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بِيوتاً، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بِيوتاً، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

أقول: لاشك أن الرسول المصطفى ﷺ هو اتقى ولد آدم، وإنما أشار الرسول ﷺ بقوله: «أنا اتقى ولد آدم» إلى أنه في ذروة هرم الإنسانية مجداً وعظمة، وأنه يتدرج عند تقسيم الخلق إلى أقسام ثنائية وثلاثية ليبلغ إلى أعلى الجدول، وينفرد هو وأهل بيته ﷺ، في أعلى حقل لاحتفاظه بأكمل معاني الكرامة وأسمى معاني الخير والفضيلة.

وذلك أن كلمة «التقوى» تحمل كل معاني الخير وترك الرذائل الأخلاقية، والتحلي بالفضائل، ويضيفها جمالاً وعظمة دخولها في قالب التفضيل والسبق.

وإنما قال: «ولد آدم» لأن التقوى هي زينة بني آدم بعد تركب

(١) أمالي الصدوق: ٥٠٣ ج ١ مجلس ٩٢، العمدة لابن البطريق: ٤٢، البحار ١٦:

٣١٦، كنز العمال ٢: ٤٤ ح ٣٠٥٠، كشف الغمة ١: ١٢.

العقل والشهوة فيهم، ولا تشمل الملائكة التي هي عقول مجردة تابعة لسنن الله وقوانين خلقته، ويبدو أنه أراد من «ولد آدم» هو آدم وولده، وليس ولده فقط.

٣٢. أجرأ الناس صدرأ

إذا لاحظنا رسوخ معتقدات الجاهلية، وتابعنا صلافة العرب في تقديم معتقداتهم ونواميسهم، وشدة تمسكهم بها، ودفاعهم عنها، ودرسنا مدى ثباتهم على آرائهم وأقوالهم وشيمهم ورسومهم ومفاخرهم وموارد اعتزازهم، فإننا سنقف على مدى صعوبة التفوه بما يعارض بعض تلك المعتقدات والمفاخر والشيم والرسوم أدنى معارضة، وأنه يحتاج إلى جرأة عظيمة.

وبذلك نعلم أن تغيير كل تلك المعتقدات والعادات والرسوم، والوقوف أمام التيار الجاري آنذاك يحتاج إلى قدرة عظيمة جداً، ولا شك أن الذي يقوم بهذه المهمة هو أجرأ الناس صدرأ.

فإن الملاحظ أن تغيير سنة واحدة في أمة يُعدّ مستحيلاً، فكيف بتغيير جميع السنن والقوانين والقواعد من قبيل شخص واحد، خصوصاً إذا كانت تلك الأمة متمسكة بعقائدها وسننها، ومحافظة عليها؟!!

ولذا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هو خاتم النبيين، أجرأ الناس صدرأ، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم بذمة، وألينهم عريكة»^(١).

(١) تاريخ بغداد ١١ : ٣١، كنز العمال ٧ : ٢١٤، وفي البحار ١٦ : ٢٣١ عن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدرأ».

وإنما قال أجراً الناس صدراً، فلأن جرأة الإنسان وصرامته في قلبه، فكنى عن القلب بالصدر، وهو شائع.

والذي يدلُّ على ذلك ما جاء في حديث وهب بن منبه: أن الله تعالى جعل عقل الإنسان في دماغه، وسره في طينته، وغضبه في كبده، وصرامته في قلبه ورغبته في ريته، وضحكه في طحاله، وفرحه في حزنه، وكرهه في وجهه^(١).

وظني أنه لا يريد من ذلك القول بيان شجاعة رسول الله ﷺ في الحرب، وإنما أراد جرأته على بيان الحق، وتغيير مجتمع رذيل إلى مجتمع شريف، وإلا فشجاعته في الحروب والمواقف الحازمة معروفة.

خصوصاً بعد قول علي عليه السلام: «كنا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله، ولم يكن منا أحد أقرب إلى العدو منه»^(٢)، وعليّ القائل لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت.

وكذا يستفاد ذلك من القصة الواردة في عنوان ابن العواتك المار.

٣٣. أجود المستمطرين بيمة

الديمة المطر الدائم الذي ليس فيه رعد وبرق، وأقله ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل كما في اللغة^(٣).

وهذا المعنى يقوي احتمال المفعولية في المستمطر، فيكون المراد به المطلوب منه المطر، والمطر كناية عن العطاء.

(١) علل الشرائع ١: ١١٠.

(٢) كشف الغمة ١: ٩.

(٣) انظر الصحاح ٥: ١٩٢٤، لسان العرب ١٢: ٢١٩.

فيكون معنى هذه الصفة المنعوت بها ﷺ: أنه أجود من طلب منه العطاء الدائم الكثير.

ولا يبعد أيضاً احتمال البناء للفاعل وإرادة الجودة من الجود، فيكون أفضل من طلب المطر واستسقى في استجابة دعائه، وترتب الأثر عليه. ولكن الأول أبلغ.

وقد سئلت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ وعبادته، فقالت: «كان عمله ديمة».

قال في لسان العرب بعد نقل الحديث: الديمة المطر الدائم في سكون، شبهت عمله في دوامه مع الاقتصاد بديممة المطر الدائم^(١).

وقد وردت هذه الصفة في كلام لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «بعث الله محمداً شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البرية طفلاً، وأنجبها كهلاً، أظهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة»^(٢).

وفي كتاب المزار للمشهدي: اللهم صل على نبيك المصطفى عين البرية طفلاً، وخيرها شاباً وكهلاً، أظهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة^(٣).

٣٤. أجود الناس

كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير من الريح الهابة، يعطي فلا يبخل، ويمنح فلا يمنع، وهذا ما اتفقت عليه أخبار المسلمين^(٤).

(١) لسان العرب ١٢: ٢١٩.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٠٠، البحار ١٦: ٢٨٤، المعيار والموازنة للأسكافي: ٢٧٣.

(٣) المزار للمشهدي: ٧٧.

(٤) صحيح مسلم ٧: ٧٣ ح ٢٣٠٨، سنن النسائي ٤: ١٢٥، مسند أحمد ١: ٢٨٨، ٣٦٣، الوسائل ٧: ٢٥٥ ب ٣٠ أبواب أحكام شهر رمضان، وج ٥: ١١٣ ب ١٢ أبواب صلاة العيد، فقه السنة ١: ٤٥٩ عن البخاري، حلية الأبرار ١: ٢٩٥.

وروي عن أمير المؤمنين ؓ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفاً»^(١).

وعن ابن عمر: ما رأيت أحداً أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوضأ من رسول الله ﷺ^(٢).

وعن جابر قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط قال: لا^(٣).

وعن ابن عباس: لم يكن يسأل شيئاً قط إلا قال: نعم^(٤).

وعن عمر: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ، فإذا جاءنا شيء قضيناها».

قال عمر، فقلت: يا رسول الله ما كلّفك الله مالا تقدر عليه، قال: فكره النبي ﷺ فقال الرجل: أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، قال: فتبسّم النبي ﷺ وعُرف السرور في وجهه^(٥).

وقصص جوده وكرمه كثيرة جداً :

ومنها: ما روي بسند معتبر عن الصادق ؓ، قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلي ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهماً، فقال:

(١) مكارم الأخلاق: ١٦.

(٢) الرسالة السعدية: ٧٨، مكارم الأخلاق: ١٨، بحار الأنوار ١٦: ٢٣١، سنن الدارمي ١: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ١٦: ٢٣١، مسند أحمد ٣: ٣٠٧، صحيح مسلم ٧: ٧٤، فتح الباري ١: ٣٠، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٣٨، مسند الحميدي ٢: ٥١٦، المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٧: ٤٤٦، الشرائع المحمّدية: ٢٩٢.

(٤) مكارم الأخلاق: ١٨، بحار الأنوار ١٦: ٢٣٢، السنن الكبرى ٧: ١٤٠، شرح مسلم ١٦: ٦٣، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: ٥٢، تاريخ مدينة دمشق ٢٣: ٤٦٠.

(٥) مكارم الأخلاق: ١٨، بحار الأنوار ١٦: ٢٣٢، الشرائع المحمّدية: ٢٩٤، كتاب العرش لابن أبي شيبة: ٨٤، تفسير القرطبي ١: ٢٥٣، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١: ١١٣.

يا علي خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه.

قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فنظر إليه، فقال: يا علي غير هذا أحب إلي، أترى صاحبه يقلبنا؟

فقلت: لا أدري، فقال: انظر.

فجئت إلى صاحبه، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كره هذا يريد ثوباً دونه، فأقلنا فيه، فردّ عليّ الدراهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فمشى معي إلى السوق ليبتاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما شأنك؟

قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت، فلا أجسر أن أرجع إليهم.

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السوق فاشتري قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق، فاشتري بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر، فلبسه وحمد الله، ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق!

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: مالك لا تأتين أهلك؟

قالت: يا رسول الله إنني قد أبطأت عليهم، وأخاف أن

يضر بوني.

فقال رسول الله ﷺ: مَرِّي بين يديّ، ودليني على أهلك، فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال لهم: مالكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟

قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه.

فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها.

فقالوا: هي حرة لممشاك.

فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهما أعظم بركة من هذه كسي الله عربانيين وأعتق بها نسمة^(١).

وقيل: إنه كان لا يبيت وعنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وجاءه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يفرغ منه، وما سأل أحد شيئاً إلا أعطاه، وكل من سأل شيئاً على الإسلام أعطاه، وإن رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: اسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى العقاب^(٢).

ولما كانت هذه الصفة مطلقة فهي لا تقتصر على الجود بالمال، وتشمل غيره حتى يبلغ الجود بالنفس، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أجود الناس من جاد بنفسه، وأبخل الناس من بخل بالسلام»^(٣).

(١) الخصال: ٤٩٠ - ٤٩١ ح ٦٩، أمالي الصدوق: ٣٠٩ - ٣١١ ح ٥، البحار ١٦: ٢١٤ ح ١.

(٢) كشف الغطاء ٢: ٣٨٧، صحيح مسلم ٧: ٧٤.

(٣) دعائم الإسلام ١: ٣٤٣، شرح الأخبار ٢: ٢١٩، بحار الأنوار ٩٧: ٥٠ ح ٢٦.

ولقد كان رسول الله ﷺ يجود بنفسه في سبيل الله، ولقد فرغ أهل المدينة فانطلقوا قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ قد سبقهم وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج وفي عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»^(١).

٣٥. أجود الناس كفاً

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفاً»^(٢).

والتقييد بالكف كناية عن الجود بالمال، وقد تقدّم الكلام في جوده على الإطلاق، ومنه الجود بالمال فراجع.

٣٦. أحب أنبياء الله إليه

ومن صفاته ﷺ أنه أحب الخلق إلى الله تعالى، ومنهم أنبيأؤه، فهو أحب الأنبياء إليه.

والمعلوم أن حبّ الله تعالى للعبد ليس حصيلة لقاء أو صدفة، ولا محكوم بعواطف واضطراب، وإنما هو انتخاب، واصطفاء بعد ملاحظة جميع جوانب الحسن والكمال والصدق والطيب، التي يبلغها المحبوب عن إرادة واختيار أو غير اختيار، والأوّل أبلغ وأولى بالحب، خصوصاً بعد ملاحظة عدم حاجة الله إلى شيء وغناه المطلق، فلا يكون حبه لشيء لحاجته إليه، حتى لا يهمله أنه عن اختيار أو غير اختيار.

(١) مكارم الأخلاق: ١١٥، صحيح البخاري ٣: ٢٢٨ وج ٤: ٢٧، صحيح مسلم ٧: ٧٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ١٧، نظم درر السمطين: ٥٦، البحار ١٦: ٢٣١، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٤٥.

فلا بد أن يكون بلوغ تلك المراتب عن اختيار وإعمال قدرة، بعدما كان قادراً على طرفي الخير والشر، واختيار القبيح والحسن، والحسن والأحسن، والكامل والأكمل، فيختار من بينها أحسنها وأكملها وأجملها، ليتأهل للحب والأحبة من بين الأنبياء والخلق.

ولا يخرج حب الله تعالى لعبده أو خلقه عن دائرة علمه بحسنه وجماله وجمال صفاته وزكاة أعماله.

ويكون معنى قولنا أحب الأنبياء إلى الله، هو كونه ﷺ في علم الله تعالى أحسن صورةً وأجمل صفاتاً وأخلص عملاً، وتوافر جميع جوانب الحسن والجمال الموجبة للحب والقرب في وجوده الشريف.

وقد جاء هذا التعبير في خطبة لأبي عبد الله عليه السلام يذكر فيها حال النبي ﷺ والأئمة وصفاتهم وكان فيما قال: «فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله ﷺ في حومة العز مولده، وفي دومة الكرم محتده»^(١).

وهذا يعكس مدى حب الله تعالى لخلقه، إذ كلف أحب الأنبياء وأحب الخلق إليه كل تلك المصاعب والشدائد من أجل إنقاذهم من الجهل والضلال، والأخذ بأيديهم إلى شاطئ الأمن وساحل الرضوان.

٣٧. أحب خلق الله إليه

مرّ بعض الكلام في وجه الحب، ويبقى الكلام في من جاء في كلامه هذا النعت، ونطق بهذا الوصف، ويبدو أنه جبرائيل عليه السلام لما أراد رسول الله ﷺ أن يركب البراق، مرّح البراق فقال جبرئيل:

(١) الكافي ١: ٤٤٤، البحار ١٦: ٣٦٩، شرح أصول الكافي للمازندراني ٧: ١٦٠.

«اسكن، فإنما يركبك خير البشر، أحب خلق الله إليه»^(١).

ومَرَح البراق هو امتناعه وصعوبة ركوبه، باعتبار أنه من الخلق المتطور يحتاج ركوبه إلى معرفة وممارسة، ولكن جبرائيل ذلّل هذا البراق لرسول الله ﷺ بكلمات، ومنها نعته بأنه أحب خلق الله إليه.

وأما حقيقة كلام جبرائيل وما تأثيره وما حدث يومها مما لا نعرفه ولا نأمل أن نعرفه، فإن كل تلك المعاني في الأسرار.

٣٨. أحسن الخلائق

الخلائق جمع الخلق والخليقة، والخليقة: الطبيعة والخلق، والخلق: يأتي بمعنى الناس، وبمعنى المخلوق^(٢).

فقد عدّ البعض من خواص رسول الله ﷺ أنه كان أحسن الخلائق^(٣)، فإذا كان الخلائق بمعنى الناس فهو أحسن الناس، والحسن المراد هو جميع جهات الحسن التي يمكن تصوّرها للناس من الصفات الظاهرة والباطنة وعلى اختلاف أصنافهم ومهاراتهم وما يحسنون، فإذا قيس مع الأطباء فهو أحسن طبيب، وإذا قيس مع الفصحاء فهو أفصحهم، وإذا قيس بالنسبة إلى القواد والساسة فهو أحسنهم وأسوسهم، وإذا قيس إلى علماء الاجتماع فهو أحسنهم، وإذا لوحظت أخلاق الناس فهو أحسنهم أخلاقاً، وهكذا.

وأما إذا كان المراد من الخلق هو المخلوق، فيكون أحسن المخلوقات فهو يدخل في الأسرار الإلهية؛ لعدم الإحاطة بجهات

(١) الخرائج والجرائح ١: ٨٤ ح ١٣٨، البحار ١٨: ٣٧٨ ح ٨٤.

(٢) انظر لسان العرب ٤: ١٩٣ طبع دار إحياء التراث.

(٣) المناقب ١: ١٩٥، البحار ١٦: ٣٣٤.

الحسن الموجودة في جميع المخلوقات وكيفية توقّر الحد الأعلى منها في الرسول، فهو يحتاج إلى إحاطة واسعة وبحوث وافية قد تبلغ المجلدات.

٣٩. أحسن من مشى

جاء هذا التعبير في كلام سطيح الكاهن، الذي أخبر بقرب ظهور الرسول ﷺ فقال في صفاته ﷺ: بين كتفيه علامة، على رأسه عمامة. وإذا تبسّم أشرفت الأرض بالضياء، أحسن من مشى^(١).

والتعبير بـ «من مشى» كناية عن الناس من أولهم إلى آخرهم، والمراد من مشى في السابق ويمشي فيما بعد، وهذا شائع في استعمال العرب.

ولا يشمل الحيوانات بقريئة «من» التي يغلب استعمالها في ذوي الشعور.

ولا بأس بالإشارة هنا إلى كيفية مشيه ﷺ فقد أطبق واصفوه على أنه كان يمشي متكفأ كأنما ينحط من صبيب، والصبب هو الانحدار، ومع ذلك يمشي هوناً بلا استعجال، ذريع المشية أي بتريث^(٢).

٤٠. أحسن الناس

تقدم الكلام عنه في «أحسن الخلائق»، ويبقى الكلام فيمن نعت رسول الله ﷺ بهذا النعت، ووصفه بهذا الوصف.

ويبدو أنه جاء في كلام أنس وهو يصف رسول الله ﷺ قال:

(١) البحار ١٥ : ٣٠٧.

(٢) انظر البحار ١٦ : ١٤٩ ح ٤.

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس^(١).
وفضّل في مورد آخر فقال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس
قواماً، وأحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس لوناً، وأطيب الناس
ريحاً^(٢).

وكذا جاء في كلام البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ
أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً^(٣).

ونفهم من خلال هذا الكلام أنّ جهات الحُسن التي هي مدّ نظر
المستعمل لكلمة «الحسن» هي جمال الوجه، وصفاء اللون، وقوام
البدن، والخُلُق أو الخَلق بمعنى تناسق أعضاء البدن. وإن كانت كلمة
الحسن على الإطلاق تشمل كل جهات الحسن من الصفات الظاهرية
والباطنية والفنون والمهارات.

٤١. أحسن الناس خُلُقاً

إن الكلام في أخلاق الرسول المصطفى ﷺ ليس فيه نهاية ولا
بداية، ولكن لا نترك الإشارة إلى بعضها ككثرة الحلم، وسعة الصدر،
وتواضع النفس، والعفو عن المسيء، ورحمة الفقراء، وإعانة
الضعفاء، وتحمل المشاق، وجمع مكارم الأخلاق، والزهد في الدنيا
مع إقبالها عليه، وصدوده عنها مع توجيهها إليه، وله النصيب الأكبر من
السماحة، والحظ الأوفر من الشجاعة. وكان يطوي نهاره من الجوع،
ويشدّ حجر المجاعة، ويجيب الدعوة، وكان بين الناس كأحدهم.

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٧، مكارم الأخلاق: ١٩، البحار ١٦ : ٢٣٢، مسند أحمد
٣ : ٢٧١.

(٢) كنز العمال ٧ : ١٧٠ ح ١٨٥٥٥، تاريخ مدينة دمشق ٣ : ٢٧٨، سبل الهدى
والرشاد ٢ : ٨٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٦ : ٤٠، تفسير ابن كثير ٤ : ٤٢٩.

هذه كليات محاسن أخلاقه، ونشير إلى بعض الجزئيات، فقد ذكروا أنه ﷺ ما صافح أحداً قط فتنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، وما فاضه أحد قط في حاجة أو حديث فأنصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وما نازعه الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت، وما رؤي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط، وما عرض له أمران إلا أخذ بأشدهما، وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى تنتهك محارم الله فيكون حينئذ غضبه الله تبارك وتعالى، وما أكل متكناً قط حتى فارق الدنيا، وما سئل شيئاً قط فقال لا، وما ردّ سائل حاجة إلا بها أو بميسور من القول، وكان أخف الناس صلاة في تمام، وكان أقصر الناس خطبة وأقله هذراً، وكان يعرف بالريح الطيب إذا أقبل، وكان إذا أكل مع القوم كان أول من يبدأ وآخر من يرفع يده، وكان إذا أكل مما يليه، وإذا شرب شرب ثلاثة أنفاس، ويمص الماء مضاً ولا يعبه عباً.

وكان إذ دعا دعا ثلاثاً، وإذا تكلم تكلم وترأ، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً، وكان كلامه فصلاً يتبينه كل أحد، ولا يكلم أحداً بشيء يكرهه، نظره اللحظ بعينه، وإذا مشى ينحط من صعب، وهو يقول: خياركم أحسنكم أخلاقاً، وخيركم خيركم لئسائه وأنا خيركم لئسائي^(١) ويستمر هذا الحديث حتى يبلغ عجباً، ويتعجب منه من لا يعجب، فيقول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾^(٢).

ومن ناحية أخرى؛ فإن ملاحظة أخلاق من يحيط به وأخلاق قومه ومن يتصل به من الأعراب مهمة، فإن العرب آنذاك يسود فيهم

(١) مجمع الزوائد ٨: ٢٥، مكارم الأخلاق: ٢٣، مشكاة الأنوار: ٣١٦.

(٢) القلم: ٥.

التجبر والتكبر، والقسوة والشدة، والجهل والسفاهة، ومن حوله من هو فظ غليظ القلب سريع إلى الشر، ومن هو رئيس متجبر، وجاهل متحجّر، وسفيه يناديه من وراء الحجرات، وسائل يقول اعطني فإنك لا تعطي من مالك ولا مال أبيك، فيقول ﷺ: «المال مال الله، وأنا عبد الله»^(١). هذه لمحة مما كان يجري حوله ﷺ، واحتمال كل ذلك ورعاية اسمى الأخلاق يحتاج إلى مرتبة جليلة ولا ريب أن صاحبها أحسن الناس خلقاً. قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَ مِنَّا اللَّهُ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُم مِّنْ حَافِظٍ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ لَيُدْعَا بِأَسْمَائِكُمْ لِكُلِّ قَوْمٍ﴾^(٢).

وبهذا صار من الواضح أن رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، على أن التعبير بهذا الاسم والصفة جاء في كلام جماعة كانس^(٣) وعائشة^(٤) وغيرهما.

٤٢. أحسن الناس خلقاً

لاشك أن هيئة حامل الرسالة تعطي انطباعاً عن المرسل، وكلما كان الرسول أكمل خلقاً وأحسن هيئة فهو يعكس كمال المرسل، كما ويمكنك أن تحدد من هيئة الرسول حال مرسله من الغنى والفقير والشرف والرفعة، فلا يكون الشريف رسول الوضيع، وكذا العكس، أي كلما كان المرسل أشرف كان الرسول أكمل.

وبهذا تعرف بوضوح أن من يرسله الله جل وعلا ينبغي أن يكون أكمل وأحسن الناس خلقاً. ولو كان الرسول ناقص الخلقة أو كباقي الناس لم يصدقه أحد، ويقال له: لو كنت مقرباً إلى الله ما جعلك

(١) مكارم الأخلاق: ١٧. (٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) صحيح مسلم ٧: ٧٤، المصنف لابن أبي شيبة ٦: ٩٠.

(٤) الدر المنثور ٦: ٢٥٠، مسند أحمد ٦: ٢٣٦، المصنف لابن أبي شيبة ٦: ٨٩.

بهذه الصفة، ولاكتسبت من نوره وجماله قسماً.

وليس أعني من كمال الخلقة هو الجمال النسوي، فإن جمال الرجال شيء وجمال النساء شيء آخر، لأن جمال النساء يبتني على النعومة والظرافة والجذابية المرادة للشم والتقبيل. وجمال الرجل تامة خلقتة، وتناسق أعضائه، ونور وجهه، واعتدال قامته، وقوة ما به الفرق عن النساء، فقد كان رسول الله ﷺ أطول من الربعة، وأقصر من الطويل الفاحش، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أزهر منور اللون، أبيض مشرب بحمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، سهل الخدين، كث اللحية، شثن الأطراف، كأن الذهب أفرغ على برائه، عظيم مشاشة المنكبين، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله، سربته سائلة من لبته إلى سرتة كأنها وسط الفضة المصفاة، وكان عنقه على كاهله إبريق فضة، ولم ير مثل نبي الله ﷺ قبله ولا بعده. وهذا أخصر ما ورد في وصفه، ومن شاء التفصيل فليراجع^(١).

على أن التعبير بأنه ﷺ أحسن الناس خلقاً جاء في كلام بعض أصحابه، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قط ولا عنبراً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ^(٢).

٤٣. أحسن الناس صوتاً بالقرآن

ما كان الله ﷻ ليخلق رسوله المصطفى جهوري الصوت يتنقر منه

(١) البحار ١٦ : ١٨٠ وأزهر اللون: الأبيض المستنير، وأدعج العينين: شديد سواد العين وبياضها، وشثن الأطراف: لين اليدين والرجلين، والمشاش رؤوس العظام، والاسترسال: الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان، والسرية شعر وسط الصدر إلى البطن.

(٢) شرح مسند أبي حنيفة: ٢٨٧، سنن الترمذي ٣ : ٢٤٨ - ٢٤٩ ح ٢٠٨٤.

من يسمعه، بل أراد له الكمال من كل جانب، فجعل صوته عذباً وجذاباً، بحيث كان المشركون على الرغم من عداوتهم له ينصتون إلى قراءته للقرآن، فتسحرهم وتدهشهم حتى روي أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل وجماعة منهم كانوا يستمعون إلى قراءته.

ففي تفسير العياشي عن زيد بن علي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فذكر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «تدري ما نزل في بسم الله الرحمن الرحيم؟» فقلت: لا.

فقال: «إن رسول الله كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يصلي بفناء الكعبة يرفع صوته، وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وجماعة منهم يستمعون قراءته قال: وكان يكثر ترداد بسم الله الرحمن الرحيم فيرفع بها صوته، فيقولون: إن محمداً ليردد اسم ربه ترداداً، فيأمرون من يقوم فيستمع عليه، ويقولون: إذا جاز بسم الله الرحمن الرحيم فأعلمنا حتى نقوم فنستمع قراءته، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ - بَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - وَلَوْ عَلَيَّ آذَانُهُمْ نَفُورًا﴾ (١) (٢).

وفي خبر آخر: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فإذا قام من الليل يصلي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته، فإذا قال بسم الله الرحمن الرحيم وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا، فإذا فرغ من ذلك جاؤوا فاستمعوا» (٣) الخبر.

(١) الإسراء: ٤٦.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٩٥ ح ٨٥، البحار ٨٢: ٧٣ ح ٣، مستدرک الوسائل ٤: ١٨٤ ح ٤٤٤٣.

(٣) تفسير فوات الكوفي: ٨٥، مستدرک الوسائل ٤: ١٨٥ ح ٤٤٤٦.

٤٤. أحسن الناس وجهاً

لا غرو أن أول ما ينسب إلى الذهن من كلمة الحسن هو جمال الوجه كما أشرنا إليه سابقاً. كما أن المؤلف في حسن الوجه هو تناسق قسماته وصفاء لونه، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن وجهه حسناً بهذا المعنى فقط، بل به وبنوره الساطع، حتى روي أنه إذا روي في الليلة الظلماء روي له نور كأنه شقة قمر^(١).

وفي خبر آخر عن هند بن أبي هالة وكان وصافاً للنبي ﷺ قال: كان فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر^(٢).

ومع ذلك فقد قيل لعلي ﷺ صف لنا نبينا ﷺ كأننا نراه، فإنا مشتاقون إليه، فقال: «كان نبي الله ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة، دقيق المسربة، كأنما عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب - إلى أن قال - وكان في الوجه تدوير»^(٣).

٤٥. أحمد

عاش الرسول المصطفى ﷺ مدة غير يسيرة بين المسلمين، يتقلب في أزقتهم وأسواقهم، ويدخل بيوتهم، ويصلي بهم ويحدثهم ويسافر معهم ويفزو ويحج، ولم يفتر عن تعليمهم ونصحهم وتأديبهم وإخبارهم بأسرار الكون وشتى العلوم، ولكن مع كل ذلك لم يعرفوه بحقيقته، بل لم يتعرفوا سوى على طرفٍ منها، وذلك من دون استقصاء واستيعاب.

(١) الكافي ١: ٤٤٦ ح ٢٠، مكارم الأخلاق: ٢٣ - ٢٤، البحار ١٦: ١٩٠ و ٢٣٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٨٢ ح ١، البحار ١٦: ١٤٨ ح ٤، مناقب أمير المؤمنين ﷺ ١: ١٧، مكارم الأخلاق: ١١.

(٣) أمالي الطوسي: ٣٤١، البحار ١٦: ١٤٧ ح ٣.

حيث إنه ﷺ الحبل الممدود بين الخالق وخلقه، والواسطة بينهما، وما شاهدوا وما عرفوا سوى الطرف الذي يليهم، وأما الطرف المتصل باللامتناهي لم تدركه عقولهم، وليس لهم أن يدركوه.

فإن أهل الأرض وإن عرفوه ببعض صفاته وأثنوا عليه بما شاهدوه من أعماله ومكلامه وأخذوا يحمده على فعاله، ولكنه لما كان أهل السماء أكثر وقوفاً على حقيقته وأقرب إلى الطرف المنتزه الخفي، فهم أعرف بحقائقه، ويشنون عليه أكثر مما يثنى عليه في الأرض، فهو في السماء أحمد منه في الأرض.

ولما سأله ﷺ بعض اليهود: لم سميت محمداً وأحمداً؟ قال: «أما محمد؛ فإنني في الأرض محمود، وأما أحمد؛ فإنني في السماء أحمد منه في الأرض»^(١).

فإن معنى «أحمد» هو أكثر حمداً، ومعنى الحمد بالدقة هو الثناء مع التعجب والتعظيم للممدوح وخضوع المادح، ويكون في مقابلة إحسان يصل إلى الحامد^(٢)، فهو في السماء أكثر حمداً، ويثنى عليه أكثر مما يثنى عليه في الأرض.

بينما يحتمل البعض أن تسميته بأحمد باعتبار أن النبي ﷺ أكثر حمداً لله تعالى من جميع الخلق.

ومهما يكن من أمر فإن الله ﷻ هو الذي سماه بـ «أحمد»، وجعل ذلك اسمه في السماء وفي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَؤُا إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٣).

(١) تفسير القمي ٢: ٣٦٥، البحار ١٦: ٩٦ ح ٣٣.

(٢) انظر المصباح المنير: ٥٧ «حمد».

(٣) الصف: ٦.

وقال في كشف الغمة: من أسمائه ﷺ أحمد، وقد نطق به القرآن أيضاً، واشتقاقه من الحمد، كأحمر من الحمرة، ويجوز أن يكون نعتاً في الحمد، قال ابن عباس: اسمه في التوراة أحمد الضحوك^(١).

وقيل: هو في الإنجيل طاب طاب، أي أحمد^(٢).

وذكر وهب بن منبه قصة داود النبي وما أوحى إليه في الزبور، ومنه: يا داود إنه ليأتي من بعدك نبي يسمى أحمد^(٣).

٤٦. أحمد في الأمم المتقدمين

تقدّم أن المراد بـ «أحمد» هو أكثر حمداً ومدحاً، فالعنوان الحالي أنه ﷺ أكثر حمداً في الأمم المتقدمين.

ويمكن إيعاز ذلك إلى أحد أمرين:

الأول: هو شدة إيمان السابقين واعتقادهم بالله تعالى والنبیین بمقتضى قوله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾^(٤)، وكذا شدة اهتمامهم بالأنبياء ﷺ، خاصة ذاك الذي مجّدت به الرسل وأخبروا به أممهم، وبشروا بظهوره، وآمنوا به ونصروه، وتوسلوا باسمه في الشدائد، فتلك الأمم أكثر تمجيداً له وأكثر حمداً.

الثاني: سنة البشر في تمجيد المنظور من بعيد، وما لم يدركوه ولم يصلوا إليه، أو ينتظرون قدومه في يوم من الأيام، ويحرصون على

(١) كشف الغمة ١: ٧، البحار ١٦: ١١٤ ح ٤٤.

(٢) المناقب ١: ١٣٢، البحار ١٦: ١٠٣ ح ٤٠.

(٣) البداية والنهاية ٦: ٦٢، مستدرک الحاكم ٢: ٤٠٨.

(٤) الواقعة: ١٣ - ١٣، والثلة: جماعة من الناس كثيرة - ترتيب كتاب العين ١:

ذلك، حتى إذا جاء زهدوا فيه، وهو مشهود معهود وله أمثلة كثيرة وأدلة من القرآن وغيره ويحتمل إرادة كليهما.

ومهما يكن من ذلك فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أحمد في الأولين، وفي صحف الماضين، وفي الأمم المتقدمين»^(١).

٤٧. أحمد في الأولين

لعل المراد بالأولين هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ لَمَّا قَضَىٰ إِلَيْنَا أَمْرَهُمْ بَعَثْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا قَدْ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ فيكون بمعنى الأمم المتقدمين المار.

ويحتمل أن يراد بهم الأولون من هذه الأمة ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُوقَفُونَ الْمَتَابِعَ الْبَيْنَ وَالْأُولَٰئِكَ الْأُولُونَ﴾ باعتبار مشاهدتهم ما يبهر العقول من معجز النبي ﷺ وكراماته، فهم أكثر حمداً له، وأشد ثناءً عليه، وبهذا يكون الرسول ﷺ الأحمد في الأولين. ولكن سياق الرواية التي ورد فيها هذا العنوان يؤيد الاحتمال الأول، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أحمد في الأولين، وفي صحف الماضين، وفي الأمم المتقدمين، وفي القرون السالفة»^(٢).

٤٨. الأحمد من الأوصاف

ورد في بعض زيارات الرسول ﷺ نعته بأنه ﷺ: «الأحمد من الأوصاف، المحمّد لسائر الأشراف»^(٣).

ومرّ الكلام في أحمد، فهو بمعنى أكثر حمداً، والحمد هو الثناء

(١) نهج الإيمان: ٤١٧.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٧.

(٤) إقبال الأعمال ٣: ١٢٤، المزار للشهيد الأوّل: ١١، البحار ٩٧: ١٨٤.

ومدح الفعال والصفات، وإنما سمي أحمد لأنه في السماء أحمد منه في الأرض.

وفي هذا الاسم لوحظ جانب آخر من الأحمدية، وهي الأحمدية من الأوصاف، بمعنى أن أوصافه الحقيقية أحمد مما يوصف به ويعرف به، وهو في الحقيقة أكثر حمداً وأعظم مجداً، كما يقال في معنى التكبير هو أن الله تعالى أكبر من أن يوصف.

وبينا أن حقيقة النبي ﷺ لا تحيط بها العقول، فهو أحمد مما يصفه الواصفون، وأكثر ثناءً وعظمة مما يثني عليه الثائون، أي أكثر استحقاقاً مما يصفون.

ويحتمل أن يكون معنى الأحمد من الأوصاف، هو اجتماع أحمد الصفات وأفضلها فيه وإن كان الظاهر هو المعنى الأول.

٤٩. الأحور الطرف

والطرف العين، والاحور اشتداد بياض العين، واشتداد سوادها، فصاحبها أحور، وقيل: اسوداد المقلة كلها كعيون الأطباء^(١).

وقد ورد في بعض الزيارات: السلام عليك يا ذا الوجه الأقرم، والجبين الأزهر والطرف الأحور^(٢).

ويعود نعتة بذلك إلى هواتف الغيب، فقد ورد فيمن سمع قائلاً يقول عند ظهور النبي ﷺ: ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمداً بالحبور، صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والمحاجب الأقرم، والطرف الأحور، إلى آخره^(٣).

(١) انظر المصباح المنير: ٦٠.

(٢) المزار للمشهدي: ٥٩، بحار الأنوار ٩٧: ١٧٤ ح ٤٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٢٩٤، عيون الأثر ١: ٩٨.

٥٠. أحور المقلتين

جاء في كتاب الأنوار في صفات النبي ﷺ أنه: أحور المقلتين، والمقلة العين^(١).

٥١. أحيّد

أشرقت شمس الرسول الوضاعة في ربوع الجزيرة العربية المظلمة بالشرك، وعبادة الأصنام، وهو ظلم عظيم وجهل وسفاهة، والحال أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به.

فالشرك جزاؤه جهنم، على أنها نار سقرها جبارها بغضبه، ليخلد فيها كل من أشرك به واتخذ إلهاً سواه.

وجاء الرسول ﷺ يحمل لواء التوحيد، وعبادة الله الواحد، ونفي الشرك، فهدى الناس إلى ذلك، وبيّن لهم خطأهم، وحذّرهم مما سيصيبهم من العذاب، والخطر الذي ألمّ بهم، فاهتدت الأمة بهديه، وتحذّرت مما حذرها، ونجت من العذاب المحتوم، بشهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ﷺ.

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»^(٢).

وبذلك يكون الرسول المصطفى ﷺ قد استنقذ الأمة من النار، وحاد جهنم عنهم وحادهم عنها على أنه أول مهامه وأهمها، بحيث عرف هذا الفضل له من السابق، حتى جاء اسمه في التوراة أحيّد، وروي أنه قال: «إنما سميت أحيّد لأنني أحيّد عن أمّتي نار جهنم»^(٣).

(١) البحار ١٦ : ٢٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ١ : ١٤٤ ح ٤، أمالي الصدوق: ٣٠٦ ح ٨، روضة الواعظين: ٤٢، بحار الأنوار ٣ : ٧ ح ١٦.

(٣) تاريخ الخميس: ٢٠٦، كنز العمال ١ : ٢٠٤، بحار الأنوار ١٦ : ٩٣.

وورد في أخبار أخرى عنه ﷺ أنه قال: «وجعل اسمي في التوراة أحيّد، فبالتوحيد حرّم أجساد أمّتي على النار»^(١).

وهو لا يبعد عن ذلك المعنى، فإن التوحيد مما هداهم إليه رسول الله ﷺ، وبه حرّمت أجسادهم على النار، فكان هو السبب في تحريم أجسادهم عليها، وبالتوحيد حاد جهنم عنهم.

بقي أنه لماذا قال ﷺ: «أحيّد عنهم»، ولم يقل أحيدهم عنها، فلعل الوجه فيه أن الورد في النار أمر حتمي، ومعنى أن يحيّد النار عنهم، يحيّد لهبها وأثرها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(٢).

وأما ضبط الاسم فهو أحيّد على وزن أحمد، وقيل: أحيّد مصغر أحد، من التوحيد^(٣).

٥٢. أخضر الشمط

قيل في صفاته ﷺ: إنه «أخضر الشمط»^(٤) والشمط هو شيب اللحية^(٥)، فكانت الشعرات التي شابت منه خضراء، من أثر الخضاب. وأنكر البعض اختضابه وقال: هو من أثر الطيب والدهن^(٦)، وليس بشيء.

فقد ورد في عدة روايات أنّ رسول الله ﷺ كان يختضب، ومنها

(١) علل الشرائع ١: ١٢٨، الخصال: ٤٢٥، البحار ٣: ٣ ح ٤.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) الخصال: ٤٢٥ ح ١.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٥، البحار ١٦: ١٨١، ١٨٣، الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٥١.

(٥) كتاب العين ٦: ٢٤٠.

(٦) لسان العرب ٤: ٢٤٤.

ما رواه في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «خضب النبي صلى الله عليه وآله، ولم يمنع علياً إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: تخضب هذه من هذه، وقد خضب الحسين وأبو جعفر عليهما السلام»^(١).

وروي عن الزبير بن العوام وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تُشَبِّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»^(٢). وبهذا تتم الحجة على من أنكّر استحباب الخضاب، وحمل الصبغ في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله على لون الطيب والدهن.

٥٣. أخف الناس صلاة في تمام

ولو رأيت تجار الصلوات، وبيّاعي مظاهر العبادات، لرأيت منهم عجباً، كوقفة في فضاء ملكوتي مع صمت وصبر جميل، يجزلون الألفاظ، ويقصّحون الكلمات، في كمال التأني والترث، مع عالم من المقدمات والتعقيبات على أنهم ليس لهم شغل سواه، ولا متجر مما عداه، ناسين أحوال الضعفاء من المأمومين، وذوي الأشغال والاستعجال، فينقرون الناس بحفظ ظاهر الصفات، وكأنه ما بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أخف الناس صلاة رحمة بالمأمومين، وما زال يوصي كل من بيعته إلى ناحية بتخفيف الصلاة، لكي لا ينفر الناس، ويعاتب من يطول صلاته على ذلك ويدعوه فتاناً^(٣).

وكان آخر ما أوصى به علياً أن قال له: «يا عليّ إذا صليت فصلّ صلاة أضعف من خلقك»^(٤).

(١) الكافي ٦: ٤٨١ ح ٨، الفقيه ١ - ٦٩: ٢٧٤ ح ٢٧٧، الوسائل ٢: ٨٢ ح ١٥٥٠ - ١٥٥٦.

(٢) الخصال: ٤٩٧ ح ٣، ٤، بحار الأنوار ٧٣: ٩٨ ح ٣، ٤.

(٣) الفقيه ١: ٢٥٥ ح ١١٥٣، الوسائل ٨: ٤٢٠ ح ١١٠٦٥.

(٤) التهذيب ٢: ٢٨٣ ح ١١٢٩، الفقيه ١: ١٨٤ ح ٨٧٠، الوسائل ٨: ٦٩ ح ١١٠٦٣.

وقال له من قبل حينما بعثه إلى اليمن: «صلّ بهم صلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً»^(١).

وصلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر فخفف الصلاة في الركعتين، فلما انصرف قال له الناس: يا رسول الله، أحدث في الصلاة شيء؟ قال: «ما ذاك؟» قال له الناس: خففت في الركعتين الأخيرتين! فقال لهم: «أو ما سمعتم صراخ الصبي؟!»^(٢).

فلما كانت أم الصبي على ما يبدو معهم في الصلاة والصبي بحاجة إليها، والأم تسمع بكاء ابنها فتحن إليه، أثار ذلك عطف رسول الله ﷺ، وهو العطوف على المؤمنين والرؤوف بهم، خفف الصلاة رحمة بهما، بل لم يحتمل هذا الوضع والحال رقة ورأفة.

ويؤيد ذلك ما أخرجه النسائي عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة فأسمع بكاء الصبي، فأوجز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»^(٣).

وروى الصدوق: «كان رسول الله ﷺ يسمع صوت الصبي - وهو يبكي - وهو في الصلاة فيخفف الصلاة أن تصير إليه أمه»^(٤).

٥٤. أخو الفتى

الفتى هو الشاب القوي، ولكن لا ينبغي أن يكون المراد هذا المعنى من قول رسول الله ﷺ: «أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى»

(١) نهج البلاغة ٣: ١٠٣، تحف العقول: ١٤٤، خصائص الأئمة: ١٢٢، بحار الأنوار ٧٤: ٣٦٠.

(٢) التهذيب ٣: ٢٧٤ ح ٧٩٦، الوسائل ٨: ٤١٩ ح ١١٠٦٢، وبمضمونه في سنن النسائي.

(٣) سنن النسائي ٢: ٩٥.

(٤) علل الشرائع: ٣٤٤ ح ١، الوسائل ٨: ٤٢١ ح ١١٠٦٨.

وإنما أراد القوة في الدين وظهور العجائب على يديه والسخاء والكرم كما جاء في بعض معاني الفتى، وهو السخي الكريم، وقد مر الكلام في ابن الفتى.

وبقى الكلام هنا في الأخ، ومن هو أخو رسول الله ﷺ المتصف بقوة الدين والإيمان والسخاء والكرم.

وهذا واضح، فإن النبي ﷺ ليس له سوى أخ واحد، وهو علي ابن أبي طالب ﷺ آخاه يوم آخى بين المسلمين، فقد روي عن ابن عمر قوله: لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه جاءه علي ﷺ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، قال: فسمعت النبي ﷺ يقول: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(١).

وفي خبر آخر أنه ﷺ قال: «والذي بعثني بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسي، أنت عندي بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي»^(٢).

وقال ابن إسحاق: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: تواخوا في الله أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي، فكان رسول الله ﷺ وعلي أخوين^(٣).

وأساس القصة أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فخرج إليه في رداء ممشوق، فقال: يا محمد خرجت كأنك فتى! فقال ﷺ: «نعم يا أعرابي أنا الفتى، وابن الفتى، وأخو الفتى».

(١) البداية والنهاية ٧: ٣٧١، العمدة لابن البطريق: ١٧٢، مسند أبي يعلى ٤:

٢٦٦، أنساب الأشراف: ١٤٣، الجوهرة: ٦٤.

(٢) نظم درر السمطين: ٠٩٤، كثر العمال ١١: ٦٠٨، وج ١٣: ١٤٠.

(٣) تاريخ ابن كثير ٧: ٣٣٥، أسنى المطالب: ٩، البداية والنهاية ٣: ٢٧٧، يتابع

المودة ١: ١٧٨.

فقال: يا محمد أما الفتى فنعم، وكيف ابن الفتى وأخو الفتى؟!
 فقال: «أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
 إِبْرَاهِيمُ﴾ وأما أخو الفتى، فَإِنَّ منادياً نادى من السماء يوم أحد:
 لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي، فعلي أخي وأنا
 أخوه»^(١).

٥٥. أدعج العين

روي في صفاته أنه أدعج العين^(٢)، وهذه الصفة صفة عيونه،
 فهي الأخرى كانت كاملة وجميلة كسائر صفاته ونعوته.
 والدعج والدعجة: السواد في العين، والمراد أن سواد عينيه
 كان شديد السواد مع سعته، وقيل: الدعج شدة سواد العين في شدة
 بياضها^(٣)، وقد تقدّم في الأحرار ثبوت الوصف الأخير لعينيه.

٥٦. أديب الله

حينما ينسب شيء إلى الله سبحانه وتعالى، فهو يعني دخول
 عوامل كثيرة وعلل غير محصورة ولا متصورة في حصول ذلك الشيء،
 وتوقفه على مقدمات كثيرة جداً، وتوفر ظروف خاصة.
 فما روي من قول رسول الله ﷺ: «أنا أديب الله»^(٤) يريد بذلك

(١) روضة الواعظين: ٤٧٥، معاني الأخبار: ١١٩، أمالي الصدوق: ١٧٧، البحار
 ٤٢: ٦٥ ح ٦، والآية: ٦٠ من سورة الأنبياء.

(٢) أمالي الطوسي: ٢١٧، البحار: ١٦: ١٤٧.

(٣) أمالي الطوسي: ٢١٧، البحار: ١٦: ٢٣، ١٤٧، ١٩٤، النهاية لابن الأثير ٢:
 ١١٨.

(٤) مكارم الأخلاق: ١٤، مستدرك الوسائل ٧: ٣٢ ح ٧٥٧٥، مستدرك سفينة البحار
 ١: ٧٥ ح.

أن المحامد والصفات والآداب التي توافرت فيه ليس من تأديب شخص بعينه كالوالد أو الجد أو العم أو الأم، وإنما تدخلت عوامل وعلل كثيرة خارجة عن طاقة البشر، وهي بتوفيق من الله سبحانه وتعالى الذي صنع تلك الظروف والعوامل والأسباب في كل لحظة وكل زمان وكل حالة، وليس هي حاصلة في آن واحد، ولا اضطرار تخلفي، وإنما هو توفيق بين تلك العلل والأسباب في كل آن، وبمرور الزمان.

ويدل على ذلك ما ورد أنه مؤدب بتأديب الله أربعين سنة^(١). ومن ناحية أخرى أراد رسول الله بهذا الكلام الإشارة إلى أنه خير مؤدّب، لأن مؤدّبه خير مؤدّب وهو الله سبحانه وتعالى. وفيه إشارة إلى تأثير نوع المؤدّب في مدى تأدّب المؤدّب. ولذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أديب الله، وعليّ أديبي، أمرني ربي بالسخاء والبر، ونهاني عن البخل والجفاء»^(٢).

وقال عليّ عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ أدبه الله ﷻ، وهو أدبني، وأنا أؤدب المؤمنين، وأورث الأدب المكرمين»^(٣).

٥٧. أرفأ الناس بالناس

الرفأة هي إيصال النعم صافية عن الألم، على أنها أشدّ من الرحمة أو أقوى منها في الكيفية.

وهذا ما كان الرسول ﷺ يحرص عليه باستمرار في النعم الدنيوية والأخروية فيما فيه نفع الناس وصلاحهم حتى أنه كان أرفأ

(١) مستدرک سفینه البحار ١: ٧٥ ح ٥.

(٢) مکارم الأخلاق: ١٧، بحار الأنوار ١٦: ٢٣١.

(٣) تحف العقول: ١٧١، بحار الأنوار ٧٤: ٢٦٧، ٤١٢، بشارة المصطفى: ٥١،

مستدرک سفینه البحار ١: ٧٥ ح ٦.

من الأم الحنون على طفلها ومن الوالد على ولده، ومن نفس الإنسان على نفسه.

فتراه مرة: ينهى الأمهات عن تأليم الأطفال ويقول: «علام تدفرون أولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا القسط الهندي»^(١).

ينهى الأم أن تدخل اصبعها في حلق الطفل عند التهاب الحلق، ويعلمها دواءً نافعاً من دون إيصال الأذى إلى الطفل.

وثانية: يقبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فيقول: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرْحَمَ لا يُرْحَم»^(٢).

وثالثة: يخفف صلاته ويوصي أصحابه بتخفيف الصلاة رافة بالضعيف والمريض والكبير، وهو القائل: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»^(٣).

ورابعة: كان ليهودي على رسول الله ﷺ دنائير فتقاضاه، فقال له: «يا يهودي ما عندي ما اعطيك».

فقال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تقضييني.

فقال: «إذن أجلس معك» فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهدونه ويتواعدونه.

(١) مسند أحمد ٦: ٣٥٥، سنن ابن ماجه ٢: ١١٤٦ ح ٣٤٦٢.

(٢) الأنوار للبيهقي ١: ٢٠٨ ح ٢٥٢، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠ ح ٥٨١٠، الاستبصار ١: ٢٦٧ ح ٢٧.

(٣) الأنوار للبيهقي ١: ٢٠٧ ح ٢٥٠، حلية الأبرار ١: ٣٢٧ ح ٥، صحيح البخاري ١: ١٧٤، السنن الكبرى ٢: ٣٩٣.

فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: «ما الذي تصنعون به؟» فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟ فقال ﷺ: «لم يعنني ربي ﷻ بأن أظلم معاهداً ولا غيره» فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة؛ فإني قرأت في التوراة: «محمد بن عبدالله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة ليس بفظ غليظ، ولا سخاب، ولا متزين بالفحش، ولا قول الخناء»^(١) إلى آخره.

وخامسة: قيل له ﷺ يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»^(٢).

بيد أنه ما دعا على قومه كما دعا سائر الأنبياء على أقوامهم، وطلبوا من الله إنزال العذاب عليهم، والنبى ﷺ بالرغم من شدة أذية قومه وغيرهم له حتى قال: «ما أودى نبي مثلما أوديت»^(٣). لم يدع عليهم، وما دعا إلا لهم؛ رافة بالأمة، بل ما زال يطالب بالتخفيف عليهم من الله سبحانه وتعالى، ورفع الأصار عنهم حتى عادت خمس صلوات بعدما كانت خمسين صلاة بطلب الرسول ﷺ من الله تعالى التخفيف على الأمة. وهكذا ظلّ يراجع ربه ويكرر قول أمتي أمتي حتى فارق الدنيا.

ومع ذلك كله كان يردف الراجل، ويسعف المنقطع به في الأسفار، ويعود المريض ويدعو له، ويساعد الفقراء، ويرحم

(١) أمالي الصدوق: ٥٥١ - ٥٥٢ ح ٦، البحار ١٦: ٢١٦ ح ٥.

(٢) الأنوار للبخاري ١: ٢٠٨ ح ٢٥١، صحيح مسلم ٨: ٢٤، مسند أبي يعلى ١١: ٣٤ ح ٦١٧٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٢، كشف الغمة ٣: ٣٤٦، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ ٢: ٣٢٠، بحار الأنوار ٣٩: ٥٦.

الضعفاء، ويواسيهم، ويأكل معهم.

وروي: أن رسول الله ﷺ أقبل إلى الجعرانة فقسم فيها الأموال، وجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتى الجؤوه إلى شجرة، فأخذت برده، وخذشت ظهره حتى جلوه عنها وهم يسألونه^(١).

٥٨. أرجح الأنبياء إسلاماً

ما ارتفع الرسول المصطفى ﷺ على سائر الخلائق والأنبياء وترجّح عليهم إلا لرجحان تسليمه واستسلامه لأمر الله تعالى وانقياده لطاعته، والقبول لأمره، وهذه هي معاني الإسلام^(٢).

فهو أرجح الأنبياء إسلاماً حيث لم يعص الله قط، ولم يترك ما هو أولى، وما خُير بين عملين إلا أخذ بأشدهما.

ولما نهي آدم ﷺ عن أكل الحنطة وواعد على أن لا يأكلها ولا يقربها أكل وما وقى، غير أن رسول الله ﷺ وقى، وما أكل خبز البر قط، ولا شبع من خبز الشعير قط^(٣)، ولم يكن نهي عنه.

ولما حشر الله تعالى لآدم ذريته نظر إلى طائفة من ذريته يتلألأ نورهم يسعى قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال: يا رب فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا محمد أرجحهم حلماً وعلماً وإيماناً و يقيناً وصدقاً وبراً وعفافاً، وعبادة وخشوعاً وورعاً وسلماً وإسلاماً^(٤) والأسماء التالية المصدرة به

(١) الخرائج والجرائح ١: ٩٨ ح ١٥٩، البحار ١٦: ٢٢٦ ح ٣٢.

(٢) انظر ترتيب كتاب العين ٢: ٨٤٨، والصحاح ٥: ٣٠٠، والمنجد: ٣٤٧.

(٣) الأمالي: ٣٩٨ ح ٦، البحار ١٦: ٢١٦، روضة الواعظين: ٤٥٦، مكارم الأخلاق: ٢٨.

(٤) سعد السعود: ٣٥، البحار ١١: ١٥٢.

«أرجح» كلها مأخوذة من هذا الحديث القدسي فلا نكرر ذكره.

٥٩. أرجح الأنبياء إيماناً

كيف لا يكون هو أرجح الأنبياء إيماناً، وهو أول المجيبين لما سأل الله بني آدم: ألسنت بربكم فقالوا بلى، فهو أول المستجيبين لما أمر الله الخلائق بدخول نار الامتحان، وهو القائل: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْمَيِّدِينَ﴾^(١) وهو الذي ما أوذى نبي مثل ما أوذى فلم يتراجع ولم يتنهه، وهو الذي عرض عليه ما عرض فقال: لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركت، وهو الذي أنفق كل ماله حتى قعد بعبادة من غير رداء، وهو الذي ما أدير حينما فر المسلمون يوم أحد ويوم حنين، وهو الذي ورمت قدماه من كثرة وقوفه على أصابعه للعبادة ولم يبعث بعد، وكذا بعد البعث حتى قيل له: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشتق﴾، وهو الذي اقترب قاب قوسين أو أدنى حينما عرج به إلى السماء فرآه نظرة أخرى، وهو وهو.

كل ذلك يحكي عن أعلى مراتب الإيمان؛ فإن الإيمان هو الاعتقاد في الجنان والعمل بالأركان.

٦٠. أرجح الأنبياء برّاً

اختلف العلماء في تفسير البرّ، فقالوا: هو الصدق، وقالوا هو الطاعة، وقالوا هو الصلاح، وقالوا: هو التقى، وقالوا: هو الصلة، وقالوا: هو الخير^(٢) ولا أعلم تفسيراً أجمع من هذا الأخير؛ فإنه يحيط بجميع ما قالوا ويأتي عليه، وهو الذي يلائم مقام الرسول

(١) الزخرف: ٨١.

(٢) انظر لسان العرب ١: ٣٧٠، والصحاح ٢: ٢٢٣.

الأعظم، فهو أرجح الأنبياء خيراً، مما يشمل خير الدنيا والآخرة. وإنما ورد هذا التعبير في كلام الله المار في أرجح الأنبياء إسلاماً كما مر.

٦١. أرجح الأنبياء حلماً

الحلم هو حالة توقّر وثبات عند حصول الأسباب المحركة وصدور الاستفزاز من قبَل الغير، وهو أوّل ما واجهه الرسول المصطفى ﷺ حين شرع بالدعوة إلى التوحيد، حيث أخذ القوم بإيذائه، وإيصال شتى أنحاء الأذى والضرر إليه، كما قاموا باستفزازه وتحريكه ليجدوا السبيل عليه. والنبى ﷺ يدعوهم إلى التوحيد، ويحلم عنهم ولم يواجههم ولا يقاصهم، وحتى لم يدع عليهم، بل يدعو لهم ويستغفر، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

واستمرت به ﷺ هذه الشيمة حتى بعد نشوب الحرب وبلغت ذروتها، فقد روي أنه ﷺ لما كسرت رباعيته وشجّ وجهه يوم أحد، شقّ ذلك على أصحابه شقاً شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم؟ فقال: «إنّي لم أبعث لعاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

ولم يحتمل بعض الأصحاب حلم رسول الله ﷺ وعضوه، فواجهوه بالاعتراض، حتى روي أنّ عمر قال في بعض كلامه يا رسول الله ﷺ لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٢) ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطئ ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت ربايعتك فأبيت أن تقول إلا

(١) الشفاء ١: ١٠٥، تفسير الثعالبي ٢: ١٠٤، وفي مكارم الأخلاق ١٧: إنما بعثت رحمة مهداة، ولم أبعث لعاناً.

(٢) نوح: ٢٦.

خيراً، فقلت: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

وأكثر من ذلك ما ذكر أنه هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ فأخذوا، فأعتقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(٢). فإنهم قصدوه بنفسه وليس لهم همٌّ سواه، فلم يغضبه ذلك ولم يفكر في الانتقام منهم، وحلم عنهم.

وأعجب من ذلك حلمه عن أبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب، وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول، وقال له: «ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك واكرمك^(٣).

فإن أبا سفيان يعرف ما يستحقه، ولذلك تعجب من مدى حلم الرسول ﷺ.

وتجلت أظهر مصاديق حلمه وأسمى آياته يوم فتح مكة، فلم يعاقبهم وقال: «ما تقولون إنني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثرِبَ عليكم إذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٤).

وما قالوا «خيراً» إلا لأنهم عرفوا سجيته ومدى حلمه وعفوه.

ومن ناحية أخرى فإن طبيعة الأعراب هي الجفاء والغلظة

(١) الشفاء: ١ : ١٠٦، تفسير القرطبي ٤ : ٢٠٠.

(٢) الفتح: ٢٤.

(٣) الشفاء: ١ : ١١٠، مجمع الزوائد ٦ : ١٦٦، الثقات لابن حبان: ٤٦، سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٤ : ٨٦٢.

(٤) فيض القدير ٥ : ٢١٨ ح ٦٨٣٧، سبل الهدى والرشاد ٥ : ٢٤٢، الخراجيات: ٦٢.

والخشونة، وقد ورد في حلمه عن سفاهتهم وجهلهم وتعديهم آيات عجباً.

فقد ورد أن أعرابياً أدرك النبي ﷺ فجبذه بردائه جبذة شديدة بحيث أثرت في عاتق رسول الله ﷺ حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال: «يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك؛ فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أهلك».

فسكت النبي ﷺ ثم قال: «المال مال الله، وأنا عبده» ثم قال: «ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟» قال: لا، قال: «لم؟» قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، فضحك النبي ﷺ ثم أمر له أن يحمل له على بعير شعير، وعلى آخر تمر^(١).

والوقائع بهذا المعنى كثيرة جداً، يبدو من خلالها أن حلم رسول الله ﷺ و أرجحيته كانت مسلمة ومعلومة للجميع حتى صار البعض يعترض عليه ﷺ على الدوام ويتقدم عليه، وما زال يؤذي النبي ﷺ وهو يحلم عنه ويلاطفه على أنه سلطان المسلمين ورسول رب العالمين.

ولم يتوقف حلمه ﷺ عند حد حتى شمل المرأة التي سمته، فعفا عنها، وما زال يصيبه منه عداد حتى توفي ﷺ.

وبذلك يثبت مقام الأرجحية في الحلم للنبي ﷺ على جميع الأنبياء، فهم ﷺ بين داع على قومه بهلاكهم، أو نزول العذاب عليهم، أو التيه، أو تارك لهم، ما خلا هذه الأمة المرحومة بحلم نبيها على أنه كان مبسوط اليد واسع النفوذ قادراً مقتدرًا مما لم يتيسر لكثير من الأنبياء ﷺ.

(١) الشفاء ١: ١٠٧، مكارم الأخلاق: ١٧، الرقاع ٢: ٤٢٠، وجبذه: جذبته.

٦٢. أرجح الأنبياء خشوعاً

كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة اشتد صوته واحمرّت وجنتاه، وإذا ابتهل يرفع يديه كما يستطعم المسكين، وإذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي من شدة البكاء، وقد أمنه من عقابه، فأراد أن يتخضع لربه ببكائه، ويكون إماماً لمن اقتدى به، هكذا وصفه أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

ولما جاءه جبرائيل وأخبره بوضع منافخ جهنم ووصفها له بكى رسول الله ﷺ وبكى جبرائيل، فأوحى الله إليهما إنني قد أمتكما من أن تذنبا ذنباً تستحقان به النار، ولكن كونا هكذا.

وروي أنّ رسول الله ﷺ كان في بيت أم سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول: «اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً، اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً، اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً، اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً» فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله ﷺ لبكائها.

فقال لها: ما يبكيك يا أم سلمة؟

فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر تسأله ذلك.

فقال: «يا أم سلمة وما يؤمنني؟ وإنما وكل الله يونس بن متي إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان» ^(٢).

(١) انظر حلية الأبرار للبحراني ١: ٢٦٤، الاحتجاج ١: ٣٢٦، بحار الأنوار ١٠: ٤٠ وج ١٧: ٢٨٧، والأزيز: صوت الرعد، والمرجل: القدر الذي يطبخ فيه الغداء.

(٢) تفسير القمي ٢: ٧٥، البحار ١٦: ٢١٧ ح ٦.

٦٣. أرجح الأنبياء سلماً

السلم: هو الاستسلام والانقياد من دون امتناع، قال علي عليه السلام: «فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعنوا له خدأً ووجهاً، ويلقى إليه بالطاعة سلماً وضعفاً، ويعطى له القياد رهبة وخوفاً»^(١).

وكيف لا يكون الرسول المصطفى ﷺ أكثر الأنبياء سلماً وهو أول من دخل نار الامتحان، ومن قال الله تعالى فيه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾^(٢).

وصار يعبد الله تعالى قائماً على أصابع قدميه حتى ورمت قدماه، وحتى قال تعالى: ﴿طه مَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٣).

ومن ناحية أخرى فقد أطبق أهل اللغة على أن أحد معاني السلم هي الأسر، وهو الأولى بالإرادة هنا، فإن الرسول ﷺ هو الأسير، ولكن ليس أسير حرب، وإنما هو أسير حب مذهب، ما كذب الفؤاد ما رأى، ومكبل عشق فاتن، يجعله يسير بإشارة المحبوب، وأدنى إشارة، حتى فنى وتمحض في ذلك الحب فصار حبيب الله مما لم يبلغه نبي ولا رسول، فهو أرجح الأنبياء أسراً.

وهناك معنى ثالث للسلم وهو الإسلام، فقد جاء في خبر متواتر أن النبي ﷺ قال لعلي: «هذا أفضلكم حلماً، وأعلمكم وأقدمكم سلماً»^(٤).

(١) نهج البلاغة ٢: ١١٨، الاحتجاج ١: ٣٠٦، بحار الأنوار ٣: ٢٧.

(٢) الزخرف: ٨١.

(٣) طه: ١ - ٢.

(٤) بصائر الدرجات: ٣١٤، الكافي ٨: ٢٢٤ ح ٢٨٣، الخصال: ٤١٢، الأمالي الصدوق: ٥٧.

وأراد بذلك الإسلام، فهو المناسب لكلمة «أقدمكم»، والمراد بالإسلام دين الله الواقعي ﴿إِنَّ الَّذِيكَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) فيكون النبي ﷺ أرجح الأنبياء ديناً، لتامة دينه وكماله.

٦٤. أرجح الانبياء صدقاً

الأنبياء صادقون لا محالة، ولا شك أنهم أصدق الناس، ولكن تصور اختلاف مراتب الصدق بين نفس الأنبياء بأن يكون البعض أصدق من الآخر أو أرجح صدقاً، يمكن أن يكون من وجوه:

الأول: إذا كان الصدق هو إخبار الشخص بما يعتقد ويجزم به، فيكون الأصدق هو الذي يخبر بما هو مطابق للواقع، فنشاهد أن الأنبياء ﷺ أخبروا بما اعتقدوه وجزموا به ولم يكن مطابقاً للواقع، فهذا آدم ﷺ واعد وعاهد على أن لا يأكل من الشجرة، وكان جازماً ويعتقد أنه لن يأكل أبداً، لكن الواقع لم يكن كذلك.

وفي قصة نوح وابنه يقول القرآن: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي وَأَمَلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلَكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وإبراهيم لما ﴿رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، وشم ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ وشم ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^(٣).

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) هود: ٤٥ - ٤٧.

(٣) الأنعام: ٧٦ - ٧٨.

الإيمان، وصدق النظر؛ فإننا إذا سلمنا تساوي الأنبياء في بعض جهات الصدق وعدم إمكان تصور الرجحان فيها، فإنه يمكن تصوّره في جهات أخرى، وبالمجموع يكون فيهم من هو أصدق.

الثالث: إن لكلمة الصدق معانٍ عديدة وليس خصوص ما يقابل الكذب ومنها: الصلابة والشجاعة، ومنها الاستواء، ومنها ثبات اللقاء^(١)، ولا مانع من أن يكون بعض الأنبياء أرجح صدقاً باعتبار هذه المعاني، فيكون أشد صلابة أو أشجع وهكذا.

الرابع: إرادة إقرار المؤلف والمخالف له بالصدق من لفظ الأصدقية، فإذا أقر أتباع الأنبياء لهم بالصدق، فقد أقر للنبي ﷺ أتباعه وأعداؤه له بذلك، وسموه الصادق الأمين.

وكان الجلف البدوي يرى وجهه الكريم فيقول: ما هذا وجه كذاب.

الخامس: وجود مراتب للصدق وإن كانت دقيقة غير واضحة، وقد عبّر البعض عن الأصدقية به بصدق الكمال.

٦٥. أرجح الأنبياء عبادة

كان الرسول المصطفى ﷺ مجبولاً على العبادة والتعبّد حتى اعتزل الناس في غار حراء يقلّب طرفه في ملكوت السماوات ينظر إلى عظمة الله وآلائه، تاركاً عرض الحياة الدنيا معرضاً عنها متعبداً متنسكاً قبل مبعثه ونزول الوحي إليه.

واشتدت هذه الحالة بعد بعثته حتى كان يصلي الليل كله يعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم، ويقوم على أطراف أصابعه تارة،

(١) لسان العرب ٧: ٣٠٨ صدق ٤.

وعلى قدم واحدة، حتى ورمت قدماه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(١) يأمره أن يخفف عن نفسه ويهون عليها فآل أمره إلى قيام نصف الليل أو ثلثه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَيْكَ يَعْلَىٰ أَنْكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيُنَافِئُ ثُلُثَهُ﴾^(٢).

وما هدأ وما فتر وما سكن وما انفك يعبد الله تعالى يسبح في أطراف النهار وزلفاً من الليل وعند طلوع الشمس وعند غروبها وآناء الليل، وهو يقرأ القرآن في جميع الأحوال ومهما بلغ به الحال.

فقد روي أن عمر بن الخطاب دخل على النبي ﷺ وهو موقود أو قال: محموم، فقال له عمر: يا رسول الله، ما أشد وعكك أو حماك! فقال: «ما منعتني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة، فيهن السبع الطوال».

فقال عمر: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأنت تجتهد هذا الاجتهاد؟! فقال: «يا عمر أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٣).

وبهذا تعرف السرف في رجحان عبادة النبي ﷺ على سائر الأنبياء، ويتخلص في أمور، منها: أمر الله تعالى النبي بالتخفيف، ولم يسمع ذلك فيمن سبق من الأنبياء، ومنها: ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فتكون عبادته نوعاً من التطوع والتبرع، فهي أرجح كيفية ممن لم يغفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر، وغير ذلك من الوجوه.

هذا إذا كان المراد بالعبادة هو المعنى المعروف لها، وأما إذا كان المراد به العلم فهو أوضح من أن يخفى، فما انتشر منه من

(١) طه: ١ - ٢.

(٢) المزمّل: ٢٠.

(٣) أمالي الطوسي: ٤٠٣ - ٤٠٤ ح ٥١، البحار: ١٦: ٢٢٢ ح ٢٠.

العلوم ماملأ الشرق والغرب في شتى الفنون كما تدلك هذه الموسوعة المباركة على لمحة منه إن شاء الله تعالى.

٦٦. أرجح الأنبياء عفافاً

المعنى الظاهر للعفة والعفاف هو الكف عما لا يحلّ ولا يجمل من المحارم والأطماع الدنية.

ولو أردنا التدقيق في معنى العفة والإشراف على مقوماتها ونتائجها فهو يحتاج إلى بسط الكلام والتحقيق.

وملخصه أن العفة هي الحد الوسط بين أمرين غير محمودين أحدهما: خمود الشهوة وسكونها عن الحركة نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته وتتطلبها الحياة الطبيعية مما رخص فيه صاحب الشريعة والعقل.

والآخر: الشره والانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي. والنتيجة هي ملكة تحصل عن اعتدال حركة القوة البهيمية بحسب تصريف العقل العملي، وبها تكون الأفعال المتوسطة بين أفعال الخمود والفجور، تجمعها كلمة واحدة وهي «الكفاف» والرضا به.

على أن أسبابها هي الرشد والعقل، وهي شيمة الأكياس وقرينة الحياء المتعلقة بالبطن والفرج والسؤال والدين، وينشأ منها صيانة النفس وتنزيهاها عن الدنيا، والكفاية، والرضا، والاستكانة، والصبر والتسليم، والوقار والورع والانتظام، والرفق وحسن الهدى، والمسالمة، والدعة.

ويشمر كل ما ذكرنا التنزه عن دار الفناء والقناعة والرضا، ويقابلها الشره وغلبة القوى البدنية على مقتضى طباعها وانقهار النفس في قيادها.

وبعد معرفة ذلك تعرف الوجه في أن الرسول المصطفى ﷺ هو أرجح الأنبياء عفافاً مع أن الكثير من الأنبياء ممن ترك الدنيا ولم يكن له زوجة ولا سكن، وذلك أن العفاف هو الحد الأوسط والكفاف دون الخمود، وهذا الذي ذكر عن بعض الأنبياء فيه نوع من الخمود والابتعاد عن الكفاف والعفاف.

ومن ناحية أخرى فقد ورد في وصفه ﷺ: أنه لم تمس يده يد امرأة لا تحل، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ويأكل ما حضر، ولا يرذ ما وجد وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها^(١).

ويشيد ذلك: أنه كان يتنزه مما نهى عنه غيره من الأنبياء، ولذا ورد أنه لم يأكل الحنطة قط وما شبع من خبز الشعير قط، على أن آدم ﷺ نهى عنها.

هذا مع عرض الملك ومفاتيح خزائن الدنيا عليه، وخضوع الرقاب له وغلبته على الآفاق فاختر أن يكون عبداً رسولاً متواضعاً وقال: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له»^(٢).

٦٧. أرجح الأنبياء علماً

الملاحظ لأحوال العرب ومن يليهم من الأعاجم قبل وبعد الإسلام، يرى أن السائد قبل الإسلام هو الجهل، ولم يكن ثمة جذوة من العلم ولا قبس ولا شيء يذكر، سوى أوهام بعض المتوهمين، وتكهن الكهان، وأشعار الغرام أو الوقوف على الأطلال غاية ما يمكن

(١) انظر البحار ١٦: ٢٢٦، ٢٣٠.

(٢) الكافي ٢: ١٢٩ ح ٨، البحار ١٦: ٢٦٦ ح ٦٥، ٦٧.

ذكره في البين هو معرفة الأنساب من دون تدوين لوقائع أو تاريخ أو طب أو جغرافيا أو كيمياء أو جبر أو نحو أو أدب.

ولما انفجر نور الإسلام حصل انقلاب علمي، وتوجه الناس إلى العلم، حتى توغل في حياة الناس، وخالط أعمالهم، فدونت على أثره الكتب، وأسست المدارس، ونشأت العلوم كالطب والفلك والنجوم والكيمياء والجبر والتاريخ وكل ذلك مما ينبئ عن علم الرسول المصطفى ﷺ ومدى اهتمامه بالعلم.

ولم يعهد هذا التغيير في زمن أحد من الأنبياء السابقين، ولو كان بعض التغيير لم يكن بهذه السعة بحيث يشمل ويطل الجانب المعنوي والمادي، وهذا مما يكشف عن أرجحية علم النبي ﷺ على سائر الأنبياء.

ويؤيد ذلك أنّ العلم الحديث ما زال ولا يزال يكشف الستار عن حقائق أخبر بها النبي ﷺ ظلت مخبية في الكتب منقولة في الأخبار كحركة الشمس، ودوران الفلك، وفتح السماء، ونقب الأرض، وخزائن الأرض وكنوزها، وما جاء في علم الطب وحقيقة الخلقة العجب تلو العجب مما لا يسعنا الدخول فيه وسنفرد له أبحاثاً مستقلة في غير هذا الكتاب.

وقد سئل علي ﷺ عن علم النبي ﷺ فقال: «علم النبي ﷺ علم جميع النبيين وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة»^(١).

وفي حديث أنّ رسول الله ﷺ عنده اثنان وسبعون حرفاً من العلم، بينما لم يتجاوز علم سائر الأنبياء خمسة وعشرين حرفاً^(٢).

(١) بصائر الدرجات: ١٤٧، البحار ١٧: ١٤٤.

(٢) انظر الكافي ١: ٢٣٠ ح ٢، بصائر الدرجات: ٢٢٨، بحار الأنوار ٤: ٢١١.

٦٨. أرجح الأنبياء ورعاً

الورع: هو نوع من أنواع العفة والنزاهة، وهو ملكة وحالة تحجز عن المحارم والخيانة وعمّا لا ينبغي، وإذا استحكمت هذه الملكة ونمت وتزايدت سببت الوقوف عند الشبهات، والوقوف على حد العلم من غير تأويل، وحسن الظن، وعدم الاجترار على الخيانة.

ومتى ما تضاعفت هذه الملكة أوجبت لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس، مع المواظبة على أفعال النفس ومحاسبتها مع كل طرفة عين.

وإذا أراد الشخص أن يعرف مدى استحكام هذه الحالة والملكة وعدمها عند نفسه أو عند الآخرين فليجد في نفسه مدى تركه في الخلوات ما يستحي من إظهاره في العلانية، وتعرف عند الآخرين من عزوف النفس عن مذلة الطمع، وغض الطرف، أعني به طرف العين وطرف القلب.

وإطراق طرف العين ليس بنافع إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

ولما كان من عادة البشر في الجانب الاعتقادي عدم التسليم لكلام الناصح وصاحب العقيدة إلا إذا عمل بها واعتقد بها ظاهراً وباطناً، فقد بات أقبح القبائح القول بلا عمل.

ومن ناحية أخرى فإن جميع أعمال الأنبياء والرسول موضوعة تحت المجهر ومنظورة من التابعين والقالين؛ ينظرها التابع للإتباع والقالى للنقد والإيذاء، فكل ذلك يحكي عن استواء الظاهر والباطن عند الأنبياء، وكذا ترك الشبهات، بل حتى ما لا بأس به حذراً عما به البأس.

وخصوصاً الرسول المصطفى ﷺ فَإِنَّ جِلَّ حَيَاتِهِ إِذَا لَمْ أَقْلُ «كُلَّ»
كانت تحت المجهر حتى نقل المؤرخون كل حركة وسكنة وكل
لحظاته في داخل وخارج الدار. بل ما انفك المنافقون عنه وما تركوه،
يطلبون له عيباً أو خدشاً أو أدنى ملاحظة .

بل إِنَّ فضائله وجمال أفعاله كانت بحد أقر به أعداؤه ومناوؤه
والمنافقون من حوله على الرغم من أذيتهم له، وتوَعَّلُوا في ذلك حتى
صاروا يعيبون عليه كثرة ورعه وحسن ظنه حتى إن جبرئيل أخبره بعيب
شخص له، فكلمه في ذلك، فقال: لم افعل، فصدقه النبي ﷺ، ولما
خرج من عنده قال: هو أُذُن، يخبره جبرئيل فيصدِّقه، وأخبره بعدمه
فيصدقني، قال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ
أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وأما عزوف نفسه عن الدنيا فيكفيك أنه ما شبع من خبز الشعير
وهو. سلطان العرب، وعرضت عليه الدنيا فأعرض عنها، وأمكنته من
زامها فما أمسك بها، ولم يرتض لنفسه إلا أن كان عبداً رسولاً،
يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد.

وبذلك نعرف الوجه في أن الرسول ﷺ هو أرجح الأنبياء ورعاً.

٦٩. أرجح الأنبياء يقيناً

إن أعلى درجات اليقين أن ترى بعينك وتسمع بأذنك، فتكون
على يقينٍ هو حق اليقين، خصوصاً إذا كان عن قرب ودنو، وتكررت
الرؤية وكان المرئي شديد النور، عندها يتحقق حق اليقين.

وهو ﷺ دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، ومن يقينه ما

كذب الفؤاد ما رأى، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى.

ونحن لا نقول إنه رأى ربه جهرة؛ فإنه سبحانه لا تدركه الأبصار، ولكنه رأى من آيات ربه الكبرى، رأى نوراً مما يزيد يقيناً يرجح على يقين كل الأنبياء^(١).

٧٠. أرجل الناس جمّة

هذه صفة شعره الحاكية عن عنايته بنظافته وتسريحه وتحسينه بحيث يمكن معرفته من بين الناس مهما كثروا، وتمييزه بأنه أرجل الناس جمّة، فالترجيل هو التسريح والتنظيف والتحسين^(٢).
والجمّة: مجتمع شعر الرأس^(٣).

وأصل الحكاية أنه جاء أعرابي فسأل عن النبي ﷺ فلم يجده، فقالوا: هو بقزح، فطلبه فلم يجده، فقالوا: هو بالمشاعر، فوجده في الموقف، قال: حلّو لي النبي ﷺ، فقال الناس يا أعرابي ما أنكرك، إذا وجدت النبي ﷺ وسط القوم وجدته مفخماً، قال: بل حلّوه لي حتى لا أسأل أحداً، قالوا: فإن نبي الله أطول من الربعة، وأقصر من الطويل الفاحش، كان لونه فضة وذهب، أرجل الناس جمّة...^(٤).

٧١. أرحب الناس صدراً

رحابة الصدر هي سعته، وسعة الصدر كناية عن التحمّل وقدرة

(١) انظر مجمع البيان ٩ : ٢٩١.

(٢) لسان العرب ٥ : ١٥٧.

(٣) لسان العرب ٢ : ٣٦٧.

(٤) تفسير العياشي ١ : ٢٠٣ ح ١٦٤، البحار ١٦ : ١٨٤ ح ٢١.

الاستيعاب، بينما يقابله الضجر وعدم التحمل، وبروز ردود الفعل العنيفة.

وتتجلى مدى سعة صدر النبي ﷺ وقدرة تحمله من ملاحظة ما واجهه من المكاره والمصاعب، وما تراكم عليه من الهموم والمشاكل، وكذا ما جابهه من عداء الجن والإنس، القريب والبعيد، وبالتالي ما هضمه واحتمله من سفاهة الأعراب ونفاق الأصحاب وأذى بعض الأزواج الذي يتلخص في قوله ﷺ: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت».

بيد أن جميع ذلك ليس إلا قطرة واحدة على شواطئ بحر لجي من أعباء تحمل الرسالة، واحتمال خزائن العلم ومعادن الحكمة، وأدائها، وحمل الأصحاب عليها، ودفعهم إلى الاستقامة، المنعوت بقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَوِمَ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾^(١)، المتحصل من قوله ﷺ: «شيبتي سورة هود»^(٢).

وإنما يتم ذلك إذا كان النبي ﷺ استقبل كل تلك المصاعب والمكاره برحابة صدر واستطاع ان يحتوي كل تلك الأمور، وهو الأمر الذي وفق فيه النبي ﷺ حتى تعجب منه من لا يتعجب فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾^(٣) ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَیْظًا لَّانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٤).

بيد أن سعة صدره وشرحه لم تكن تكلفاً أو اكتساباً ولا استجابة دعاء كما دعا النبي موسى ﷺ فقال: ﴿رَبِّ أَسْرِحْ لِي صَدْرِي﴾^(٥)

(١) هود: ١١٢.

(٢) الخصال: ١٩٩ ح ١٠، أمالي الصدوق: ٣٠٤، سنن الترمذي: ٥: ٦٧ ح ٣٣٥١.

(٣) القلم: ٤.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) طه: ٢٥.

فاستجيب له، وإنما هو جيلة مودعة، وفطرة فطر عليها، حتى كانت سجيته وجيلته ﷺ الاستفادة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١).
ويبدو هذا بوضوح عند تصفح أدنى مقطع من حياة النبي ﷺ والوقوف على أقل القصص الواردة في معاملته ومدى تحمله. وقد مرّت في العناوين السابقة بعض القصص، وأزيدك قصة واحدة في هذا الموضوع:

فقد روي: أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ما أراد، ثم قال له ﷺ: «أ أحسنت إليك؟» قال الأعرابي: لا ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفّوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه ﷺ وزاده شيئاً ثم قال: «أ أحسنت إليك؟» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال له النبي ﷺ: «إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك» قال: نعم.

فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ: «إنّ هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي، أ كذلك؟» قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال النبي ﷺ: «مثلي ومثل هذا رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: خلّوا بيني وبين ناقتي؛ فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردّها، واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»^(٢).

(١) الشرح: ١.

(٢) الشفاء للقاضي ١: ١٢٣.

ومهما يكن من أمر، فإن نعت الرسول بأنه «أرحب الناس صدرًا» جاء في كلام كل من وصفه، وخصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد ورد أن علياً كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وآله قال: «لم يكن بالطويل الممغط - إلى أن قال - وهو خاتم النبيين أجود الناس كفاً، وأرحب الناس صدرًا وأصدق الناس لهجة»^(١).

٧٢. أرفع النبيين درجة

لا يخفى أن سنة الله تعالى في أرضه وسمائه بل جميع خلقه هي التدرج والتفاضل، وعدم التطابق والتساوي، والاختلاف في عين التناظر والتشابه والتقارب. وهذا لا يعني أن الخلق لا يتبع نظاماً خاصاً، بل هو في غاية النظم والتدبير، غير أن نظمه هو التناظر. وإن كان هناك احتمال قصور أنظارتنا وعدم رؤية التطابق قصوراً، ولكن هذا المستوى يدخل في فضاء أوسع ما يحتمله هذا السفر.

ويحدو بنا تتبع الموارد إلى القول بعدم وجود المادة الأولى المتطابقة المتوازنة التي تكون مبدأ لترتب كل الأشياء.

ولا يخرج حال الأنبياء عن تلك القاعدة، خصوصاً مع ملاحظة اختلاف ظروفهم ومحيطهم وكيفية نبؤهم ومشاقهم ومن بعثوا له كمّاً وكيفاً، والآثار التي ترتبت على مهامهم وأعمالهم.

ومع كل ذلك فالقرآن نطق بذلك وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(٢).

(١) كنز العمال ٧: ١٧٦ ح ١٨٥٦٨، بحار الأنوار ١٦: ١٩٠، البداية والنهاية لابن

كثير ٦: ٣٣.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

والمهم في محل البحث، إثبات أن الرسول المصطفى ﷺ هو أرفع النبيين درجة في الدنيا والآخرة، ولكن لما كان هذا المعنى مما لا تحيط به عقول القاصرين من أمثالنا، ولو أردنا ذكر المؤشرات لاحتاج إلى كتاب، عدلنا إلى نقل رواية تجمع ذلك:

بينما أصحاب رسول الله ﷺ جلوس في مسجده بعد وفاته ﷺ يتذكرون فضل رسول الله ﷺ إذ دخل عليهم حبر من أحبار يهود أهل الشام قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموروث الأنبياء وعرف دلائلهم فسلم عليهم وجلس، ثم لبث هنيئة ثم قال: يا أمة محمد ما تركتم لني درجة ولا لمرسل فضيلة إلا وقد تحملتموها لنيكم، فهل عندكم جواب إن أنا سألتكم؟

فقال له أمير المؤمنين ﷺ: سل يا أخا اليهود ما أحببت فإنني أجيبك عن كل ما تسأل بعون الله تعالى ومته، فوالله ما أعطى الله ﷻ نبياً ولا مرسلأ درجة ولا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد ﷺ، وزاده على الأنبياء والمرسلين أضعافاً مضاعفة، ولقد كان رسول الله ﷺ إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: ولا فخر، وأنا أذكر لك اليوم من فضله من غير إزراء على أحد من الأنبياء ما يقرّ الله به أعين المؤمنين شكراً لله على ما أعطى محمداً ﷺ الآن.

فاعلم يا أخا اليهود إنّه كان من فضله عند ربّه تبارك وتعالى وشرفه ما أوجب المغفرة والعفو لمن خفض الصوت عنده، فقال جلّ ثناؤه في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَأَتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١) ثم قرن طاعته بطاعته فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢) ثم قرّبه من قلوب المؤمنين.

(١) الحجرات: ٣.

(٢) النساء: ٨٠.

والحديث طويل جداً يستمر الأمير عليه السلام من خلاله في ذكر فضائل ومناقب وصفات الرسول صلى الله عليه وآله التي توجب ارتفاع درجته على سائر الأنبياء، وبين الحين والآخر يعترض اليهودي ويذكر فضائل وخصائص الأنبياء السابقين كسجود الملائكة لآدم، وتكليم موسى وأن الله تعالى ألقى عليه محبة منه، والإمام يجيبه في كل ذلك ويبين ثبوت تلك الفضائل للنبي إماماً بعينها أو ما هو أهم منها وأعظم، تركنا إيراد الحديث بكامله لطوله، ومن شاء فليرجع إلى المصدر^(١).

وهناك أحاديث أخرى كثيرة ثبتت تلك الدرجة للرسول الأعظم بالأرقام والجوانب المختلفة.

٧٣. أزج الحواجب (الحاجبين)

قال الجزري: الزجج تقويس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداده^(٢)، واقتصر الجوهرى على تفسيره بدقة في الحاجبين وطول^(٣)، بينما فضل ابن منظور فقال: الزجج: رقة محط الحاجبين ودقتهما وطولهما وسبوغهما واستقواسهما^(٤).

والمسلم من ذلك طول الحاجبين، والباقي مختلف فيه، والمستفاد من الرواية أن المراد بالدرجة الأولى الطول.

فقد روي أن الحسن بن علي عليه السلام قال: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وآله وكان وصافاً للنبي صلى الله عليه وآله، فكان فيما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أزج الحواجب سواج - أي متسعة وتامة - من غير

(١) إرشاد القلوب: ٤٠٧، البحار: ١٦ : ٣٤١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٩٦.

(٣) الصحاح ١ : ٤٧١.

(٤) لسان العرب ٦ : ٢١.

قرن؛ بينهما عرق يدره الغضب^(١) .

وقال الصدوق بعد إيراد الخبر: وقوله أزج الحواجب، ولم يقل الحاجبين فهو على لغة من يوقع الجمع على التثنية، ويحتج بقول الله جل ثناؤه ﴿وَكُنَّا لَهُمْ شَهِيدِينَ﴾ يريد حكم داود وسليمان ﷺ، وقال النبي ﷺ: «الاثنان وما فوقهما جماعة». وقوله: «في غير قرن» معناه أن الحاجبين إذا كان بينهما انكشاف وبيضاض يقال لهما: البلج والبلجة، يقال: حاجبه أبلج إذا كان كذلك، وإذا اتصل الشعر في وسط الحاجب فهو القرن^(٢).

٧٤. أزهد الأنبياء

ليس الزاهد من لا يملك الشيء، وإنما الزاهد من لا يملكه شيء، وليس الزهد العدم، وإنما الزهد ترك السعي للدنيا وعدم الاعتناء بها والإعراض بعد العرض.

فالزاهد من عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، ورضي لنفسه أن يعيش عيش الفقراء، وكلما كان المعروض عليه أكبر فبتركه كان أزهد، وأشد إعراضاً.

كما أن المرتبة العالية من الزهد هي الإعراض عن الدنيا بالعين والقلب، ولا تبلغه مرتبة الإعراض بالطرف وغض البصر، ولذا قال الشاعر:

وإطراق طرف العين ليس بنافع

إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٨٢ ح ١، البحار ١٦: ١٤٩.

(٢) معاني الأخبار: ٣٠، ٣٢، البحار ١٦: ١٥٦، والآية: ٧٨ من سورة الأنبياء .

وذلك أن النبي ﷺ عرضت عليه الدنيا مرّات عديدة، وتمكن من الإمساك بزمامها، وهو سلطان المسلمين الذي تزعزعت من عظم قدرته ونفوذ أمره أرجاء الأرض، ومع كل ذلك فقد أعرض عنها واختار تركها.

وقصة ذلك أنه جاءه رسول من رب العالمين فقال: يا محمد أنا رسول الله إليك اخيرك أن تكون ملكاً رسولاً أحب إليك، أو تكون عبداً رسولاً، فقال رسول الله ﷺ: «بل أكون عبداً رسولاً»^(١).
وبهذا أعرض رسول الله ﷺ عن الملك، وأراد أن يكون عبداً زاهداً.

وروي عن الإمام الرضا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني ملك فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً؟ قال: فرفع رأسه ﷺ إلى السماء وقال: يا رب أشيع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك»^(٢).

ولو سلّمنا أن الزهد هو العدم، وترك السعي وراء الدنيا فقط، وأردنا المقايسة بين عيسى ﷺ والنبي محمد ﷺ، أو بين يحيى ﷺ وبينه، وقلنا إن عيسى ﷺ كان زاهداً بتمام معنى الكلمة كما ذكر ذلك بعض اليهود لعلي ﷺ فقال له علي ﷺ: لقد كان كذلك ومحمد ﷺ أزهد الأنبياء، كان له ثلاث عشرة نسوة سوى من يطيف به من الإماء، وما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، وما أكل خبز بر قط، ولا شبع من خبز الشعير ثلاث ليال متواليات قط، توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء مع

(١) تفسير القمي ٢: ٢٨، البحار ١٦: ٢٩٢ ح ١٦٠.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ٣٣ ح ٣٦، البحار ١٦: ٢٢٠ ح ١٢، أمالي المفيد:

ما وطئ له من البلاد، ومكّن له من غنائم العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف، وأربعمائة ألف، ويأتيه السائل بالعشي فيقول: «والذي بعث محمداً بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير ولا صاع من بر ولا درهم ولا دينار»^(١).

٧٥. أزهر اللون

بات في الناس من يفضل البياض في لون الوجه والبدن، بينما راح الآخر يتغنى بسمار محبوبه، وليس البياض ولا السمار هو الجمال، فما أكثر البيض وأكثر السمر وأقل الجميل. والسر في ذلك يعود إلى ما يخالط اللون من الحمار، والإشراق والاستنارة، وقد كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، وهو يعني الإشراق والاستنارة، فهو ﷺ مشرق اللون ومستنير اللون وهو الذي يقال عنه أنه أجمل الألوان، وقال علي عليه السلام: «كان نبي الله ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة»^(٢).

فلون وجه رسول الله ﷺ أبيض، ولكن لم يكن بالأبيض الأمهق وهو الذي يشبه بياض الجص، بل كان لونه هو الأبيض القمري المنير الذي إذا رأته حسبته فضة وذهباً.

ولذا قال هند بن أبي هالة عن حلية النبي ﷺ وكان وصافاً للنبي ﷺ: كان رسول الله يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وكان أزهر اللون^(٣).

وذكر أبو أحمد العسكري في تفسير هذا الخبر أن قوله: «يتلألأ وجهه تلالؤ القمر» معناه ينير ويشرق كإشراق القمر، وقوله «أزهر

(١) الاحتجاج ١: ٣٣٥، البحار ١٧: ٢٩٧، مستدرک الوسائل ١٦: ٢١٥ ح ١٩٦٣٦.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٤١ ح ٣٥، البحار ١٦: ١٤٧ ح ٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٢ ح ١، البحار ١٦: ١٤٩.

اللون» معناه نير اللون، يقال أصفر يزهر، إذا كان نيراً، والسراج يزهر معناه نير^(١).

٧٦. إسرائيل

غاية العبودية هي قبولها والإقرار بها مع الرضا والسرور بذلك، فمجرد كون العبد مطيعاً وقائماً برسوم الخدمة لا يبلغه الغاية في العبودية إذا كان يحدث نفسه بإباق أو تمرد أو خلاف ولم يدعن باستحقاق تلك المرتبة أو لم يرتضها ولم يفرح بها.

فقد مرّت امرأة بدوية برسول الله ﷺ وهو يأكل وهو جالس على الحضيض، فقالت: يا محمد والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه ! فقال لها رسول الله ﷺ: «ويحك وأي عبد أعبد مني؟»^(٢).

فقد أقرّ وأدعن بالعبودية وهو راضٍ ومسرور بها، وهو يبغى التمحض فيها؛ لأنه يعلم أن التمحض بالعبودية هو الذي يوصله إلى أعلى مرتبة الإنسانية، والارتفاع على سائر الخلق.

ألا تتأمل في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(٣).

يعني لما كان هو عبده بتمام معنى الكلمة أسرى به وبلغ ما بلغ حتى بلغ سدره المنتهى وارتفع فكان قاب قوسين أو أدنى.

ونخلص من كل ذلك إلى أن محمداً ﷺ هو إسرائيل؛ لأن إسرائيل في السريانية تعني عبد الله، وهو ﷺ أظهر مصاديق هذه الكلمة، فلا تتردد في إرادة الرسول المصطفى ﷺ من كلمة إسرائيل.

(١) معاني الأخبار: ٣٠، ٣٢، البحار ١٦، ١٥٥.

(٢) المحاسن ٢: ٤٥٧ ح ٣٨٨، البحار ١٦: ٢٢٥ ح ٣١، مكارم الأخلاق: ١٦.

(٣) الإسراء: ١.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا عبد الله اسمي أحمد وأنا عبد الله اسمي إسرائيل»^(١).

وروي بطرق متعددة عن أبناء رسول الله ﷺ قولهم: «نحن بنو إسرائيل»^(٢).

٧٧. أسمر اللون

مرّ في صفته ﷺ أنه أبيض اللون خالٍ عن الكدر، ولكن ورد في بعض الروايات أنه ﷺ كان أسمر اللون نقلاً عن الإنجيل^(٣) مع ورود الرواية بأنّه أبيض اللون مشرباً حمرة^(٤).

وجمع بينهما ابن الأثير فقال: وجه الجمع بينهما أنّ ما يبرز إلى الشمس كان أسمر اللون، وما تواريه الثياب وتستره فهو أبيض.

وهذا عجيب من مثل ابن الأثير فإنّ قولهم كان أبيض مشرباً بحمرة لا تكون عادة صفة ما يستره الثوب، وإنما يكون في الوجه فقط، مع أنّ الرسول ﷺ لا يفرق فيه ما بدا للشمس وما يستره الثوب؛ لأنه كان مظللاً بالغمام، وكانت تسير على رأسه غمامة أين ما سار، فلا شك أنه أبيض اللون.

(١) تفسير العياشي ١: ٤٤، البحار ٢٤: ٣٩٧.

(٢) انظر البحار ٢٤: ٣٩٧.

(٣) يروي عن حماد أنه قرأ في الإنجيل يا عيسى جدّ في أمري - إلى أن قال - صدقوا النبي الأمي ... أسمر اللون دقيق المسربة. إكمال الدين: ٩٥، ٩٦، أمالي الصدوق: ١٦٣، ١٦٤، البحار ١٦: ١٤٤، وانظر سنن الترمذي ٣: ١٤٥ ح ١٨٠٧، وتاريخ المدينة ٢: ١٠٩، ومسند أحمد ٢: ٤٣٨، ولسان العرب ٦: ٤٢.

(٤) أمالي الطوسي: ٣٤١ ح ٣٥، البحار ١٦: ١٤٧، ١٩٠، الجامع الصغير ٢: ٣٠٣، كنز العمال ٧: ٣٣ ح ١٧٨٠٩، فيض القدير ٥: ٨٩ ح ٦٤٧٣.

وقال ابن الجوزي في الحديث أسمر اللون: وهذا حديث لا يصح، وهو يخالف الأحاديث كلها، وحمله بعض العلماء على أن المراد بالسمر هنا الحمرة^(١)، ومن ثم جاء في رواية: «كان بياضه إلى سمر»؛ لأن العرب تطلق على من كان كذلك - أي بياضه إلى حمرة - أسمر^(٢).

وهو أقرب، وإن أمكن التصرف في كلمة «الأبيض» فهي تستعمل أحياناً فيما إذا صفا لون الشخص من الكدر، وقد مرّ أن لون رسول الله ﷺ لم يكن بالأبيض الممهق كلون الجص، وقد مر الكلام في عنوان أزهر اللون، فراجع.

٧٨. أسود الحدقة

حدقة العين هو إنسان العين وسوادها، الذي قد يتغير من شخص إلى شخص، فقد يكون أزرق وأصفر وبني وغيره، والرسول ﷺ أسود الحدقة، وقد توافرت الروايات أنه ﷺ كان أبيض مشرباً بياضه حمرة، أهدب الأشفار، أسود الحدقة^(٣). وقد مر الكلام عنه في عنوان أحور «فراجع».

٧٩. أشبه الناس بآدم

المختلج في الأذهان - بعد طرح مسألة أن الإنسان كان قرداً وتطور حتى صار إنساناً المعروفة بنظرية دارون - أن الإنسان الأول أقرب شبيهاً إلى القرود، وما زال الإنسان يحسن ويجميل على مر العصور.

(١) البداية والنهاية ٦ : ٢٣.

(٢) تاريخ المدينة ٢ : ٦٠٩.

(٣) البحار ١٦ : ١٩٠، الجامع الصغير ٢ : ٣٠٣، كنز العمال ٧ : ٣٣.

ولكن هذه النظرية قبل أن ترفضها أدق النظريات العلمية المعاصرة رفضها الإسلام، فإنه يرى أنّ الإنسان الأوّل هو الإنسان الأجل؛ لأنه أنزل من الجنة، أي من عالم أكثر تطوراً، ومعلوم أن سكان الجنة تُعرف في وجوههم نضرة النعيم، وأنّ ظروف الأرض ودناءتها هي التي غيرت تلك المحاسن وأزالتها.

وبهذا تعرف الوجه في قول الرسول ﷺ: «أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وإبراهيم أشبه الناس بي خلقه وخلقته»^(١).

ولكن مع ذلك فإن هذا لا يعني أننا سنعرف صفات رسول الله ﷺ من خلال معرفة صفات آدم ﷺ لعدم وصول ما يدل على ذلك ويحيط به، وإنما نعرف صفات النبي آدم ﷺ من خلال معرفة صفات رسول الله ﷺ التي تطرح على التدرّج في هذا الكتاب، والتي ذكرت مجتمعة في كتب أخرى^(٢).

٨٠. تشجيع الناس

اقتضت حكمة الباري تعالى أن يبعث إلى جنود الشيطان وحزبه الذين انحازوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة الشيطان من يقاتلهم وينازلهم.

وذلك بعدما اتفقت كلمتهم على الشرك وإن تخالفوا فيما عدا ذلك، فعلى الرغم من تصارعهم وتناحرهم، اتفقوا على نفي التوحيد واتخاذ الشرك مسلماً وطريقاً، مع مناجزة من حاد عنه.

ومن ناحية ثانية فقد أكسبهم الصراع الدائم والحياة البدوية، الضراوة المتناهية والقساوة التامة والشجاعة الفائقة والمهارة الكاملة

(١) علل الشائع ١: ١٢٨، الخصال: ٤٢٥، معاني الأخبار: ٥١.

(٢) انظر البحار ١٦: ١٤٤.

في خوض المعارك .

فترى أنّ الحكيم تعالى ما الذي يبعث إلى قتالهم ومنازلتهم ولا بد أنك تقول إنّ مقتضى الحكمة أنه سيبعث جيشاً جرّاراً ليس له أوّل ولا آخر.

ولكن الله سبحانه وتعالى بعث إليهم محمداً ﷺ وكلفه وحده أن يقاتلهم ويناجزهم، فقال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾^(١) وليس ذلك إلا لأن محمداً ﷺ يمتلك شجاعة جيش جرار لوحده.

وكان الرسول المصطفى ﷺ كذلك على الرغم من خروج أصحابه معه، فقد روي أن علياً ﷺ قال: «لقد رأيتني يوم بدر نلوذ بالنبى ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»^(٢). وما تقدّمه بنفسه نحو جيش الكفر إلا حكاية عن تلك الصفة، وما أحسن ما قال الشاعر:

ولما رأوه مقبلاً دون جيشه دروا أن كل العالمين فضول

ولقد فرّ المسلمون يوم أحد، وانهزموا هزيمة نكراء حتى كان يقول بعض الصحابة، ولقد رأيتني وأنا على مسيرة أميال من أحد التفت وأنز.

وكان بطش المشركين في هذه المعركة بحد لم يكن ذكر الهزيمة أو التحديث بها بعد ذلك يعدّ عاراً على المسلمين، حتى أن البعض ممن يرى أنه خليفة المسلمين وإمامهم بعد النبي ﷺ يتحدث بكل ارتياح أنه انهزم يوم أحد وترك النبي ﷺ وحيداً.

(١) النساء: ٨٤.

(٢) مكارم الأخلاق: ١٨، البحار: ١٦: ٢٣٢.

وفي هذا الموقف العصيب وقف الرسول ﷺ هو واليسير من أصحابه في حومة القتال حتى توارت جحافل الشرك.

ويوم حنين لما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين فطلق رسول الله ﷺ يُركض بغلته نحو الكفار وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(١)

وما أركض بغلته نحو جيوش الكفار المستسبعة بعد فرار جيوش المسلمين ووهنها وتنهنها، إلا لأنه أشجع الناس، ولأنه يمتلك شجاعة جيش كامل، ولأنه هو المكلف بقتالهم وإن بقي وحده وفر المسلمون.

ولما قيل للصادق عليه السلام قول الناس لعلي عليه السلام: إن كان له حق فما منعه أن يقوم به؟ قال: «إن الله لم يكلف هذا إلا إنساناً واحداً: رسول الله ﷺ قال: ﴿فَقَلِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فليس هذا إلا للرسول»^(٢).

ومع كل ذلك لا ننسى أن جميع فرق الإسلام تناقلت أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كنا إذا حمي البأس، وفي رواية إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»^(٣).

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ١: ٤٦٦ ح ٣٦٩، ارشاد المفيد ١: ١٤٣، أمالي الطوسي: ٥٧٤ ح ١، الخرائج والجرائح ٣: ١٠٤٨، مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٨١، بحار الأنوار ١٦: ٢٠٠ و ج ١٩: ٣٧٧، مسند أحمد ٤: ٢٨٠.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢١٦ ح ٢١٠، البحار ١٦: ٣٤٠ ح ٢٩، تفسير نور الثقلين ١: ٥٢٣، والآية: ٨٤ من سورة النساء.

(٣) انظر الشفاء ١: ١١٦، والبحار ١٦: ٢٣٢، ٣٤٠.

وقيل: كان أشجع الناس من لاذ برسول الله ﷺ إذا دنا العدو لقربه منه^(١).

ويبقى الكلام فيمن نعت رسول الله ﷺ بأنه أشجع الناس وجرى على لسانه ذلك، فقد روي ذلك عن أنس، وعبد العزيز بن صهيب وغيرهما قالوا: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس^(٢).

٨١. أشرف الأشراف

جاء هذا اللقب في كلام ابن قتيبة، حيث قال: ومما يدل على صدقه ﷺ أن الأعمال تدل على صدق أهلها ومما يوجب تصديقه أنه كان أشرف الأشراف، وأحلم الحكماء وأجود الأجواد، وأنجد الأنجاد وأزهد الزهاد^(٣).

ونذكر أن السائد آنذاك هو أن يكون لكل قوم أشراف، فهناك أشراف قريش وأشراف مكة والمدينة وأشراف الحجاز، وأشراف العرب وهكذا يكون لهم تقدم وارتفاع يشار إليهم ويشاد بهم ويذكرون بالتعظيم وتسمع أقوالهم وينظر إليهم من مكان منخفض.

ولاشك أن النبي ﷺ هو أشرف الأشراف فهو الذي يشار إليه ويذكر بالتعظيم والتبجيل أكثر مما عداه، كيف وهو يذكر اسمه في كل بلد إسلامي على المآذن والمنائر في كل يوم مرات ومرات.

(١) الشفاء ١: ١١٦، البحار ١٦: ٣٤٠ ح ٣١، تفسير العياشي ١: ٢٦٢ ح ٢١٣.
 (٢) مكارم الأخلاق: ١٩، المصنف لابن أبي شيبة: ٥٧٨، بحار الأنوار ١٦، ٢٣٢، مسند أحمد ٣: ١٤٧.
 (٣) دلائل النبوة: ١٣٨.

٨٢. أشرف الأنبياء

الشرف هو العلو، والشريف هو العالي والمقدم، والأشرف، هو الأكثر علواً وتقديماً وإذا كان النبي ﷺ أشرف الأنبياء والمقدم عليهم والسابق فلأنه أول من آمن بربه وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، فكان أول نبي أجاب، وأول نبي قال بلى، فسبقهم بالإقرار بالله ﷻ^(١).

وبذلك صار له علو وارتفاع، وأشير إليه كما يُشار إلى كل سابق وكل أول، وعُرف بذلك وأقرت له الأنبياء حتى بشرت به وتمنت بلوغ زمانه، واستودعته أوصياءها وحواريها، ومنهم أخذها الرهبان حتى إذا كان زمان النبي ﷺ وخرج بمال خديجة إلى الشام للتجارة رآه أحد الرهبان وعرفه ﷺ وعرف قصته فقال لعبد خديجة واسمه ميسرة: يا ميسرة اقرأ مولاتك مني السلام وأعلمها أنها قد ظفرت بسيد الأنام، وأنه سيكون لها شأن من الشأن وتفضل على سائر الخاص والعام، وأحذرها أن يفوتها القرب من هذا السيد - إلى أن قال - وأنه أشرف الأنبياء وأفضلهم^(٢).

وقال الشيخ الطوسي: محمد ﷺ أشرف الأنبياء والرسول بدليل قوله ﷺ لفاطمة^(٣): «أبوك خير الأنبياء، وبعلك خير الأوصياء»^(٣).

٨٣. أشرف أهل الأرض

لا يقتصر علو النبي ﷺ وارتفاعه على أهل مكة والمدينة، ولا

(١) انظر الكافي ١: ٤٤١ ح ٦ وج ٢: ١٠ ح ١، والبحار ١٦: ٣٥٣ ح ٣٦، ٣٧، بصائر الدرجات ١٠٣ ح ٢.

(٢) انظر البحار ١٦: ٤٤.

(٣) الرسائل العشر: ٩٧، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٦٣، بحار الأنوار ٢٨: ٥٢ ح

كل العرب، بل جميع أهل الأرض؛ لما مرّ من ارتفاع شأنه وعلوّه في أنظار جميع أهل الأرض.

فإنّ غير المسلمين وإن كانوا لا يعتقدون به، إلا أنهم يقرّون له بالتقدم في العقل والتوفيق في جمع شتات العرب وبسط نفوذ الدولة الإسلامية، على أنّ له الأثر البالغ في تقدّم العلوم وانتشارها، وحمل الناس على ترك أعمال الجاهلية، كما أسس الأسس القويمة لإعزاز الإنسان ومحو الرقبة ونفي التفاضل العرقي واللوني.

ولم يكن التقدّم وما يؤول إليه أمر النبي ﷺ وانتشار صيته وعلو شأنه بالذي خفي على السابقين، كيف وهو الذي بشرت به الأنبياء السابقون، وعرفه أتباعهم، وبلغ ذكره والتبشير به الأكناف، وعلى الأقل كانوا يعلمون إجمالاً بوجود هذا الرجل ويتفألون بمجيئه حتى أنّ ورقة بن نوفل قال لخديجة: يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض والسماء^(١).

٨٤. أشرف أهل السماء

لا يعد الرجل شريف قوم إلا إذا كان منهم، كما لا يُعدّ شريف بلد أو مكان إلا إذا كان منهم، ويتواجد في أصقاعهم، ويعيش في ظهرائهم، وإذا كان الرسول المصطفى ﷺ أشرف أهل السماء فيلزم أن يكون هو منهم، ويتواجد عندهم، ويعدّ واحداً منهم.

وتصوّر أن الرسول ﷺ من أهل السماء ليس ببعيد، بل الحق أنّ أكثر تواجده كان في السماء، إذ كان هو أوّل مخلوق فكان يسبح

حول العرش ومنه أخذ الملائكة التسبيح كما نصت عليه الأخبار، فالمعلم أشرف من المتعلم، ونزوله إلى الأرض إنما كان برهة، فنحن نقول: خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محققين حتى منّ علينا بكم^(١).

وإنما نضطر إلى فرض ذلك إذا ورد في الأخبار أنه أشرف أهل السماء، ولكن لم يرد سوى ما مرّ في كلام ورقة من أنه أشرف أهل الأرض والسماء الملازم لكفاية تواجده في أحدهما.

ويبقى أنّ البحث عن علوه وارتفاعه في أنظار أهل السماء، وهو حاصل لا محالة وثابت فقد مرّ في وجه تسميته بأحمد، أنه أحمد في السماء منه في الأرض، وأعلى صيتاً وذكراً ومع ذلك ورد في تفسير قوله تعالى في الشيطان لما امتنع عن السجود: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أن العالين هم محمد وأهل بيته^(٢).

٨٥. أشرف زينة الجنان

النبي ﷺ هو زينة الجنة وأشرف زينتها بهذه البساطة والوضوح، ولكن تصور ذلك وأنه كيف يكون النبي ﷺ زينة الجنة دعائي إلى التفكير والتأمل، فأخذ فكري يدور ويجول بين موارد استعمال كلمة الزينة في الكتاب والسنة، وتأمّلت في قوله تعالى: ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

(١) انظر البحار ١٥ : ٨ - ٢١.

(٢) البحار ١١ : ١٤٢ ح ٩، وج ١٥ : ٢١ ح ٣٤. نقل عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة فقال رسول الله ﷺ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين» الحديث. والآية في سورة ص: ٧٥.

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا^(١) وما روي من أن العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى^(٢) والقرآن زينة لحامله^(٣)، وأحسن زينة الرجل السكينة مع الإيمان^(٤)، وثمان ركعات من آخر الليل زينة الآخرة^(٥)، والعقل زينة الخلق^(٦)، وزينة الأرض الرجال، وزينة الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام^(٧)، والحجر الأسود زينة من الجنة^(٨)، وأن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تساقطت عنه جميع زينة الجنة ولم يبق عليه إلا التاج والإكليل^(٩)، كل ذلك وإن أمكن استشعار معنى أن الرسول عليه السلام زينة الجنة منه ولكن لم يشف الغليل، ولم يبرد الصميم حتى انتهت إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا الدُّنْيَا بِمَعْلِيحٍ﴾^(١٠) فقد أخذ هذا المعنى بأنباط القلب، وتخطرت ما روي من أن النبي عليه السلام وآله لأهل الجنة كالنجوم لأهل الأرض.

فكما أن النجوم هي زينة السماء بلمعائها ونورها وتشعشعها، فكذا رسول الله عليه السلام وأهل بيته زينة الجنة يرى نورهم ويتمتع برؤيتهم كل أهل الجنة ويأخذ نورهم وجمالهم بقلوب الناس.

وهكذا كل زينة إنما تكون زينة بلمعائها وتشعشعها، فهذه الأحجار الكريمة واللآلئ والعقود والجواهر واليواقيت وغيرها إنما

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٨٠، تحف العقول: ٩٠ و ١٠٠.

(٣) الكافي ٢: ٦٠٤.

(٤) أمالي الصدوق: ٥٧٧، من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٠٣.

(٥) تهذيب الأحكام ٢: ١٢٠، ثواب الأعمال: ٤١.

(٦) شرح أصول الكافي ٨: ١٤١.

(٧) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٧٤، شواهد التنزيل ١: ٤٥٨ ح ٤٨٥.

(٨) مجمع الزوائد ٣: ٢٤٣، فتح الباري ٣: ٣٧٠.

(٩) كتاب التوايين لابن قدامة: ٨.

(١٠) الملك: ٥.

تكون زينة بلمعانها، وأخذها بقلوب الناس من جراء ذلك. وكذا المال والبنون إنما صارت زينة لأنها تأخذ بقلوب الناس وهي تتألق في أذهان مريدي الدنيا وطالبيها.

وبهذا يعرف المعنى من قوله ﷺ: «إِنَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ أَشْرَفَ زِينَةَ الْجَنَانِ»^(١).

٨٦. أشرف الناس حسباً

قيل: الحسب الكرم، والحسب: الشرف الثابت في الآباء، وقيل: هو الشرف في الفعل، والحسب: ما يعتد الإنسان من مفاخر آبائه، والحسب: الفعال الصالح، فهو حسيب: أي له آباء كانوا يفعلون الخير^(٢).

فإن هذه الأقوال دائرة بين جعل الحسب هو مكارم الشخص ومفاخره، وبين جعلها هي مكارم آبائه ومفاخرهم.

وأياً ما كان فإن مكارم الرسول ﷺ ومفاخره لا تخلو تضاعيف هذا الكتاب عن بعض قبساتها وملامحها، وتبقى الإشارة إلى مفاخر آبائه وأجداده ومكارمهم.

فهو الرسول المؤيد محمد بن عبدالله الأغر المسلم للذبح المفدى بمائة من الإبل والمعروف بالشرف.

ابن عبد المطلب المقدم عند الخاص والعام حافر بئر زمزم وساقى الحجيج، الملقب بالفياض لجوده.

(١) تفسير الإمام العسكري: ١٥ ح ٢، البحار: ١: ٢١٧ ح ٣٥.

(٢) لسان العرب: ٣: ١٦١.

ابن هاشم الذي هشم الشريد للناس في أيام الغلاء، وفي العام الجذب، وسن الرحلتين وكانت إليه الوفادة والرفادة.

ابن عبد مناف الذي علا وأناف، وكان يدعى القمر لجماله، ويدعى السيد لشرفه وسؤدده.

ابن قصي الملقب بالمجمع لأنه جمع قبائل قريش بعد ما كانوا في الجبال والشعاب وقسم بينهم المنازل بالبطحاء بعدما أخرج خزاعة وحاربههم وأجلاهم عن الحرم.

ابن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. ابن النظر، وهو قريش، وسمي النظر لأن الله تعالى اختاره.

ابن خزيمة الذي سمي بذلك لأنه خزم نور آبائه.

ابن مدركة الذي أدرك قومه الشرف في أيامه.

ابن الياس النبي ﷺ الذي جاء على آياس وانقطاع.

ابن مضر الذي سمي بذلك لأخذه بالقلوب، ولم يكن يراه أحد إلا أحبه.

ابن نزار واسمه عمرو، سمي بذلك لأن أباه معد نظر إلى نور النبي ﷺ في وجهه فقرب له قرباناً عظيماً وقال له: لقد استقلت هذا القربان، وإنه لقليل نزر.

ابن معد الذي كان صاحب حروب وغارات على اليهود؛ وكان منصوراً.

ابن عدنان الذي كانت أعين الحي كلها تنظر إليه.

ابن أدد الذي كان ماد الصوت كثير الغر.

ابن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ^(١).

وهكذا ينتهي نسب النبي ﷺ إلى سلسلة الأنبياء.

وبهذا تعرف الوجه في قول النبي ﷺ أنا أشرف الناس حسباً ^(٢)، لأنه شارك الأنبياء في آبائهم من الأنبياء وزاد عليهم بأشرف العرب وهم قبيلة قريش، وزاد عليهم أنه من أشرف قريش الذين تُعرف فضائلهم ومآثرهم ومكارمهم، فهو أشرف الناس حسباً بمفاخره ومكارمه، ومفاخر ومكارم آبائه.

٨٧. أشعر الذراعين والمنكبين

الشعر في بدن الرجل محمود على خلاف المرأة، ويمكن رجوع ذلك إلى أن الخشونة في الرجل محمودة، حيث إن الرجال هم حماة النساء وملجأها وكهفها، فالمرأة غير المسترجلة ترغب في الرجل الذي فيه شجاعة وخشونة تلتجئ إليه وترقد في كنفه، وقد يكون لاستحسانه عوامل أخرى غريزية وغيرها النساء أعرف بها.

ومن ناحية أخرى فإن حكمة الشعر في بدن الرجل هو للفرق بين الرجل والمرأة، وهو ملاك الرجولة، فكلما زاد الشعر كانت الرجولة أشد وأكمل على أن لا يخرج عن الحد المتعارف.

كما ثبت أن الشعر ينموه وخروجه تخرج المواد المضرة في البدن كما جاءت الإشارة إليه في كتاب «دراسة في طب الرسول المصطفى ﷺ».

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٤ - ١٣٥، البحار ١٥: ١٠٥ ح ٤٩، وص ١٢٤.

(٢) كنز العمال ١١: ٤٣٥ ح ٣٢٠٤٤، الفردوس للدليمي ١: ٤٥.

والرسول هو الكامل من كل جهة كما نعتقد، صار أشعر الذراعين والمنكبين على ما ذكره هند بن أبي هالة في وصف النبي ﷺ وكان وصافاً له ﷺ^(١).

٨٨. أشفق الناس على الناس

ما كان حلول الرسول ﷺ في محفل كحلول قطرات الندى المتلاثة على حدود الزهور الناعمة وجبين الوريقات المتمايلة لتضيفها روعة وتغذوها شهداً وتسنيماً .

وما هو كنزول المطر على الأرض الجذباء المرهوقة عطشاً لتفوح عبيراً وتزرع مسكاً وتدر لبناً، وتؤلف جمعاً مشتتاً بدداً.

وما كان مروره بقوم كهبوب النسيم هويناً على عرق جبين ساخن فتصنع برداً متزايلاً، ويستريح من كده تاعباً نصباً.

وما كانت خُطاه كسقوط عقود ظريف القلائد على أجياد الفتيات واحدة تلو اختها لتضيفها بريقها وروعها حسناً وبهاءً.

بل كان أشفق من الندى وقطرات المطر وهبوب النسيم وأكثر نفعاً وأقل ثقلًا، وأشفق من أم حنون مات لها سبعة بنين وهي ترضع سقيماً مفرداً، إذ أنه ﷺ تحمل من أجل الناس مصاعب جمّة، وصب قطرات عمره في مزائغ طرقهم ومخارق سبلهم ليستنقذهم من شفا حفرة من النار، ويهديهم سبيلاً سهلة، ويوصلهم إلى نعيم الآخرة.

وما زال يختار لهم التسهيل ولنفسه التشديد ما ترك له الاختيار، ويخاف عليهم أن يصيبهم ما أصاب القرون الأولى، وما زال يدعو

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ١ : ١٧٦ ، ١٧٨ ، وج ٢ : ٢٨٣ ، البحار ١٦ : ١٤٩ ، وانظر الشمائل المحمدية للترمذي : ٣٧ ، والأحاديث الطوال للطبراني : ٧٥ .

لهم كلما آذوه وجهلوا أو تعسفوا ولا يفضب ولا يدعو عليهم شفقة ورافة، بل يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .
ويتلخص كل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمَلِئِينَ﴾^(١).

وأما شفقته على المؤمنين وخوفه عليهم، وإشفاقه أن يصيبهم شيء أو ألم فيعلم من قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده. وإذا ماشاهم تأخر في أخريات الناس فيزجي الضعيف ويردفه ويدعو لهم، وإذا حدث الحديث كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه^(٣).

وقدم يهوديان أخوان من رؤساء اليهود إلى المدينة، ودارت بينهما وبين علي بن أبي طالب ﷺ مسائل، فقال له أحدهما: صف لي محمداً كأنني أنظر إليه، فذكر صفاته البدنية ثم قال: «كان عليه الصلاة والسلام أشفق الناس على الناس، وأرأف الناس بالناس»^(٤) الخبر.

٨٩. أشكل العينين

يقال أشكل العين إذا خالط بياضها شيء من الحمرة، هذا هو

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) انظر البحار ٦: ٢٣٣، ٢٣٦.

(٤) الخصال: ٥٩٩، بحار الأنوار ١٠: ٥ وج ٣٠: ٩٤.

المشهور المعروف^(١)، وقيل معناه طويل أشفار العين، وفسره ثالث بأنه طويل شق العين^(٢).

والمعنيان الأخيران يضيفان جمالاً لعيون النبي ﷺ الحوراء الشديدة السواد واسعة الحدقة؛ فإن انضمام طول الأشفار أو طول العين الذي هو كناية عن سعة العين يزيدا جمالاً وحسناً.

وأما المعنى الأول - يعني مخالطة بياض العين بشيء من الحمرة - ما أظنه إلا أنه سيماء قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي الثَّلَاثِ وَيَصِفُّكَ وَيُكَلِّمُكَ﴾^(٣). أي طول السهاد، وطول ثقلبها في السماء، مع دوام بكاء الحبيب المستهام.

فإن حمرة العين لا تكون إلا من مرض أو سهر أو بكاء، وإذا كان الرسول ﷺ مريضاً فهو كمرض العاشق، وإذا سهر وبكى فهو مصداق قوله ﷺ:

إلهي حليف الحب في الليل ساهر

يناجي ويبكي والمغفل يهجع

وليس حديث أنه ﷺ أشكل العينين رواية مفردة، ولكنها روايات منقولة عن كثير من الصحابة، فقد روي عن جابر بن سمرة، وابن عباس، وأبي هريرة، وهند بن أبي هالة، على أنه جاء في بعضها: «كان ﷺ لم تزريه مقلّة، ولم تبعه ثلجة، أغر أبلج، أحور أدعج، أكحل أزج ... أشكل العينين مقرون الحاجبين»^(٤).

(١) انظر لسان العرب ١١: ٣٥٧ و ٣٥٨ (مادة شكل).

(٢) حكاة عن سماك بن حرب في لسان العرب ١١: ٣٥٨ (مادة شكل)، القاموس المحيط ٣: ٤٠١.

(٣) المزمّل: ٢٠.

(٤) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٥، البحار ١٦: ١٨٠، ١٨٣، سنن الترمذي ٥: ٢٦٤، ٣٧٢٦، الديباج على مسلم ٥: ٣٢٢، تاريخ المدينة لابن شبة النميري ٢: ٦١١.

٩٠. الأشنب

اختلفوا في الشنب فقالت طائفة: هو تحزيز أطراف الأسنان، وقيل هو صفاؤها ونقاؤها، وقيل: هو تفليجها، وقيل: هو طيب نكهتها، وقال الأصمعي: الشنب: البرد والعذوية في الفم، وقال ابن شميل: الشنب في الأسنان أن تراها مستشربة شيئاً من سواد كما ترى الشيء من السواد في البرد، وقيل: نقط بيض قي الأسنان، وقيل: حدة الأسنان، وقال الجرمي: حدتها حين تطلع، فيراد بذلك حداتها وطراوتها؛ لأنها إذا أتت عليها السنون احتكت، وقيل: رقة وعذوية في الأسنان، وقيل: البياض والبريق والتحديد في الأسنان، والأكثر على أن الشنب ماء ورقة يجري على الثغر^(١).

ويجمع الجميع أنه جمال في الفم أو في الأسنان، ويحضرني عاجلاً أن المراد هو انتظام وبريق وبياض ورقة حاصلة من المحافظة على نظافتها لقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٢).

وهو ﷺ يطوي عمراً في الصيام والطوى، معرضاً عن الحار من الطعام مانعاً من أكله، عارفاً بما يصلحها ويعمرها، على أن المشاهد لها لا يرى عليها مرور الأعوام والدهور، بل مازالت حداتها.

وقال الشيخ الصدوق: الأشنب من صفة الفم، قالوا: إنه الذي لريقه عذوية وبرد، وقالوا أيضاً إن الشنب في الفم تحدد ورقة وحدة في أطراف الأسنان، ولا يكاد يكون هذا إلا مع الحدائة والشباب، قال الشاعر:

(١) لسان العرب ٧: ٢١٨ شنب.

(٢) المحاسن ٢: ٥٦١ ح ٩٤٦، الكافي ٢: ٢١ ح ١، من لا يحضره الفقيه ١: ٥٥ ح ١٢٣، مكارم الأخلاق: ٥٠، ذخائر العقبى: ٢٣٩، مسند احمد ٢: ٢٤٥.

يا بأبي أنت وفوك الأشنب كأنما ذر عليه الزرنب^(١)

وأياً ما كان فقد جاء هذا في وصف هند بن أبي هالة للنبي ﷺ
وكان وصافاً للنبي ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ أشنب مفلج
الأسنان^(٢).

٩١. أصدق البرية كلها

البرية: من برأ الله تعالى وخلقته من الأولين والآخرين، وليس
خصوص المعاهدين، وقد تقدم الكلام في رجحان صدق النبي ﷺ
على سائر الأنبياء، وهو كافٍ في المقام.

ولا بأس بيسط الكلام هنا في الأصدقية، فالملاحظ أن عنوان
الصادق يطلق على الصادق في إخبار واحد وفي كلام واحد، ويقال
هو صادق في هذا الكلام وإن كان كذاباً، ويكون صادقاً في كلامين
أو ربع كلامه أو نصفه أو أكثره وجله وكله.

وبهذا المعنى يكون للصدق مراتب كما يكون للكذب مراتب
عكسية تقل بازدياده، وتزداد بنقصانه، حتى يبلغ المقدار الصادق جميع
كلام المتكلم فيكون أصدق الناس في حينه، والأصدق منه من كان
كذلك في جميع حياته.

ولا يقف التفاضل والتدرج عند ذلك الحد، ويشمل الأصدقية
في أعلى المراتب السابقة، وهي الأصدقية في جميع العمر وجميع
الكلام وإن عسر تصوّره؛ لأنه المستفاد من الروايات وكلام أهل اللغة.

(١) معاني الأخبار: ٨٦، عنه في بحار الأنوار ١٦: ١٥٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٨٣، معاني الأخبار: ٨٠، مناقب أمير المؤمنين ﷺ
للكوفي ١: ١٩، مكارم الأخلاق: ١٢، بحار الأنوار ١٦: ١٤٩ و ١٨١، مجمع
الزوائد ٨: ٢٧٣.

والذي يهمننا في هذه المرحلة إطلاق الأصدقية لتشمل جميع جهات الإضافة، فهو يضاف إلى اللهجة واللسان، والكلام، والوعد، والنية، والحديث، والرؤيا، والفراسة، والإيمان، والنظر، والنبأ، وغيرها.

وكذا من ناحية الأنظار كالصدق في نظر التابع، والصديق، والأهل والعشيرة، والقوم، والبلد، والمخالف، والرقيب، والعدو، والخلق الطيني والنوري، والمخلوق والخالق.

والرسول المصطفى ﷺ أصدق البرية على الإطلاق بجميع جوانبه وبذلك العموم والشمول.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ أصدق الناس لهجة، وأصدق البرية كلها»^(١). وهو من باب ذكر العام بعد ذكر الخاص.

٩٢. أصدق البرية لهجة

معنى البرية: الخلق، والخلق: المخلوقون من ذوي الشعور، واللهجة مفسرة باللسان، والنتيجة أن الرسول ﷺ أصدق الخلق لساناً.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، وكان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه»^(٢).

والمستفاد منه أن هناك علاقة بين صدق لهجة الرسول ﷺ وصعوبة الكذب عليه ودس الحديث الكاذب في أحاديثه ﷺ، ولا بد

(١) رجال الكشي ١: ٣٢٤ ح ١٧٤ البحار ٢٥: ٢٨٧.

(٢) رجال الكشي ١: ٣٢٤ ح ١٧٤، البحار ٢: ٢١٧، وج ٢٥: ٢٦٣ و ٢٨٧،

مستدرک الوسائل ٩: ٩٠ ح ١٠٣٠٦.

أن صدق اللهجة يعني نوع حصانة في الكلام حاصلة من نوع البيان ونوع الكلام ونوع المعاني بحيث يصعب تغييره وتحريفه أو الإتيان بما يشابهه، ومع ذلك حاول مسيلمة من دس الأحاديث الكاذبة.

وبيان آخر: إن كلام النبي ﷺ كان بحيث يبادر السامع إلى تصديقه وقبوله ولا يتأمل في ذلك؛ لموافقته للفترة، وأنه ليس فيه مجال للترديد واحتمال الخلاف، وكلام هذه صفته يصعب تحريفه والوضع فيه. وهذا هو السر في كون الرسول ﷺ أصدق البرية لهجة.

٩٣. أصدق الناس لهجة

فسرت اللهجة في مثل المورد باللسان أو طرف اللسان، فيكون معنى هذه الصفة أصدق الناس لساناً^(١).

ويريبيني ويرددني ويشغل بالي أن اللغويين أخذوا هذا المعنى من قول الرسول ﷺ: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»^(٢). وإلا فهم فسروا اللهجة بالولع والاعتیاد، ويكون المعنى أصدق الناس ولعاً واعتیاداً، بمعنى اعتياده الصدق وعدم تكلفه، والأصدق يكون أكثر اعتياداً للصدق ولوعاً به.

ويأتي هنا إشكال حول تصور الجمع بين كون الرسول أصدق الناس لهجة وكون أبي ذر كذلك، وهو مما يصعب الجواب عليه لولا بيان المعصوم.

فقد قيل لأبي عبد الله ﷺ: أليس قال رسول الله ﷺ في أبي ذر رحمة الله عليه: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر؟

(١) لسان العرب ١٢: ٣٤٠ لهج ة.

(٢) لسان العرب ١٢: ٣٤٠، الاستيعاب ١: ٣٢٣.

قال: بلى.

قال: قلت: فأين رسول الله وأمير المؤمنين؟ وأين الحسن والحسين؟

قال، فقال لي: كم السنة شهراً؟ قلت: اثنا عشر شهراً.

قال: كم منها حُرْم؟

قال: قلت أربعة أشهر، قال: ف شهر رمضان منها؟ قال، قلت:

لا.

قال ﷺ: إن في شهر رمضان ليلة أفضل من ألف شهر، إنا أهل بيت لا يقاس بنا أحد^(١).

وبهذا يتضح أن الاختلاف إنما يكون بالآثار، وإلا فليلة القدر وغيرها بحسب الظاهر، وإنما الاختلاف بالآثار، فكذا أصدقية لهجة النبي ﷺ قد تكون كأصدقية لهجة أبي ذر بحسب الظاهر إلا أن الاختلاف بالآثار المترتبة على صدقه في هذه الدنيا وفي الآخرة، من هداية الناس وكثرة الأتباع و العاملين بما صدّقهم به، و عظم الثواب و خمود النيران في الآخرة وغيرها.

وجاء التعبير بذلك و نعت الرسول ﷺ بهذا النعت في وصف علي ﷺ للنبي ﷺ^(٢) و في كلام أبي عبد الله ﷺ^(٣).

وقالت عائشة: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها ﷺ^(٤).

(١) معاني الأخبار: ١٧٩، بحار الأنوار ٢٢: ٤٠٦ ح ٢٢.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٦٠.

(٣) البحار ٢٥: ٢٦٣ و ٢٨٧، رجال الكشي ١: ٣٢٤ ح ١٧٤، البحار ٢: ٢١٧.

(٤) ذخائر العقبى: ٤٤، حلية الأولياء ٢: ٤٢.

٩٤. أصفى الأنبياء سريرة

السريرة: هي السر والباطن والنية.
والسر دائماً إلى الله ﷻ، وهو الحاكم فيه، ولكن لا بد من يوم
أو ساعة يظهر فيها ما في السرائر، والإناء ينضح بما فيه.
وكما قيل: من صلحت سريرته صلحت علانيته، ومن صلحت
علانيته صلحت سريرته، مع أنّ هناك قاعدة تقول إنّ نجاح العمل
بصفاء قلب صاحبه وصدق نيته.

وحال الأنبياء معلوم بعد تنامي أعمالهم حتى صارت كل كلمة
من كلماتهم وكل فعل من أفعالهم مذهباً ومسلكاً لأمتهم.
وخصوصاً الرسول المصطفى ﷺ فقد عرف بأنه الأصفى سريرة
من قبل ولادته، وبشرت به الأنبياء وتوسّلت باسمه كآدم ونوح
وغيرهما عليهم السلام، وتحملته عنهم أتباعهم، خصوصاً الأحرار
والرهبان من بقايا اتباع موسى وعيسى ﷺ.

ولما شاهد الراهب فيلق بن يونان النبي ﷺ في سفره إلى الشام
عرفه وقال لخادم خديجة واسمه ميسرة: يا ميسرة اقرأ مولاتك مني
السلام، وأعلمها أنها قد ظفرت بسيد الأنام - إلى أن قال - وأعلمها
أنه لا يدخل الجنة إلا من يؤمن به ويصدق برسالته، وأنه أشرف
الأنبياء وأفضلهم وأصفاهم سريرة^(١).

٩٥. أصفى الناس سريرة

ولما استشارت خديجة عمها ورقة بن نوفل في الزواج من
محمد ﷺ - و كان عند ورقة علم من الكتب السالفة بما يكون من أمر
محمد ﷺ - قالت: يا عم صف لي عيه.

فقال: أصله أصيل، وفرعه طويل، وطره كحيل، وخلقته جميل، وفضله عميم، وجوده عظيم، والله يا خديجة ما كذبت فيما قلت.

قالت: يا عم صف لي عيبه كما وصفت لي خيره. قال: يا خديجة وجهه أقر، وجبينه أزهر، وطره أحور - إلى أن قال - وهو أحسن العالم سيرة، وأصفاهم سريرة^(١)، وأنشأ يقول:

لقد علمت كل القبائل والملا
بأن حبيب الله أظهرهم قلباً
وأصدق من في الأرض قولاً وموعداً
وأفضل خلق الله كلهم قرباً

٩٦. الأصل المبارك

الأصل هو المادة والأساس الذي تنبني عليه وتتفرع أمور كثيرة، ويشبه بساق الشجرة الذي يكون منه الفروع والثمر، والبركة كناية عن كثرة الفروع والثمر، ويقال ذلك للنبي ﷺ وأهل بيته ﷺ لما يترتب على وجودهم من البركة والخير، وخصوصاً النبي ﷺ فهو الأصل الذي تفرع عليه الفروع الطيبة من أهل البيت ﷺ.

فقد جاء في وصفهم ﷺ: «هم فروع طيبة، وأصول مباركة»^(٢). وقال أبو جعفر محمد بن علي ﷺ: «شجرة أصلها رسول الله ﷺ، وفرعها علي بن أبي طالب، وأغصانها فاطمة بنت النبي، وثمرها الحسن والحسين»^(٣).

(١) البحار ١٦ : ٦٠.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٣٩٦، البحار ٢٣ : ٢٤٦، انظر اليقين للسيد ابن طاووس: ٣١٩.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٣٩٥، اليقين للسيد ابن طاووس: ٣١٨، البحار ٢٣ : ٢٤٥ ح ١٦ وج ٢٦ : ٢٥٠ ح ٢٢.

وذلك قول الله سبحانه: ﴿كَشَجَرَةٍ طَبِيءٍ أُسْلِمَهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١).

٩٧. الأظهر

الطهارة هي النزاهة والنظافة، والتجرد عن الخبائث والأرجاس والأنجاس وكل قبيح، وتكون في ظاهر البدن، وباطن الروح، وأصل المولد وطهارة الأهل والمحتد، وتستمر وتتكامل في المنبت والآباء نسلاً بعد نسل حتى آدم ﷺ، وفي الطينة ومعدنها.

حتى أفضت كرامة الله تعالى إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن منبأً، وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، وفي أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد تناسخته من قبل كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، من موحد إلى موحدة، ومن طاهر إلى طاهر.

ومن ناحية أخرى فقد سنّ للناس الطهارة البدنية، أعني الطهارة المائية - والماء أظهر المطهرات - كالوضوء والاستحمام والغسل والسواك والمشط والدهن والطيب والتوقي من النجاسات والخبث، وإصلاح الظاهر، والنظر في المرأة، وغيرها مما جاء في كتب الحديث والفقه.

كما ودعا الناس بفعله وقوله إلى السلوك وتطهير الباطن من الغل والتخلي والتخلي والتجمل بالخلال الكريمة والأخلاق العظيمة وقال:

(١) إبراهيم: ٢٤.

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١).

هذا ما تحيط به عقولنا، وإلا فالرسول لا تؤدي حقيقة طهارته حتى كلمة «الأطهر»، وهو المثال الوحيد للطهارة بتمام معناها والأسوة، وقال علي عليه السلام: «ولقد كان رسول الله ﷺ كافٍ لك في الأسوة، فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر»^(٢).

٩٨. أظهر الخلائق

قال ابن شهر آشوب: كان للنبي ﷺ اثنان وعشرون خاصية: كان أحسن الخلائق: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ﴾^(٣)، وأجملهم: ﴿لَقَدْ عَلَّمْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٤)، وأطهرهم: ﴿طه مَا أُنزِلْنَا﴾^(٥)، وأفضلهم: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦)،^(٧).

٩٩. أظهر المطهرين شيمة

الشيمة: الخُلُق وقيل: الغريزة والطبيعة^(٨)، و الطهارة الخلقية تساوق التنزه والكف عن الإثم وكلّ دنس فعلي جوارحي وجوانحي، وإذا أدغم معه الغريزة والطبيعة؛ فإنه يعطي معنى الطهارة الخلقية الغريزية والطبيعية الخالية عن التكلف.

(١) نهج البلاغة ١: ٣١١ - ٣١٥، البحار ١٦: ٢١٠ وج ٦٧: ٣٧٢، مسند

الرضا عليه السلام لداود بن سليمان الغازي: ١٣١، مكارم الاخلاق: ٨.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٥٧ - ٥٨، البحار ١٦: ٢٨٤ ح ١٣٦.

(٣) الانقطار: ٨.

(٤) التين: ٤.

(٥) طه: ١، ٢.

(٦) النساء: ١٣.

(٧) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٥.

(٨) ترتيب كتاب العين ٢: ٩٦١، مجمع البحرين ٢: ٥٧٣.

ومثل هذه الطهارة هي طهارة العصمة، خصوصاً مع ملاحظة صيغة اسم المفعول - أعني المطهرين - ويكون هو المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

ومهما يكن من أمر فقد جاء في بعض الصلوات الواردة: «اللهم صل على نبيك المصطفى عين البرية طفلاً، وخيرها شاباً وكهلاً، أظهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة...»^(٢).

وإنما قال أظهر المطهرين شيمة وقاسه ﷺ مع سائر المطهرين المعصومين، لأنه لا يقاس معه غير المعصوم، إما لانتفاء الموضوع فيه وهو الغالب، أو لاختلاف السنخ أو شدة البعد والتفاوت.

ويعلم ذلك من خلال المؤدّب قال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(٣)، فلا يكون تأديبه ﷺ كتأديب من يحتاج إلى التأديب، وكذا يعلم من خلال المنبت، ومن خلال الأثر والتأثير.

١٠٠. الأطيب

الطيب في مقابل الخبيث، والطاهر في مقابل النجس، والفرق بينهما أن النجس ما كان نجساً في ذاته، والخبيث ما له صفات مكروهة كرائحة نتنه، أو طعم غير مستساغ، أو عمل غير مستحسن.

فالطاهر ما كان طاهراً في ذاته كالماء، والطيب ما كان له آثار وصفات مرغوبة كرائحة ذكية أو طعم مستساغ أو عمل محبوب، وهكذا فإن طيب كل شيء بحسبه، فالأرض الطيبة التي تصلح للنبات،

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) المزار: ٧٧، بحار الأنوار ٩٧: ١٦٥.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٨٦، بحار الأنوار ١٦: ٢١٠ وج ٦٨: ٣٨٢.

والمرأة الطيبة إذا كانت حصاناً عفيفة، وبلدة طيبة أي آمنة كثيرة الخير، وكلمة طيبة أي نافعة، ونكهة طيبة إذا لم يكن فيها تنن^(١).

وقد تستعمل كلمة الطيب في معنى الطاهر كقوله تعالى:
﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٢).

وإذا كان الطيب بصفاته وآثاره وأعماله؛ فإن صفات النبي ﷺ كلها محمودة وآثاره مشهودة، وأعماله مقبولة، أينما حلّ ترك أثراً طيباً وأريجاً محبوباً، فما أن دخل الكعبة والقوم مجتمعون يكاد الشر أن يقع بينهم، وكل قبيلة هي التي تريد وضع الحجر في محله وتفوز بهذا الشرف وتفتخر به على سائر القبائل، فإذا بهاتف يهتف هذا الصادق الأمين، يرجو أن تندفع الفتنة به وترتفع الغائلة فإذا بالنبي ﷺ يأتي ويضع الحجر في رداء لتأخذ كل قبيلة بطرف منه وترفعه إلى موضعه. ويعدّ ذلك حضوراً نافعاً ووجوداً له أريج خالد، ناشئ عن طيب متاصل.

وهذا مثال واحد من حياة مليئة بالآثار، فما أن يدخل ﷺ دار رجل إلا ويخرج عن مملوك يعتق أو مطلوب يغفر، أو بيت يعمر بنكاح وذرية، وأنفس تطيب، وأيسرها دعاء بخير. كل ذلك بالإضافة إلى طيب بدنه وعرقه، فكان لا يمرّ بطريق فيمر فيه أحد بعد يومين أو ثلاثة إلا عرف أنه قد مر فيه لطيب عرفه^(٣).

ويدلك على أنّ المراد بالطيب هو الذي له آثار نافعة ما ورد من الأمر بالتأسي به في كلام علي عليه السلام قال: «فتأس بنبيك الأطيب

(١) انظر لسان العرب ٨: ٢٤٩.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) انظر البحار ١٦: ٢٤٩.

الأظهر ﷺ؛ فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى^(١).

١٠١. أطيّب المرسلين

إنّ الرسل المرسلة تختلف في كيفية تأدية الرسالة وفي مقدار التوقّف والنجاح في مهامهم، فلرب مرسل يرجع خائباً، أو يزيد الطين بلة، ورب مرسل يتوقّف في مهامه كما هو مطلوب منه، وآخر يزيد على ذلك ويعود بالنفع ويترك أثراً مستحسنة.

ولاشك أنّ طيب المرسل ما يتركه من أثر طيب وأريج خالد، فالأطيب هو الأكثر أثراً وأكثر صيتاً ونفعاً، وهذا بصورة عامة.

وأما الأنبياء فالكل مشتركون في التوفيق، ولكن يختلفون في الأثر، ولاشك أنّ الرسول المصطفى ﷺ هو الأكثر أثراً، كيف وشريعته هي آخر الشرائع وأكملها، وهي الباقية إلى يوم الدين، والشاملة لخير الدنيا والآخرة، ولا تخص أمة دون أمة، بل هي لجميع البشر. على أن ما انتشر على أثرها من العلوم والفنون لم يشهد لغيرها من الرسل والأمم.

ولذا كان أمير المؤمنين ﷺ يبدأ خطبته بالقول: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أطيّب المرسلين»^(٢).

١٠٢. الأظهر معجزة

لما كان بعث الرسل والأنبياء لدعوة الناس إلى خلاف ما هم عليه من الشرك وعبادة الأوثان، وحذف العقائد السائدة وإبدالها بالعقائد الصحيحة، وكان تغيير عقائد المعتقدين من الصعب جداً،

(١) نهج البلاغة ٢: ٥٨، بحار الأنوار: ١٦: ٢٨٥، مكارم الأخلاق: ٩.

(٢) إقبال الأعمال ١: ٣٢٠، البحار ٩٥: ١٢٧.

لازم تلك الدعوة ظهور المعاجز على أيديهم، مما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وإن كان ممكناً في نفسه، ويتبع قوانين الكون في حد ذاته، غير أنه يحتاج إلى علم خاص لم تبلغ إليه عقول الناس، مما يضيف إلى الدعوة دعماً سماوياً وتصديقاً عاماً يولد الاعتقاد الراسخ في أذهان المرسل إليهم.

والمعاجز التي ظهرت على يد الأنبياء تختلف في جنسها وطبيعتها ومقولاتها، فمنها عصا موسى التي تتحول إلى ثعبان يلقف ما حوله ويعود عصا بلا زيادة بعد أخذه، ومنها إحياء عيسى الموتى وإبرائه الأعمى والأكمه والأبرص، ومنها ناقة صالح التي خرجت من فتق الجبل بلا خروج من رحم، ومنها نار إبراهيم التي صارت برداً وسلاماً، وهكذا.

غير أن هذه المعاجز محدودة بزمان خاص ومكان خاص لاتتعداه، ويكون التحدي بها لطائفة خاصة، فهذه المعجزة تحدُّ للسحرة، وتلك تحدُّ للأطباء، وثالثة تحدُّ للملوك والجبابة.

والحاصل هي كالنيران التي تأججت وأضاءت ما حولها وخمدت، فكان لها ظهور وتحقق في برهة معينة وأثرت أثرها وغابت عن الأعيان، وإن بقت وتخلّفت في بعض الأذهان.

ولكن معجزة الرسول المصطفى ﷺ هي أظهر المعاجز، وهي القرآن الذي لم يختص بزمان معين ولم تخمد ناره، وهو المعجزة الباقية الخالدة، التي تتحدى الجميع، ولا تختص بقوم دون قوم، ولا أمة دون أمة، بل وليس خصوص البشر ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾^(١).

ومع ذلك فلم تخلُ أيامه من معاجز تشبه معاجز الأنبياء السابقين أو تفوقها من الإحياء والابراء والإسراء وانشقاق القمر ونطق الجماد والحيوان، وانفجار الماء من بين أصابعه على ما هو منقول^(١).

ولهذا ذكر ابن شهر آشوب خواص النبي ﷺ فكان منها: أظهر معجزة ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾^(٢).

١٠٣. أعرب العرب

لم يقبل المولود الصغير الذي فقد أمه وله أربعة أشهر ثدي واحدة من الأمراض من نساء بني هاشم وقريش، وهو يزداد بكاءً وحزنًا، وإذا بشيخ مسن اسمه عقيل بن أبي وقاص: فقال: يا أبا الحارث مالي أراك مغمومًا فأجابه أن نافلته يبكي ولا يسكن شوقاً إلى اللبن من حين ماتت أمه ولم يقبل ثدي مرضعة، فقال عقيل: يا أبا الحارث إني لأعرف في أربعة وأربعين صنيدي من صناديد العرب امرأة عاقلة هي أفصح لساناً وأصبح وجهاً وأرفع حسباً ونسباً، وهي حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية.

فلما جيء بأبي ذؤيب قال: يا أبا الحارث إن لي بنتين، فأيهما تريد؟ قال عبد المطلب: أريد أكملهما عقلاً وأكثرهما لبناً وأصونهما عرضاً.

فقال أبو ذؤيب: هاتيك حليلة لم تكن كأخواتها، بل خلقها الله تعالى أكمل عقلاً، وأتم فهماً، وأفصح لساناً، وأنج لبناً، وأصدق لهجة، وأرحم قلباً ممنهن جمع^(٣).

(١) انظر البحار ١٦ : ٤٠٢.

(٢) المناقب ١ : ١٩٥، البحار ١٥ : ٣٤٤.

(٣) انظر الفضائل لشاذان: ٢٦، البحار ١٥ : ٣٤١.

وهكذا شِئِيَ لهذا المولود أن يبني الأسس الأولى للغته عند من شهد اثنان من صناديد العرب بأنها أفصح لساناً، وذلك في سوق الفصاحة الذي يضيع فيه أفصح الفصحاء، بين قريش وبني سعد، ومع ذلك يشاد بها أنها أفصح لساناً فلا يكون ذلك إلا لأن فصاحتها تمتاز على الآخرين بميزة عظيمة، وفارق شاسع تعرف به عما سواها.

وبعد تأسيس ذلك الأساس يعود إلى أحضان قبيلته قبيلة قريش التي هي أفضل العرب لغة ويتم بناء اللغوي عند أشرف قوم تحسب كلماتهم وتحصى زلاتهم، وتُعاب هفواتهم اللغوية وغيرها، مما يجعلهم أكثر الناس مراعاة لقواعدها واستعمال أجزل الألفاظ.

وهذا كله في جانب، وفي جانب آخر عندما يتم له أربعون سنة يعلمه ربه الأسماء كما علم أباه آدم من قبل^(١)، لكي يصل إلى ذروة الفصاحة والبلاغة ويتسنى له أن يقول: «أنا أعرب العرب ولدت في قريش، ونشأت في بني سعد، فأني يأتيني اللحن»^(٢)، أو يقول: «أنا أفصح من نطق بالضاد»^(٣).

١٠٤. أعرف الأنبياء لله

إذا كان المقصود من العنوان هو معرفة الله تعالى، وأن النبي ﷺ أعرف الأنبياء بالله تعالى، وإنما عُدل من الباء إلى اللام لعدم معرفة كنه الله تعالى وحقيقته، وغايته أنه تعالى يُعلم وجوده وتُعرف آثاره فهو

(١) انظر البحار ٤ : ١٧٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٦ : ٣٦، مجمع الزوائد ٨ : ٢١٨، كشف الخفاء ١ : ٢٠١، فيض القدير ٣ : ٥٠.

(٣) نقله الحلبي عن ابن هشام كما في مكاتيب الرسول ١ : ٨١، جواهر الكلام ٩ :

٣٩٩، شرح اصول الكافي ٩ : ٣٣٢، نور البراهين ١ : ١٢٠، تفسير ابن كثير ١ :

أعرف الأنبياء لله بدليل أسبقية العهد؛ لأنه أوّل مخلوق، والأقربى إليه تعالى؛ فإنه ﷺ أقرب الأنوار المحدقة بالعرش وأوّل العابدين، وعمق الإيمان والاعتقاد بالله، وعظّم الخالق في عينه، وهذه جميعها أسباب الأعرافية دائماً، فأعرف الأصدقاء عندك من كان أسبق معرفة بك وأقربهم منك وأكثر احتكاكاً بك وأعظمهم وأوضحهم في سماء نفسك.

وإذا كان المراد معرفة الله تعالى للنبي وأنّ النبي ﷺ أعرف الأنبياء عند الله سبحانه فلا يمكن أن يراد به معناه الحقيقي؛ لأن الله تعالى يعرف الأشياء على السواء، وليس بينها ما هو أعرف له لعدم تصور عدم المعرفة أو قصورها - ولو من جانب من الجوانب - في حقه ﷻ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فلا بد أنه كناية عن أسبقية وجود النبي ﷺ وقربه من الله تعالى، وتألقه بضياء علمه وأعماله، فكان كأنه أعرف لا أنه أعرف حقيقة.

ولكنني لما تتبعت استعمالات «عرف وعرف وأعرف» وجدتها إذا كانت متعدية باللام فهي تعني الطيب^(١)، وبدليل قوله تعالى: ﴿وَيَذِخُّهُمْ لِيُنْفِئَهُمْ مِنْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٢)، أي طيبها لهم، فيكون معنى الأعراف هو الأكثر طيباً، والعرف الريح الطيب في اللغة^(٣).

وبهذا يكون كناية عما يصعد إلى الله تعالى من كلمات النبي ﷺ الطيبة التي يحبها الله تعالى، وأفعال النبي الحسنة التي ترفعها الملائكة، وهي أكثر مما رفع وتصعد من كلمات الأنبياء الطيبة وأعمالهم الحسنة قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

(١) انظر ترتيب كتاب العين ٢: ١١٧٩.

(٢) محمد: ٦.

(٣) غريب الحديث للحري ١: ١٨٩، وانظر لسان العرب ٩: ٢٤٠.

الضَّلِيحُ بِرَفْعِهِ ﴿١﴾.

وقال الأعرابي: ما أعرف لأحد يصرعني، أي لا أقر به، وهو يعني أن عرف تأتي بمعنى الإقرار، وأعرف بمعنى أكثر إقراراً لله تعالى، فالنبي أكثر إقراراً واعترافاً، بيد أنه يستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة ويتوب إليه من دون ذنب، وقد غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ومهما يكن من أمر فقد جاء في صحف إدريس: «ونظر آدم إلى طائفة من ذريته يتلألاً نورهم يسعى قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال يا رب فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟! قال: هذا محمد... أعرفهم لي»^(٢).

١٠٥. أعز الخلائق

قال ابن شهر آشوب: كان له ﷺ اثنان وعشرون خاصية: كان أحسن الخلائق ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ﴾^(٣)، وأجملهم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٤)، وأطهرهم: ﴿طَهَّ مَا أَنْزَلْنَا﴾^(٥)، وأفضلهم: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَأَنْ عَلَىكَ كَيْدًا﴾^(٦)، وأعزهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾^(٧)،^(٨).

(١) فاطر: ١٠.

(٢) سعد السعود: ٣٤، ٣٦، البحار ١١: ١٥١.

(٣) الانفطار: ٧.

(٤) التين: ٤.

(٥) طه: ١ - ٢.

(٦) الإسراء: ٨٧.

(٧) التوبة: ١٢٨.

(٨) المناقب ١: ١٩٥، البحار ١٦: ٣٣٤ ح ٢٨.

١٠٦. الأعظم

العظمة قسمان: القسم الأول: العظمة في النفس، وهو الكبير والزهو والنخوة والتجبر، وهو مذموم في العبد.

والقسم الثاني: ارتفاع القدر والمنزلة في أعين الناس مع تواضع في النفس وخفض جناح وإعراض عن الدنيا، وهذا محمود.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أخيركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني - أراد به أبا ذر الغفاري - وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه»^(١).

فكان صغر الدنيا في عينه حاكٍ عن ارتفاع النفس وعلو القدر والعظمة، والأعظم من ذلك من عرضت عليه الدنيا فرفضها، واختار أن يكون عبداً رسولاً يجوع يوماً فيدعو الله، ويشبع يوماً فيشكر.

وإذا كان الناس يعدون القريب من العظيم عظيماً، فكيف بالمقرب عند جبار السماوات والأرض الذي لا حد لعظمته ولا انتهاء لمجده، فهو الأعظم وإن تواضع، والكبير وإن قال: أنا عبد، آكل أكلة العبد، وأجلس جلسة العبد.

ويبدو أنّ الرسول ﷺ كان عظيم القدر رفيع المنزلة بين الناس قبل بعثته لما شاهدوا له من الآثار والمعجزات والبركات، ولذا لما أراد النبي ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد رحمها الله قال أبو طالب: إن ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس بأحد منهم إلا عظم عنه^(٢).

(١) الكافي ٢: ٢٣٧ ح ٢٦، مشكاة الأنوار: ٤٢١، بحار الأنوار ٦٦: ٢٩٤ ح ٢٤.

(٢) الكافي ٥: ٣٧٤ ح ٩، الفقيه ٣: ٣٩٧ - ٣٩٨ ح ٤٣٩٨، مناقب آل أبي طالب ١: ٣٩، تاريخ يعقوبي ٢: ٢٠، البحار ١٦: ٥ و ١٤ و ١٦، وسائل الشيعة ١٤: ١٩٦، عوالي اللآلي ٣: ٢٨٩.

ومع ذلك فقد شاعت تسمية الرسول ﷺ بالأعظم عند المتأخرين ولم أجد له أثراً في كلام المتقدمين، وهو اسم طبيعي لمن دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

١٠٧. أعظم خلق الله منزلة

لاشك أن العظيم لا يختار لتصدي مهامه الحقير القليل القدر، وإنما يختار لها الشريف الذي له قدر ومنزلة رفيعة، العارف بما اختاره له، خصوصاً إذا كانت المهمة ثقافية وعلمية وعقائدية.

وما اختار الله ﷺ لتصدي مهامه من الرسل إلا من عظمت منزلته وارتفع قدره.

كما وادخر سبحانه لأعظم مهامه - وهي الشريعة المكملة والخاتمة للشرائع - أرفعهم قدراً، وأكثرهم كفاءة وأعظم خلقه منزلة، وهو النبي محمد ﷺ، كما يدخر كل سلطان أعظم ذخائره لأشد أيامه، وأهم مهامه.

فلك أيها القارئ العزيز أن تذكر عند دعائك واستشفاعك بالنبي ﷺ عظم منزلته عند الله تعالى وتقول: «أنا ذا عبدك مستجير بكرم وجهك وعز جلالك، متوجه إليك ومتوسل إليك ومتقرب إليك بنبيك ﷺ أحب خلقك إليك، وأكرمهم لديك، وأولاهم بك وأطوعهم لك، وأعظمهم منك منزلة وعندك مكاناً» كما ورد في الخبر عن الأئمة عليهم السلام ^(١).

(١) مصباح المتعبد: ٦٩٤، الصحيفة السجادية: ٣٤٣، المزار للمفيد: ١٥٩، المزار للمشهدي: ٤٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٧٢.

١٠٨. أعظم العالم

لما ولد رسول الله ﷺ ألقيت الأصنام في الكعبة على وجوهها، ومنعت الجن والشياطين من القعود مقاعد للسمع، واستراق أخبار السماء، وقد ملئت الأرجاء حرساً شديداً وشهباً، وكل ذلك في مسمع ومرأى من الشيطان، تبين له حدوث أمر عظيم، وظهرت له بوادر التغير الذي لم يشهد له مثيل، واستحضر ما عرفه حينما كان في السماء مع الملائكة من وجود رسول هو خير الرسل وأمة هي خير الأمم، فانهزم وهو يقول: خير الأمم، وخير الخلق، وأكرم العبيد، وأعظم العالم محمد ﷺ^(١).

١٠٩. أعلى الخلائق يوم القيامة ذكراً

كان النبي ﷺ يقول: «إذا سألتكم الله لي فاسألوه الوسيلة، فسئل عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنة، وهي ألف مرقاة بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس، فرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين فهي في درج النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لمن كانت له هذه الدرجة درجته، فينادي منادٍ يسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذه درجة محمد. قال رسول الله ﷺ: فاقبل أنا يومئذ متزراً بريطة من نور على تاج الملك، وإكليل الكرامة والملائكة الكرام وعلي بن أبي طالب أمامي ولوائي بيده، وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا إله إلا الله المفلحون هم الفائزون بالله»^(٢).

(١) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ٢٢، ٣١، والبحار ١٥: ٢٧٤.

(٢) علل الشرائع ١: ١٦٥، بصائر الدرجات: ٤٣٦ - ٤٣٧، أمالي الصدوق: ١٧٨، روضة الواعظين: ١١٣، تفسير القمي ٢: ٣٢٤، بشارة المصطفى: ٤٦.

وورد في كلام بعض الرهبان في علي عليه السلام: «أنه أعلى الخلائق يوم القيامة بعد الأنبياء ذكراً»^(١).

١١٠. الأعلى من الملائكة

يروى عن أبي سعيد الخدري قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﷻ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢) فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نستبح الله ونسبح الملائكة بتسيبنا قبل أن يخلق الله عزوجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله ﷻ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس؛ فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماءهم في سرادق العرش»^(٣).

١١١. أعلم الأنبياء

جاءت رسالة النبي ﷺ مكملة لباقي الشرائع؛ لتكون هي الباقية إلى آخر الدهر مع ملاحظة ما سبق في علم الله تعالى من تقدم العلوم وحصول الانقلاب الصناعي واختراع الوسائل الجديدة والتدقيق في الحقائق الكونية.

فيأتي هذا الدين ليعايش هذه الأجواء، ولا يتأخر عن هذا

(١) إكمال الدين: ١٩١، بحار الأنوار: ١٥ : ٢٠٣ و ٣٥٩، العدد القوية: ١٤٥، وانظر

الخراج والخراج: ٣ : ١٠٩٤.

(٢) ص: ٧٥.

(٣) فضائل الشيعة: ٧، البحار: ٢٥ : ٢. مشترك سفينة البحار: ٧ : ٤١٦.

التقدم، بل يكون سابقاً عليه مستوعباً له فائقاً عليه، وهذا هو المشهود الذي خضعت له الرقاب في هذه الأيام، ومهما شَرَّق العلماء وغربوا رجعوا إلى ما عليه الدين، وأذعنوا بصلاح ما أمر به وفساد ما نهى عنه، وما زال التقدم يزحف نحو تصحيح وإثبات ما جاء به الشرع الحنيف، وما زلنا نسمع من توصل العلماء إلى صحة ما أثبتته الدين العجب بعد العجب في مجال الطب وغيره.

ولم نسمع مشابهاً لذلك في سائر الأديان، بل حتى لا يمكن تصوّره وتخيّله.

هذا بالإضافة إلى ملاحظة الانقلاب العلمي الذي حصل بعد مجيء الإسلام، وحدثت العلوم والفنون ودخلت في صميم حياة المسلمين، مما لم يسمع لأحد من الأنبياء.

وكذا شمولية الدين الإسلامي، واهتمامه بالدنيا والدين، والإعداد لبناء سياسي واجتماعي وقضائي وعلمي واقتصادي وحتى طبي أو كيميائي وغيره. مع اهتمام سائر الشرائع بجانب واحد، فهو يضم جميع الشرائع ويزيد عليها.

ولما سئل علي عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله قال: «علم النبي صلى الله عليه وآله علم جميع النبيين وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة»^(١).

وروي: «ما بعث الله نبياً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه»^(٢).

ولسائل أن يسأل أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يخبر عن كل هذه الاكتشافات

(١) بصائر الدرجات: ١٤٧، وورد مضمونه في الكافي ١: ٢٢٦، والبحار ١٤: ١١٢.

(٢) الكافي ١: ٢٢٥ ح ٧، بصائر الدرجات: ٦٧ و١٣٥، المحتضر لابن سليمان الحلبي: ١٦٤، البحار ١٤: ١١٢ و ١٧: ١٣٣ و ٢٦: ١٦١.

التي نشاهدها والعلوم التي عرفت، فالجواب عنه أنّ النبي ﷺ كان له علم جميع ذلك ويفوق عليه، ولكن لم يجد له صدوراً واعية، ولم تحتمله أذهان الناس آنذاك فأودعه في صدور أوصيائه وروي: «إن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين»^(١). وأودعه الإمام علي عليه السلام من يليه من الأئمة والأوصياء، ولا يظهر من العلوم إلى ظهور القائم المهدي (عج) سوى حرفين، و يبلغ بعد ظهوره خمساً وعشرين حرفاً.

بالإضافة إلى أن الهدف الأساسي للأنبياء ليس تعليم الناس العلوم الدنيوية، بل هدفهم هو إرشادهم إلى التوحيد والمعارف الربانية وإنارة سبل الحياة لهم، ومن تلك المعارف إرشادهم إلى العلم والتعلم والتطوير الثقافي، وعلى الناس السعي لتطوير الحياة وإسعادها.

١١٢. أفصح العرب

الفصاحة: البيان والبلاغة، والفصيح: المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد القول من رديئه، والذي يفهم ما يقوله ويبيئه.

والمعروف والمنقول أنّ رسول الله ﷺ أفصح العرب أو أفصح من نطق بالضاد، وهو مما نقل عنه ﷺ بطرق متعددة وألفاظ مختلفة، وأقر له الكثير ممن عاصره وغيرهم بحيث كانوا يتعجبون من فصاحته ويقولون ما أفصحك، أو ما رأينا أفصح منك، والمقصود هنا البحث عن علل فصاحة النبي ﷺ.

والعلل التي ذكرت لذلك عديدة نذكرها كما يلي:

١. النسب، وهو انتماؤه إلى قبيلة قريش التي عرفت بالفصاحة

(١) الكافي ١: ٢٢٢ ح ٦، بصائر الدرجات: ١٣٧، بحار الأنوار ٢٦: ١٦٧ ح ٢١.

والسيادة، بيد أن لغة قريش كانت أوسع وأشمل وأفصح من لغات سائر القبائل العربية وكذا هي الأعراف من بينها من جراء محورية البيت الحرام وقصد العزب له من كل الأرجاء لزيارة البيت والمكث في مكة والتعامل مع أهلها ومخالطتهم، مما حتم عليهم التعرف على لهجة قريش والتعامل معها وحتى التماشي والمجاراة حتى صارت لغة مشتركة بين اللهجات، كما أن العربية الفصيحة اليوم هي اللغة المشتركة بين لهجات البلدان العربية.

وقال رسول الله ﷺ: «أنا أفصح العرب ولا فخر بيد أني من قريش»^(١).

٢. النشأة في بني سعد، وهم من العرب الفصحاء الذين يرجع نسبهم إلى النبي إسماعيل الذي كان أول من فتق لسانه بالعربية كما هو منقول، وقد عرفوا بالفصاحة، وحياتهم حياة بدوية قليلة الاختلاط مع اللغات الأخرى مما حفظ لهجتهم ولغتهم، وصانها عن الخلط والتعريب.

٣. الرضاعة في بني زهرة، وهم بيت عرف بالفصاحة.

٤. ترعرعه في حجر حليلة السعدية التي مرّ وصفها في عنوان «أعرب العرب» بأنها أفصح لهجة، وهي ممن أقرّ لها غير واحد بذلك.

ويدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد، وارتضعت في بني زهرة»^(٢).

٥. نزول القرآن بلسانه ﷺ، وقد وصفه الله تعالى بأنه عربي

مبين.

(١) المجموع للنووي ١٨ : ٢٢٧.

(٢) جامع المقاصد ١٢ : ٢٠٩، المجموع للنووي ١٨ : ٢٢٧.

وروي أنه قال له ﷺ بعض أصحابه يوماً: يا رسول الله ما أفصحك! وما رأينا الذي هو أفصح منك! فقال ﷺ: «وما يمنعني من ذلك وبلساني نزل القرآن بلسان عربي مبين» وفي رواية: «وما يمنعني وأنا أفصح العرب، وأنزل الله القرآن بلغتي»^(١).

٦. المؤدّب، فإنّ الله ﷻ هو الذي أدّب نبيه، ومعلوم أنه يؤدبه أحسن تأديب، ولا يدعه يلحن أو يجمعم. ولذا فإنّ أعرابياً أتى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، أيدالك الرجل امرأته؟ قال: نعم إذا كان ملفجاً، فقال: يا رسول الله من أدبك؟ قال: الله أدبني وأنا أفصح العرب^(٢).

٧. مقومات اللغة العربية، باعتبار أن لها قابلية للتوسع والاشتقاق، مما يتيح لطلاب الفصاحة في القول إبراز مهاراتهم وقدراتهم البيانية، ولما قيل له ﷺ ما رأينا أفصح منك قال ﷺ: «وما يمنعني وأنا أفصح العرب وأنزل الله القرآن بلغتي، وهي أفضل اللغات»^(٣).

ومهما يكن من أمر فإنّ الرسول ﷺ كان أفصح الناس منطقاً وأحلامهم كلاماً، وإنما يتكلم أهل الجنة بلغته، فإنه ﷺ كان يتكلم بجوامع الكلم بلا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضاً، وبين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه.

ونشأت سحابة فقالوا: هذه سحابة قد أظلتنا، فقال: «كيف ترون قواعدها؟» فقالوا: ما أحسنها وأشدّ تمكّنها، قال: «كيف ترون

(١) الاختصاص: ١٨٧، البحار ١٧: ١٥٨، مستدرک سفینه البحار ٨: ٢٠٣.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد: ١٨٧، البحار ١٧: ١٥٨. المدالكة: المماثلة، يعني مظه إياها بالمهر، والملفج هو الفقير.

(٣) الاختصاص للشيخ المفيد: ١٨٧؛ البحار ١٧: ١٥٨.

رحاها؟» فقالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها، قال: «وكيف ترون البرق فيها وميضاً أم خفواً أم شق شقاً» فقال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم الحيا» فقالوا: يا رسول الله ما رأينا أفصح منك! قال ﷺ: «وما يمتعني وأنا أفصح العرب، وأنزل الله القرآن بلغتي، وهي أفضل اللغات»^(١).

١١٣. أفضل الأمم

إذا كان المقصود من الأمم هي ملل الأنبياء وأممهم كأمة موسى وأمة عيسى وأمة نوح فهو وإن صح لكنه يحتاج إلى تقدير كلمة «أفراد» ويصير أفضل أفراد الأمم، أو تقدير كلمة «أمتة» فيصير أمتة أفضل الأمم، وهذا أيضاً صحيح، ولكن التقدير على كل حال خلاف الظاهر، والأصل عدم التقدير.

ويقوى في نفسي أنّ المراد من الأمم هو مثل إبراهيم ﷺ فإنه كان أمة قانتاً لله، ومثل عبد المطلب الذي يحشر أمة وحده، وقس يحشر يوم القيامة أمة واحدة^(٢)؛ فإن الرسول المصطفى ﷺ أيضاً هو أمة وهو خير الأمم وأفضلها.

وإنما يصح ما قويناه إذا جاء في كلام نبي أو وصي، غير أنه جاء في كلام سطيح الكاهن حيث سأل آمنة: أأنت حامله؟ قالت: نعم، فالتفت عند ذلك إلى قريش وقال: الآن شهد قلبي وثبت لبي، وصدقني صاحبائي، هذه سيدة نساء العرب والعجم، وهي الحامل بأفضل الأمم^(٣).

(١) الاختصاص للشيخ المفيد: ١٨٧. البحار ١٧: ١٥٨.

(٢) البحار ١٥: ١٨٤.

(٣) البحار ١٥: ٣١٢.

ويبدو أنه أخذ ذلك عن صاحبيه من الجن اللذين يسترقان السمع ويأتيناه بأخبار السماء وما تتحدث به الملائكة الكرام، فإنه وإن كان الإخبار عن المعنى الذي قويناه محتمل ولكنه يبقى بعيداً ويرجح إرادة أفراد الأمم أو أن أمته أفضل الأمم، وإنما عبر عنه بأنه أفضل الأمم باعتبار أن النبي ﷺ عما قريب سيصنع أمة هو أولها ويكون استعمالاً مجازياً بعلاقة إطلاق السبب وإرادة المسبب أو علاقة الجزء والكل أو علاقة الأول والمشاركة.

ويؤيده إرادة الأفضلية من أفراد الأمم ما ورد عن علي عليه السلام: «إذا جمع الله الأولين والآخرين كان أفضلهم سبعة منا بني عبد المطلب، الأنبياء أكرم الخلق، ونبينا أفضل الأنبياء ﷺ، ثم الأوصياء أفضل الأمم بعد الأنبياء ووصيه أفضل الأوصياء، ثم الشهداء أفضل الأمم بعد الأوصياء»^(١).

ويؤيد إرادة أفضلية أمته ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢) قال: أراد به عالمي أهل زمانه؛ لأن أمتنا أفضل الأمم، بدليل قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

والأقوى إرادة الأفضلية من أفراد جميع الأمم، بل هو المتعين.

١١٤. أفضل الأنبياء

إن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(١) تفسيرات فرات: ١١٣، البحار: ٢٤: ٣٢، تفسير كنز الدقائق ٢: ٥٢٩.

(٢) البقرة: ٤٧، ١٢٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٩٨، والآية ١١٠ من سورة آل عمران.

وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴿١﴾.

على أثر ذلك تسابقت الذرية في الإقرار، فثمة سابق منهم وثمة متأخر، وكان أول من أقر لله بالربوبية النبي محمد ﷺ. ^(١)

ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۗ﴾ ^(٢)، فكان النبي محمد ﷺ أول من أخذ منه الميثاق، وكذا أخذ ميثاق النبي محمد ﷺ على سائر الأنبياء فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ حَقِّبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ۗ﴾ ^(٣).

ثم رفع لهم ناراً فقال: ادخلوها باذني، فكان أول من دخلها محمد ﷺ ثم اتبعه أولو العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم، وتخلف عنها أصحاب الشمال ^(٤).

ولما قال بعض قريش لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وفضلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: «إني كنت أول من أقر بربي جل جلاله، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم؟ قالوا بلى، فكنت أول نبي قال: بلى، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عز وجل» ^(٥).

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) انظر الكافي ٢: ١٠ - ١٢ باب أن رسول الله ﷺ أول من أجاب وأقر لله عز وجل بالربوبية، البحار ٦٤ : ١٢٢.

(٣) الأحزاب: ٧.

(٤) آل عمران: ٨١.

(٥) البحار ٩٠ : ٨٨.

(٦) علل الشرائع ١: ١٢٤ ح ١، الكافي ٢: ١٠، بحار الأنوار ١٥ : ١٥ ح ٢١ وج ١٦ : ٣٥٣ ح ٣٦٠ مستدرک سفينة البحار ١٠ : ٢٣٨.

وحيث أخذ الله ﷻ ميثاق النبيين على الإيمان بالنبي محمد ﷺ و نصرته وأقرهم على ذلك، أخذوا يبشرون بظهوره، ويذكرون أوصافه، وتحمله عنهم أتباعهم و عامة الأحرار والرهبان. فلما جاءت اليهود وقريظة والنضير وقينقاع فقالوا: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال ﷺ: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، وإني الذي أخبركم عالم منكم جاءكم من الشام، فقال: هو آخر الأنبياء وأفضلهم»^(١).

وقال الراهب لميسرة: يا ميسرة اقرأ مولاتك مني السلام، وأعلمها أنها ظفرت بسيد الأنام، وأنه أشرف الأنبياء وأفضلهم»^(٢).

١١٥. أفضل أنبياء الله

خطب أمير المؤمنين ﷺ بصفين فقال: «أنشدكم الله سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال رسول الله ﷺ أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم، وأنا أفضل أنبياء الله، وأخي ووصيي علي بن أبي طالب أفضل الأوصياء؟»^(٣).

وقال ﷺ في مورد آخر: أنشدكم الله أتعلمون أن الله ﷻ فضل السابق على المسبوق في غير آية، وإني لم يسبقني إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ أحد من هذه الأمة؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله تعالى أتعلمون حيث نزلت ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٤) و﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ سئل عنها رسول الله ﷺ فقال:

(١) أعلام الوري: ٤٢، ٤٧، إكمال الدين: ١١٤، البحار ١٩: ١١٠.

(٢) البحار ١٦: ٤٤.

(٣) حياة أمير المؤمنين ﷺ ٢: ١٣٣، كمال الدين: ٢٧٦، كتاب سليم بن قيس: ١٩٨ و ٢٩٥، والآية: ١٠، ١١ من سورة الواقعة.

(٤) التوبة: ١٠٠.

«أنزلها الله تعالى في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله، وعلي بن أبي طالب أفضل الأوصياء؟» قالوا: اللهم نعم^(١).

١١٦. أفضل برية الله

لا شك أن الكون بأسره وبجميع مخلوقاته خاضع لقانون التفضيل، فالنباتات والحيوانات وحتى أنواع الجماد خلقت وهي خاضعة للتفاضل فيما بينها، فالوردة الحمراء ذات الرائحة الفواحة المنعشة أفضل خلقاً ومنظراً وفائدة من حسك السعدان وشوك البراري والقفار، والشجرة المثمرة أفضل بكثير من الحشائش والأعلاف وإن كانت الأخيرة نافعة أيضاً، وكذلك البقرة الحلوب أكثر نفعاً وأجمل صورة من الخنفساء المحدودة وحتى الجمادات تتفاضل فيما بينها، فالياقوتة الحمراء أعلى قيمة من الصخرة الصماء، وقطرات المطر وهي تنهال كالدرر على حدود البراعم أجمل وأنفع بكثير من بقع الجدرى على جلود الخنازير.

هذا كله في المخلوقات التي لم يهبها الخالق إرادة في تغيير نفسها، بل تخضع لعوامل التربة والهواء والشمس والماء ورعاية الإنسان لها، والجينات الوراثية وما أشبه ذلك.

فكيف بالإنسان الذي خلق ليسمو أو يسفل، وصنع ليعلو أو يتسافل^(٢)، وأودع فيه العقل والهوى، وجعلت له هدايات الملائكة، وإغراءات الشياطين.

(١) كمال الدين: ٢٧٥، الاحتجاج ١: ٢١٣، التحصين لابن طاووس الحسني: ٦٣٢، بحار الأنوار ٣٣: ١٤٧، يتابع المودة لذوي القربى ١: ٣٤٣.

(٢) إنا هدينه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً. الإنسان: ٣.

هذا الإنسان وبهذه المواصفات من الحرية والإرادة والكرامة^(١) والخلافة الإلهية في الأرض^(٢) يستطيع أن يتسافل ويتساقط حتى يقع في الدرك الأسفل من الانحطاط، ويكون الحيوان أرفع درجة منه^(٣)، حيث يصفه القرآن الكريم بالأصم والأبكم والأعمى^(٤)، ويستطيع في المقابل أن يتدرج مراقي الكمال، ويسمو حتى على الملائكة المقربين؛ ليستأذن سيّد الملائكة جبرائيل للدخول عليه، وتتفاخر الملائكة فيما بينهما بالهبوط من السماوات العلى؛ لتحصل السبق للسلام عليه.

وليس هذا الخط المنحني الهائل من التفاوت والتفاضل إلا بسبب تلك الميزة الأساسية التي أودعها الله في عباده وهي الحرية والإرادة التي تنتهي إلى الكرامة المهداة من الخالق سبحانه، والتي تمثل العلة الحقيقية لكون الإنسان خليفة الله في الأرض.

ومن البديهي أنّ شخصاً واحداً فقط من بين مليارات البشر من أوّل الخلق إلى نهايته يستطيع هو وحده أن يصل إلى قمة القمم في درجات التفاضل؛ لأننا عندما ندرس الإنسان نجده موجوداً ممكناً محاطاً بأوسمة الإرادة والحرية والاختيار - كما قلنا - وقادراً على السبق، فلا مناص - طبقاً لقواعد الدقة العقلية - من أنّ واحداً فقط يمكن له أن يفوز على قصب السبق، ويصبح أفضل بركة الله - وهم من خلق الله - ولا يمكن لهذا الموجود إلا أن يكون سيد المصطفين لدى الله: الرسول المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ.

(١) ولقد كرمنا بني آدم. الإسراء: ٧٠.

(٢) إني جاعل في الأرض خليفة. البقرة: ٣٠.

(٣) إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. الفرقان: ٤٤.

(٤) صم بكم عمي فهم لا يعقلون. البقرة: ١٧١.

كيف وقد قال الله ﷻ في كتابه إلى بني اسرائيل: «إني لا أتقبل عملاً لا يعظم محمداً وعلياً وألهما الطيبين، ولم يكرم أصحابهما ومحبيهما حق تكريمهم، يا عبيد الله ألا فاشهدوا أنّ محمداً خير خليقتي وأفضل بريتي»^(١).

١١٧. أفضل برية في دار السلام

السلام هو الله، ودار السلام هي الجنة، وأهلها أهل السلامة من جميع الآفات والعايات والأمراض والأسقام، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغيّر الأحوال عليهم، وهم المكرمون الذين لا يهانون أبداً، وهم الأعزاء الذين لا يذلون أبداً، وهم الأغنياء الذين لا يفتقرون أبداً، وهم السعداء الذين لا يشقون أبداً، وهم الفرحون المستبشرون الذين لا يغمون ولا يهتمون أبداً، وهم الأحياء الذين لا يموتون أبداً، فهم في قصور الدر والمرجان أبوابها مشرعة إلى عرش الرحمن، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

والبرية هم من برأ الله وخلق من الملائكة والناس أجمعين، فالنبي محمد ﷺ هو أفضل من جميع الملائكة ومن جميع الفائزين بالجنة؛ لأن الفلاح ودخول الجنة مرهون بالإقرار بذلك، ولذا قال علي ﷺ ليونان الراهب: «أمرك أن تقر لله بالوحدانية... وتشهد أن محمداً الذي أنا وصيه سيد الأنام وأفضل برية في دار السلام»^(٢).

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ١٧٠، ١٧٣، البحار ١٣: ٢٤٠.

(٢) البحار ١٠: ٧٤.

١١٨. أفضل الخلائق

الخلائق جمع الخلق، والخلق هو المخلوق مما ابتدأه على غير مثال سبق إليه، ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين.

وقد تقدم أن الرسول ﷺ في ذروة الخلق البائد والباقي؛ لأنه أول من أقر الله سبحانه بالربوبية، وهو أول مخلوق، والأقرب من العرش، خلق الله أنواراً فجعلهم بعرشه محققين فكان أولهم وأقربهم إليه.

وقد سئل أبو عبد الله ﷺ: كان رسول الله ﷺ سيد ولد آدم؟ فقال: «كان والله سيد من خلق الله، وما برأ الله برياً خيراً من محمد ﷺ»^(١).

وعن أبي الحسن الأول ﷺ قال: «ما خلق الله خلقاً أفضل من محمد ﷺ»^(٢).

١١٩. أفضل خلق الله

إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على الملائكة المقربين، وفضل نبينا محمداً ﷺ على جميع النبيين والمرسلين، والملائكة هم خدام النبي وآله ﷺ ومحبيهم، والذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا، فلولا النبي وآله ﷺ ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا يكون أفضل من الملائكة، وقد سبقهم إلى معرفة ربه وتسيبحة وتهليله وتقديسه؛ لأن أول ما خلق الله ﷻ أرواحهم

(١) الكافي ١: ٤٤٠ ح ١، البحار ١٦: ٣٦٨ ح ٧٦.

(٢) الاختصاص: ١٨، البحار ١٦: ٣٧٧ ح ٨٨.

فأنطقهم بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحهم نوراً واحداً استعظموا أمرهم فسبحوا لتعلم الملائكة أنهم مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتهم، فسبحت الملائكة بتسبيحهم، ونزهته عن صفاتهم، ولما شاهدوا عظم شأنهم هللوا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله، وأنهم عبيد وليسوا بآلهة يجب أن يعبدوا معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلهم كبروا؛ لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدت الملائكة ما جعله الله لمحمد ﷺ وآله ﷺ من العز والقوة قال محمد ﷺ وآله ﷺ: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لتعلم الملائكة أن لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، ولما شاهدوا ما أنعم الله به على النبي ﷺ وآله ﷺ وأوجه لهم من فرض الطاعة قال النبي ﷺ وآله ﷺ: الحمد لله؛ لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره عليهم من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله^(١).

فالملائكة إنما اهدوا إلى معرفة التوحيد والتسبيح والتهليل والتحميد والتمجيد بالنبي ﷺ وآله ﷺ. ثم خلق الله تعالى آدم ﷺ فأودع النبي وآله ﷺ صلبه وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً للنبي وآله ﷺ. فكيف لا يكون النبي ﷺ أفضل من الملائكة وقد سجدوا لأدم كلهم أجمعون.

على أننا قدمنا كلاماً أكثر أنساً بالأذهان من هذا الكلام، وهو أن حقيقة الملائكة هي القوى الخيرة الكونية التي خلقها الله تعالى لتدبير فلماً أو تهبط أمراً أو تبرم عقداً، وأفضل القوى الخيرة هي الأنبياء؛ لما جعل لهم من فرض الطاعة وأكبر الأثر من هداية أكرم

المخلوقات التي خلقت من أجلهم الأرض والسماء عن طوع واختيار، وأفضل الأنبياء أعظمهم أثراً المكمل لما جاء به الباقون، لتكون شريعته هي الباقية، وتكون أمته أكثر الأمم، وعلى دينه تقوم الساعة.

هذا كله في أفضلية النبي ﷺ على الملائكة والأنبياء، وأما أفضليته على سائر الأشياء فهو معلوم، كيف وقد خلقت النجوم العظيمة والمجرات الكبيرة لتكون زينة لأهل الأرض، وخيرهم هو المخاطب بـ «لولاك لما خلقت الأفلاك».

وبهذا يتم الفضل للنبي ﷺ على جميع الجماد، وما هو أفضل منه القوى الفاعلة في الكون، والطاقات العظيمة الكونية الظاهرة والكامنة المسماة بالملائكة، وهو المروي عن ابن عباس عنه ﷺ قوله: «أنا أفضل خلق الله»^(١).

وقال أبو الحسن الأول عليه السلام: «ما خلق الله خلقاً أفضل من محمد ﷺ»^(٢).

١٢٠. أفضل الراسخين في العلم

رسخ الشيء رسوخاً إذا ثبت في موضعه، وأرسخته إرساخاً كالحبر يرسخ في الصحيفة، والعلم يرسخ في القلب. هكذا ذكر أهل اللغة^(٣).

وهذا يعني أن رسوخ العلم هو ثبوته في الذهن بعد تنزيله وعدم رسوخه، وهو يحتاج إلى مرور زمان ومحاولات وتكرر الانطباع

(١) انظر البحار ٢٥ : ٣٦٠ ح ١٨.

(٢) الاختصاص : ١٨، البحار ١٦ : ٣٧٧ ح ٨٨.

(٣) كتاب العين ٤ : ١٩٦، الصحاح ١ : ٤٢١.

والحضور في الذهن، وكثرة مدارسته، وعند ذلك يبعد محوه وتبدله بالشك والجهل أو تغييره، هذا عن رسوخ العلم.

وأما الرسوخ في العلم فهو مقولة أخرى، ومعنى آخر، وصعيد مغاير ومتباين ولا يدخل في المعنى الأول كما ظنه البعض^(١)، بل هو يحكي عن حقيقة أخرى ومقام أسمى، وهو الثبوت في العلم وصعوبة التحول عنه أو عدم إمكانه، لا ثبوت نفس العلم، بل الثبوت في العلم، وكأن العلم هذا رتبة ومقام يثبت عنده الشخص ولا يتحول عنه، وهو المقام الذي يفرضه للنبي ﷺ والأئمة المعصومين من أهل بيته، فإن الله ﷻ أعطاهم مقاماً علمياً أثبتهم فيه وأرسخهم بحيث يستحيل التحول عنه، وهذا هو العصمة من الجهل والخطأ.

وقد اقترب أبو هلال العسكري من هذا المعنى فقال: حصر سبحانه علم التأويل في جنبه تعالى، ومن رسخ في العلم قدمه، واستضاء في طريق التحقيق علمه، ووقع على عجائب ما أودع فيه من الأسرار، واطلع على تفاصيل ما اشتمل عليه من الأحكام والآثار^(٢).

فهو وإن اقترب بعض الاقتراب إلا أنه وأمثاله مكثوا بعيدين عن الحقيقة؛ لعدم معرفتهم بالمقام الذي يقتضي العلم بالتأويل، وهو مقام الرسوخ في العلم الذي لا يمكن التحول عنه، وهو مقام العصمة وعدم تصور الخطأ والجهل معه، وهو ما تعتقده الإمامية في أئمتهم ﷺ.

ولاشك أن أفضل هذه الطائفة المنعوتة برسوخها في العلم هو رسول الله ﷺ الذي انزل عليه القرآن، وعلم تأويله.

(١) الصحاح ١: ٤٢١.

(٢) معجم الفروق اللغوية: ١٣٤.

ويدل عليه ما رواه العياشي عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله ﴿وَمَا يَمْلِكُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١). قال: قال:

«فرسول الله أفضل الراسخين قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعد يعلمونه كله، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم تأويله، فأجابهم الله ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّا يَدُوٌّ كُفُّوا عَنَّا رَبَّنَا﴾^(٢) والقرآن له خاص وعام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، فالراسخون في العلم يعلمونه»^(٣).

ونلاحظ على هذا أن إسناد الرسوخ في العلم إلى بعض الصحابة، إنما يكون إسناداً مجازياً، باعتبار علمهم ببعض تأويله. فإن الصحيح أن العلم بالتأويل لا يلزم منه الرسوخ في العلم، بينما الرسوخ في العلم يقتضي العلم بالتأويل.

والمنفي في الآية إنما هو العلم بتأويل جميع القرآن، مع عدم كونه من تعليم الراسخين فإذا ذكر البعض أن ابن عباس أو غيره في الراسخين في العلم فهو كناية عن علمه بالتأويل، وذلك بتعليم الراسخين كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأفضل الراسخين رسول الله ﷺ، لا أن له مقام الرسوخ بالعلم.

ولنا أن ننتهي إلى هذه الحقيقة، وهو عدم إمكان تفسير القرآن

(١) آل عمران: ٧.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) تفسير العياشي ١: ١٦٤، وهي مروية في الكافي ١: ٢١٣ ح ٢، وبصائر الدرجات: ٢٢٣، الوسائل ٢٧: ١٧٩ ح ٣٣٥٣٧.

من دون الرجوع إلى بيان أهله الراسخين فيه، وهم الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

١٢١. أفضل رتبة في دار السلام

تقدّم في عنوان «أفضل برية في دار السلام» الرواية التي قال فيها علي عليه السلام ليونان: «أمرّك أن تقرّ الله بالوحدانية ... وتشهد أن محمداً الذي أنا وصيه سيد الأنام، وأفضل برية في دار السلام»^(١). واختلفت المصادر في الجملة الأخيرة فقد جاء في بعضها: «أفضل رتبة في دار السلام»^(٢)، وجاء في البعض الآخر: «أفضل رتبة من أهل دار السلام»^(٣).

ولا محيد عن التزام إرادة أن رتبته أفضل رتبة في دار السلام وهي درجته في الجنة التي قال عليه السلام عنها: «إذا سألتكم الله لي فاسألوه الوسيلة، فستل عن الوسيلة، فقال: هي درجتي في الجنة، وهي ألف مرقة بين المرقة إلى المرقة حضر فرس، فرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقة جوهر إلى مرقة زبرجد إلى مرقة ياقوت إلى مرقة ذهب إلى مرقة فضة، فيؤتى بها يوم القيامة فتنصب مع درجة النبيين، فهي في درج النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لمن كانت له هذه الدرجة درجته، فينادي مناد يسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذه درجة محمد.

فأقبل أنا يومئذ متزراً بريطة من نور على تاج الملك، وإكليل

(١) البحار ١٠: ٧٤.

(٢) الاحتجاج ١: ٣٥٤.

(٣) تفسير الإمام العسكري: ١٧٤.

الكرامة والملائكة الكرام وعلي بن أبي طالب أمامي ولوائي بيده، وهو لواء الحمد مكتوب عليه «لا إله إلا الله المفلحون هم الفائزون بالله»^(١).

١٢٢. أفضل رتبة من أهل دار السلام

المعلوم أن للجنة رتباً، ولا شك أن رتبة الرسول ﷺ هي أفضل من رتب أهل الجنة، والتعبير بذلك ليس يعني فقط الاختلاف في رتبة أو رتبتين، وإنما هو اختلاف في السنخ والحقيقة، كيف! وهو من رتب في زهرة ربيع الفهم حتى تسامى به السمو إلى أعلى عليين، فرسم ذكر هيبة الله في قلبه، حتى ناجى لسان القلب الخفي بطول استغفار الوحدة في محراب قدس رهبانية الخاشع، حتى لاذ بصر قلبه نحو السماء، وعبرت عين النواح بين مصاف الكروبيين ومجالسة الروحانيين، له زفرات أحرقت القلوب عند إرسال الفكر في مراتع الإحسان بين يدي الله تعالى، ونضجت نار الخشية منابت الشهوات في قلبه.

١٢٣. الأفضل عند الله من جميع الملائكة

كم هو منظر رهيب ومشهد عظيم لما سوى الله ﷻ آدم ونفخ فيه من روحه وقال لجميع الملائكة اسجدوا لآدم، فلو تأملت في كلمة «جميع الملائكة» وأحطت بحال الملائكة حتى إحاطة جزئية، لاصطدم إدراكك بسواد جبل لا يتناهى، كيف والملائكة هم كل القوى الكونية الخيرة.

(١) بصائر الدرجات: ٤٢٦ - ٤٣٧، علل الشرائع ١: ١٦٥، أمالي الصدوق: ١٧٨، روضة الواعظين: ١١٣، بحار الأنوار ٧: ٣٢٦.

وما سجد الملائكة للحم آدم وعظمه، وإنما سجدوا لعبوديته وعقله وما يترتب عليه من الآثار، وما يكمن فيه من الأسرار.

وخير ما يترتب على وجوده هم الخيرون من أبنائه وفي مقدمتهم الأنبياء، وأفضل من كل ذلك هو أفضل الأنبياء وأفضل العابدين وهو سيد المرسلين، الذي أشارت إلى عظمته جميع الأنبياء وبشّرت به وأشادت بمجده وارتفاعه، وأنه هو المقصود، والغاية المنشودة وهو الذي خلق الخلق لأجله المقصود بـ «لولاك ما خلقت الأفلاك».

فوجود النبي ﷺ هو الأثر السامي على بقية الآثار المترتبة على خلقه آدم ﷺ، وإذا كان لشيء أثر ظاهر، يكون هو المقصود.

ومن هنا نعلم أنه ما كان سجود الملائكة لآدم إلا لآثاره، ومنها حملة لتلك الأنوار، والأثر الظاهر والسامي على آثار خلقته هو وجود النبي محمد ﷺ، فهو المقصود، والمسجود له، فما كان سجود الملائكة لآدم إلا لأنه يحمل نور محمد ﷺ وأهل بيته كما دلت عليه الأخبار.

وما يكون سجود الملائكة إلا لما هو أفضل منها، فمحمد ﷺ أفضل عند الله سبحانه من جميع الملائكة.

ومن ناحية أخرى أين الخلق المطيع مع تركب الشهوة فيه، من الخلق المطيع الفاقد لها لا يستوون؟ وأين من ألهم الفجور فتركه، ممن لم يلهم الفجور وما عرفه؟

فلا تشك في أفضلية الأنبياء على الملائكة العظام، وخصوصاً أفضل الأنبياء الذي أقرت له وشهدت بمجده وعظمته وبشّرت به، وتوسلت باسمه رسل السماء.

ومع ذلك فقد جاء فيما خاطب الله تعالى به موسى ﷺ أن قال

له: «أما علمت أن محمداً ﷺ أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي»^(١).

١٢٤. أفضل من العرش

العرش اسم علم وقدرة وعرش فيه كل شيء ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٢) أي حمل علمه ودينه على الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو شمس أو قمر، فلما خلق الله الخلق خلقهم من الماء، وخلقنا من الماء كل شيء حي، فاستعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ﴾^(٣).

فكان انتقال العلم إلى الإنسان من الماء، وليس من التراب ولا الهواء، فإن الحياة هي الروح والعلم، والناس موتى وأهل العلم أحياء.

وكان فوق الحاملين للعلم ثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^(٤). وهم أربعة من أهل البيت وهم محمد ﷺ وعلي والحسن والحسين ﷺ، وأربعة ممن سواهم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ.

وجعل خلقاً يسبحون حول عرشه وهم الذين يعملون بعلمه ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلُهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٥).

(١) الفقيه ٢: ٣٢٧، عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢: ٢٥٥، تفسير الإمام العسكري ﷺ: ١١، ١٢ البحار ٢٦: ٢٧٥.

(٢) الحجر: ٧.

(٣) غافر: ٧.

(٤) الحاقة: ١٧.

(٥) غافر: ٧.

وملائكة يكتبون أعمال عباده ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾^(١).

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢) أي استوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب.

وحمل الماء القدرة، وهو الأوكسجين والهيدروجين اللذين منهما تحصل نار الشمس ونورها وقال رسول الله ﷺ: «فلما أراد الله فتق نوري، فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش»^(٣).

ولهذه الحكاية شرح طويل لا يحتمله هذا المختصر اليسير.

١٢٥. أفضل من الملائكة المقربين

الملائكة هي وجودات نورية فاعلة لها وظائف كثيرة جداً ومتنوعة، وهي القوى الخيرة التي تعمل في الكون المرئي وغير المرئي، فما من حركة ولا سكون ولا ثبات له دخل في حفظ النظام الكوني إلا ووراءه قوى تحركه أو تسكنه أو تثبته في محله، وهذه القوى هي التي تسمى بالملائكة، وإن كان علماء اليوم يسمونها بأسماء أخرى إلا أنّ الحقيقة واحدة.

والملائكة وإن كانت أفعالهم في جهات الخير على العموم وكلهم مقربون منزهون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وحقيقة أعمالهم هي تجسيد للتسبيح والتقديس، غير أن منازلهم متفاوت، ومقاماتهم تختلف، وقربهم من الله سبحانه له مراتب، ويعود اختلافهم

(١) الزمر: ٧٥.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) البحار ٢٥: ١٦، وج ١٥: ١٠، وج ٣٧: ٨٣، وج ٥٤: ١٩٣.

إلى تفاوت وظائفهم، فما كان يصب ويتهي إلى الأفضل فهو أفضل. ولما كان أعمال الرسل وأوصيائهم أفضل الأعمال، والرسل وأوصيائهم أنفسهم خير الموجودات، فما كان من الملائكة عمله يصب في هذا السبيل فهو أفضل الأعمال وأقرب من سائر الملائكة إلى الله تعالى، وبذلك كان جبرئيل أقرب الملائكة بل فوق المقربين، وعمله أشرف الأعمال وهو التوسط في نقل العلوم إلى قلب النبي محمد ﷺ وهو أفضل الأنبياء، وشريعته هي الباقية إلى يوم الدين، وهي أكمل الشرائع.

وبهذا تعرف الوجه في قول الرسول المصطفى ﷺ: «وהל شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي، وقبولها لولائتهما»^(١).

وما حب الملائكة محمداً وعلياً وقبولها للولاية إلا قبولها لتحمل أعباء نزول الرسالة، ونشر الإسلام، والتوسط في مستلزمات ذلك ومقوماته.

وبذلك انقسم الملائكة قسمين: الملائكة المقربون، وغيرهم. والملائكة المقربون هم من ساهم في أفضل الرسالات، وقيل الولاية قبولاً عملياً.

قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بي إلى السماء أوحى إليّ ربي جل جلاله فقال: يا محمد إني اطلمت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها وجعلتك نبياً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلمت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك وشققت له اسماً من أسمائي؛ فأنا العلي الأعلى وهو علي، وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم

عرضت ولايتهم على الملائكة فمن قبلها كان عندي من المقربين»^(١).

ويبقى الوجه في تفوق الرسول المصطفى ﷺ على الملائكة المقربين؛ فإنه وإن علم مما مر أن تقرّيبهم كان بقبول ولاية النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، وأنه ﷺ العلة في ذلك، ولكن يحتاج إلى بيان أكثر وتفصيل وتبيين.

ففي رواية عن علي عليه السلام قال، قلت: فنحن أفضل من الملائكة؟ فقال ﷺ: «يا علي نحن خير خليفة الله على بسط الأرض، وخير من الملائكة المقربين، وكيف لا نكون خيراً منهم وقد سبقناهم إلى معرفة الله وتوحيده، فبنا عرفوا الله، وبنا عبدوا الله، وبنا اهتدوا السبيل»^(٢).

وفصلت ذلك رواية أخرى:

قال رسول الله ﷺ: «ما خلق الله ﷻ خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال ﷺ: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا، وخدام محبيننا، يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأنّ أول ما خلق الله ﷻ: خلق أرواحنا، فأنطقنا، بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً

(١) كفاية الأثر: ١٥٢.

(٢) كفاية الأثر: ١٥٨.

استعظموا أمرنا، فسَبَّحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا، فسَبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله، وأنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه، أو دونه، فقالوا: " لا إله إلا الله " فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزة والقوة: قلنا لا حول و لا قوة إلا بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة...^(١).

هذا كله مع حكم العقل بتفضيل من مزجت حقيقته بدواعي الخير والشر فيختار طريق الخير، على من لم يجعل فيه إلا دواعي الخير فيعمل الخير، والملائكة وهم عقول بلا شهوة ولا غريزة، والعقل لا يدعو إلا إلى الخير، بينما الإنسان تركيب من عقل وشهوة مع شيطان يغريه ويزين له الشرور، وينبثق من بينهم من ترك الشرور، ولم يُخَطرها بباله وتنزهه وتقدس فهو خير من الملائكة، وذلك هو الرسول ﷺ حيث لم تُحصَ له زلّة، مع متابعة أصحابه وأعداءه لجميع حركاته وسكناته، ولم يُشهد له إلا الخير والرحمة، وبهذا نعرف الوجه في قوله ﷺ: «أنا أفضل من الملائكة المقربين»^(٢).

١٢٦. أفضل النبيين

لما بزغت شمس النبي ﷺ في ربوع الجزيرة العربية، صاحب هذا البروغ كثير من الأحداث والحوادث، والمنازعات والمرادات

(١) البحار ١٨ : ٣٤٥.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٩، البحار ٨ : ٢٢.

والمعارك والتحديات، وتوالي وفود المسلمين، كل ذلك إلى جانب انشغال المسلمين في التحصيل وطلب العلم في جامعة الرسول ﷺ انشغالاً جاداً صعباً ليتحملوا الشيء الكثير من علوم الدين والدنيا خلال فترة قصيرة.

فتجدهم يعملون في مشاغلهم ويزرعون في مزارعهم ويتعلمون في مدرستهم ويمارسون أعمالهم العبادية ويجابهون المجادلين من أبناء الأديان والطوائف، ويجاهدون ويخوضون المعارك وغيرها مما لا يمكن حصره في كتاب من تلك الاشتغالات، كل ذلك صيرهم في غمرات وسكرات بحيث صاروا إذا رأوا شيئاً لا يرونه على حقيقته، وإذا سمعوا شيئاً ما وعوه على ماهيته، فكانوا يرون المعاجز التي تظهر على يد النبي ﷺ وكأنهم لم يروها أو لم تكن، ويرون فضائله ومناقبه وكأنهم لم يروها أو لم تكن، حتى توفي النبي ﷺ واستتبت الأوضاع وصار المسلمون في صدد ملاحظة ما جرى وحدث، فكلما فتحوا باباً من الذكريات والأحداث أخذوا يتعجبون منه، وأنه كيف حدث وكيف صار وكيف شاهدوه من إحياء الموتى وتكلم الجماد مع النبي ﷺ، وانشقاق القمر ونبع الماء بين يديه، وكيف كانت معاملته وتواضعه مع سلطانه وهيبته وغيرها، حتى صار جل حديثهم هو مذاكرة هذه الأمور وتلك المعاجز وتلك الفضائل والمناقب، ولم يكن لهم حديث غيره بحيث إذا شاهدتهم المشاهد ظنهم يبالغون أو هو خيالات، أو صناعة أذهان، خصوصاً مع ملاحظة انبهارهم حين ذكرها مع عدم ذلك حين رؤيتها.

ولذا صار البعض يعترض عليهم ويقول ما هذه الفضائل التي تذكرونها لنبئكم وما تركتم فضيلة إلا ونسبتموها إليه.

وكان فيما قال بعض أحبار الشام: يا أمة محمد ما تركتم لنبئ

درجة ولا لمرسل فضيلة إلا وقد نحلتموها لنيبكم فهل عندكم جواب إن أنا سألتكم؟

فانظر أن الفضائل التي كان يتناقلها المسلمون بعامتهم لرسول الله ﷺ هي أكثر من فضائل كل نبي من الأنبياء، بل أكثر من فضائل جميع الأنبياء، وهم صادقون، ونيبهم الصادق الأمين الذي أوصاهم بالصدق وحثهم عليه ورغبهم فيه وأذبههم على ذلك كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع أو طالع القرآن.

ولما سأل هذا الحبر ذلك السؤال قال له أمير المؤمنين ؓ: سل يا أخا اليهود ما أحببت، فإني أجيبك عن كل ما تسأل بعون الله تعالى ومنه، فوالله ما أعطى الله ﷻ نبياً ولا مرسلأ درجة وفضيلة إلا وقد جمعها لمحمد ﷺ، وزاده على الأنبياء والمرسلين أضعافاً مضاعفة، ولقد كان رسول الله ﷺ إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: «ولا فخر» وأنا أذكر لك اليوم من فضله من غير إزراء على أحد من الأنبياء ما يقر الله به أعين المؤمنين؛ شكراً لله على ما أعطى محمداً ﷺ، الآن فاعلم يا أخا اليهود أنه كان من فضله، وهكذا أخذ يذكر فضائل رسول الله ﷺ ويقايسها بفضائل الأنبياء ويثبت فضلها، وكلما سأل الحبر أو ذكر فضيلة لنبي من الأنبياء ذكر علي ؓ ما يفوق عليها لنبينا ﷺ، وكل ذلك مما يطول المقام بذكره، ومن شاء فليراجع المصادر^(١).

هذا كله بالإضافة إلى ما ذكرناه في العناوين السابقة من أنه السابق إلى إجابة رب العالمين، وأول من أخذ عليه الميثاق، وشريعته أكمل الشرائع وهي الشريعة الباقية، ووفرة علمه وغيره، فراجع.

١٢٧. أفضل والدي الأمة

روي أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل والديكم أحقهما ببركم محمد وعلي»^(١) وقد جاء ذلك في تفسير الإمام العسكري ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيَا أَوْلِيَّيْنِ إِحْسَانًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «أفضل والديكم، وأحقهما بشركم محمد وعلي»^(٢).

وورد في تعليل ذلك عنه ﷺ أنه قال: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة، ولحقنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم، فإننا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبودية بخيار الأحرار»^(٣).

وقد تقدّم الكلام في عنوان «أب الأمة» الوجه في كونه ﷺ والد الأمة وأبا الأمة فراجع.

١٢٨. أفضل ولد آدم

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا أفضل ولد آدم ﷺ ولا فخر، وأنا سيد النبيين ولا فخر»^(٤)، وفيما تقدّم من العناوين ذكرنا بيان وجه الأفضلية في الجملة.

١٢٩. أفلج الأسنان

يضفي على الرسول المصطفى ﷺ روعة وجمالاً أنه كان أفلج

(١) تفسير كنز الدقائق ١: ٢٨٦، البحار ٢٣: ٢٥٩، وج ٣٦: ٩، وج ٦٦: ٣٤٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ٣٣٠ ح ١٨٩، البحار ٢٣: ٢٥٩ ح ٨، وج ٣٦: ٩ ح ١١ وج ٦٦: ٣٤٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٠٠، البحار ٢٣: ٢٥٩ ح ٨، وج ٣٦: ١١، وج ٦٦: ٣٤٣.

(٤) شرح الأخبار للنعمان المغربي: ٢٣١.

الأسنان، وفلج الأسنان هو تباعد بينها، فيقال: فلج فلجاً، وهو أفلج، وثمر مفلج، ورجل أفلج إذا كان في أسنانه تفرق وتباعد، وهو التفليج أيضاً، وهو خلاف المتراصّ الأسنان.

وقيل: الفلج في الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، فإن تكلف فهو التفليج، ورجل أفلج الأسنان واموأة فلجاء الأسنان، وقال ابن دريد: لا بد من ذكر الأسنان^(١).

ومهما يكن من أمر فقد جاء في صفة النبي ﷺ في روايات كثيرة أنه كان أفلج الأسنان^(٢)، ومنه ما جاء في وصف الإمام الحسن ﷺ النبي ﷺ لملك الروم^(٣). وكذا جاء في وصف عائشة له ﷺ^(٤).

ويدلُّ على أنّ الفلج في الأسنان حُسن وجمال ما روي عنه ﷺ: «أنه لعن المتفلجات للحُسن، أي اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين»^(٥)، فيبدو أنّ هذا كان سائداً وجارياً في ذلك الزمان.

وفي وجهه ودليل نهيه ﷺ عن ذلك احتمالات منها أنه زينة ظاهرة، ولكن ليس هو الاحتمال الأرجح، ويعود الأرجح منه أن النهي كان لأجل وجود الضرر في ذلك، كباقي النواهي، فحك الأسنان و الإفراج بينها ممّا يوهنها ويضعفها، فيكون ضرره غالباً على الحُسن الوقتي.

(١) لسان العرب ٢: ٣٤٦.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ٥٩٨، البحار ١٠: ١٣٤، وج ١٦: ١٤٦، وج ٣٣: ٢٣٦، النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٦٨، لسان العرب ٢: ٣٤٧.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ٥٩٨، البحار ١٠: ١٣٤، وج ٣٣: ٢٣٦، مستدرک سفينة البحار ٦: ٥٥.

(٤) الفائق في غريب الحديث ٣: ٣٥١.

(٥) لسان العرب ٢: ٣٤٧.

ومنه تعرف وجه اللعن، وما هو إلا لعن النساء أنفسهن حينما تضعف أسنانهن وتتساقط، أو هو لعن تكويني بمعنى الضرر والتألم، كسائر كلام الله تعالى.

١٣٠. أقرب الأنبياء من الله

إذا كان آدم صفي الله ﷺ، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله ﷺ، فإن محمداً ﷺ هو حبيب الله، ولا شك أن الحبيب أقرب منزلة من غيره.

والمنزلة تكون في السماء وفي الأرض، وأعظم منزلة في الأرض هي افتراض الطاعة، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «والله ما في الأرض منزلة أعظم عند الله من مفترض الطاعة، وقد كان إبراهيم دهرأ ينزل عليه الأمر من الله، وما كان مفترض الطاعة حتى بدا الله أن يكرمه ويعظمه، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فعرف إبراهيم ما فيها من الفضل، قال: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْنَا مَوَاقِبُ﴾ فقال: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَنِّي الظَّالِمِينَ﴾^(١). بينما كان النبي ﷺ مفترض الطاعة من يوم نزول الوحي عليه، إن لم نقل قبله.

وأما المنزلة في الآخرة، فأعظمها لأنصح الناس لخلقه، وأكثرهم نفعاً لهم، وهو الموافق للعقل والفتوة السليمة، وخير الناس من نفع الناس، ولا شك أن الرسول المصطفى ﷺ ما سبقه ولا لحقه من هو أكثر نفعاً للناس وأمشاهم بالنصيحة لخلقه منه.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْشَاهِمَ فِي أَرْضِهِ بِالنَّصِيحَةِ لَخَلْقِهِ»^(٢).

(١) بصائر الدرجات: ٥٢٩.

(٢) الكافي ٢: ٢٠٨ ح ٥.

ولما نظر آدم ﷺ إلى طائفة من ذريته يتلألاً نورهم يسعى، قال آدم: ما هؤلاء؟ قال ﷺ: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال فما بال هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا هو محمد ... أقربهم مني^(١).

وقال: «يا عيسى أمرك أن تخبر به بني إسرائيل، وتأمرهم أن يصدقوا ويؤمنوا به ويتبعوه وينصروه، قال عيسى: إلهي، من هو؟ قال: يا عيسى ارضه فلك الرضا، قال: اللهم رضيت فمن هو؟ قال: محمد رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، أقربهم مني منزلة، وأوجبهم عندي شفاعة، طوباه من نبي، وطوبى لأمته إن هم لقوني على سبيله»^(٢).

١٣١. أقرب المرسلين من الله

كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم ﷺ أن قال له: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك ... ثم إنني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحببي فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقرم، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحي المتكرم؛ فإنه رحمة للعالمين، سيد ولد آدم يوم يلقاني، أكرم السابقين علي، وأقرب المرسلين مني^(٣).

والنبي ﷺ أقرب المرسلين من الله تبارك وتعالى فضلاً عن غيرهم، لأن ذاته أكمل، وصفاته أفضل وأعظم، فله من القرب منزلة

(١) سعد السعود: ٣٤ - ٣٦، البحار ١١: ١٥١.

(٢) الأمامي للصدوق: ٦١٢، الجواهر السنية للحر العاملي: ١٠٧.

(٣) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١٢، البحار ١٤: ٢٩٤، الجواهر السنية:

أرفع وأعلى، ومرتبة أدل وأدنى، وقد روي أنّ جميع الخلائق في طلب المنزلة والإكرام يرجعون إليه، وفي دفع الخوف والعقوبة يلوذون بين يديه، ولولا شفاعته لم يدخل أحد دار السلامة، ولم ينبج من الندامة والحسرة، ولم يستحق منزلة الكرامة والقرب.

١٣٢. أقرب الناس من الله منزلة

وكان فيما وعظ الله تبارك وتعالى عيسى عليه السلام بعد ذلك أن قال له: محمد رسول الله ﷺ إلى الناس كافة أقربهم مني منزلة^(١). فالرسول المصطفى أقرب منزلة من سائر الناس؛ لكونه أشرفهم وأكملهم وأعلمهم وأقدمهم حسباً ونسباً.

١٣٣. أقصر الناس خطبة

كلما كان جهل المرء أكثر كان كلامه أكثر، وكلما كان عقله أنقص هذر في منطقته ولا يتناهى، أما ترى لغط بعض النساء وكثرة كلامهن، والعلماء بالله الصامتون الساكنون المتفكرون، والفقهاء الذين يدلك عليهم صمتهم وحلمهم ووقارهم، فهم إذا تكلموا أوجزوا، على أنّ خير الكلام ما قل ودل.

وهكذا كلما كان علم المرء أوفر قلّ منطقته وطال صمته، ويستمر هذا الصمت إلى أن يبلغ النقطة، نقطة العلم التي كثرتها الجاهلون^(٢)، وما بلغ النقطة إلا الأنبياء والسادة الحكماء، وفي

(١) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١٢، البحار ١٤: ٢٩٤، الجواهر السنية: ١٠٧.

(٢) روي عن علي عليه السلام أنه قال: «العلم نقطة كثرتها الجاهلون». عوالي اللثالي ٤: ١٢٩ ح ٢٢٣، مصابيح الأنوار ٢: ٣٩٦، والمراد أن المعلومات كلها ترجع إلى حقيقة واحدة تختلف بالعوارض التي نعبر عنها بالاشتداد والضعف، والجاهل كثير ذلك لأنه يحتاج إلى التوضيح أكثر فكثر حتى تشعبت العلوم وكثرت.

ذروتهم الرسول المصطفى ﷺ الذي كان أقل الناس خطبة، وأقله هذراً، كما جاء في الخبر عن خير البشر^(١).

١٣٤. أقصر من المشذب

المشذب هو الطويل البائن، وأصل التشذيب التفريق، فكأن المفرط في الطول فرق بين أجزاء بدنه ولم يجمع، فكان رأسه بعيداً عن قدميه، وهكذا^(٢).

وقيل: هو الطويل مع نقص في لحمه^(٣).

والرسول المصطفى ﷺ أقصر من المشذب الذي خرج عن المعتاد في طوله وصار كالجذع، ولا هو بالقصير المربع، كما ذكر ذلك واصفوه، كهند بن أبي هالة الذي كان وصافاً للنبي ﷺ، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسين بن علي عليه السلام، وغيرهم^(٤).

١٣٥. ألقى الأنف

الأنف الألقى هو الذي فيه ارتفاع في أعلاه بين القصبة والمارن من غير قبج وقيل: القنا في الأنف: طوله، ودقة أرنبته، مع حذب في وسطه^(٥).

ومهما يكن من ذلك فقد ذكروا أن رسول الله ﷺ كان ألقى

(١) مكارم الأخلاق: ٢٣، البحار: ١٦: ٢٣٧.

(٢) انظر غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٠٥، لسان العرب: ٨: ١٠٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ٢: ٤٥٣.

(٤) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٧٦، ١٧٨، والبحار: ١٦: ١٤٩، وعيون الأثر

لابن سيد الناس: ٢: ٤١٣.

(٥) لسان العرب: ١٥: ٢٠٣، كتاب العين: ٥: ٢١٨.

الأنف، حتى أنّ وصفه بذلك جاء في الإنجيل على ما نقله عبدالله بن سليمان وكان قارئاً للكتب^(١).

كما جاء في ذكر الإمام الحسن عليه السلام ذلك لملك الروم^(٢).

١٣٦. ألقى العرنين

العرنين هو الأنف، وقيل: رأسه، وجاء هذا التعبير على لسان كثير من واصفيه عليه السلام^(٣).

وقال الصدوق رحمه الله: سألت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن تفسير هذا الخبر، فقال: القنا أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه، والعرنين الأنف^(٤).

١٣٧. أكثر الانبياء تبعاً

نسخت شريعة الرسول عليه السلام باقي الشرائع، ومعه يكون أتباع عيسى هم المسيحيون إلى زمان الرسول عليه السلام، وليس من يدعي إتباعه من بعد ذلك تبعاً، وكيف يكون تبعاً وقد أمره باتباع نبينا وبشر به، وقال: أنا ذاهب ليأتي فارقليطا آخر هو خير لكم، فمن خالف نبينا خالف عيسى وما تبعه وإن ادعى ذلك، وكذا أتباع موسى عليه السلام هم بنو إسرائيل وغيرهم من الذين هادوا إلى زمان قيام عيسى عليه السلام، فشريعته أيضاً نسخت الشرائع السابقة.

ويخلص من جميع ذلك أنّ أتباع الرسول المصطفى عليه السلام أكثر من

(١) إكمال الدين ٩٥، ٩٦، أمالي الصدوق: ١٦٣، ١٦٤، البحار ١٦: ١٤٤.

(٢) تفسير القمي: ٥٩٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٢، البحار ١٦: ١٤٩، مجمع الزوائد ٨: ٢٧٣.

(٤) معاني الأخبار: ٣٠، ٣٢.

غيره من الأنبياء؛ لأنه آخر الأنبياء، وأطولهم فترة، وأوفقهم دعوة، واتبعت ذريته بإحسان.

كما أن الشرائع الأخرى سرعان ما تحرقت واختلقت أتباعها، وصاروا بحيث لا يعلمون ماذا يتبعون، أو أن أنبياءهم دعوا عليهم فهلكوا فلم يكن لهم أتباع سوى القليل، مع قصر الفترة التي أعقبتهم إلى مجيء الشريعة اللاحقة.

ولما كان لنبينا مقام الشفاعة، وهو المقام المحمود، فهو أكثر تبعاً يوم القيامة إذا شفع لأمته وأدخلهم الجنة، وإذا لاذ به الأنبياء هرباً مما صدر منهم من ترك الأولى في الحياة الدنيا.

وهكذا فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»^(١). وفي خبر: «أنا أكثر النبيين تبعاً يوم القيامة»^(٢).

١٣٨. أكثر النبيين أمة

كان فيما وصى به الرسول ﷺ أمته أن قال: «تكاثروا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم»^(٣) وكان الله ﷻ أراد لأمته أن تكون أكثر الأمم، وعلم مما مرّ أن النبي ﷺ أكثر تبعاً وأكثر أمة لطول فترة رسالته إذ هي آخر الرسالات، والباقية من بينها، وكثرة سكان الأرض حينها، فكانت أمته أكثر أمة، ولعل بلداً واحداً اليوم من أتباع

(١) صحيح مسلم ١: ١٣٠، مسند أحمد ٣: ١٤٠، شرح السنة ١٥: ١٦٦، السنن الكبرى ٩: ٤، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٤١ ح ١٤٣، كنز العمال ١١: ٤٠٣ ح ٣١٨٧٧ الجامع الصغير ١: ٤١٢ ح ٢٦٨٨.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٩، البحار ٨: ٢٢.

(٣) مستدرک الوسائل ١٤: ١٥٣ ح ١٦٣٤٦.

الرسول ﷺ يزيد على جميع أتباع نبي من الأنبياء السالفين.

ولذا قال بعض العلماء: إن رسول الله ﷺ خص بستين خصلة منها أنه أكثر النبيين أمة^(١).

١٣٩. أكرم الأولين والآخرين

الكرم هو الشرف والرفعة، والأكرم هو الأشرف والأرفع، وقال الرسول ﷺ: «أنا أكرم الأولين والآخرين»^(٢)، أو «أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة»^(٣).

وحبذا الحوم حول علة ذلك، فقد ورد: أن صلاة الليل هي شرف المؤمن، والمعلوم أن رسول الله ﷺ لم يترك هذا الشرف قط، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَمَضَىٰ﴾^(٤) بل هو واجب عليه دون الخلق، وما وجب إلا لأن الله ﷻ لم يرتض له أن ينقص من شرفه شيء، فهذا هو الشرف الذي يشرف به الشخص ويكرم به يوم القيامة، وأما شرف النسب وكرم الأصل والمحتد، وحسن المنبت وشرف العشيرة والقوم، وغيرها فإنما توجب الكرم في الدنيا، ولا يبلغ طاعة الله وقيام الليل والناس نيام، وشد الصدر بالسقف حين العبادة المانع من النوم والموجب لتحمل عذاب السهر، وطول الوقوف حتى تتورم قدماء، كل ذلك يجعله أكرم الأولين والآخرين.

(١) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٤١.

(٢) خلاصة عبقات الأنوار ٤: ١٨٧، سنن الدارمي ١: ٢٦، سنن الترمذي ٥:

٢٤٨، نظم درر السمطين: ٤٣، كنز العمال ١١: ٤٢٠، الشفا للقاضي عياض

١: ١٦٦.

(٣) البداية والنهاية ١: ١٩٦.

(٤) المزمل: ٢٠.

١٤٠. أكرم خلق الله عليه

إن الله ﷻ اصطفى محمداً ﷺ لجوار عرشه فجعله نوراً محيطاً به، وأثبت اسمه على ساق العرش، وجعل نوره ساطعاً على جميع الأنبياء، وآلى على نفسه أن لا يُسأل باسمه إلا أعطى، وجعله الذريعة لقبول توبة التائبين حتى سأل آدم ﷺ الله ﷻ فتاب باسمه ﷻ عليه، ونجا نوح ﷺ من الغرق لما توّسل به.

وتسنى لآدم لما نظر إلى ذريته أن رأى طائفة منهم يتلألأ نورهم يسعى، قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال: يا رب فما بال هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا محمد أكرم خلقي علي^(١).

١٤١. أكرم الخلق عند الله

إذا قطعنا النظر عن المعاملات الظاهرة، والحوادث الجارية، وحلّق بنا الفكر إلى عالم أرفع، حيث معاملة الملائكة الكرام، والمقربين من العرش، فأبي حديث بعد تسبيح الله تعالى وتقديسه، وأي معاملة غير بذل الجهد لتحصيل القرب منه، فهناك تعلم أن أكرم الخلق عند الله هم المسبحون، الذاكرون لله تعالى، والذاكر لهم، ولما نراجع كلمات الرسول وما نقل من حديثه نجده ﷺ دائماً ذاكراً مذكراً برب العالمين، وبآيات عظمته وتنزيهه، ومنهمكاً في دعوة الأبقين إلى عبوديته، ولو رأيت بباطن العقل أن الله ﷻ يصلي في صفوف ملائكته على نبيه محمد ﷺ، لعلمت أن رسول الله ﷻ هو أكرم الخلق عند الله تعالى.

(١) سعد السعود: ٣٤، ٣٦، البحار ١١: ١٥١.

وكان ممن حلق ذلك التحليق النبي الكريم موسى بن عمران لما بعثه الله واصطفاه نجياً، فقال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي.

فقال الله ﷻ: يا موسى أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟

قال موسى: يا رب، فإن كان محمد ﷺ أكرم عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله ﷻ: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع آل الأنبياء ﷺ كفضل محمد على جميع المرسلين^(١) الخير.

١٤٢. أكرم الخلق على الله

لا شك أن المتفانين في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، والذين أوقفوا أعمارهم، وبذلوا قصارى جهودهم من أجل إعلاء كلمته، وتسنين سنته وقوانينه، هم الأنبياء أكرم الخلق على الله ﷻ.

ولا شك أن المتقدم عليهم في هذا السبيل، والذي أودى في الله أكثر من غيره، وفاقت مساعيه حتى انتهت إلى أفضل النتائج، وهي صناعة أمة هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وانتشرت مساجدهم وعمرت، ونادت في كل صوب مآذنتهم بالتوحيد ونفي الشرك، فنبههم أكرم الأنبياء على الله، والنتيجة هو أكرم الخلق على الله على الإطلاق، فقد ذكر علي ﷺ حديثاً وقال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين كان أفضلهم سبعة منا

(١) علل الشرائع: ١٤٥، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٠٥، البحار ١٣: ٣٤٠.

بني عبدالمطلب، الأنبياء أكرم الخلق على الله، ونبينا أكرم الأنبياء» الحديث^(١).

١٤٣. أكرم ربيعة ومضر

لما قدم النبي ﷺ المدينة تعلق الناس بزمام الناقة، فقال النبي ﷺ: «يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة» ... فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فنادى أبو أيوب: يا أماه افتحي الباب، فقد قدم سيد البشر، أكرم ربيعة ومضر^(٢).

وهذا يحكي عن فرح بقدوم الرسول ﷺ وإيمان عميق سابق بأن النبي ﷺ سيد البشر، وأما التعبير بـ «أكرم ربيعة ومضر» وهما قبيلتان، فربيعة شعب عظيم فيه قبائل عظام، وبطون، وأفخاذ، تنتسب إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ويعرف بربيعة الفرس، كانت ديار هذا الشعب فيما يليه من بلاد نجد وتهامة، فكانت بقرن المنازل، وحضن، وعكاظ، وركبة، وحنين، وغمرة أوطاس، وذات عرق، والعقيق وما هو والها من نجد، معهم كندة، يغزون المغازي، ويصيبون الغنائم، ويتناولون أطراف الشام، وناحية اليمن، ويتعدون في نجعتهم^(٣).

وأما مضر، فهي الأخرى قبيلة عظيمة من العدنانية، كانت ديارهم حيز الحرم إلى السروات، وما دونها من الغور، وما والها من البلاد، لمساكنهم، ومراعي أنعامهم من السهل والجبل، وامتدت

(١) معجم أحاديث المهدي ﷺ ٥ : ٧٩ ح ١٥٠١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ١١٥، ١١٦، البحار ١٦ : ١٢١.

(٣) تاج العروس ٢ : ٣٧٨، وج ٥ : ٣٤٢، لسان العرب ٩ : ٤٦٩، الأنساب للسمعاني : ٢٤٨، العقد الفريد ٢ : ٥٦، قبائل العرب ٢ : ٤٢٤.

ديارها بقرب من شرقي الفرات نحو حرّان والرقّة وكانوا أهل الكثرة والغلبة بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم رئاسة مكة.

قال ابن عبد البر: إن العرب وجميع أهل العلم بالنسب أجمعوا على أنّ اللباب والصريح من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان، لا خلاف في ذلك^(١).

وبهذا تعرف الوجه في قول أبي أيوب «قدم أكرم ربيعة ومضر» أراد بذلك خير من صح نسبه إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام من العرب، وهم جل العرب وأعظم المنتسبين إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام من سلالة النبوة، والنبي صلى الله عليه وآله أكرمهم وأفضلهم.

١٤٤. أكرم السابقين على الله

إنّ الله صلى الله عليه وآله قسم الخلق إلى قسمين هم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وقال لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿سَلِّمْ لَكَ مِنْ أَحْسَبِ الْيَمِينِ﴾^(٢) ثمّ قسم أصحاب اليمين قسمين، فقسم منهم السابقون، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٣) ولا شك أنّ هناك من هو أسبق من بين السابقين، وقد عرفه الله صلى الله عليه وآله لعيسى عليه السلام فكان فيما قال له: ثمّ أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين، وحبيبي فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقرم، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحي المتكرم؛ فإنه رحمة للعالمين، وسيد ولد آدم يوم يلقاني، وأكرم السابقين علي^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٤: ٨٧، ١٢٠، نهاية الأرب: ١٧١، تاريخ ابن خلدون ٢: ٢٠٥،

قبائل العرب ٣: ١١٠٧.

(٢) الواقعة: ٩١.

(٣) الواقعة: ١٠ - ١٢.

(٤) الكافي ٨: ١٣٩.

ويبقى المراد في ماهية المستبِق فيه والمستبِق إليه، ولا شك أن المستبِق إليه هو رضوان من الله أكبر، والفوز بقربه والتنعيم بجواره، إلى سلام عليكم طبتم.

وأما المستبِق فيه، وحلبة السباق، فهو مواطن كثيرة وأمور متعددة، منها السبق إلى إجابة رب العالمين يوم نادى أَلست بربكم، قالوا: بلى.

ومنها: الاستباق في الخيرات، ومنها السبق إلى العبادة ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(١).

وكان النبي ﷺ هو الفائز في السباق في جميع تلك المجالات، والأمن عن اللحاق به والاقتراب من ساحته.

١٤٥. أكرم العبيد

الخلق عباد الله، ولا يخرج عن العبودية شيء ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٢) ولا ضير أن العبودية هي السلم للصعود إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه البشر فلا سباق ولا صعود إلا بانحطاط النفس وخضوعها أمام عظمته وجلاله، فأعبد العبيد هو أفضلهم وأقربهم، ومن غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وعفي من الخدمة فزادت خدمته؛ ليكون عبداً شكوراً، فهو أكرم العبيد. وليس هذا سوى النبي ﷺ، ولذا تجد أن الشيطان، لما ولد رسول الله ﷺ انهزم وهو يقول: خير الأمم، وخير الخلق، وأكرم العبيد، وأعظم العالم محمد^(٣).

(١) الزخرف: ٨١.

(٢) الزمر: ٦٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٢، ٢٢، البحار ١٥: ٢٧٤ ح ٢٠.

١٤٦. الأكرم على الله

لما نظر آدم ﷺ إلى ساق العرش رأى عليه أسماء الخمسة، حتى إذا كان منه ما كان من الأكل من الشجرة وأخرج من الجنة واهبط إلى الأرض، تذكّر تلك الأسماء، وعرف أنّ لها خطراً عظيماً، وكرامة فائقة، قال هو وحواء: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلا تبت علينا ورحمتنا^(١).

وينبثق هذا المقام الشامخ من العمل السديد، وكمال التوفيق، حتى كان الرسول ﷺ والأئمة: الأكرم على الله إذ لم يعصوا الله طرفة عين، ولم يتركوا ما هو أولى، حتى روي أن الأنبياء يلوذون برسول الله ﷺ، ويسألون الله تعالى بتلك الأسماء التي ما عصت وما خالفت ولا تركوا ما هو أولى.

وورد من سؤال الأنبياء بتلك الأسماء الكثير كالنبي آدم ﷺ والنبي نوح ﷺ على ما جاء في اللوحة التي وجدت باقية من سفينته، وغيرهما.

وليس ذلك إلا لأنهم الأكرم على الله تعالى.

١٤٧. أكرم الأنبياء على الله

ومن كرامته على الله ﷻ أنّه ما بعث نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرته، وهذا تنويه وتبويه على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى

(١) معاني الأخبار: ٣٨، ٣٩، البحار ١١: ١٧٢.

السنة الأنبياء، وإعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان، وأنه أكرم المرسلين، وخاتم النبيين، وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره، وجلى مجده ومولده وبلده، إبراهيم الخليل حين فرغ من بناء البيت ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَيِّنْ لَهُمْ إِنْكَ أَنْتَ أَلْفُزِيرُ الْحَكِيمِ﴾^(١) فكان أول بيان علي الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني»^(٢).

١٤٨. أكرم من نشأ

نشأ الرسول المصطفى ﷺ في أحضان التوحيد وبقية الموحدين، هم عبد المطلب وأبو طالب بين أمجاد العرب وأجيادها، ليرتفع بسؤدده إلى أسمى مقام، وأعلى شرف، وصنع بخصاله وسماحته وفكره وتدبيره شرفاً رفيعاً ومجداً سامياً، وبلغ المكانة المرموقة، والمقام الرفيع، فما أن شاهده الكاهن سطيح المعروف بذكائه، وتأمل في حالاته حتى قال: هو أحسن من مشى، وأكرم من نشأ^(٣).

١٤٩. أكرم الناس

فعمّن تسألني، وفيمن تلاحي، وبماذا تجادل؟ بمن سبق السماحة، وفاق الجود والكرم، وهو الذي تُجبي له الألوف المؤلفة وأنواع الأموال فلا يمسي حتى ينفقها جميعاً، وكان لا يبيت وفي بيت

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ٦٤، ٦٥، ينابيع المودة ٣: ٣٧٧.

(٣) البحار ١٥: ٣٠٧.

المال شيء، حتى إذا أنفق آخر درهم فيه واستنزفه غمضت عيناه، وهو يشد حجر المجاع، ويطوي نهاره صائماً، ليسد رمق جائع، ويكسو عارٍ، ويبيت خائفاً من الله.

وكان إذا جاءه سائل ولم يكن عنده شيء قال: «ابتع علينا» وهو الذي ما رد سائلاً قط إلا بما يبغي ويريد أو باليسير من القول، وما ترك صفراء ولا بيضاء، وتوفي ودرعه مرهونة، ولعلني سأبسط الكلام في كرمه وفعاله في محل آخر.

ولما سئلت عائشة كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: كان النبي ﷺ ألين الناس، وأكرم الناس^(١).

هذا إذا كان المراد بالكرم هو الجود، وأما إذا كان بمعنى الشرف والرفعة، فقد علم حاله ممّا مر.

١٥٠. أكرم الناس عشرة

وحيث إنّ الكرم والرفعة والشرف يلحظ من عدة نواحي، فمنها الكرم والشرف النسبي ومنها الكرم الرئاسي والسياسي، ومنها الكرم الاجتماعي والحصول على الموقع المرموق وهو كرم العشرة، بحيث يجالس أنواع الناس، ويعاشر طبقاتهم وهو في كل ذلك يحتل المكان المرموق، والأدب الرفيع، والموقع الممتاز، وكان الرسول ﷺ يتمتع بكل ذلك مع محافظته على موقعية العشير، وتزريق الرضا إلى قلبه، فما كان يدع من يكلمه إلا وهو راضٍ محبور.

فما صافح رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده،

(١) مسند ابن راهويه ٢: ٤٣٤ وج ٣: ١٠٠٨، فتح الباري ١٠: ٣٨٥، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١٢٠، كثر العمال ٧: ١٢٨ ح ١٨٣٢٧.

وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل ينصرف، وما نازعه الحديث حتى يكون هو الذي يسكت، وما رؤي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط، ولا عرض له قط أمران إلا أخذ بأشدهما، وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى تنتهك محارم الله، فيكون حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى، وما أكل متكئاً قط حتى فارق الدنيا، وما سئل شيئاً قط فقال: لا، وما رد سائلاً حاجة إلا بها أو بميسور من القول^(١).

وبذلك جاء في وصفه ﷺ: أنه أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وأجودهم كفاً، من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رآه بديهة هابه^(٢).

١٥١. أكرم الناس على الله

الكرامة على الله هي المنزلة والرفعة والقرب إليه، والعزة والنفاسة، فالكريم على الله هو العزيز عليه، والأكرم هو الأعزّ والأنفس، ومما بات واضحاً في أذهان المسلمين أنّ رسول الله ﷺ هو أكرم الناس على الله، فتراهم حين سأل رسول الله ﷺ المسلمين: «من أكرم الناس على الله؟» بادرُوا وقالوا: أنت يا رسول الله^(٣).

ويفسر كل ذلك ويسنده ما ورد أنّ الأشتر قال لأمير المؤمنين ﷺ في صفين: يا أمير المؤمنين لا تتعب نفسك وأنا أكفيك، فقال ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أكرم الناس على الله تعالى وقد قاتل يوم أحد بنفسه، ويوم حنين، ويوم خيبر»^(٤).

(١) انظر البحار ١٦ : ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٤١.

(٣) الغدير ١٠ : ١٨.

(٤) شجرة طوبى ٢ : ٣٣٢.

١٥٢. أكرم ولد آدم

قال رسول الله ﷺ: «أنا أكرم ولد آدم ولا فخر، وليس بيني وبين ربي حجاب إلا النور»^(١) فإنه ﷺ وإن قال أكرم ولد آدم ولم يعدّه بـ «على»، إلا أنه أراد العز والمنزلة والكرامة بدليل قوله «وليس بيني» إلى آخره، فهر حديث عن منزلة وقرب، دون سخاء وكرم.

١٥٣. أكرم ولد آدم على الله

كرر رسول الله ﷺ القول: «أنا أكرم ولد آدم على الله»^(٢) أو «أكرم ولد آدم على ربي»^(٣) ليشير إلى حقيقة لا محيص عن الإسفار عنها، ولا وجه لكتمانها وبقائها، وهي إعلان نتيجة الامتحان الذي خاضه البشر وعامة ولد آدم على العصور لنيل الكرامة لديه تعالى، وتعريف الناجح الأوّل والناجح الثاني ومن يليهما، وقد بين ذلك الأنبياء السابقون وأعلموا به أممهم، وبيّنه رسول الله ﷺ بقوله: «أنا أكرم ولد آدم على الله».

وكان فيما قال موسى بن عمران عليه السلام حينما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء والتقى بالأنبياء هناك ومن بينهم النبي موسى عليه السلام: «يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم ولد آدم على الله، وهذا - أشار إلى النبي ﷺ - رجل أكرم على الله مني»^(٤).

١٥٤. الإكليل المحمود

تقلّد أيها الخيار السيف؛ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة

(١) شرح الأخبار للنعمان المغربي ٢: ٤٧٥، المزار للمشهدى: ٥٩.

(٢) كشف الغمة ١: ١٢، أمالي الصدوق: ٣٧٤، البحار ١٦: ٣١٥.

(٣) سنن الدارمي ١: ٢٦، الجامع الصغير ١: ٤١٣، ميزان الحكمة ٣: ٢٦٩.

(٤) البحار ١٣: ٦.

يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يجرون تحتك، جاءت هذه الكلمات في مزمور من مزامير داود، وفي مزمور آخر: إنَّ الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً، ضرب الإكليل مثلاً للرئاسة والإمامة، ومحمود هو محمد ﷺ^(١).

والإكليل في اللغة هو التاج، وموضع التاج هو الرأس، وإنما يوضع على الرأس لأنه علامة الملك وزينة المتزينين، وإذا جرى التعبير بالإكليل عن رجل فهو كناية عن أن موضعه الذروة، ومنزلته سامية، وهو علامة الرئاسة والخطر، وزينة محافل البشر والملائكة.

وليس هو رئيس وملك يكره ويذم، بل هو رئيس يحمد، ويشاد بفضله ويصلّى عليه في صفوف الملائكة، وصفوف المصلين، ومحافل الربيين.

١٥٥. ألين الناس عريكة

العريكة الطبيعة والطبع، فيقال: فلان لّين العريكة إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور^(٢).

ومن ألين عريكة ممّن لم يكن يُسأل شيئاً قط إلا قال: نعم^(٣) وما سئل شيئاً قط فقال: لا^(٤) ومن إذا سأله الفقير أعطاه إذا كان عنده، ويستسلف له إذا لم يكن عنده، ومن يخبره الله ﷻ بنمّام ينمّ عليه، ويخبره النمام أنه لم ينمّ عليه فيصدق، فيتعجب النمام ويقول

(١) الخرايج والجرائح ١ : ٧٦.

(٢) الصحاح ٤ : ١٥٩٩، النهاية في غريب الحديث ٣ : ٢٢٢، لسان العرب ١٠ : ٤٦٦.

(٣) البحار ١٦ : ٢٣٢.

(٤) البحار ١٦ : ٢٣١، عن جابر.

هو أذن، يسمع لكل من يقول ويصدقه، فأجاب الله ﷻ: ﴿وَمَنْهُمْ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلُّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وروي أن رسول الله ﷺ بينما ذات يوم جالس في المسجد إذ
جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم - أي الأنصاري - فأخذت
بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً، ولم يقل لها النبي ﷺ
شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرّات، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة
وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الناس: فعل
الله بك وفعل، حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرّات لا تقولين له شيئاً،
ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إن لنا مريضاً
فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه ليستشفى بها، فلما أردت أخذها
رأني فقام، فاستحييت أن آخذها وهو يراني، وأكره أن استأمره في
أخذها فأخذتها^(٢).

كل ذلك يحكي عن لين العريكة والمطاوعة، فإنه بمجرد أن
عرف أنّ هذه البنت الصغيرة لها حاجة قام لها، وعادوا القيام أربع
مرّات، وهو سلطان المسلمين، والمتضعع من هيئته سكان
الأرضين، إلا أنه لّين الطبع بغير تكلف، بل هو لين إلهي، قال
تعالى: ﴿فِيمَا رَحَمْتُمْ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ﴾^(٣).

وكان ﷺ يجيئه بعض أصحابه أو حتى بعض أعدائه فيقول له:
تفعل كذا، فيقول: نعم، فيقول: وتفعل كذا، فيقول: نعم. فقد روي

(١) التوبة: ٦١.

(٢) الكافي ٢: ١٠٢ ح ١٥، البحار ١٦: ٢٦٤ ح ٦١.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

عن ابن عباس: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال: يا رسول الله ﷺ ثلاث أعطينهن، قال: «نعم»^(١).

فتجده ﷺ أنعم قبل أن يخبره السائل بما يريد.

ومن أجل ذلك ما وصف أمير المؤمنين ﷺ رسول الله ﷺ إلا وقال: «كان رسول الله ﷺ أكرم الناس عشرة وألينهم عريكة»^(٢).

١٥٦. أم القرآن المبين

روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنا أم القرآن المبين»^(٣)، ولعل المراد من أم القرآن هي سورة الفاتحة، ولا بُدَّ في أن يكون الرسول ﷺ هو سورة الفاتحة بعد ما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ: «أنّ كل العلوم تندرج في الكتب الأربعة، وعلومها في القرآن، وعلوم القرآن في الفاتحة، وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم، وعلومها في الباء من بسم الله، وأنا النقطة تحت الباء»^(٤).

فإذا كان العلم في الفاتحة، والباء هي مفتاح الفاتحة، تكون الباء مفتاح العلم، والنقطة مفتاح الباء التي تميزها عن غيرها من مشابهاها.

ويتجلى ذلك بوضوح إذا لاحظنا قول النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(٥).

(١) البحار ١٦: ٢٣١.

(٢) أمالي الطوسي: ٢١٧، ٣٤١، الفارات ١: ١٦٧، مكارم الأخلاق: ١٨، البحار ١٦: ١٤٧، ٢٣١، وج ٤٠: ١٩٠، وج ٦٤: ٣٧٠، النهاية لابن الأثير ٣: ٢٢٢، لسان العرب ١٠: ٤٦٦.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٧.

(٤) نور البراهين للجزائري ٢: ٤.

(٥) مستدرک الحاكم ٣: ١٢٦، وسائل الشيعة ٢٧: ٣٤ ح ٣٣١٤٦.

فالنبي ﷺ هو مدينة العلم وهو بمثابة الفاتحة التي احتوت كل العلم، ونقطة الباء مفتوح ومدخل الفاتحة، وباب المدينة مفتوح المدينة ومدخلها.

كما ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﷺ «أنا أم القرآن» كناية عن احتماله للقرآن ومجيئه به، كما أن الأم تجيء بالولد، وتأتي به وتظهره إلى عالم النور، بعد احتمالها له.

١٥٧. الإمام

تحمل هذه الكلمة الرباعية بمعناها آلاف المناصب والمقامات الإلهية، ولها وجوه متكثرة وآثار لا تحصى، وحتى تفوق مقام النبوة، وليس كل نبي هو إمام، وقد كان إبراهيم ﷺ نبياً ولم يكن إماماً على رغم مجاهداته واستقامته، حتى إذا كان آخر عمره وأحسن البلاء، وتعرض للامتحان قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ونجح في ذلك الامتحان باتمام الكلمات ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي أتم إبراهيم ﷺ الكلمات، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١).

فليست الإمامة هي افتراض الطاعة فحسب، وإلا فكل نبي مفترض الطاعة، بل هي مقام إلهي له شروط.

ويعود كنهها إلى الإمساك بزمام القيادة الكونية، وهداية مسيرة عالم الإمكان والهيمنة على ما يحدث فيه، وما يجري به قضاء الله وقدره بإذن من الله، فإن كلمة الإمامة ما جاءت إلا وقرنتها كلمة الهداية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِبَايِعَتِنَا يُوَفُّونَ﴾^(٢) وليس هي مجرد إرانة الطريق والإرشاد،

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) السجدة: ٢٤.

وإلا فهو وظيفة كل نبي وكل مؤمن يهدي الآخرين، بل هي الهداية المطلقة المدعومة بأمر الله تعالى وإشاءته، المجعولة من قبل الله تعالى، وليست من الأمور الكسبية.

ولا تتوقّر الإمامة في شخص إلا إذا كان معصوماً ممتحناً صابراً متيقناً كما جاء في الآية السابقة، ومؤيداً من عند الله تعالى، ناظراً إلى ملكوت السموات ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(١)، مع علمه واطلاعه على أحوال العباد وأفعالهم، وجميع ما يحتاجون إليه في أمور معاشهم ومعادهم، مع تحليه بأعلى الفضائل والمحامد، مما ينشأ عن سعادة ذاتية، وبعده عن الرذائل، وعدم تلبسه بالظلم - وخصوصاً الشرك - ولو في برهة من عمره، ﴿قَالَ وَبِنَ دُرَيْقٍ قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الْفَالِغِينَ﴾^(٢).

وبذلك يكون الإمام قدوة للناس يُقتدى به، وهو يسوقهم إلى الله ﷻ، ويقودهم يوم القيامة، كما يسوسهم في الدنيا ويرعاهم.

ولا شك أنّ رسول الله ﷺ هو إمام يُقتدى به، وأفضل من توقّرت فيه شروط الإمامة والقيادة، ويمتاز عن سائر الأئمة باستمرار إمامته ودوامها، بل ثبوتها من اليوم الأوّل للخلقة، حينما اقتدت الملائكة بتسبيحه كما مرّ آنفاً، وتبقى بعد موته، فقد روي أنّ علياً عليه السلام قال: «إنّ رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً»^(٣).

وورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أنتم والله على دين الله، ثم

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) إعلام الوري ١: ٢٧٠، مستدرک الوسائل ٢: ٤٨٦.

تلا: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ ثم قال: علي إمامنا، ورسول الله ﷺ إمامنا^(١).

١٥٨. إمام الأئمة

الاحتمال في كلمة الأئمة ذو طرفين أو أطراف، وأحد الطرفين إرادة الأئمة ممن يخلف النبي ﷺ ويأتي من بعده، فهو إمام لهم وقدوة يقتدون به ويقتفون آثاره.

والطرف الثاني - وهو الأصلح - إرادة جميع الأئمة من يوم خلق البشر فيدخل فيه مثل النبي إبراهيم ﷺ ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فالنبي ﷺ إمام لهم وقدوة يقتدون به، وهو متقدمهم خلقة وإجابة وطاعة حينما أخذ عليهم العهد والميثاق، وقال: ألتست بربكم، وأول من سبّح الله ﷻ فسبّحت بتسيحه الملائكة، قال ﷺ: «أنا إمام الأئمة»^(٢).

١٥٩. إمام الاتقياء

يغلب استعمال كلمة الإمام مع الإضافة في معنى الاقتداء والتقدم، فإذا اتقى الاتقياء وتوزعوا فإنهم برسول الله ﷺ اقتدوا، ولسيّله سلكوا، ولنهجه اتبعوا، ولو قيس إلى جميع الاتقياء ممن خلا وغيره ومن هو آت، فهو المقدم عليهم جميعاً، إذ لم يصدر منه ترك ما هو أولى، مما لا يخلو منه بشر ممن سواه.

وتكرر نعت النبي ﷺ بأنه «إمام الاتقياء» و«إمام من اتقى» في كلام الإمام علي عليه السلام وغيره^(٣).

(١) تفسير العياشي ١: ٣٠٣ ح ١٢٠، البحار ٨: ١٣، والآية ٧١ من سورة الإسراء.

(٢) نهج الإيمان: ٤١٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣، نهج البلاغة ١: ٢٠١، ٢٢٩ خطبة ١١٦.

١٦٠. إمام البررة

البر هو فعل الخير، والبر هو فاعل الخير المطيع، والإمام هو القدوة الذي يقتدى به، والمتقدم الذي يقتفي الآخرون آثاره، ويمشون على خطاه، ويضعون أقدامهم في موضع قدمه.

والجامع هو ملاحظتهم ما يفعلوه وما يعملون ليفعلون كفعله ويعملون بعمله.

ولا شك أن البشر بطبعه يميل إلى التجبر، والتكبر والأنانية والاستبداد والكل يجر النار إلى قرصه، وإنما نزع البعض إلى فعل الخيرات واعتماد الإحسان بفضل عمل الأنبياء، وإقدامهم على احتضان الضعيف، والرحمة بالمساكين، فاقتفى الناس آثارهم، ووطئوا مواضع أقدامهم.

وكان النبي ﷺ المثال الأول لفعل الخير والتمحّض في ذلك، واقتفى المسلمون آثاره، وهم يحاولون ويسعون إلى وضع القدم موضع القدم، فاعتمدوا التوقيف، وقفوا على الوارد والواصل، ولم يجوزوا إلى غيره، فهو ﷺ إمام البررة بتمام معنى الكلمة.

ويظهر من بعض كتب اللغة أن كلمة «البر» توازي كلمة التقي، وجعلوها مما يخص الأولياء والزهاد والعباد^(١)، الذين مشيهم التواضع وفعلهم الإحسان وقولهم الإرشاد والنصيحة، وهم قائمون على نسك وعبادة وصلاح، فعلى مثل هؤلاء تُطلق كلمة الأبرار، ولو سألت هؤلاء لتجدن همهم الاقتداء بطرف من أفعال الرسول ﷺ، والحصول على قيس منها، فتعلم أن رسول الله ﷺ هو إمام البررة.

(١) مجمع البحرين ١: ١٨٣.

وقال رسول الله ﷺ: «أنا نجي السفرة، أنا إمام البررة، أنا مبيد الكفرة»^(١).

١٦١. إمام الخلق

إن إمامة الخلق تعني الهداية المطلقة، ويساوق معنى الإمامة المطلقة المتقدم، وهو يعني تقدّمه على جميع الخلق بما فيهم الأنبياء، فقد ورد: «إن كان لآدم سجود الملائكة مرة، فلمحمد صلوات الله والملائكة والناس أجمعين كلّ ساعة إلى يوم القيامة، وإن كان آدم قبله الملائكة، فجعله الله إمام الأنبياء ليلة المعراج فصار إمام آدم ﷺ، وإن خلق آدم ﷺ من طين؛ فإنه خلق من النور»^(٢).

وقال علي ﷺ: «إن النبي ﷺ نبي مرسل، وهو إمام الخلق»^(٣).

وتتضح إمامته للخلق بمعرفة تعلّم الملائكة التسييح منه ﷺ، ذكر ذلك لما سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٤) فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نستبح الله وتسبح الملائكة بتسييحنا قبل أن يخلق الله آدم بالفي عام، فلما خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش»^(٥).

(١) نهج الإيمان: ٤١٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٨٣، البحار ١٦: ٤٠٢ ح ١.

(٣) البحار ٢٦: ٣.

(٤) ص: ٧٥.

(٥) فضائل الشيعة: ٧، البحار ١٥: ٢١ ح ٣٤.

١٦٢. إمام الرحمة

الرحمة هي الرقة والتعطف^(١)، والمقصود بالإمام هو المقدم والمقتدى به، فالرسول المصطفى ﷺ هو أرحم الناس، والمقدم على الجميع في الرحمة والشفقة، والقدوة الذي يقتدى به، ومن أجل شدة رحمته وشفقته على هذه الأمة وكثرة دعائه لهم، رُحمت هذه الأمة، وصارت هي الأمة المرحومة.

وكان ﷺ مَضْرَب المثل في رحمة الضعفاء والفقراء، وإيثار مجالستهم ومؤاكلتهم والحديث معهم على مجالسة من سواهم، ومنهم أصحاب الصفة وسائر المعدمين من المسلمين.

بل شملت رحمته الكفار واليهود والنصارى، وحتى أعداءه أيضاً، وما شدد عليهم إلا ليستنقذهم من النار، وخوفاً عليهم من غضب جبار السماوات والأرضين.

وقد تكرر في الأدعية المأثورة نعته بأنه إمام الرحمة، وخصوصاً ما ورد عن حفيده زين العابدين علي بن الحسين ﷺ، فكان من دعائه وصلواته: «اللهم فصل على أمينك علي وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة»^(٢).

والإسلام هو دين الرحمة، وإمام الرحمة يكون إمام الإسلام.

١٦٣. إمام المتقين

فالمتقون هم أهل الفضائل منقطعهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غَضُّوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم،

(١) الصحاح ٥ : ١٩٢٩.

(٢) الصحيفة السجادية : ٣٠.

ووقفوا أسمعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن.

هذا جانب من صفات المتقين وقَبَسَ منها، وإن شئت التفصيل فراجع خطبة همام^(١).

وأي وصف لا يكون رسول الله ﷺ فيه إماماً وقدوة، أفي صواب منطقته وهو المعروف بالصادق الأمين حتى بين المشركين، أم في ملبسه وهو يشتري القميص بثلاثة دراهم، ويقطع ما زاد من كفه، أم في تواضعه وهو يمشي مشية العبد، أم في وقف نفسه على العلم وقد انتشر منه من العلوم ما بلغ المشرقين، أم في شوقه إلى لقاء ربه، وهو حبيبه، أم في استواء حاله في البلاء والرخاء، وهو أرضى بالبلاء، وما نُحِيرَ بين أمرين إلا واختار أشدهما عليه، وما هو كمن رأى الجنة والنار؛ لأنه رآهما يوم أسري به، ولا تحدّث عن قيام الليل؛ فإن ربه يعلم أنه يقوم أدنى من ثلثي الليل، وهكذا، فلا شك في أنه إمام المتقين، بل لا يقاس به المتقون، كما لا تقاس ليلة القدر بغيرها.

ومهما يكن من ذلك فقد تكرر نعته بإمام المتقين في لسان

(١) نهج البلاغة ٢: ١٦٠.

أصحابه كالإمام علي عليه السلام وابن عباس^(١) وغيرهما، ونعت نفسه ﷺ بذلك وذكره لبعض اليهود لما سأله: أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنت الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ فسكت النبي ساعة ثم قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين وإمام المتقين»^(٢)

١٦٤. إمام المرسلين

المهم أن نعرف أن الرسول ﷺ كيف صار إمام المرسلين وقدوتهم وهو آخرهم مبعثاً، وأما بماذا اقتدوا به، وبماذا هو إمامهم، فلانتدخل في أسرار المقربين.

ولا ننسى أن الله ﷻ قد أخذ من عامة البشر بما فيهم الأنبياء ﷺ ميثاقاً، ومن خصوص الأنبياء ميثاقاً على حدة، فقد أخذ على جميع البشر أن يقرؤا له بالربوبية ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٣).

وأخذ ميثاق الرسول ﷺ على جميع الأنبياء أن ينصروه ويعزروه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٤)، وهو يدل على أنه تعالى عرفه لهم، ولم يأخذ عليهم ميثاق ما يجهلون حاله وامتنيازه. ولما عرفوه وعرفوا أحواله ونصروه بالتبشير بظهوره وغيره، كان لهم إمام وقدوة يقتدون به، وأسوة يتأسون به، وصار هو الإمام لهم. هذا عن الدنيا.

(١) نهج البلاغة ١: ٢٤٧، البحار ١٨: ٢٢١، خلاصة الإيجاز للشيخ المفيد: ٢٧،

الدروع الواقية: ٢٢٠، الكافي ١: ٣٥٨ ح ١٧.

(٢) الأمالي: ١١٢، ١١٨، البحار ٩: ٢٩٤.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) آل عمران: ٨١.

وأما عن الآخرة؛ فقد روي أنه ﷺ قال: «أنا أحمد، وأنا محمد، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، فإذا كان يوم القيامة فإن لواء الحمد معي، وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم»^(١).

أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾^(٢) فهو إمام المرسلين. كما أن الرسل هم أئمة لأممهم.

١٦٥. أمته أفضل الأمم

وهي الأمة المرحومة التي لم تعاقب بعقوبات الأمم السالفة لا في حياة الرسول ﷺ ولا بعد مماته، وما ذاك إلا من رحمته وشفقته على الأمة؛ إذ لم يدع عليهم رغم ما عاناه منهم، وما قاساه في طريق هدايتهم، بل دعا لهم، وبدعائه كانت أمته أفضل الأمم، وكذا بفضل هدايته ﷺ حصلت على امتيازات عظيمة، فازت بها على جميع الأمم، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

وهذا مشهود اليوم أيضاً، فإن الأمة الإسلامية هي أكثر التزاماً بتعاليمها وسننها من بين الأمم، بينما نزع سائر الأمم كاليهود والنصارى إلى ركوب الشهوات وارتكاب المحرمات، ففسقوا، قال

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٤ : ٤٤، كنز العمال ١١ : ٤٦٣، مجمع الزوائد ٨ : ٢٨٤.

(٢) الإسراء : ٧١.

(٣) آل عمران : ١١٠.

تعالى: ﴿وَلَوْ مَأْمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا مَنَعَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

ويروي جماعة أن عفيف أخو الأشعث بن قيس الكندي حدث أنه رأى شاباً يصلي ثم جاء غلام فقام عن يمينه ثم جاءت امرأة فقامت خلفه فقال للعباس: هذا أمر عظيم، قال: ويحك هذا محمد، وهذا علي وهذه خديجة، إن ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السماوات والأرض أمر بهذا الدين والله ما على ظهر الدنيا غير هؤلاء الثلاثة.

وفي رواية محمد بن إسحاق عن عفيف قال: فلما خرجت من مكة إذا أنا بشاب جميل على فرس فقال: يا عفيف ما رأيت في سفرك هذا؟ فقصصت عليه، فقال: لقد صدقتك العباس والله إن دينه لخير الأديان، وأن أمته أفضل الأمم^(٢).

١٦٦. أمته أكثر الأمم

وهذا أمر إحصائي، ويشبهه تزايد البشر، وطول فترة رسالة الرسول المصطفى ﷺ فهي آخر الرسالات، والباقية إلى يوم الدين، وصلاح أمته سيكونون الوارثين للأرض، وعلى أمته تقوم الساعة، خصوصاً مع ملاحظة نسخ شريعته ﷺ لسائر الشرائع، فلا يكون أتباع سائر الرسالات اليوم هم أمم لأنبيائهم؛ إذ عصوهم في متابعة الرسول الخاتم ﷺ، وطالما أوصوهم بمتابعته ونصرته كما أخذ الله ﷻ عليهم الميثاق.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «يأتي من أمتي يوم القيامة مثل الليل

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٠٠، البحار ٣٨: ٢٠٦.

والسيل، فتقول الملائكة: لما جاء مع محمد من أمته أكثر مما جاء مع عامة الأنبياء^(١).

ومن العوامل التي جعلت أمته أكثر الأمم هو حثه ﷺ على النكاح وترك العزوبة فقال: «النكاح ستي فمن رغب عن ستي، فليس مني»^(٢)، وكذا توصيته بتكثير النسل فقال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تكثروا؛ فإني مباؤ بكم الأمم حتى بالسقط»^(٣).

١٦٧. الأمي

تعود تسمية الرسول المصطفى ﷺ وتلقبته بالأمي إلى ما قبل ولادته، حتى كان فيما وعظ الله تعالى به عيسى بن مريم ﷺ أن قال له: «ثم إني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين ... العربي الأمي»^(٤). وعرفه النبي موسى ﷺ بهذا الاسم، فإنه رحب به ﷺ ليلة المعراج وقال له: «مرحباً بالنبي الأمي»^(٥).

ولا يزال هذا التلقب ويستمر إلى يوم الجزاء حتى ورد في وصف الموقف: «وعن يمين الوسيلة عن يمين الرسول ﷺ غمامة بسطة البصر يأتي منها النداء: يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصي، وآمن بالنبي الأمي العربي»^(٦).

-
- (١) متخب مسند عبد بن حميد: ٤٢٤، دلائل النبوة: ٢٢٥.
 (٢) جامع الأخبار: ٩٧، المبسوط للسرخسي ٤: ١٩٣، بدائع الصنائع ٢: ٢٢٩، جواهر العقود ٢: ٥٧، البحار ١٠٠: ٢٢٠ ح ٢٣.
 (٣) جامع الاخبار: ٩٧، بحار الأنوار ١٠٠: ٢٢٠ ح ٢٢٠، ٢٤، المبسوط للسرخسي ٤: ١٩.
 (٤) الكافي ٨: ١٣٩، أمالي الصدوق: ٦١١، البحار ١٤: ٢٩٤.
 (٥) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٥٧.
 (٦) الكافي ٨: ٢٥، كنز العمال ١٢: ٤١٥ ح ٣٥٤٥٤، تفسير ابن كثير ٣: ١٦.

وكذا ورد في بعض التوسلات والزيارات^(١).

وأنت تعلم أن الأمية بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة نقص وعيب، وليس ممّا يُفتخر به، وينادى به يوم الحشر، ويوصي به عيسى ﷺ، ويرحب به موسى ﷺ.

ولا أظنّ أنّ أحداً يرضى أن ينادى بالأمي وإن قلّ مقداره وكان أمياً حقاً، فهل ترضى أيها القارئ أن ينادى بك على رؤوس الأشهاد أيها الأمي، أو يقول لك كل من يسلم عليك: السلام عليك أيها الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، فكيف ترتضي هذا القول لنبيك الكريم الذي ملأ الدنيا علماً ومعرفة بما خرج إلى الناس من بعض علومه، واحتفظ بأكثر من ذلك لقصور عقولهم وهمهم، تلك إذن قسمة ضيزى.

ويروى أنه سأل البعض أبا جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ: لم سمي النبي ﷺ الأمي؟ قال: ما يقول الناس؟ قلت له: جعلت فداك يزعمون إنما سمي النبي ﷺ الأمي لأنه لم يكتب، فقال: «كذبوا عليهم لعنة الله، أنى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو بثلاثة وسبعين لساناً، وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَنْ نُزِدَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ

(١) انظر الكافي ٤: ٥٧٣، كامل الزيارات: ٣٧٠ و ٣٩١، بحار الأنوار ٨٣: ٣٤٧، مصباح المتهجد: ٣٣٥، ٤٣٤، المهذب للفاضل ابن البراج ١: ٢٨٦، الجامع للشرايع: ١١٧، الصحيفة السجادية: ٢٥٥.

حَوَالًا^(١). فالكتاب مصدر كُتِبَ، ويرادف الكتابة والكتب.

وغاية ما يستدلّ به للوجه الآخر، أعني إرادة عدم معرفة القراءة والكتابة ما نقل عن ابن فارس قال: لأنه أدلّ على معجزته، فإن الله علّمه علم الأولين والآخرين، ومن علم الكائنات ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهو أمي، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَلْمِزُونَ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّونَ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْتَلُونَ﴾، وروي عنه ﷺ: «نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب»، وقد روي غير ذلك^(٢).

والجواب عنه: إنّ مجرد كون صفة أدل على المعجزة لا يقضي بثبوت تلك الصفة؛ فإن الآتي بالقرآن لو كان أعجمياً أو طفلاً أو حجراً يأتي بالقرآن لكان أدل على المعجزة، ولعمري هذا أوضح من أن يخفى.

وأما الآية فإن المراد بها نفي العادة والممارسة لا نفي القدرة، فإن المراد: ما كان من عادتكم قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً، ولا كان من عادتكم أن تخط كتاباً أو تكتبه، أو ما كنت تمارس قراءة كتب الأديان السابقة، وهو يكفي في نفي الارتباب وإثبات صحّة القرآن، وعدم كونه تلفيقاً من كتب السابقين.

وأما الروايات فهي غير واضحة؛ فإنه كيف تكون الأمة الإسلامية أمية، وقد شرعت الأمة بتعلم القراءة والكتابة من يوم بدر، والاشتراط على الأسرى بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، وسرعان ما انتشر العلم بين المسلمين، حتى في حياة الرسول ﷺ فكيف يقال عنها: إنها أمية.

(١) بصائر الدرجات: ٢٤٥، علل الشرائع ١: ١٢٤ - ١٢٥ ح ١، والظاهر أنّ التردد من الراوي، والآية الأولى في سورة آل عمران: ١٦٤، والآية الثانية في سورة الأنعام: ٩٢.

(٢) نقله في كشف الغمة ١: ١٢، والآية ٤٨: من سورة العنكبوت.

كما أن الأمة لا تختص بمن كان في زمان الرسول ﷺ، وهي بعده ليست أمية.

ويبقى قول الرسول ﷺ ما أنا بقارئ، فقيل: هو استفهام وقيل: هو نفي^(١)، ومع تطرُّق الاحتمال لا يتأتى الاستدلال.

١٦٨. الأمين

كانت العرب تسمي النبي ﷺ قبل مبعثه بـ «الصادق الأمين» لما شاهدوه من أمانته وصدقه^(٢).

بل غلب هذا الاسم على اسمه حتى أن قريشاً لما تشاجرت في وضع الحجر في موضعه بعد بناء الكعبة، وتراضوا بقضاء من يدخل من باب شيبة، فطلع رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكّموه، فبسط ردايه ثم أخذت القبائل بأطراف الثوب فرفعوه، ثم تناوله فوضعه في موضعه^(٣).

بل عُرف بذلك منذ صباه، وهو من الطاف الله تعالى، فقد روي أنّ علياً عليه السلام قال: «إن محمداً أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان، ولم يرغب لهم في صنم قط، ولم ينشط لأعيادهم، ولم يُرْمَ منه كذب قط، وكان أميناً»^(٤).

كما أنه ﷺ عرف بهذه الصفة في السماء، كما عرف بها في

(١) انظر سيرة الرسول ﷺ وخلفائه للسيد علي فضل الله ٢: ٢٥، والسيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٨٤، والسيرة النبوية الشريفة لأحمد مغنية وصالح التاروتي ٢: ٨، وأعلام النبوة للماوردي: ٢٠٢.

(٢) انظر البحار ١٦: ١١٨، والشفاء ١: ٢٣٣، والنهاية ١٦: ٧٤، والسيرة للذهبي ١: ٣٢، والمواهب للقسطلاني ٢: ١٥، وكشف الغمة ١: ١١.

(٣) الكافي ٤: ٢١٧ و ٢١٨ ح ٤٣، البحار ١٥: ٣٣٨ ح ٨.

(٤) الاحتجاج للطبرسي: ١١١، ١٢٠، البحار ١٠: ٤٤.

الأرض، إذ كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له: «محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس .. أمين ميمون»^(١).

وإن كان المقصود بالأمين في كلام الله تعالى معنى أسمى وأرفع، لكن الناس يرون أن الأمين مأخوذ من الأمانة وأدائها، وصدق الوعد، وكل من أمنت منه الخلف والكذب فهو أمين.

وأراد الله جل ثناؤه الأمانة على الوحي والغيب، ومعاملة المنافقين ومماشاة الناس كأن لم يعلم من أسرارهم وما تخفي صدورهم، وما يكون إليه مآلهم.

وما زالت الناس تأتمنه قبل مبعثه وتودع عنده الأمانات، وأودعته خديجة أموالها ليتجر بها.

وكذا بعد مبعثه استمرت به هذه الشيمة إلى آخر حياته، فأوصى عند موته علي بن أبي طالب عليه السلام بإنجاز عدياته، وردة الأمانات إلى أهلها، وما زال يوصي برد الأمانات إلى أهلها، والوفاء بالوعد، ويؤكد عليه.

بقي أن المستفاد من بعض الأخبار أن الأمين، ليس هو الأمين على الأموال فقط، بل ورد: «لا يكون الأمين أميناً حتى يؤتمن على ثلاثة فيؤديها: على الأموال والأسرار والفروج، وإن حفظ اثنين وضيع واحدة فليس بأمين»^(٢).

١٦٩. أمين الله

مضى الكلام في عنوان الأمين بما عرفه الناس من معنى الأمين

(١) تحف العقول: ٤٩٩.

(٢) تحف العقول: ٣١٦، البحار: ٧٥: ٢٣٠ ح ١٢.

وما شاهدوه وجربوه، وما تدركه عقولهم من دون التفات إلى مقامات النبي ﷺ ومنازله عند الله تعالى.

ونعاود الكرة في عنوان «أمين الله» على أنه مقام شامخ، ومنزلة سامية تعجز عن إدراك مراميه والإحاطة باطرافه عقول البشر، ولا تبلغها مخيلاتهم.

فإن أمانة الله على الإطلاق تعني الأمانة في الأرض والسماء، والأمانة على الرسل وعلى عزائم الأمور وعلى وحيه وتنزيله وغيرها كما جاء في الأخبار^(١). وهو مقام ارتضاه الله تعالى له، ولذا قال علي ﷺ في بعض خطبه: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصفي، وأمينه الرضي»^(٢).

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في صحف إدريس: «ونظر آدم إلى طائفة من ذريته يتلألاً نورهم قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال يا رب، فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا محمد أميني»^(٣).

وأنت تعلم أن الأنبياء جميعهم يؤدون الأمانة ويصدقون ويوفون بالوعد، ويحفظون ما أمرهم به الله تعالى، ولا يبدلون، ولا يغيرون، فلا يكون قوله تعالى هذا محمد أميني امتيازاً لرسول الله ﷺ عليهم إذا كان بذلك المعنى، فلا بد أن يكون أراد منزلة ومقاماً يمتاز به على جميع الأنبياء مما لا نفهمه ونعرفه.

(١) أنظر الكافي ٤: ٥٧٢، وخصائص الدرجات: ٣٣، والبحار ٢٦: ١٤٢، ١٤٣، وج ٢١٩: ٩، وج ١٠: ٣٥٢.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٧٢، ٣٧٣، البحار ١٨: ٢٢٣.

(٣) سعد السعود: ٣٤، البحار ١١: ١٥١.

وكذا يؤيد ذلك وروده في زيارته والتسليم عليه بذلك، فقد ورد في كيفية السلام على النبي ﷺ عند قبره عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «قل السلام على رسول الله ﷺ، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا أمين الله»^(١) وكذا في بعض زيارات أمير المؤمنين^(٢) والزهراء^(٣) والإمام الحسين عليه السلام^(٤). وهذا لا يعني عدم شموله الأمانة بالمعنى المعروف، بل هو مقام يقتضي ذلك ويستوجهه، ولذا ورد أن رسول الله ﷺ قال لمن أراد أن يأتئمه: «إني لأمين الله في سمائه وأرضه، ولو ائمتني على شيء لأديته إليك»^(٥).

١٧٠. الأمين على التنزيل

التنزيل هو القرآن، والأمانة على التنزيل تتمثل في عدم تحريفه وتغييره، ونقله كما نزل مهما كلف من معارضة المعارضين وعداوة المناوئين، وفي أشد الظروف.

ومن ناحية أخرى إيداعه بين المسلمين بحيث يبقى محفوظاً، لا تناله يد التحريف والزيف.

وأبلغ من ذلك حفظ معانيه والمواظبة على تطبيقها وعدم التخطي عنها، مع نفي تأويل الغلاة والمعاندين، وهو الحفظ الأمثل مما يليق بسيد الرسل الذي تحمّل أشد الصعاب من أجل تبليغ الدين، وحمل أصحابه على تلقيه والعمل به.

(١) الكافي ٤: ٥٥٢ ح ٣.

(٢) الصحيفة السجادية: ٥٩٠، كامل الزيارات: ٩٢.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ١٠.

(٤) الكافي ٤: ٥٧٢، كامل الزيارات: ٣٨٢.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٥١، البحار ١٠: ٣٥٢.

وقد تكرر هذا الاسم في خطب أمير المؤمنين ﷺ ومكاتيبه.
فمن خطبة له ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ،
وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ»^(١).

١٧١. أمين الله على رسالته

رسالة الله تعالى هي دينه وكتبه وشرائعه وأحكامه، وهو الذي أرسله الله تعالى على يد رسله وأنبيائه ﷺ إلى البشرية؛ ليعرفهم ما أراد لهم، وما فيه نفعهم وضرهم وخيرهم وشرهم، ويحفظ ارتباطهم بخالقهم الذي أنعم عليهم، وكرمهم على كثير من خلقه.

ولما كانت مواضع هذه الرسالة كثيرة جداً ويختص بعضها بزمان دون زمان، خرجت مضامينها على التدرج، وعلى مرّ العصور، وحتى في أيام الرسول الواحد، لتتم وتكتمل في نبوة نبينا محمد ﷺ، ولذا عرف ﷺ بأنه أمين الله على رسالته، يعني بتمامها، بيد أن من سبقه كانوا أمناء على بعضها أو جانب منها.

ومن ناحية ثانية فإن هذه الرسالة مما لا يقبلها الناس بسهولة لأنهم اعتادوا ما يخالفها، وهي تخالف منافع البعض منهم، وخصوصاً المتسلطين عليهم، فصار إيلاخ مضامينها على التدرج يجعل الرسول ﷺ في معترك دائم مع المعاندين والمخالفين بحيث يُخشى معه عليه ﷺ، ويتخوف من سطواتهم، وبهذا تكون الدواعي للتغيير والتبديل من أجل إنجاح أصل التغيير كثيرة كما هو مشاهد، وهنا يتجلى معنى الأمانة وتحمل المشاق من أجل إيلاخ الرسالة كما هي وكما أراد الله ومهما كلف الثمن.

(١) انظر نهج البلاغة ١: ٦٦، والمسترشد للطبري: ٤٠٨، والإمامة والسياسة ١:

وقد بلغت ذروتها في تنصيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في غدِير خم، حتى جاء من عنده تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١) وهذا يعني وجود المقاومة الشديدة في مقابل إبلاغ هذا الأمر، وكذا يعكس مدى أهميته وأن عدم إبلاغه يساوق عدم إبلاغ الرسالة جميعها.

ولما عرفنا أن الرسالة على مر العصور وأحدة، نعرف أن هذا الأمر - وهو الولاية - لا يختص بهذه الأمة، بل يجب قبولها على جميع الأمم.

وأصل ذلك جاء في كيفية التسليم على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورد أنه يقال: «السلام من الله والتسليم على محمد أمين الله على رسالته، وعزائم أمره، ومعدن الوحي، والتنزيل»^(٢).

١٧٢. أمين الله على رسله

إنّ التعدي به «على» يجعل الرسل هم الأمانة عند الرسول صلى الله عليه وآله، وتصور أن الرسل هم أمانة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عليه حفظهم يحتاج إلى مقدار من التدبر والتفكير.

فلا شك أن الأنبياء هم أنبياء بشرائعهم وعقائدهم وأعمالهم العبادية، وتبليغهم الرسالات، وما شابهه، وليس بأعمالهم العادية التي يستوي فيها جميع البشر.

وبهذا يكون حفظ الأنبياء والائتمان عليهم بما هم أنبياء، لا بما هم بشر، فليس الرسول صلى الله عليه وآله مؤتمن على أيديهم أو أرجلهم، وإنما هو

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ٢٥، وانظر مجمع البحرين ١: ١١٤.

مؤمن على شرائعهم وتبليغهم، وحفظها من التحريف والتبديل والتغيير.

ومن ناحية أخرى فقد حفظ النبي ﷺ أسمائهم وأعمالهم، وذكرها للناس ليخلدوا ويعرفوا على مر العصور، فهو حفظ آخر. ومع ذلك تبقى هناك أسرار أخرى لا نعرفها.

وإنما جاء هذا الاسم فيما ورد من التسليم على الرسول ﷺ وفيه: «السلام على أمين الله على رسله وعزائم أمره»^(١).

١٧٣. أمين الله على عزائم أمره

تستفتح زيارات النبي ﷺ المختلفة الواردة عن أهل البيت ﷺ بالقول: السلام على رسول الله ﷺ وأمين الله على وحيه وعزائم أمره^(٢).

وقد مرّ الكلام في مقام أمانة الله تعالى والإشارة إلى بعض معانيها، والمهم الكلام هنا عن عزائم الأمر، وهل هناك فرق بين عزائم الأمر وعزائم الأمور أو هي واحدة.

ولما تتبعت استعمالات كلمة العزائم وجدتها تضاف إلى أمور عديدة، كعزائم الله، وعزائم الأمر، وعزائم الأمور، وعزائم السجود، وعزائم الشرائع، وعزائم النيات، وغيرها.

ولاحظت أن الجميع يشترك في معنى واحد، وهو الحتمية واللزوم، وإن كانت مواردها مختلفة، فمنها ما يستعمل في المحرمات، ومنها ما يستعمل في الواجبات، ومنها ما يستعمل في

(١) الكافي ٤: ٥٧٢.

(٢) مصباح الكفعمي: ٤٧٤، البحار ٩٧: ١٤٨ ح ١١.

مطلق الأحكام، ومنها ما يستعمل في القدر المحتوم، أو ما هو كائن، أو مسلمات الاعتقادات.

قال تعالى حاكياً وصية لقمان: ﴿يَبْنِيْ أَمْرَ الصَّالِحِيْنَ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

وقال علي عليه السلام: «إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يُثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط وأنه لا ينفع عبداً وإن أجهد نفسه وأخلص فعله أن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها أن يشرك بالله»^(٢).

وقد تستعمل كلمة «العزائم» في الأمور المقدرة الحتمية.

والذي سبب الإشكال اشتراك كلمة «الأمر» بين معنيين: الشيء، والطلب، فإذا كان المراد الطلب فهو يختص بالأحكام وقد يشمل الاعتقادات؛ وإذا كان بمعنى الشيء، فهو يشمل المقدرات الحتمية، وأسرار الكون، والظاهر هو الثاني بقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ حيث استعملها في الأوامر وجعلها من عزم الأمور الذي هو جمع أمر بمعنى الشيء.

والنتيجة أن عزائم الله هي موجباته، والأمور المقطوع عليها التي لا ريب فيها، ولا رجوع فيها ولا نسخ لها، ومنها أوامر الله اللازمة من الواجبات والمحرمات^(٣).

والمستفاد من العنوان هو أن عزائم أمر الله هي أمانة تحملها النبي صلى الله عليه وسلم، والظاهر أنه تحمل شطراً منها يوم أسري به إلى السماء،

(١) لقمان: ١٧.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٤٢.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة ٩: ١٦١.

فقد ورد: «لما ختم الله بنبيه الأنبياء، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأمم وسائر الملل خصه الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه»^(١).

وهو يدل على أن العزائم التي كانت عند الأنبياء قد تكون مختلفة ولذا علمها منهم، وإلا لعلمها من واحد فقط. ويؤيد هذا المعنى ما ورد: أن الله جل ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة^(٢).

١٧٤. أمين الله على وحيه

روي عن الإمام الهادي ﷺ أنه زار في يوم الغدير وكان فيما قال: «السلام على محمد رسول الله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وصفوة رب العالمين، أمين الله على وحيه، وعزائم أمره»^(٣) إلى آخره. والأمانة على الرحي كالأمانة على التنزيل، في عدم التغيير والتبديل والتطبيق والعمل بما يوحى إليه، أي عمله هو ﷺ وعمل من معه، فهي أمانة كبرى.

١٧٥. الأمين على وحي الله

وهو كسابقه، إن لم يكن هو بعينه، وقد ورد في كلام أبي جعفر الباقر ﷺ لكن ليس في خصوص الرسول ﷺ بل في الرسول ﷺ وأهل البيت ﷺ أنهم هم الأمانة على وحي الله^(٤).

(١) الاحتجاج ١: ٣٧٠.

(٢) الاحتجاج ١: ٣٧٩.

(٣) المزار للمشهدي: ٢٦٤.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ١٤٦، ١٤٧، البحار ٢٣: ٢٤٥.

١٧٦. أمين الله في أرضه

توالى الكلام عن الأمانة، أو أمانة الله، وقلنا إنها هي مقام ومنصب سامي، وليس أمانة بالمعنى الذي يفهمه الناس، بل هي مقام ومنزلة ومنصب خص به الرسول ﷺ وهو موروث من بعده في أوصيائه.

ويدخل فيه الأمانة على أسرار الأرض وعلم البلايا والمنايا والأنساب ومعرفة حقائق الأشخاص، وتتمثل الأمانة بمعاملة الناس على ظاهر حالهم مع العلم بحقائقهم وما هم إليه صائرون، والاطلاع على مخفيات أحوالهم وأعمالهم وما يدينون ويعتقدون ويعملون في الخلوات.

فقد ورد عن أبي الحسن الرضا ﷺ أنه قال: «إنّ محمداً ﷺ كان أمين الله في أرضه، فلما أن قبض محمداً ﷺ كنا أهل البيت أمناء الله في أرضه»^(١).

وفصل ذلك أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا ﷺ: «إنّ محمداً ﷺ كان أمين الله في خلقه، فلما قبض ﷺ كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم»^(٢).

فهو ﷺ وإن عرّف بعض مقامات الأمانة في الأرض، إلا أنه ذكر لرسول الله ﷺ مقاماً أعلى منها وهو الأمانة في الخلق، ولا منافاة بينهما. وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «إنّ محمداً ﷺ كان أمين الله في

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٠٣، ١٠٤، البحار ٢٣: ٣١٥.

(٢) المجدي في أنساب الطالبين: ٥١.

أرضه، فلما قبض محمد ﷺ كنا أهل البيت ورثته، ونحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب»^(١).

ومثله ما عن أبي جعفر عليه السلام^(٢).

١٧٧. أمين الله في خلقه

لا شك أن منصب الأمانة في الخلق أعلى وأرفع من منصب الأمانة في الأرض، وبموازاة ما عرفناه في الأمانة في الأرض نعرف بعض ملامح الأمانة في الخلق، وهي الوقوف على أسرار الخلق، ومعرفة ما يصيب كل مخلوق، وما يؤول إليه أمره، وهذا يشمل كل خلق حتى العرش ومن حوله، والملائكة والأنبياء.

والأفضل أن نقول: إن ذلك من الأسرار.

ويعود استعمال هذا الاسم إلى أول كل أول، وحين خلق الله تعالى الخلق، فقد ورد عن داود الرقي قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فقال لي: «ما يقولون؟» قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء والرب فوقه.

فقال: «فقد كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه».

قلت: بين لي جعلت فداك، فقال: «إن الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو شمس أو قمر، فلما أراد أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه. فقال لهم: من ربكم؟ فكان أول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم

(١) بصائر الدرجات: ١٣٨ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٣٨ ح ٢.

فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء أمنائي في خلقي»^(١).

وجاء في عدة روايات: «إن محمداً كان أمين الله في خلقه، فلما قبض كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه»^(٢) ولا يتوهم منه عدم وراثتهم الأمانة في الخلق، فإن قولهم ﷺ: «كنا ورثته» يدل على توريثهم ذلك المقام وهو الأمانة في الخلق، ومنه الأمانة في الأرض التي تختص بالأرض ومن عليها مما يهم السائل، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

١٧٨. أنجب البرية كهلاً

الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين، والبرية من برأ الله وخلقه، أي الخلق، والأنجب هو الأكرم، والنجيب هو الفاضل الكريم السخي، ويقال: نَجِبَ فلان، إذا كان فاضلاً نفيماً في نوعه^(٣).

فما بلغ الرسول المصطفى ﷺ الثلاثين من عمره إلا وعُرفت نجابته، وظهر كرمه، وذاع فضله، وانتشرت مكارمه. حتى إذا بَنَت قريش الكعبة وتنازعوا في رفع الحجر ووضعها في محله، حَكَمُوا النبي ﷺ، وحكم بينهم بما ارتضوه. قال قائل متعجباً من انقياد شيوخ قريش لشاب - وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين - أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقاً، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً، وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونياً^(٤).

(١) توحيد الصدوق: ٣٢٩، البحار: ٢٦٦: ٢٧٧ ح ١٩.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٨٧ ح ١ و ٢، المجدي في أنساب الطالبين: ٥١، مختصر بصائر الدرجات: ١٧٤.

(٣) انظر الصحاح: ١: ٣٣٤.

(٤) مروج الذهب للمسعودي: ٢: ٢٧٣، الطبقات لابن سعد: ١: ٩٤.

أضف إلى ذلك مدح عظماء قريش له والثناء عليه بما لا يثنى به على من كان في عمره وقارب سنه، كأبي طالب القائل: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه، وقوله: تلقوا ربيع الأبطحين محمداً، وغيره من أشعاره وأقواله، كل ذلك وأمثاله يحكي عن نجابة وكرم وفضل ظاهر لا يمكن إنكاره ولا إخفاؤه.

وجاء هذا العنوان المبحوث عنه وهذا الوصف في خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام قال فيها: «وحتى بعث الله محمداً ﷺ شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البرية طفلاً وأنجبها كهلاً»^(١).

١٧٩. أنجل العينين

العين النجلاء هي الواسعة التي وسع شقها مع حُسن وروعة^(٢)، هكذا كانت عيون رسول الله ﷺ تلفت انتباه الناظر، وتُعجب المتأمل، بل تسحر الرائي فيتبه في سعتها، ويغرق في بحرها، ويعشق براءتها لما بررت من أقل خيانة، وخَلت من أدنى شزر، ولم تستر وراءها خبايا الحقد والانتقام، كعيون الساسة، والغالب في ذوي الرئاسة.

ويجلى كمالها وتمامها وصف الله ﷻ لها حينما قال لعيسى عليه السلام: «خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل سوريا بالسريانية، بلغ من بين يديك أنني أنا الله الدائم الذي لا أزول، صدقوا النبي ﷺ الأمي صاحب الجمل والمدرعة والتاج، وهي العمامة والنعلين والهاوذة وهي القضيب، الأنجل العينين، الصلت الجبين»^(٣).

(١) نهج البلاغة ١: ٢٠٠.

(٢) لسان العرب ١٤: ٥٨ «نجل».

(٣) إكمال الدين: ٩٥، ٩٦، أمالي الصدوق: ١٦٣، البحار ١٤: ٣٨٥، الجواهر

وفي رواية أخرى: «الأنجل العينين، الأهدب الأشفار، الأدهج العينين»^(١).

١٨٠. الإنسان

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قيل: يعني محمداً ﷺ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني ما كان وما يكون^(٢).

ولا ينكر أحد أن الإنسان هو النبي ﷺ إلا من اغترّ وأقام لنفسه وزناً، واستخف بذنوبه، وتناسى عيوبه، وستر بهيميته وحيوانيته، فمن لا يخطو إلا وراء معاش، ولا يدبر إلا لشهوة ورياش، يجب أن يدعن أن الإنسان بتمام معنى الكلمة يجب أن لا يكون كذلك. بل الإنسان من سار بعقله، وما عصى خالقه، والعقل ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان.

وإنما يأتي الكلام في انصراف اللفظ المطلق واسم الجنس إلى أكمل الأفراد فيما إذا كان بينهم كاملاً، فلا جدال وقد طرأ النقص على الجميع، وصيغ سواد الخطيئة جانباً من أرواح العموم، وقلوب المجموع.

وبذلك تعرف الوجه فيما جاء في الحديث القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

ولما ذكر ابن شهر آشوب صفات النبي ﷺ وأسماءه، ذكر من جملتها الإنسان، وعقبه بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾^(٣).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٤٠٠.

(٢) مجمع البيان ٩: ٣٣٠. والآية ٢ و ٣ في سورة الرحمن.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١.

١٨١. أنور المتجرد

ورد في عدة أخبار أنّ رسول الله ﷺ كان أنور المتجرد^(١). وفسّر المتجرد أكثر المتعرضين له بما غطاه الثوب من البدن، ويكون المعنى أنه إذا تجرد الثوب عن تلك المواضع التي تغطيها الثياب تجدها بيضاء شديدة البياض كأن لها نوراً، والخلاصة أنه نير البدن.

قال الصدوق رحمه الله: سألت أبا أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري في تفسير هذا الخبر فقال: قوله: أنور المتجرد، معناه نير الجسد الذي تجرد من الثياب^(٢).

وقال القاضي عياض: قوله أنور المتجرد بالجيم والراء المشددة المفتوحتين أي ما تجرد عنه الثياب من البدن^(٣).

وقال الشامي: أنور المتجرد بجيم وراء مشددة مفتوحين: ما كشف عنه الثوب من البدن، يعني أنه ﷺ كان مشرق الجسد، نير اللون، فوضع الأنور موضع النير، والله أعلم^(٤).

وقال ابن الأثير: وفي صفته ﷺ أنور المتجرد، أي نير لون الجسم، يقال للحسن المشرق اللون أنور، وهو أفعل من النور، يقال: نار فهو نير، وأنار فهو منير^(٥).

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الوصف يشير إلى وجود تغاير بين لون ما غطاه الثياب من جسده الشريف، وبين ما ظهر وبرز منه ولم

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١٧٦، ١٧٨، وج ٢: ٢٨٣، معاني الأخبار: ٣٠، ٣٢، البحار: ١٦: ١٤٩، ١٥٨، أسد الغابة لابن الأثير ٥: ٧٢، سبل الهدى والرشاد

٥: ١١، الشفاء للقاضي عياض ١: ٦٠، غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٢١١.

(٢) معاني الأخبار: ٣٠.

(٣) الشفاء ١: ٦٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢: ١٤.

(٥) النهاية ٥: ١٢٥.

يغطه الثوب عادة - كالوجه واليدين - كما هو مألوف.

وتقدم في عنوان أسمر اللون الحديث في معارضة رواية أسمر اللون مع ما ورد أنه أبيض اللون وقد جمع البعض بينها بأنه أسمر اللون فيما برز للشمس من بدنه الشريف، وأبيض بالنسبة إلى ما سترته الثياب، وأجبنا عنه بأن النبي ﷺ مظلل بالغمام لا يقتضي الستر والظهور تفاوتاً في لونه، ولكن لما كان حديث أنور المتجرد شائعاً لا بد من التزام وجود نوع من التباين بين الظاهر والمستور بنحو من التباين وإن لم يبلغ درجة السمار، فإن إشعاعات الشمس تترك أثراً وإن لم تصبه ﷺ بشكل مباشر.

١٨٢. أهدب الأشفار

إذا كانت العينان سوداوين وواسعتين وهوراوين أي شديديتي السواد وشديديتي البياض، فالذي يتمم حسنها ويزيدهما جمالاً هو طول أشفار العينين، خصوصاً إذا كان فيها تقوُّس وانحناء، فهذه هي العيون التي تفتى بها الشعراء وعبروا عنها بـ «عيون المها» مرة، و «عيون الظبي» مرة أخرى.

وقد مرّ وسيأتي أن عيون رسول الله ﷺ تجمع كل تلك الصفات، وتزيد عليها، بينما يذكر كل واصف فيه أنه ﷺ كان أهدب الأشفار^(١)، وفسره أهل اللغة بأنه طويل شعر الأجنان^(٢).

(١) الغارات ١: ١٦٥، مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٧، البحار ١٦: ١٨٠، ١٩٠، مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ١٨، سنن الترمذي ٥: ٢٦٠ ح ٣٧١٨، مجمع الزوائد ٨: ٢٧٢، مصنف عبدالرزاق ١١: ٢٦٠، مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٤٤٥، الشامل المحمدية للترمذي: ٣٣.

(٢) ترتيب كتاب العين ٣: ١٨٧٣.

١٨٣. أهل بيت الرحمة

لقد أخذ الله ﷻ الأمم السابقين بذنوبهم، وجرى عليهم من العذاب والدمار والهلاك، فمنهم من أغرق، ومنهم من أخذته الصاعقة، ومنهم من ماتوا بريح صرر عاتية، ومنهم مسخوا قرده وخنازير، وترى قرى كثيرة جُعل عاليها سافلها.

ولا ضير أن الناس من هذه الأمة جنحوا إلى الظلم والعصيان والتمرد على رب الأرباب، وجبار السماوات وآذا النبي حتى كسرت رباعيته وما غادرهم النبي ﷺ حتى تركوا وصيته، وعزلوا وصيه، وسفكوا الدماء، واستحلوا الحرمات، وقتلوا الأولياء والصلحاء، وقتلوا ذرية نبيهم، واستحلوا حرمه، وزجوا بالآلاف في السجون، وهتكوا الحرمات، حتى خالط دماء الفروج دماء السروج، فاستحقوا بذلك أشد العذاب، والنقمة من رب الأرباب، ولكن الله ﷻ يدفع عن هذه الأمة بمحمد وآل محمد ﷺ، وبدعائهم.

ولما وفد إليهم الرسول ﷺ كانوا في ظلم الجهل والجاهلية، وتحكم فيهم العصبية والقبلية، وقد مزقتهم الحروب والمعارك كل ممزق، حتى لم يخل بيت من أرملة أو يتيم وهم جياع مقلون، يقتاتون القت، ويشدون حجر المجاعة.

فاستنقذهم الله ﷻ برسوله ﷺ فجمع شملهم ووحد كلمتهم، واستخرجهم من ظلمات الجهل، وخفف وطأة التعصب والتجبر، ودعا إلى التساوي والتفاضل بمكارم الأخلاق.

ومن ناحية أخرى فقد استتبت أمورهم، واسبغ الله عليهم المعاش، وواسى الأغنياء الفقراء، وصار العبيد يتطلعون إلى الحرية.

وأهم من كل ذلك استنقاذهم من العذاب، بعد ما كانوا على

شفا جرف هار، تتطلع إليهم جهنم، وتستقبلهم بزفيرها، فحادهم الرسول ﷺ عنها، وسامهم إلى الفلاح بكلمة التوحيد التي هي حصن الله تبارك وتعالى والأمان من العذاب.

وبذلك تعلم أن الرسول ﷺ كان رحمة لهذه الأمة، وأنه هو وأهل بيته ﷺ أهل بيت الرحمة.

قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت الرحمة»^(١).

١٨٤. أوجب الناس عند الله شفاعته

كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى عيسى بن مريم أن قال له: محمد رسول الله ﷺ إلى الناس ... وأوجبهم عندي شفاعته^(٢). فالمستفاد من هذا الحديث وغيره كقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ﴾^(٣) أن الشفاعته غير منحصرة بالنبي ﷺ وتكون لغيره أيضاً، ولكن النبي ﷺ أوجب الناس شفاعته، فنحن نتكلم على هذا الفرض، ونشير إلى وجوه الأوجيية.

فأول تلك الوجوه: هو القرب إلى الله، وبلوغ أسمى المقامات عنده، وهو مقام الحبيب، ومعلوم أن مقام الشخص كلما كان أقرب وأعلى كانت شفاعته ووساطته أكثر تأثيراً وأكثر قبولاً؛ فإن مقام الخليل والكليم وغيرهما لا تبلغ مقام الحبيب، لأن مقام الخليل هو مقام الخدمة، بينما مقام الحبيب هو مقام الشفاعته ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾^(٤) والشفيع أفضل من الخادم.

(١) بصائر الدرجات: ١٧، البحار ٢٦: ٢٤٥.

(٢) أمالي الصدوق: ٨٧.

(٣) مريم: ٧٨.

(٤) الإسراء: ٧٩.

ومن تلك الوجوه: سؤال النبي ﷺ ذلك من الله ﷻ وطلبه منه، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله بعث كل نبي كان قبلي إلى أمته - إلى أن قال - وجعل لكل نبي مسألة فسألوه إياها، فأعطاهم ذلك في الدنيا، وأعطاني مسألة فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمتي يوم القيامة، ففعل ذلك، وأعطاني جوامع العلم، ومفاتيح الكلام، ولم يعط ما أعطاني نبياً قبلي، فمسألتي بالغة إلى يوم القيامة لمن لقي الله لا يشرك به شيئاً»^(١) الخبر وقوله ﷺ: «فمسألتي بالغة» أي دعوتي وشفاعتي كاملة وباقية إلى يوم القيامة، فادعوا لأمتي في الدنيا، وأشفع لهم في الآخرة.

ومن تلك الوجوه: أوليته في كل شيء وأسبقيته، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تشق الأرض عنه ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع»^(٢). وإن كان الراجح أن الرسول ﷺ هو الشافع الوحيد عند الله ﷻ، وكل من يشفع ممن عداه إنما يشفع عنده ﷺ كما سيأتي تفصيله في عنوان أول شافع.

١٨٥. أوسع الناس جبهة

جاء أعرابي فسأل عن النبي ﷺ فلم يجده، قالوا هو بقزح^(٣)، فطلبه فلم يجده، فقالوا: هو بمنى، فطلبه فلم يجده، فقالوا: هو بعرفة، فطلبه فلم يجده، قالوا: هو بالمشاعر، فوجده في الموقف، قال: حللوا لي النبي ﷺ، فقال الناس: يا أعرابي ما أنكرك، إذا

(١) البحار ١٦: ٣١٦ ح ٦.

(٢) البحار ١٦: ٣٢٦ ح ٢٢.

(٣) قزح: القرن الذي يقف الإمام عنده بالمزدلفة، وهو الميقدة، وهو الموضع الذي كانت توقد فيه النيران.

وجدت النبي ﷺ وسط القوم وجدته مفخماً، قال: بل حلّوه لي حتى لا أسأل عنه أحداً، قالوا: فإن نبي الله أطول من الربعة، وأقصر من الطويل الفاحش، كأن لونه فضة وذهب، وأرجل الناس جمّة، وأوسع الناس جبهة^(١)، إلى آخره.

فإذا تأملنا في هذه المحاورّة وهذا التوصيف نستنتج أن سعة جبهة النبي ﷺ هي من أوائل ما يتبادر إلى أذهان واصفيه بعد الطول وحالة شعره، لكنها ليست بالحد الذي يخرج عن المعتاد، وإلا لكانت أوّل صفاته، وأوّل ما يتبادر إلى الذهن، ولا هي كباقي جباه الناس التي قتمها وأخفاها سوادها وغمها، ولكنها برزت وظهرت ببياضها ونورها، فصارت كأنها أوسع من جباه الناس.

١٨٦. أوفى الناس ذمّة

الذمّة هو العهد^(٢)، والوفاء بالعهد من الأركان التي قامت عليها الشريعة الإسلامية، بما فيها العهود التي تجري فيما بينهم أنفسهم، أو بينهم وبين الله ﷻ، أو بينهم وبين غيرهم ممن حولهم، أو مع المشركين وأهل الذمّة وأهل الحرب حتى قيل: إذا أعطى الرجل من الجيش، العدو أماناً جاز ذلك على جميع المسلمين، وليس لهم أن يخفروه، ولا أن ينقضوا عليه عهده.

وكذا جميع العهود التي ترجع إلى حقيقة المعاملات والمعاوضات والعقود والإيقاعات وغيرها قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٣) وجاء في الخبر العقود هي العهود.

(١) تفسير العياشي ١: ٢٠٣، البحار ١٦: ١٨٥ ح ٢١.

(٢) لسان العرب ١٢: ٢٢١.

(٣) المائدة: ١.

وكان الرسول المصطفى ﷺ هو السابق في جميع ذلك في جميع الأحوال، ولا يرضى بنقض العهد بوجه من الوجوه لا في حال ضعف المسلمين، ولا في حال قوتهم، ولا ما إذا كان النقص بصالحهم، أو لم يكن.

وأهم من كل ذلك وفاؤه بما لم يتعهد به، بل تعهد به أحد آباءه أو أجداده، حتى آدم ﷺ، فإنه عاهد على أن لا يأكل من شجرة الحنطة؛ فأكل منها، ولكن رسول الله ﷺ لم يُنه عنها، وما عاهد على تركها، ولكن تركها، فما أكل من خبز الحنطة قط، ولا شبع من خبز الشعير قط كما جاء في الأخبار^(١)، فأدم ﷺ هو الذي عاهد والمصطفى ﷺ وفى.

ومن أجل كل ذلك كان أمير المؤمنين ﷺ إذا وصف رسول الله ﷺ يقول: «كان أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة»^(٢) إلى آخره.

١٨٧. الأوّل

تُشير المؤشرات إلى أن الرسول ﷺ هو الأوّل على الإطلاق، فهو الأوّل في الخلق خلقه الله نوراً قبل أن يخلق كل شيء^(٣)، وأوّل من عرف الله، وبه عرفت الملائكة الله ﷺ، وأوّل المسبحين، وبه اقتدت الملائكة المقربون^(٤)، وهو أوّل من آمن بالله، وأوّل المجيبين إلى طاعة رب العالمين حينما قال تعالى: ألسنت بربكم؟ قالوا بلى،

(١) البحار ١٦ : ٢١٦ ح ٤.

(٢) مكارم الأخلاق : ١٨، البحار ١٦ : ٢٣١، سبل الهدى والرشاد ١ : ٥٣٤.

(٣) البحار ٢٥ : ٢٢.

(٤) البحار ١٨ : ٣٤٥.

وأول من أخذ عليه الميثاق، فسبقهم بالإقرار بالله ﷻ^(١)، وأول العابدين.

ومن ناحية أخرى فهو ﷺ أول الأمة^(٢)، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، وأول من يخرج من قبره، وأول من ينفض التراب عن رأسه، وأول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة، وأول شافع، وأول من يرد الحوض، وأول من يُدعى فيقوم عن يمين العرش، وأول من يقطع العقبة، وأول من يجوز الصراط، وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخل الجنة، وأول من يشرب الرحيق المختوم، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون^(٣).

وروي أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنا الأول» فهما كلمتان تجمعان كل ما قدّمناه، وتزيدان عليه ما لم تبلغه عقولنا، ولم يبلغ أسماعنا^(٤).

١٨٨. أول الأنبياء خلقاً

المقصود بالخلق في هذه الصفة هو الخلق النوري، دون الخلق الطيني، والأولية فيه تعتمد على الأفضلية والتفضيل والتقدم الرتبي، وقد تشمل الزمني كما هو ظاهر الأخبار، فقد روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «خلقتني الله نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم ﷺ باثني عشر ألف سنة، فلما أن خلق الله آدم ﷺ ألقى النور في صلب آدم ﷺ»

(١) الكافي ١: ٤٤١ ح ٦.

(٢) البحار ٥١: ٧٥.

(٣) انظر مناقب أمير المؤمنين ﷺ للكوفي ١: ٢٣٨، ومناقب آل أبي طالب ٣: ٢٥، وأمالي الصدوق: ٦٥٦، والبحار ٨: ٦٦، وج ٤٠: ٨١، والشريح للكشميري: ١٧٥ ح ٢١.

(٤) تاريخ بغداد ٧: ٣١، تنزيه الشريعة ١: ٣٤٩، الفردوس للدلمي ١: ٤٣، البحار ١٦: ١٢٠.

فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلى صلب»^(١) وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَبَّلَكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾^(٢).

والمقصود بالخلق النوري هي كلمة الله ﷻ والاسم الأول الذي فتق منه الأسماء، وذلك قبل أن يشتد ويُحصر ويحدد بالتحديد المعروف، يعني تركب الجسم والروح.

ويشيد ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أحد واحد، تفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً ﷺ»^(٣).

وليس الهدف الاستقصاء والتحقيق في هذا الميدان وأمثاله، وإنما نكتفي بالإشارة ويأتي التفصيل في موضوعات مفردة، إن شاء الله تعالى.

والمهم أن هذه الصفة جاءت في كلام رسول الله ﷺ نفسه، فقد روي أنه قال: «كنت أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث»^(٤)، وفي رواية أخرى: «أنا أول الأنبياء خلقاً، وآخرهم بعثاً»^(٥).

١٨٩. أول شافع

الشفاعة هي كلام الشفيح مع الملك أو الرئيس في حاجة يسألها لغيره^(٦)، والمعنى الأدق: هو كلام المقرب من الملك أو الرئيس في حاجة يسألها لغيره، مستفيداً من قربه وموقعه؛ باذلاً لماء وجهه،

(١) تفسير فرات: ١٩٠، البحار ١٥: ٦ ح ٦.

(٢) الشعراء: ٢١٩.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ٣٢، البحار ١٥: ١٠.

(٤) كتاب الشفاء للقاضي: ٢٣٩.

(٥) عوالي اللثالي ٤: ١٢٢ ح ٢٠٢.

(٦) لسان العرب ٨: ١٨٤.

وجاعلاً نفسه في الموقع الداني الذي يترتب عليه النقصان؛ فإن السؤال مهما كان، ذل ومنقصة. هذا في المعاملات الجارية بين الملوك وبين المقربين والرعية.

وإذا كان الكلام عن السؤال من الله ﷻ، فهو يشبه الشفاعة المذكورة في لزوم وجود القرب من الشافع والسائل أو الطالب، وجعل النفس في الموقع الداني - وهو التواضع أمام الله ﷻ - ولكن لا يترتب عليه حصول النقص، بل يترتب عليه الرفعة والكرامة؛ فإن من تواضع لله رفعه الله.

خصوصاً إذا كان السؤال للغير، فإن من كان أكثر حياً للناس وأقضاهم لحوائجهم يعدّ في ملكوت السماء عزيزاً، وهو أقرب إلى الله تعالى، وخير الناس من نفع الناس.

وهكذا تشير كل المؤشرات إلى أن الله ﷻ يعظم ويمجد حب الخير للآخرين، وكلما كان المرء أكثر حياً للناس وأكثر رغبة في قضاء حوائجهم، وأكثر سروراً بتوفيقهم ونجاحهم، فهو أقرب منزلة، وأعلى مرتبة، وأخلد ذكراً، وأعظم مجداً، ألا ترى خلود ذكرى المتفانين، والفدائيين المقدمين للغير على أنفسهم وإن كان في بعض المواقف.

ومن ناحية أخرى فإنّ الابتعاد عن الأنانية، والفناء في النوعية والجنسية، والإعداد لها يقتضي مقاماً شامخاً، ويحتاج إلى قدرة فائقة.

ومع كل ذلك يدل عليه من القرآن الكريم مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١) فهذا هو التمجيد والتعظيم.

ومهما يكن معنى الإحياء، فإن المتيقن منه هو الهداية والإحياء بالإيمان والاستنقاذ من النار والهلكة، ويشمل الإنقاذ من الموت والمرض والفقر وكل مضائق الحياة.

ولا شك أن المطالع في حياة الرسول ﷺ يرى أن الرسول ﷺ كان أحرص الناس على الناس، وقد تكرر ذكر كلمة الحرص في القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١) فكان يبذل كل ما يمتلكه في سبيل خيرهم وصلاتهم واستنقاذهم، ولا يهمه أن يجوع ويعرى ويتحمل كل الشدائد في هذا السبيل، بل لم يطلب سوى ذلك، حتى ترك الدعوات المستجابة التي خول بها النبيون^(٢) تركها لأمته لكي يشفع لهم يوم القيامة، وقد تقدم الدليل على ذلك في عنوان أوجب الناس شفاعته.

ومن ناحية أخرى يتحتم على الشفيح الاحتفاظ بروابطه الحسنة مع المشفوع عنده، والبقاء على منزلة قربه، وأن لا تتكدر تلك الروابط معه، ولو بترك الأولى كالأكل من الشجرة المحظورة كما فعل آدم ﷺ، أو الدعاء على قومه كما فعل نوح ﷺ، أو المجادلة في قوم لوط كما فعل إبراهيم ﷺ، أو العجلة في الحكم كما فعل داود ﷺ، أو الذهاب مغاضباً كما فعل يونس ﷺ، أو طلب الرؤية والقول: ربي أرني انظر إليك كما فعل موسى ﷺ، وأمثال ذلك مما لم يخل منه نبي ولا رسول، فإن من يترك ما هو أولى كهذه الأمور هو الذي يحتاج إلى الشفاعته.

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) عن رسول الله ﷺ قال: «وجعل لكل نبي مسألة، فسأله إياها، فأعطاهم ذلك في الدنيا، وأعطاني مسألة، فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمتي يوم القيامة، ففعل ذلك البحار ١٦: ٣١٦ ح ٦.

ولم يبق إلا سيد المرسلين، وحبیب إله العالمين، الرسول المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ لم يكن منه شيء من ذلك، فهو الوحيد الذي يمتلك المؤهلات اللازمة وله مقام الفناء المطلق، وتقديم كل ما عنده الله ولخلق الله وعباله ﷺ، وأكثر من ذلك فإنه ترك دعواته المستجابة ليشفع بها لأمته ولغيرهم يوم القيامة، واستوفاهما غيره من الأنبياء ﷺ في دنياهم.

ومن ذلك يعلم أن الأنبياء أيضاً يحتاجون إلى شفاعته، ويفتقرون إلى وساطته، وبذلك يتم أنه أول شافع، ولكن لا بمعنى أن له ثاني، بل هو أول بلا ثاني، وكل من يشفع ممن عداه، إنما يشفع عنده ﷺ كسائر الأنبياء والأوصياء وهكذا العلماء والشهداء وغيرهم.

وقد تكاثرت الأخبار على أنه أول شافع يوم القيامة، وهي تحكي شروع ذلك بإخبار الله ﷻ لآدم حيث قال له: «أنت يا آدم أول الأنبياء والمرسلين، وابنك محمد ... أول شافع»^(١).

وذكر بذلك الرسول ﷺ نفسه في مواطن عديدة قائلاً: «أنا أول شافع» مما روته جميع الطوائف الإسلامية وهكذا جرى على السنة ذريته الأطياب^(٢).

١٩٠. أول الفوائد من سليم

روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الفواطم من قريش الأكارم، أنا أول الفوائد من سليم، أنا ابن المرضعات»^(٣) ولعله أراد

(١) سعد السعدي: ٣٤، ٣٦، البحار ١١: ١٥٢.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ٢٧١، إقبال الأعمال لابن طاووس ١: ٩٨، سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤٠، سنن الدارمي ١: ٢٧، مسند أحمد ٣: ٢، إعانة الطالبين للدمياطي ٢: ١٠٤.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٦.

بكلمة «أول» مرتبة السمو والأولية في الفضل ومعنى الفوائد هو النتاج والمواليد الذين ولدتهم نساء قبيلة سليم، فيكون المعنى أنا أفضل من ولدته نساء سليم.

وقد مر في عنوان ابن العواتك ذكر أمهاته من بني سليم، وافتخاره ﷺ بأنه ابن العواتك من بني سليم، ورجحنا أنه أراد بالعواتك النساء الطاهرات اللواتي لهن شرف وسمعة طيبة، ويؤكد هذا العنوان الحالي وذاك السابق على هذا المعنى ويعكس مدى طيب نساء سليم وعفتهم وطهارتهن بحيث جعل الرسول ﷺ يفتخر بهن بأنحاء مختلفة.

ويضيف هنا معنى آخر، وهو فضل أولاد قبيلة سليم ونتائجهم، حيث قاس نفسه الشريفة بهم وقال أنا أفضلهم، إذ عبّر عنهم بالفوائد، ومعلوم أن الولد المشثوم لا يكون فائدة، وإنما يكون فائدة إذا كان فيه مقدار من الخير، والفضل.

١٩١. أول قارع لباب الجنة

ليس المقصود بأبواب الجنان أبواباً كأبواب الدور المصنوعة من الخشب والحديد، ولا القرع هو القرع المعهود بطرق الأبواب ودق الأجراس، وإنما المراد من القرع هو هذه الصلاة التي نصليها وهذه الأعمال العبادية التي نؤديها، فإن حقيقتها هي قرع لأبواب الجنان، ودعوة إلى فتحها.

وبهذا تعرف معنى الأبواب، خصوصاً إذا التفتنا إلى أن الأبواب هي مواضع للنفوذ ومنافذ ييسر الدخول عن طريقها، وعندها ترتفع الموانع من دخول الجنة مهما كان معنى الدخول.

وبهذا تعلم كيف يكون الرسول ﷺ هو أول قارع لأبواب الجنان إذ كان أول مخلوق، خلقه الله سبحانه نوراً فجعله محققاً بعرشه

يسبحه تعالى، وبتسبيحه سبحت الملائكة المقربون.

وإن أبيت إلا عن حفظ الظواهر الكلامية، وكان المراد هو الطرق والقرع المعهود، وأن الأبواب هي كأبواب الدور والقصور، فإذا علمنا أن دخول الجنة إنما يكون بعد الحساب، وعلمنا أن النبي ﷺ لم يدع شيئاً للحساب، وسيدخل الجنة بغير حساب، وكما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، لأنه إمام الصابرين، وما أودى نبي مثلما أودى، وما صبر نبي مثلما صبر الرسول ﷺ، فلا يبقى شك بأنه أول قارع لأبواب الجنان.

ولا يبقى تأمل في ما ورد من قوله ﷺ: «أنا الذي يفتح أبواب الجنان، أنا المحقوف بالرضوان، أنا أول قارع أبوابها، أنا المتفكه بشمارها»^(١).

كل ذلك مدعوم بأدعية الأولياء المأثورة: «اللهم اجعل محمداً أول قارع لباب الجنة»^(٢).

١٩٢. أول المؤمنين

إذا كانت الأولوية زمانية فمعلوم أن رسول الله ﷺ أول مخلوق وأول من سبّح وأول من آمن حين قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٣) فهو أول من قال بلى وأول من آمن كما هو مستفاد من سائر العناوين المبحوثة.

(١) نهج الإيمان: ٤١٦.

(٢) جمال الأسبوع: ٢٩٤، وفي البحار ٨٧: ٨٧ اللهم اجعل محمداً وآل محمد أول قارع لباب الجنة.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

وإذا كانت الأولوية بمعنى التقدم والأفضلية وأقوائية الإيمان فالرسول ﷺ أفضل من آمن وأقوى الناس إيماناً، وأشدهم اعتقاداً. ويبقى الكلام في معنى الإيمان، فقد عرف الإيمان بأنه عقد في القلب وإظهار باللسان وعمل بالأركان ومهما يكن من أمر فإن التعبير بأول المؤمنين في حقه ﷺ إنما جاء في كتاب شرح الأخبار، قال: «رسول الله ﷺ أول المؤمنين»^(١).

١٩٣. أول مبرور

المبرور في اللغة هو الخالص الذي لا يخالطه شيء من المآثم، أو الذي لا شبهة فيه ولا خيانة، وقيل: هو المقبول الناجح المقابل بالبر، وهو الثواب^(٢).

وهذا الأخير هو أفضل المعاني؛ بل إن كلمة المبرور باعتقادي تحمل عندي عدة معاني ويلازمها عدة أمور.

فالمبرور هو الذي خاض غمرات الامتحان، وخرج ما كان فيه بالقوة إلى الفعل، ولاحت معالمه، وظهرت كوامنه، وعرفت استعداداته فكان مقبولاً وناجحاً، وارتضى الناقد له باطنه، وعرف مقدار قدره، فصار في صدد إثابته وتقديره، بعد أن ارتضاه.

ولما كان الناقد للخلق هو الله سبحانه، وهو العالم بالبواطن والكامنات، وليس يحكمه زمان ولا مكان، فيكون التقدم والأول من الناجحين والمبرورين هو الأول في علمه تعالى، ولا شك أن الأول في علم الله سبحانه هو النبي الأمي ﷺ الذي اصطفاه وانتجبه وعرفه بأنه أفضل الأنبياء وأكرم ولد آدم وأثرهم كما مر.

(١) شرح الأخبار للنعمان المغربي ٣: ٤٦٠.

(٢) انظر لسان العرب ٤: ٥٣.

وأخبر بدرجة القبول والنجاح رسول الله ﷺ نفسه، فقال على ما نقل عنه: «أنا أول مبرور»^(١).

١٩٤. أول محبور

الحبرة هي النعمة، والمحبور هو المنعم عليه، قال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾^(٢) أي ينعمون.

فإذا كان الرسول ﷺ هو أول مبرور ومقبول، فلاضير أنه أول من يحبر ويثاب وينعم عليه، كما هو مقتضى العدالة الحقة، أو مقتضى شدة عناية الله ﷻ بنبية، وتفضيله على سائر الأنبياء والرسل. وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول محبور»^(٣).

١٩٥. أول محشور

لا نفهم فضيلة للمحشر أولاً، إلا إذا كان الحشر يلزم مقاماً سامياً، أو تعجيلاً في دخول النعيم أو إناطة الله ﷻ لأول محشور مهمات كبرى لقيادة شؤون المحشر.

ولا شك أن الرسول ﷺ إنما يحشر أولاً ليستوفي مقاماتٍ ومنزلة عظيمة، وهي لا تخرج عن إطار الحشر والحساب والشفاعة، إذ هي مقامات ووظائف موكولة به وبأهل بيته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٤) المفسر به وبأهل بيته ﷺ^(٥).

(١) نهج الإيمان: ٤١٥.

(٢) الروم: ١٥.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٥.

(٤) الفاشية: ٢٥.

(٥) شرح الأخبار ٣: ٤٤١، البحار ٧: ٢٠٣، ٢٦٤، و٢٧٤ ح ٤٨، وج ٢٤: ٢٦٧ ح ٣٢ - ٣٤.

وقال رسول الله ﷺ: «أنا الحاشر أحشر الناس على قدمي»^(١) ولا شك أن مهمة الحاشرية تقتضي أن يكون الرسول ﷺ هو أول محشور لممارسة تلك المهمة، وتؤيد قوله ﷺ: «أنا أول محشور»^(٢).

١٩٦. أول منشور

قال رسول الله ﷺ: «أنا أول منشور، وأول محشور» فقد قدم النشر على الحشر وهو يعني أن هناك فرقاً بين النشر والحشر، وأن النشر قبل الحشر، فقد فسروا النشر بالإحياء، والحياة بعد الموت، والحشر هو الجمع^(٣)، فإن عملية الإحياء لا محالة تكون قبل الجمع للحساب. وإذا كان الرسول ﷺ هو أول محشور لاقتضاء مقاماته ذلك، لابد أن يكون هو أول منشور.

هذا إذا قطعنا النظر عن مقولة اشتياق الحبيب إلى حبيبه، المعارضة بحياته عند ربه، وكذا توفر شرائط الحياة الجديدة التي تحملها الصفات الباطنة وغيرها كالتي تحملها أول بذرة تنبت وتسبق ما عداها من البذور.

١٩٧. أول من ابتداء من خلق الله

إن حديث الخلقة، ومن هو المتقدم فيها والمتأخر ليس من حديث البشر؛ لعدم إطلاعهم على أدنى شيء من ذلك، وليس إلى معرفته سبيل سوى إخبار النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ.

ولما نطالع الأخبار الواردة عنهم ﷺ نجدها متفقة في نقطة

(١) البحار ١٦: ١١٤ ح ٤٣، وفي الخصال: ٤٢٥ قال ﷺ: وسماني في القيامة الحاشر يحشر الناس على قدمي، وكذا في معاني الأخبار: ٥١، والبحار ١٦: ٩٣ ح ٢٧.

(٢) لسان العرب ٣: ١٨٥.

(٣) نهج الإيمان: ٤١٥.

واحدة، وهي أن الرسول ﷺ أول من خلقه الله ﷻ وإن كان هناك فيما بينها اختلاف في الظرف والكيفية.

وأحد تلك الأخبار ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إن الله تبارك وتعالى خلقني وأهل بيتي من طينة لم يخلق منها أحد غيرنا، فكنا أول من ابتداء من خلقه، فلما خلقنا فتى بنورنا كل ظلمة، وأحیی بنا كل طينة طيبة، وأمات بنا كل طينة خبيثة، ثم قال: هؤلاء خيار خلقي، وحملة عرشي، وخزان علمي، وسادة أهل السماء والأرض، هؤلاء الأبرار المهتدون»^(١).

والحديث في مثل ذلك وسبر أغواره يحتاج إلى دراسة مستقلة.

١٩٨. أول من يدعى من القبور

لا يمكن فرض أن الدعوة كلامية بالمعنى الذي يعرفه الناس، وإتاما الدعوة هي ظروف تتوفر وعوامل مساعدة تتنجز، فيكون الخروج من القبر والإحياء من جديد كل بحسب استعداده الذاتي وما حمله من الصفات والمؤهلات ألا ترى أن البذر الذي يشر ويزرع يسبق بعضه بعضاً.

وما يسبق بعضه بعضاً إلا لوجود عوامل تسرع نباته كامنة فيما يحمله من الخصوصيات، ككثافة ما أحاط به من الغلاف والغشاء وعدمه، المفروضة بالذنوب في مورد الإنسان، وسرعة اجتذابه لعوامل الحياة كالماء وغيرها المتمثلة بالعلم، ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يذنب فلا مانع من سرعة نباته، وكذا فهو أسرع استقبالاً لعوامل الحياة من الإيمان والعلم.

ولذا قال ﷺ: «أنا أول من يدعى من القبور»^(٢).

(١) البحار ١٦: ٣٧٥، تفسير كنز الدقائق ٢: ٣٤٦، تفسير فوات الكوفي: ١٠١.

(٢) نهج الإيمان: ٤١٥.

١٩٩. أول النبيين ميثاقاً

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(١) فالآية صرحت بأن الله ﷻ أخذ ميثاقاً من النبيين، وكان أول من أخذ منه الميثاق هو نبينا ﷺ، بمقتضى تقديم ذكره على سائر النبيين فقال: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾.

ويبقى الكلام في معنى الميثاق وزمانه ومفاده.

أما الميثاق، فقول هو اليمين المؤكدة لأنها يستوثق بها من الأمر، وقيل الميثاق هو العهد المأخوذ، ومهما يكن فهو يحتاج إلى متعلق.

وأما زمانه، فيروى أنه لما أراد الله ﷻ أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم أخذ عليهم الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾. وأخذ من النبيين ميثاقاً آخر تأكيداً لذلك الميثاق مع إضافة بعض المواد الجديدة.

وأما مواد الميثاق المأخوذ ومتعلقه فهو الإيمان بالله سبحانه ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٢) فتسابقوا إلى الإجابة وكان أول من أجاب هو النبي محمد ﷺ ثم تلاه أوصياؤه وسائر النبيين وعامة الناس ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرِفِينَ﴾^(٣).

ثم أخذ من النبيين ميثاقهم كما جاء في الآية الأولى، ويتضمن هذا الميثاق استعراضاً لبرامج الأرض وما سيدور عليها، لتعيين وظيفة كل واحد منهم وما هو دوره في تحقيق الهدف الأول والآخر من

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) الأعراف: ١٧٢، ١٧٣.

تأسس هذه المدرسة البشرية التي سيفد إليها الطلاب ويغادرونها بعد أعوام، وتظل هذه المدرسة قائمة يرد فيها فوج ويخرج منها آخر، والهدف من تأسيسها هو تحصيل العلم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) أي ليعلمون، فيتعلمون التوحيد والإيمان بالله الواحد وبأنبيائه ورسله وأوصيائهم ومكارم الأخلاق والفضائل.

ومن الأمور التي تقرر في ذلك الميثاق دور كل نبي والفترة التي يتعهدا فوائدها على أن يكون آخرهم هو نبينا ﷺ على أن يشير كل الأنبياء بظهوره وينصروه ويخبروا أممهم بخبره، وعلى أن يعلن هو أنه آخر الأنبياء ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٢).

فكان أول من أخذ عليه ذلك الميثاق أفضل الأنبياء وسيدهم الرسول المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ بمقتضى الآية الأولى، وكما تقتضيه طبيعة مثل هذه الاجتماعات من تقديم الأفضل في عزائم الأمور، ولذلك تكرر النقل وقول رسول الله ﷺ: «أنا أول النبيين ميثاقاً»^(٣).

٢٠٠. أولى بكل مؤمن من نفسه

روي عن جابر أنه قال: كان النبي ﷺ لا يصلي على رجل مات عليه دين فأتني بميت فسأل ﷺ: عليه دين؟ قالوا: نعم، ديناران، قال ﷺ: «صلوا على صاحبكم» فقال أبو قتادة: هما علي يا رسول

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) آل عمران: ٨١.

(٣) إقبال الأعمال ٣: ١٢٦، المزار للشهيد الأول: ١٤.

الله ﷺ، فصلى عليه، فلما فتح الله على رسوله، قال: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك ديناً فعلي، ومن ترك مالاً فلورثته»^(١).

ولكن لا نتحقق سند هذه الرواية، ويستشم فيها إجحاف على الضعفاء المدنيين الداخلين في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾^(٢).

نعم روى الشيخ في الخلاف عن المقدم الكندي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك ديناً أو ضيعة فإلي، ومن ترك مالاً فلورثته»^(٣).

ويبقى الكلام في حقيقة العنوان فسيأتي الكلام عنها في عنوان الأولى بالمؤمنين من أنفسهم.

٢٠١. الأولى بالمؤمنين من أنفسهم

لا شك أن الإنسان أولى بنفسه من غيره، وذلك لأنه أعلم بمصالحه وأكثر اهتماماً بنفسه، فهذه قاعدة كلية أولية ثابتة بالفطرة والوجدان، والأصل أنه لا سبيل لأحد على آخر.

ولكن يستمر ذلك ويدوم مادام الشخص عالماً بمصلحة نفسه ويهتم بها، فإذا فقد هذه الخصوصية، وصار لا يعلم بما يصلحه ولا يهتم بنفسه فإن سيرة العقلاء وبنائهم على تجريده من تلك الولاية

(١) مسند أحمد ٢: ٤٦٤، سنن البيهقي ٣: ٢٠٧، وج ٦: ٢١٤، سنن الدارقطني ٤: ٨٥، الفردوس للدلمي ١: ٤٨، ورواه مسلم في باب الجمعة ب ١٥، والفرائض باب ٩.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) الخلاف ٤: ١١.

كالمجنون والسفيه والطفل الصغير، ويُجعل له ولي وقِيم يدبّر أمره، ويرعى مصالحه.

وقد يسري هذا التجريد للإنسان العاقل الكامل في موارد خاصة، كحال المريض أو التعدي على الآخرين، فإنه يودع في المستشفى تحت رعاية خاصة، أو يودع في السجن حتى يعود إلى حالته الطبيعية وينصرف عما عزم عليه.

وتنبع ولاية الأنبياء والأئمة من هذا المنبع، وتنهل من هذا المنهل ولكن بشكل أتم وأكمل، فإن الأنبياء لما كانوا مؤيدين بوحي السماء، وعالمين بمصالح العباد الكامنة، وخصوصاً المصالح العامة، والإنسان يجهل هذا الطرف ولا يعرف المصلحة فيه، فإنه يجرد من الولاية على نفسه ولا يترك بحاله يعيث بنفسه ومجتمعه بجهله ورغباته، وبهذا صار للعالم بالمصلحة - وهو النبي ﷺ والإمام عليه السلام - الولاية عليه، لرعاية مصالحه، ومصالح العامة.

ومن هنا تحتم أن يكون المتصدي للولاية والرياسة أن يكون أعلم الناس ولذا روي عن النبي ﷺ: «ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوه»^(١) والروايات بهذا المعنى كثيرة.

ولا يمكن ختم ولاية النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بذلك، لعدم محدودية علومهم، ولا انحصارها بجانب دون آخر، كما لا يتحدد جهل العامة بحد ولا ينحصر بجانب، فلذلك تشمل ولايتهم ﷺ وتطال كل جانب من جوانب حياة الإنسان.

(١) مجمع الزوائد ٥ : ٢١١، ينابيع المودة: ٤٨٢، الغدير ١ : ٢٩٨، الكافي ٥ : ٢٧، المحاسن ١ : ٩٣ ح ٤٩، علل الشرائع ٢ : ٢٢٦، تحف العقول: ٣٧٥.

وهذه من النعم الإلهية على البشر، لبعثه من هو أعلم بمصالحهم و أدرى بما ينفعهم، فيولّيه عليهم ليعود بذلك النفع عليهم، دون النبي ﷺ والإمام.

ولا يتردد في إدراك هذه النعمة من عرف واطمأن أن المتولي له يريد صلاحه وهو أعلم بما يصلحه ويضره، سواء في المصالح الدنيوية أو المصالح الأخروية، مع العلم أن النبي ﷺ والأئمة ﷺ يريدون للناس صلاح الدنيا والآخرة معاً تلك هي النعمة السابغة المستول عنها، والمقصودة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَشْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾^(١).

وبذلك صار من الواضح وجه التقييد بالمؤمنين، وعدم تعميمه لغير المؤمن على رغم أنه ﷺ أولى بالناس كلهم لا محالة، فإن الوجه فيه هو استحقاق المؤمن للنعمة، دون الكافر؛ وتوفر الأهلية في المؤمن لأن ينعم عليه بهذه النعمة العظيمة، وعدم توفرها في حق الكافر بظلمه وجهله واختياره الكفر الذي هو أضر ضار وأشد ظلم بحيث لا يلتفت معه إلى سائر ما يصلحه ويضره.

ومهما يكن من أمر فإن وصف الرسول ﷺ بأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم جاء في كلام الله تعالى في القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢).

وتكرر على أثر ذلك ذكر هذه الصفة في الروايات، وفي مواقف مختلفة لا بأس بالإشارة إلى بعضها لنعرف وجه كونها نعمة.

فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى بالمؤمنين من

(١) التكاثر: ٨.

(٢) الأحزاب: ٦.

أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته^(١).

وبلغ الذروة حينما صعد النبي ﷺ المنبر، فقال: «يا أيها الناس أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٢)، فإن الرسول ﷺ لم يستعمل ولايته تلك كاستعمالها في هذا الموقف، ولم يقل أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم إلا في هذا الموقف، فهو يحكي عن عظم أهميته وخطره، وكثرة نفعه العائد إلى البشر، ولكن المسلمين أغفلوا هذه النعمة، وتولّوا غير عليّ ﷺ إصراراً واستكباراً في الأرض، فأعقب ذلك تسلط بني أمية وأمثالهم من الظلمة على رقاب المسلمين إلى يومنا هذا.

٢٠٢. أولى الناس بإبراهيم

لما كان أرباب معظم الشرائع المتبعة بحسب الظاهر في زمان النبي ﷺ كالمسيحية واليهودية يرجعون إلى النبي إبراهيم ﷺ، فهم يعدّون أنفسهم بشكل وبآخر أولى به، ويجادلون على أساس كلماته وما حفظ من شريعته وسننه لدحض الدين الجديد الذي هو الآخر يرجع أربابه إلى إبراهيم ﷺ، فتجد أتباع كل شريعة يتذرعون بإبراهيم ﷺ.

ومن ناحية أخرى فإن شريعة النبي محمد ﷺ ترتبط بشريعة إبراهيم ﷺ وتتذرع به لتنفى اليهودية والنصرانية، وخصوصاً دعوى أولئك

(١) مسند أحمد ٢: ٤٥٣.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٦٨، سنن ابن ماجه ١: ٤٣، والرواية متواترة منقولة في جل الكتب الحديثية، وهي مفصلة من شاء فليراجع كتاب الغدير وأمثاله.

عدم فلاح من لا يكون يهودياً أو نصرانياً، فيأتيهم الجواب من الله سبحانه أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وأنتم ترتضون فلاحه وفلاح من اتبعه، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، ومعه لا وجه للمحاجة فيه لإثبات النصرانية أو اليهودية، قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لِمَ تُعَاجِرُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢) فهذه أجوبة دامغة.

ثم ينبري القرآن ليعطي قاعدة كلية في الأولوية، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فالأولوية بالاتباع في نفي الابن لله سبحانه وثالث ثلاثة والاتباع في طواف البيت والتسمية والإسلام ﴿بِمِلَّةِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤) والصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها، خذ هذا المختصر، واطلب التفصيل في مظانه.

٢٠٣. أولى الناس بعيسى بن مريم

إن أولى الناس بكل ماضٍ أو ميت من يليه في سلسلة النسب، فهو يرثه ويقوم بتجهيزه ويصلي عليه ويقضي عنه.

والأولى بكل نبي مضي - بالإضافة إلى القاعدة الكلية المارة في العنوان السابق - هو من يليه من الأنبياء، ولما لم يكن بين عيسى ﷺ ونبينا ﷺ نبي مُرْسَل كان هو أولى به.

ومن ناحية أخرى فإن الأنبياء إخوة، وكثيراً ما نشاهد التعبير

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٦٥.

(٣) آل عمران: ٦٨.

(٤) الحج: ٧٨.

بكلمة الأخ من الأنبياء، وإذا مضى أخ ولم يكن له ولد كان الأخ أولى به، والإخوة هنا إخوة في الدين، والعقيدة الحققة هي أن الأديان كلها دين واحد والاختلاف في بعض الموارد خاضع للظروف، ومدى استعداد البشر، وإلا فالكل يهدف إلى حقيقة واحدة ويكمل بعضها البعض الآخر.

ولذا ورد أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي»^(١) وفي رواية: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٢).

والعلات الضرائر، فأولاد العلات هم أولاد الضرائر، أي أبوهم واحد وأمهم مختلفة، فالرواية صرحت بأن الأنبياء إخوة لهم دين واحد، أي أن ما صاغهم وتسبب في وجودهم بما هم أنبياء هو واحد، إلا أنهم أبناء ظروف مختلفة فكنى بالأمهات الضرائر عن الظروف.

قال ابن منظور: وفي الحديث: الأنبياء أولاد علات، معناه أنهم لأمهات مختلفة ودينهم واحد كذا في التهذيب وفي النهاية لابن الأثير أراد إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة^(٣).

والأصح من ذلك هو إرادة التولد النبوي، أي نقطة شروع نبوة جميع الأنبياء ونطفة النبوة الأولى واحدة، والاختلاف في الظروف والأزمان، فنقطة شروع كل النبوات ونطفتها من وحي السماء، والأم وعاء وظرف، وزمان كل نبي وظرفه هو وعاءه وهو أمه، وبذلك فهم أولاد أب واحد وأمهات متعددة.

(١) تفسير ابن كثير ١ : ٥٩٢.

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٤٢، صحيح مسلم ٧ : ٩٦.

(٣) لسان العرب ٩ : ٣٦٧.

حرف الباء

الأسماء المصدرة بحرف الباء

٢٠٤. باب العلم

أخذت بيادي الجهل، وفلاة الجاهلية تتوسع لتشمل وتطال أغلب أطراف الأرضيين المستوطنة، وصارت تتوسع رقعة السباخ المقفرة لتشمل وتستولي على جميع فلول بقاع العالم المترامية، حتى تأسست مدرسة الإسلام العظمى بفضل الله سبحانه وعنايته.

وبدأت هذه المدرسة تدعوا أهالي تلك القفار إلى الدخول في روضتها المربعة، وكان المدخل لها وأول وجود فيها هو الرسول المصطفى ﷺ؛ إذ كان هو أول حد وأول منعطف بين سوح الجهل المظلمة وميادين العلم المضيئة.

بحيث يتحتم على كل من أراد الخروج من تلك البيادي وتلك السوح إلى ميدان العلم هو المرور بذلك المعلم الأول، وهو النقطة الأولى للشروع في المسيرة العلمية والمنعطف الأول لمواصلة المسيرة الثقافية الشاملة.

وبهذا تعرف المعنى والبسر فيما ورد عن الصادق عليه السلام من قوله: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه،

وجهله من جهله، ذلك رسول الله ﷺ ونحن^(١).

٢٠٥. باب الله

إن السير إلى الله ﷻ أو التقدم إليه في الحوائج لا محالة له مدخل وله مسلك وسبيل، ولم يكن بين الشرك والإيمان سوى بعثة النبي الأمي ﷺ، ولم يكن خروج من آمن به وصدقه من عرصات الكفر ودخوله إلى ساحة التوحيد والتوجه إلى الله ﷻ إلا عن هذا المدخل وهذا السبيل، ألا وهو باب الله الذي منه يؤتى.

ومن ناحية أخرى لما اشترط الله ﷻ استجابة سؤال السائلين بالصلاة على النبي وآله ﷺ كما دلت عليه الأخبار، وأنه سبحانه لم يقبل توبة آدم إلا بعد أن توصل باسم النبي وأهل بيته ﷺ ولم ينجح نوح من الغرق إلا باسم النبي ﷺ وأهل بيته كما هو مثبت في اللوحة التي عثر عليها من بقية سفينة نوح، ولم يجعل الله ﷻ إبراهيم إماماً إلا بعد ما أتم الكلمات التي هي أسماء النبي ﷺ والأئمة من ذريته ﷺ وأمثال ذلك، تعلم أنّ النبي ﷺ هو باب الله الذي منه يؤتى.

ويؤكد ذلك ما ورد عن الأئمة ﷺ في عدة روايات: «إن رسول الله ﷺ باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله ﷻ»^(٢).

ومن ذلك وأمثاله يعلم أن من يسير إلى الله سبحانه ويعبد الله ويمجده ويسجد طيلة حياته ولم يقبل نبوة محمد ﷺ يكون قد أتى من غير الباب، ومن يأتي من غير الباب فهو سارق ولا يقبل منه عمل ولا كرامة، ويكون حاله حال عابد بني إسرائيل الذي لم يؤمن

(١) بصائر الدرجات: ٢٦، البحار ٢: ٩٠.

(٢) الكافي ١: ١٩٧، ١٩٨، البحار ١٦: ٣٥٩، مستدرک سفينة البحار ٧: ١٨٢.

بموسى ﷺ، فأوحى الله سبحانه إلى موسى ﷺ، أن عمل ذلك العابد غير مقبول ولو انقطعت رقبته من العبادة، لأنه لم يأتي من السبيل الذي أريد، وهو سبيلك.

٢٠٦. باب الهدى

الهدى هي الهداية، والهداية هي معرفة الطريق، والمقصود بالطريق هو الطريق الذي يوصل الإنسان إلى السعادة، وإلى سوح الكرامة ونهاية الشرف.

ولعلك تقول المراد هو معرفة الطريق الموصل إلى الله، والسبيل الذي يبلغ إليه جل وعلا، فنحن نقول: هذا معنى أدق من السابق، فإن الوصول إلى الله ﷻ هو الوصول إلى كل خير، ومنها السعادة والكرامة والشرف.

ولما كانت السبل متعددة، ومنها ما يوصل إلى الله ﷻ، ومنها ما يبعد عنه احتاج الإنسان إلى المدخل إلى ذلك السبيل، وليس هناك مدخل وليس هناك باب تنفذ إلى ذلك السبيل سوى النبي ﷺ؛ لقصور علم العالمين وفرط جهلهم وخطأ ظنونهم، فهم يظنون المبعد مقرباً، كما يظن عبدة الأصنام أن أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى، والحال أن الله لا يغفر أن يشرك به.

وإذا كان النبي ﷺ هو المدخل وهو الباب، فهو أيضاً السبيل، أي سبيل الهدى، فإن الهداية والمدخل إليها لا تتضي الحاجة إليه، بل إن الحاجة إليه تشتد بعد الدخول، فيحتاج الإنسان إلى من يسدده في كل خطوة وفي كل زمان، بل لا تنتهي حتى بوفاة الرسول ﷺ، بل تشتد الحاجة إليها بعده، فلزم نصب الهادي، وتحتم تعريف السبيل والباب الذي يلج منها الناس إلى الهدى ولذا قال النبي ﷺ: «معاشر

الناس إن علياً باب الهدى بعدي^(١).

والدليل على ضرورة ذلك وحتميته هو تفرق المسلمين واختلافهم لما تركوا باب الهدى علي بن أبي طالب ﷺ، وتفرقوا كل متفرق، ومزقوا كل ممزق، حتى تكالبت عليهم الأمم واستضعفهم، وشاع فيهم الفساد والفحشاء والفجور وشرب الخمر، ولم يسلم سوى الذين عرفوا أبواب الهدى، والسبل المشرعة إلى الله سبحانه، وهم الأئمة الأطهار ﷺ بعد رسول الله ﷺ الذي هو الباب الأول ومنه فتحت ونُصبت أبواب الأئمة ﷺ الذين هم استمرار لباب الرسول المصطفى ﷺ.

٢٠٧. بادن متماسك

قال الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ: «سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً للنبي ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ بادنًا متمسكاً»^(٢).

وقال الصدوق رحمه الله: سألت أبا أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري في تفسير هذا الخبر، فقال: وقوله: «بادن متمسك»، معناه تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا بكثيره^(٣).

ويبقى أنه كيف كان الرسول ﷺ كذلك وهو يطوي نهاره جائعاً وطالما كان يشد حجر المجاعة، ولم يأكل خبز البر قط، ولم يشبع من خبز الشعير قط؟!

والجواب أنه يعلم من ذلك أن سلامة البدن وتكامله وتماमितه

(١) أمالي الصدوق: ٢٠، روضة الواعظين: ١٠٠، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ٢٧٤، البحار ٣٦: ٢٨، ٢٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ١٧٨، البحار ١٦: ١٤٩.

(٣) معاني الأخبار: ٣٠، ٣٢، وعنه في البحار ١٦: ١٥٨.

ليست بفرط الأكل، ولا بتنوعه، بل هي بمعرفة ما يصلح البدن وما يفسده، فرب طعام يضر بالبدن ويهزله، وكلما أكثر منه الشخص اشتد هزاله وضعفه، ورب غير مأكول يسمن ويفره، كالعطر ودخول الحمام غباً ولبس الكتان.

وبهذا تعرف أن تمامية بدن النبي ﷺ كان لعلمه الأتم بشرائط الصحة العامة وطرق الوقاية من الأمراض والمضعفات.

٢٠٨. البحر السائغ للشاربين

معروف أن كلمة البحر تستعمل في معنى العالم الغزير العلم، ولما كان ماء البحر أجاجاً مالحاً، قيد هنا بالسائغ، والسائغ هو الشراب الطيب الذي يسهل دخوله في الحلق بحيث لا يغصّ به أحد من الناس، والشاربون هم الناهلون من ذلك المشرب وذلك البحر، أي المتعلمون.

وعلم مما مر أن علم النبي ﷺ هو علم جميع الأنبياء، بل هو جميع العلم إلا ما آثره الله تعالى لنفسه.

وأما التعبير بالسائغ، فهو يعني أنه لا يضر من أخذ منه وتعلم منه، بل كله نفع بحيث لا يتضرر بهذا العلم أحد، بمعنى أنه يعطي كل متعلم ما ينفعه، ويسار ما لا يحتمله الآخرون ويتضررون به ليطلعوا عليه أهله كما سار وصيه علي بن أبي طالب ﷺ وسلمان وغيرهما.

ثم إن هذا التعبير جاء في كلام أبي جعفر ﷺ قال بعد ذكر الرسول وأهل بيته: «هؤلاء أهل البيت ... والبحار السائغة للشاربين»^(١).

٢٠٩. البدر

تناهت الظلمات واشتدت الدياجير في ليلة محاقِ ظلماء وفي بحر لجي تتلاطم فيه أمواج كالجبال، وسحاب مطبق مسخر بين الأرض والسماء، في ظلمات ثلاث إذا أخرج المخرج يده لم يكدرأها، والقوم حيارى تائهون يتشوفون إلى جذوة أو مصباح أو ضياء، فإذا ببدر ساطع يتلألأ في وسط الظلماء ليدلهم الطريق بعد المتاه، ويعرفهم السبيل بعد الانقطاع، ويريهم ساحل الأمان بعد القنوط والأياس.

فإذا بالصيحات تتعالى وأخذ القوم يتغنون بكل فرح وابتهاج.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع^(١)

٢١٠. البرّ

قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِذَا كُنَّتِ الْأَنْزَارُ لَنِي عَلَيَّتِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ﴾
فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام: «هي خمس آيات في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام»^(٢).

والبرّ والبار بمعنى واحد، وقد فسّر بالصادق التقي، والمعنى الدقيق للبار هو من أحسن الطاعة، ويغلب استعماله في ذوي القرية والاتصال وخصوص الأرحام، كالولد فإذا أحسن الطاعة لوالديه قيل هو بار بوالديه، وإذا أحسن الطاعة لغيرهما قيل هو بار بقرابته. بينما غلب استعمال كلمة البرّ فيمن أحسن الطاعة لربه.

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٩٤.

(٢) تفسير فرات: ٢٠٥، البحار ٣٦: ١٤٥، والآية في سورة المطففين: ١٨.

ولا شك أن أجلى مصاديق هذا العنوان هو الرسول المصطفى ﷺ، فإنه أحسن الطاعة لربه، بل هو أحسن من أحسن الطاعة له تعالى، وذلك لأن مبلغ حسن الطاعة هو إتقان العمل المكلف به، والمبادرة إلى ذلك، والتقدم في التكاليف الكفائية العامة، واحتمال التكاليف الصعبة، والتطوع للخدمة وامتنال التكاليف المستحبة وترك المحظورات والتحذر الشديد من الوقوع فيها وترك المكروهات غير اللازمة، والارتياح عند زجر الآخرين، والحيلولة دون وقوع المشقة على من عداه، والتعويض عن ترك وما أطاع، وجميع ذلك متوفر في الرسول ﷺ وأكثر منه، كما امتناعه عن أكل البُر لنهي آدم منه، وتكلفه القتال وحده، والإتيان بناشئة الليل، وعدم ترك المستحب، وغير ذلك مما لا يحصى.

٢١١. البرزخ

روى الثعلبي عن سعيد بن جبير قال: ﴿يَتَّبِعَانِ بَرَزَخٌ﴾ محمد^(١).
وروي عن سلمان الفارسي، وسعيد بن جبير، وسفيان الثوري بأن ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ علي وفاطمة ﴿يَتَّبِعَانِ بَرَزَخٌ﴾ محمد، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ الحسن والحسين^(٢).
وفضل أكثر من ذلك الإمام الصادق عليه السلام فقال في قول الله ﷻ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ يَتَّبِعَانِ بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ قال: «علي وفاطمة عليهما السلام بحران من العلم عميقان لا يبغيا أحدهما على صاحبه ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ * يَتَّبِعَانِ بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آيَةٍ نُّنذِرُكُمَا نُنذِرُكُمَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام^(٣).

(١) العمدة: ٢١٠، البحار ٢٤: ٩٩.

(٢) مجمع البيان ٩: ٢٠١، البحار ٢٤: ٩٨.

(٣) الخصال: ٦٥ والآيات: ١٩ - ٢٠ - ٢٢ في سورة الرحمن

لقد باتت حياة الزوجين السعيدين علي وفاطمة ﷺ هي الحياة المثالية، والنواة القدوة في محافل البشرية، وقد شاء لها الله سبحانه أن تكون انموذجاً بارعاً لكل حياة زوجية، كما شكلت هذه الأسرة الطاهرة أسرة نموذجية بعناية الله تعالى لتكون مثالاً وقدوة لكل الأسر، بحيث كانت الروابط والأواصر فيها تعتمد أسمى أصول العدالة والشفافة الإنسانية حتى بلغت من الحد في رعاية حقوق الأطراف المشكّلة لها إلى أدق الحدود وأظرفها بحيث احتاجت لحفظ التوازن المطلق إلى أدق ميزان للعدالة عرفته الإنسانية، ألا وهو الرسول المصطفى ﷺ ﴿يَنْهَى بَرِّخًا﴾ وبعبارة أدق فإن الروابط التي كانت تجمعهما والأواصر التي تربطهما كانت بحد من القوة تكاد تفقد معها استقلالية كل طرف من الأطراف المشكّلة لها، فاحتاجت إلى برزخ لحفظ الأنينية وحفظ كل طرف في محله ومكانه فلا يبغى ولا يختلط وظائف كل طرف ومقام كل طرف مع الآخر ﴿يَنْهَى بَرِّخًا لَا يَنْهَى﴾.

ومهما يكن من ذلك فإن الرسول المصطفى ﷺ الأوحد الذي يتمكن من الحيلولة دون حصول امتزاج البحور المتلاطمة على رغم تجاورها ووجود الدواعي لامتزاجها، فهو يحتاج إلى ظرافة خاصة، وقدرة عالية على تشخيص ضوابط العدالة الاجتماعية الدقيقة.

٢١٢. البرهان

البرهان واسطة لتجلي المعقولات وظهورها، كما أنّ النور آلة للحواس في ظهور المحسوسات، ولا ريب أن الحقيقة تكمن في البرهان الصائب وكل ما يحمل الحقيقة فهو برهان، والرسول ﷺ يحمل الحقائق، والحقائق كامنة فيه، فهو برهان صائب.

ومن ناحية أخرى فهو الواسطة لتجلي المعقولات التي غابت

عن أذهان البشرية جمعاء، من حقائق أصول الاعتقاد وفروع التكليف، وسبل النجاة، وطرق بلوغ السعادة الأبدية.

قال الله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَرَهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(١) وورد عن أبي عبد الله عليه السلام أن البرهان محمد ﷺ^(٢).

٢١٣. البريء من الفساد

البريء هو المتفصي من القبائح، المتنجي عن الباطل والكذب، البعيد من التهم، النقي القلب من الشرك، والبريء هو الصحيح الجسم والعقل. هذا كله عن البريء واما جاء في كتب اللغة.

وأما البريء من الفساد، فهو المتفصي من الفساد يعني التارك لكل ما هو فساد والمتنجي عنه، وهو الصحيح الذي لم يدخل في عنصره أي فساد، أي في تكوينه وتدرجه في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، وهو الذي لا يشوبه فساد في باطنه ولا في ظاهره، ولا يصدر منه شيء منه، بل لا يضع نفسه في موضع يتهم بالفساد.

فالرسول المصطفى ﷺ بريء من الفساد بكل ما يمكن تصوره من المعاني، وهو معروف له ومشهود وراسخ في أذهان من عرفه وسمع عنه حتى قبل ولادته وذلك لما أخبرت به الرسل و بشرت به وذكرت نعوته، وكان سطيح الكاهن الذي قرأ الكتب السابقة وسمع عن أوصاف النبي ﷺ وما شاع من نعوته وصفاته يعرف ذلك جيداً، ولما أخذ بذكر أوصاف النبي ﷺ قال: بين كتفيه علامة، على رأسه عمامة ... طاهر الميلاد، بريء من الفساد^(٣).

(١) النساء: ١٧٤.

(٢) كنز الفوائد: ٧١، البحار ٩: ١٩٧، وج ١٦: ٣٥٧.

(٣) البحار ١٥: ٣٠٧.

٢١٤. البريء من كل عيب

العيب هو النقيصة والوصمة، والبريء هنا بمعنى الصحيح السالم من كل عيب ولا شك أن من كثر أعداؤه، وتزايد مناوؤه، وهم أهل ديانات مختلفة، وأوطان متفاوتة، وفيهم من هو قريب جداً، وبعيد كذلك، وفيهم أرباب القدرة والسلطة والكلمة النافذة، كل أولئك لا هم لهم سوى التفتيش عن عيوبه، واستقصاء مثالبه، والكشف عن أدنى زلة وأقل كبوة، ومع كل ذلك وأمثاله ما شاع إلا فضائله، وما نعى إلا محاسنه، حتى آل الأمر إلى أن صار جل أعدائه هم أتباعه والناقلين لفضائله، إلا شردمة قليلة من اليهود من أولاد قتلة الأنبياء.

فلا يكون في إنسان كهذا، أدنى عيب، ولا أقل نقص، ولا ما يوهم ذلك أو يشعر به، وهذا هو الرسول المصطفى ﷺ.

ولم تكن هذه الصفة وهذه المنقبة تولدت وعرفت بعد بعثته واستقرار حكومته واستتباب الأمور له، بل كان قبل ذلك.

ولذا تجد أن خديجة لما خطبها النبي ﷺ كلمت عمها ورقة ابن نوفل فقال: أراك يا خديجة تخاطبيني بهذا الكلام، كأنك تريد الزواج؟ قالت: أجل، قال: يا خديجة لقد خطبك الملوك والصناديد، ولم ترضي بأحد منهم، قالت: ما أريد من يخرجني من مكة، فقال: والله ما منها أحد إلا وقد خطبك، مثل شيبه بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأبي جهل بن هشام، والصلت بن أبي يهاب فأبיתי عنهم جميعاً، قالت: ما أريد من فيه عيب، ثم قالت: يا عم صف لي عيبيهم، قال: يا خديجة أما شيبه ففيه سوء الظن، وأما عقبة فهو كثير السن، وأما أبو جهل فهو بخيل متكبر كرهه النفس، وأما الصلت فهو رجل مطلق.

فقلت: لعن الله من ذكرت، وهل تعلم أنه خطبني غير هؤلاء؟
قال: سمعت أنه قد خطبك محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن
هاشم، قالت: يا عم صف لي عيبه .

وكان ورقة عنده علم من الكتب السالفة بما يكون من أمر
محمد ﷺ، فلما سمع كلامها طأطأ رأسه وقال: أصف لك عيبه؟
قالت: نعم، قال: أصله أصيل، وفرعه طويل، وطرفه كحيل، وخلقه
جميل، وفضله عميم، وجوده عظيم، والله يا خديجة ما كذبت فيما
قلت.

قالت: يا عم صف لي عيبه كما وصفت لي خيره، قال: يا
خديجة: وجهه أقمر، وجبينه أزهر وطرفه أحور، ولفظه أعذب من
المسك الأذفر، وأحلى من السكر، وإذا مشى كأنه البدر إذا بدر،
والوبل إذا أمطر، قالت: يا عم صف لي عيبه، قال: يا خديجة
مخلوق من الحسب الشامخ، والنسب الباذخ، وهو أحسن العالم
سيرة، وأصفاهم سريرة، إذا مشى تخاله ينحدر من صب، شعره
كالغيب، وخده أزهر من الورد الأحمر، وريحه أزكى من المسك
الأذفر، ولفظه أعذب من الشهد وأخير، أشهدك يا خديجة أنني أحبه .

قالت: يا عم أراك كلما قلت لك: صف لي عيبه، وصفت لي
حسنه؟ قال: يا ابنتي وهل أنا أقدر على وصف خيره، انتهى ما أردنا
نقله^(١)، قطعنا عن إدامة نقله عبرة الشوق إلى الحبيب، وعين ذرفت
دمعاً ساخناً من حرارة الحب والاشتياق.

فأقول: من كانت معايبه محاسن فكيف لا تكون محاسنه
محاسن، وكيف لا يكون بريئاً من كل عيب، بل لا يكون بريئاً من كل
عيب فحسب، بل كله محاسن.

فلا تنس ما ورد في كيفية الصلاة عليه: اللهم صل على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين وحجة رب العالمين، المنتجب في الميثاق، والمصطفى في الظلال، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب^(١).

٢١٥. البسامة

يبدو أن البشاشة والابتسامة كانت لا تفارق وجه رسول الله ﷺ ولا فاه، وكانت هي الصفة الظاهرة فيه، والحالة الغالبة عليه؛ ليُلقي سروراً في قلب من يراه، ويزرع وداً في قلب من لاقاه، وعن سبيله تجري عملية تبادل الحب والاحترام، فإنه ﷺ كان شديد الحب لقومه وأصحابه، وهم أيضاً كانوا يحبونه، وليست تلك الابتسامات إلا علامات على ذلك الوداد، ومزرعة للحب والعطف؛ لتحصد أمة متماسكة، وديناً قيماً.

كما وإن تلك الابتسامات تحكي عن سماحة عالية وكرم جبلة وسخاء نفس بحيث لا تبخل حتى عن توزيع الابتسامات رغم الهموم الهائلة، والمحن العصبية، وثقل أعباء الولاية، وعظم مقام الإمامة، حتى يدخر لنفسه حزناً، ويهب فرحاً وابتساماً.

وكذا فهي تحكي عن قدرة عظيمة لهظم تلك المحن العصبية، والأذى الرهيب، من قائل: «ما أؤذي نبي مثلما أؤذيت».

وأخيراً فهي تعكس ابتهاجاً من ناظر إلى عظمة ساحة قدس رب الأرباب، نافذ بصره في فجاج أنوار الملكوت، منبهر بمشاهدة ضياء العظمة والجبروت.

(١) الغيبة: ٢٧٨، جمال الأسبوع: ٣٠٤، البحار ٥٢: ٢٠.

ويدل على كثرة ابتسامه وعدم انقطاعه نقل أصحابه ذلك في حالات مختلفة ومواطن متفاوتة وتصريحهم بذلك، فقد ورد عن عبدالله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ^(١).

وذكر الديلمي في الإرشاد «أن النبي ﷺ كان خفيف المؤونة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس»^(٢) مما يحكي عن دوام ذلك واستمراره.

بل تستمر به هذه الشيمة ليحملها إلى داخل الدار، فقد سئلت عائشة: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: كان ﷺ ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم؛ إلا أنه كان ضحاكاً بساماً^(٣).

وأفضل من كل ذلك وأدل، ما أورده ابن شهر آشوب فقال: كان أكثر الناس تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن، ولم تجر عظة، وربما ضحك من غير قهقهة^(٤).

٢١٦. بشارة عيسى

البشارة: الخبر السار الذي يؤثر في بشرة الوجه، يعني أن عيسى بشر قومه بظهور النبي ﷺ وأخبرهم بهذا الخبر السار، فأثر في بشرة وجوههم وسروا بذلك النبأ، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «إني

(١) مسند أحمد ٤: ١٩٠.

(٢) الوسائل ٥: ٥٤ ح ٥٨٨٦.

(٣) فتح الباري ١٠: ٤٦١، البداية والنهاية ٦: ٥٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ١٢٧ لعل قوله: ما لم ينزل عليه قرآن: يعني ما لم ينزل الوحي ببعض الآيات التي تذكر الناس العذاب أو تتضمن تخويفاً وترهيباً، فعندها يمتعض النبي ﷺ ويتكدر.

عبدالله في أم الكتاب، وخاتم النبيين ... وبشارة عيسى قومه^(١) وفي رواية: «بشارة أخي عيسى بن مريم»^(٢).

وورد أنه قال بعد ذلك النقل الأول: سأحدثكم بتأويل ذلك - إلى أن قال - وبشارة عيسى بن مريم قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَدَلِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٣).

والكلام في التبشير بنبوة النبي محمد ﷺ - الذي هو آخر الأنبياء ورسالته هي المكملة لجميع رسالات السماء والتي شئى لها أن تشمل جميع أهل الأرض في آخر المطاف - له جذور في أصل الخلق من يوم أخذ الميثاق على الأنبياء، الذي أحد بنوده هو الإيمان بالنبي محمد ﷺ والشريعة الكاملة ونصرته، قال الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَوَعَدْنَاكُمْ نَحْنُ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤).

وبهذا نعلم أن تبشير الأنبياء داخل في إطار تنفيذ ذلك الميثاق المأخوذ و الوفاء بذلك العهد المعهود.

ولما كان من الصعب جداً حذف الاعتقاد وتبديل العقائد وتغيير الطريقة المعتادة، بل لم يتم ذلك أبداً إلا إذا كان ذلك من أصول نفس المذهب، فإن المسيحي لا يسلم إلا إذا كان الإسلام من أصول مسيحيته وأسسها، ومع ذلك قد لا يسلم - كما هو مشاهد - من تبشير

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٧ ، مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ .

(٢) تفسير البغوي ١ : ١١١ ، مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ ، كنز العمال : ٣١٨٣٤ ، جمع الجوامع : ٨٥٠٠ .

(٣) مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ والآية في سورة الصف : ٦ .

(٤) آل عمران : ٨١ .

النبي عيسى عليه السلام وتأكيده على نبوة النبي الخاتم، مع كل ذلك لم يسلم أكثر المسيحيين - وإن أسلم الكثير منهم على أثر ذلك - وقد جاء التبشير في مواضع من الإنجيل الموجود اليوم على رغم التحريف الذي أصابه، منها: قول النبي عيسى عليه السلام: احفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق^(١).

هذا بالإضافة إلى أن الرسائل لما كانت تنبع من منبع واحد، وتهدف إلى منزل واحد كان من الطبيعي وجود التعاضد والتعاون بين قادتها وهم الأنبياء، فيبشر النبي السابق بنبوة النبي اللاحق، وهذا الأخير يصدق النبي السابق، كي يفلح هذا التساند في سوق البشرية المتباعدة مكاناً واعتقاداً وطريقة نحو الهدف المطلوب.

وأخيراً كما قلنا إنَّ الله تعالى شاء أن تشمل شريعة الرسول جميع بقاع الأرض ويطال جميع أهلها، ومثل هذا العزم والتصميم يحتاج إلى تمهيد مستمر ودائم كي يسلم المسيحي واليهودي وأصحاب سائر الشرائع في آخر المطاف ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(٢).

هذا كله بالإضافة إلى ما في انتظار المصلح في سنين الفترة من المصالح وبث الأمل في نفوس الناس، ولا نتعرض إلى أكثر من ذلك.

٢١٧. بشرى عيسى

روي أنَّ رسول الله تعالى قال: أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم، سأحدثكم بتأويل ذلك، دعوة إبراهيم دعا ﴿وَأَبْتَتْ فِيهِمْ رَسُولًا

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(١) سعد السعود: ٦٣.

﴿مَنْهُمْ﴾ وبشارة عيسى بن مريم ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَدِينِ أُمَّةٍ أَحَدًا﴾ (١).

٢١٨. البشير

إن عقل الإنسان يشكل ثقلًا في حياته ويحمل الإنسان مسؤوليات كبرى قد تصير عذاباً روحياً، وكابوساً مستمراً.

ومن تلك المسؤوليات وأنواع العذاب مطالبته بالمسيرة الهادفة والعمل الذي ينتهي إلى نتائج نافعة، حيث يرفض العبث، ويتضجر من المستقبل المظلم، وهو على الدوام يتحري العاقبة وما يؤول إليه حاله أو عمله، على خلاف ذلك الحيوان الفاقد للعقل، فلا يهمله سوى الحال الذي هو فيه من سد الجوع والحذر من المخاوف.

ولا شك أن من يلحظ الدنيا بما هي ويفكر في تكرار أيامها واجترار أعمالها، والرجوع بالنتيجة إلى نقطة البداية يتسأم ويتضجر ويستولي عليه إحساس الفراغ والعبث، فتضيق عليه الدنيا بما رحبت، وتظلم الدنيا بعينه فيصيبه الكسل وينقطع عنده الأمل، وحتى قد يؤدي إلى الانتحار، وتهون النفس فتكثر الحروب والقتل وغيرها، كما كان دائراً في الجاهلية.

حتى لو قايسنا بين الذين لا يؤمنون بالله سبحانه ويوم الجزاء ولا يرون سوى الدنيا ولا يعتقدون بما عداها لوجدنا أن المنتحرين أكثر تفكيراً وأشد عقلاً ممن سواهم، لأنهم لم يرتضوا بالحيوانية.

والعلاج النافع هو الوقوف على حقيقة الدنيا، والاعتبار بالمجازاة والتعويض فيها، والاعتقاد بالهدفية، والخضوع للنظام الشامل الهادف.

(١) البحار ١٥ : ٣٩٧، مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣، البداية والنهاية ٢ : ٣٧٥.

ويعد من يُلفت النظر إلى تلك الحقيقة منقذاً من كل تلك الأوهام ومن ذلك العذاب وإحساس الفراغ وأمثاله.

فإن من يوقفك على أن كل عمل وكل حركة وكل سكون ملحوظ ومحفوظ، وكل سعي له ثواب، وثوابه مضاعف، بل لا يقاس به نفس العمل، يكون قد أخبرك بخبر سار، ويكون من فسر لك حقيقة الحياة وطريقتها مبشراً، ومن أعلمك بعظم الثواب ودوامه - وهي الجنة - بشيراً.

وبهذا نعرف الوجه فيما قاله النبي ﷺ «أيها الناس أنا البشير النذير»^(١) وقول الله ﷻ مخاطباً نبيه: «إِنَّا أَوْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا»^(٢) وقد فسر النبي ﷺ ذلك قائلاً: «أما البشير؛ فإني أبشر بالجنة من أطاعني»^(٣).

٢١٩. بصر من اهتدى

إن النظرة التحليلية للبصر الظاهر في جميع الحالات لا تتجاوز التوسط والمرحلية للبلوغ إلى بعض الأهداف المعروفة، التي تتلخص في الإدراك، والعلم بما يحيط ويحدث في الأطراف، ويكون وسيلة لرفع بعض النواقص وتحقيق بعض الأهداف.

ولا نهدف من وراء هذا الكلام إلى تحديد أهمية البصر الظاهر، أو إمكان التعويض عنه، وإنما أردنا الإشارة إلى احتفاظه في كل الأحوال بحقيقة الآلية، والتوسط في درك الحقائق وبلوغ المآرب.

ويستمر ليمتاز على سائر الحواس بتشخيص السبيل ومعاينة

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ١١٨.

(٢) البقرة: ١١٩.

(٣) طبقات ابن سعد ١: ١٠٥، الشفاء ١: ٢٣٣.

الحقائق التي لا تبلغها مرتبة الحواس الأخرى، ومعلوم أن السماع لا يبلغ مرتبة المعاينة والنظر.

ومن ناحية أخرى فإن العمى الجاهلي لا يعود كما يصوره الكثير إلى مانعية ظلمات الجهل وفقدان الأنوار فحسب، بل يعود بالدرجة الأولى إلى فقدان الآلة والوسيلة التي يبصر بها المجتمع آنذاك تلك الحقائق، فلا تصل النوبة إلى ممانعة الظلمة.

فمن لا يعرف الرسول ﷺ أو لا يعتقد به لا يستطيع أن ينظر إلى أول الحقائق المتمثلة بالنظر إلى الله الواحد ﷻ، ويتبعه ويليه النظر إلى ملكوته وأنواره، بل لا يخطر بباله النظر والمعاينة، ولو أبيت إلا عن تفسير البصر بالبصر الظاهر فهو المتوسط في إعادة نظرة ثانية تنسجم مع مفاهيم الهداية وتكون سبباً لها.

وإذا فكر المسلمون بالنظر أو نظروا وعابنوا فلإنما هو بتوسطه ﷺ، فكان هو البصر بالدرجة الأولى، وليس هو النور بالدرجة الأولى، فإن الحاجة إلى النور بعد وجود البصر، ولكنه هو النور - كما يأتي - أيضاً ولكن بالدرجة الثانية.

ولقد قال علي ﷺ وهو يصف النبي ﷺ: «أرسله داعياً إلى الحق، وشاهداً على الخلق، إمام من اتقى، وبصر من اهتدى»^(١)

٢٢٠. بصيرة من اهتدى

إذا كان البصر هو الوسيلة الأولى لإدراك الأمور الخارجية والبوابة الأولى بين الخارج والنفس؛ فإن البصيرة هي الوسيلة الثانية والبوابة الحقيقية لانعكاس ما يحدث في الخارج في أفق النفس وانطباعه فيه.

وتمتاز البصيرة بمايز أهم، وهو القدرة على التمييز والتحليل والعبور إلى ما وراء حدود الطبيعة المبصرة، أي تفسير بعض الظواهر والغور إلى باطنها الخفي، وتتجاوز ذلك لتبلغ ما وراء الطبيعة المطلقة، وتجتاح ساحة المجردات.

وإذا عبّرنا بالبوابة فإننا لا نقصد فقدان هذين العنصرين لأية قابلية أخرى، بل الأمر بالعكس، فإن حقيقة هاتين البوابتين هي إحالة ما في الخارج بأنواع آثاره الواقعية إلى مهضومات تنسجم مع حقيقة النفس لتدخل في محافظتها وتنظم بشكل يمكن إعادتها إلى صفحة الذهن في كل آن وزمان.

والنتيجة أن حقيقة البصيرة تعود إلى الآلية التي مرّ ذكرها في البصر، ومن ناحية أخرى فإن العمى الجاهلي لم يكن لأجل فقدان البصر فحسب، بل يعود أيضاً إلى فقدان البصيرة بالذات، أي فقدان القدرة على تحليل المبصرات والغور إلى أعماقها أو التجاوز إلى المجردات وجميع ما وراء الطبيعة.

فمن لا يعرف الرسول ﷺ أو لا يعتقد به لا يستطيع أن يحلل المبصرات ولا يستطيع أن ينظر إلى الحقائق المجردة وكل ما وراء الطبيعة، بل لا يخطر بباله التفكير والاعتقاد بها.

وإذا صار المسلمون يحتفظون بمعلومات من هذا القبيل فهو بواسطة الرسول المصطفى ﷺ إذ كان هو البصيرة لمن اهتدى، كما ذكر ذلك الإمام علي عليه السلام في حديث عن الأنبياء فقال: «حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ ... فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى»^(١).

(١) نهج البلاغة ١: ٢٠١، ٢٠٢، البحار ١٦: ٣٧٩.

٢٢١. بعث الله بالحق

إن البعث والإرسال والتحريك والسير والسلوك والتقدم والتأخر إذا ابتعد عن إطار الخارج والوجود الخارجي، فهو يعني الزيادة والنمو - وقد يضاف إليه الأمر والتكليف - ألا ترى كلمة «التقدم العلمي» و«التأخر العملي» لا تعنيان إلا زيادة العلم وقلته.

والبعث فعيل بمعنى المفعول، أي المبعوث، والبعث بالحق هو إعطاء العلم بالحق مع الأمر بتعليمه وإيصاله إلى الناس، لينتهي إلى التطبيق العملي في الخارج ووضع الأمور في مواضعها.

وقال علي عليه السلام في اسلوب أدبي رائع يصلّي على النبي ﷺ :
«اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك وبعيثك بالحق»^(١).

٢٢٢. بعيد ما بين المنكبين

ذكر أكثر واصفيه ﷺ أنه كان بعيد ما بين المنكبين، المعبر عن طول في عظم الترقوة، وسعة الصدر وزيادة عرضه، ممّا يعطي للرسول ﷺ فخامة ومهابة، فما يشرع واصفوه في الكلام عن صفاته وحليته إلا قالوا: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً بعيد ما بين المنكبين^(٢)، وروي أن علياً عليه السلام قال: «ما رأيت أحداً أبعد ما بين المنكبين من رسول الله ﷺ»^(٣).

(١) نهج البلاغة ١ : ١٣٠ ، ١٣٢ ، البحار ١٦ : ٣٧٨.

(٢) انظر البحار ١٦ : ١٢٤ - ١٩٤.

(٣) البحار ١٦ : ١٧٢ ح ٥.

٢٢٣. البلد الأمين

إذا كان البلد هو القطعة من الأرض التي يفهم منها السعة والاستيعاب بحيث تجمع في كنفها جماعة كبيرة من الناس مع ضمه مستلزمات الحياة الأخرى، ومع وصفه بالأمين، يصير معناه حصول الأمن لكل من يدخل فيه، فلا تصيبه عادية أو مخمصة.

وبعد أن ذكرنا معنى البلد على حقيقته وشرعنا تحليلنا بالإلفات إلى معنى السعة والاستيعاب نبدأ هنا محاولة لبيان معنى السعة والاستيعاب في حقيقة النبي ﷺ، إذ أن كل من يؤمن به فهو يدخل في حوزته وفي ساحته، فإذا آمن به العدد الكبير من الناس فإنه ﷺ يكون قد ضم في كنفه جماعة كبيرة كالبلد الذي يضم جماعة من الناس وكذا فإن مستلزمات الحياة تدخل في هذا الإطار فتصير مزارع إسلامية مثلاً، أي أن ساحة الإسلام وساحة الرسول قد تكثفتها وضممتها.

وأما اتصافه بالأمين فهو مفسر بحصول الأمن من عذاب الله ﷻ لكل من يدخل هذه الساحة وهذه الحوزة.

ونخرج من ذلك بنتيجة، وهي أن حقيقة الرسول ﷺ لها شمول واستيعاب وهي تتسع بتزايد عدد من أطاعه وآمن به، وقد أضاف الله ﷻ لها الأمانة، وجعل الداخل في ذلك البلد في أمان من عذابه وعقابه، سواء كان في الدنيا أم في الآخرة ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهَ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(١).

ومن الواضح أن ذلك وأمثاله يدخل في المعاني الباطنية،

خصوصاً المعاني الباطنية للقرآن، فقد ورد ذلك في تفسير سورة التين، لما يسأل الراوي أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ إلى آخر السورة، فقال: التين والزيتون: «الحسن والحسين» قلت: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قال: «ليس هو طور سينين، ولكنه طور سيناء، قال فقلت: وطور سيناء؟ فقال: «نعم هو أمير المؤمنين» قلت: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: «هو رسول الله ﷺ آمن الناس به إذا أطاعوه»^(١).

وفي رواية عن أبي الحسن موسى عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال: «ذلك رسول الله ﷺ ونحن سبيله، آمن الله به الخلق في سبيلهم من النار إذا أطاعوه»^(٢).

٢٢٤. بلقيطا

ذكر في كتاب المناقب أسماء النبي ﷺ وألقابه في الكتب السماوية وقال: وفي الزبور قليطا مثل أبي القاسم، وقالوا: بلقيطا، وقالوا: فاروق، وقالوا: محيائا، وفي الإنجيل: طاب طاب أحمد، ويقال يعني: طيب طيب، وفي كتاب شعيا: نور الأمم، ركن المتواضعين، رسول التوبة، رسول البلاد، وفي الصحف: بلقيطا، وفي صحف شيث: طاليثا^(٣).

ويهذا يعلم أن هذا الاسم جاء في كتابين سماويين هما الزبور والصحف - ولعلها صحف إبراهيم - وإن كان النقل عن الأول مختلف

(١) مسند الإمام الرضا ١: ٣٨٤، وروي في البحار ٢٤: ١٠٨ مثله عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وانظر كنز الفوائد: ٣٩٣ - ٣٩٤، والبحار ٢٤: ١٠٦، ١٨٦، ومناقب آل أبي طالب ١: ٢٥٩.

(٢) تفسير فرات: ٢١٨، البحار ٢٤: ١٠٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١، وعنه في البحار ١٣: ١٠٣.

ومردد بين قليطا وبلقيطا، والأخير أولى باعتبار أن «بل» تنوب عن كلمة «أبي» وقيطا تنوب عن كلمة قاسم، وقد مر الكلام في أبي القاسم فراجع.

٢٢٥. بهيائيل

استمر في كتاب المناقب ناقلاً أسماء النبي ﷺ وألقابه من الكتب السماوية إلى أن قال: وفي صحف إدريس بهيائيل.

٢٢٦. بين عينيه غرة

يبدو لنا أن التوسيم الدائر بين صنوف البشر - بما تنطوى عليه كلمة التوسيم وأمثالها من معنى وهو أمر يعتمد العقل - لا تخلو منه السنة الإلهية، بل أعتقد أن السنة الإلهية جارية بالتحقيق على منح الأوسمة لذوي المراتب العالية والعقائد السامية، ومن أمثلتها منح القائم بالليل للتهجد والصلوات نوراً يفقده من عداهم؛ ثواباً على اختلاطهم مع الله ﷻ.

ومن نافل القول المحاولة لإثبات أصل منح الأنبياء ﷺ وخصوصاً نبينا الكريم ﷺ نوعاً من تلك الأوسمة، بل لا بد من محاولة التعرف على نوع تلك الأوسمة وتحديدها بالذات.

وأول تلك الأوسمة وأظهرها هو النور الذي بين عينيه ﷺ، وقد يعبر عنه بالغرة، التي هي بمعنى البياض وهو معروف وشائع، وليس هذا مما يمكن إنكاره أو تجاهله بيد أن هذا النور وهذه الغرة المتكلم عنها رافقت آباء النبي ﷺ جميعهم وكانوا يتوارثونها على أنها أمانة يحفظ بها كل واحد منهم لتصل بالنهاية إليه ﷺ.

ويحكى أنه جاء أعرابي من بني عامر يسأل عن النبي ﷺ فقيل له: هو بمنى، فقال: حلّوه لي حتى لا أسأل عنه أحداً، قالوا: نبي الله أطول من الربعة ... بين عينيه غرة^(١).

مما يبدو أنها كانت بمثابة من الوضوح بحيث لا يحتاج معها إلى السؤال عنه ﷺ، ويكتفى بمشاهدة تلك الغرة وذاك البياض والنور لمعرفته من بين الحجيج .

٢٢٧. بين كتفيه علامة

ومن تلك الأوسمة التي تحدّثنا عنها في العنوان السابق هي العلامة التي كانت بين كتفيه ﷺ المعروفة بـ «خاتم النبوة»، لكن ثمة امتياز لهذه العلامة، وهي اختصاصها بالنبي ممّا يفتقر إليه الوسام السابق.

ويبدو أن الحديث عن هذه العلامة كان يجري في الأمم السابقة، وصار لها صدى أكثر في حقبة من الزمن، وخصوصاً لما تمّ تطبيقها من قبل المتطلعين والمنتظرين لظهوره ولما آمن به فوج أو فرد بمشاهدة تلك العلامة كسلمان الفارسي وبعض الرهبان واليهود.

ولم تخف على مثل سطّيح الكاهن، فإنّه حينما أخذ يتحدث عن صفات النبي المنعوت في الكتب والمبعوث في آخر الزمان قال في جملة صفاته: حسن القامة، مدوّر الهامة، بين كتفيه علامة^(٢).

وقال في الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ في مجلس من قريش: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود، فقالوا: والله ما نعلمه، قال:

(١) البحار ١٦ : ١٨٥.

(٢) البحار ١٥ : ٣٠٧.

الله أكبر ماذا أخطأكم فلا بأس فانظروا واحفظوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة^(١).

ويبقى الكلام في كيفية هذا الخاتم ووصفه؛ فإن المنقول المأثور أنه كان بين كتفيه، ومكتوب على الخاتم سطران، أما أول سطر: فلا إله إلا الله، وأما الثاني: فمحمد رسول الله^(٢).

وقد تحدثوا عن أمانة حينما استعرضت كيفية ولادة النبي وما شاهدته وعايته عند ولادته وقد ذكرت ذلك للعباس، فكان فيما قالت: رأيت رجلاً شاباً من أتم الناس طولاً وأشدهم بياضاً - إلى أن قالت - ثم أخرج صرة أخرى من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم، فضرب على كتفيه وقال العباس: وأنا يومئذ أقرأ فكشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوة بين كتفيه^(٣).

٢٢٨. البينة

قال الله ﷻ: ﴿لَنْ يَكُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ﴾ مما يعني شدة تمسكهم بكفرهم، فإن الانفكاك هو الانفصال عن شدة اتصال، والمشركون وأهل كل اعتقاد يصعب انفكاكهم عن عقيدتهم ويندر تركهم لها كما هو مشهود ومعروف، فهم لا يتركون عقائدهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي الحجة الظاهرة التي تناسب لرفع ذلك الاتصال الشديد والتعصب الذي يمتلكه أكثر المعتقدين، والبينة إذن النبي محمد ﷺ، فهو الذي استطاع أن يفصل هؤلاء عن عقائدهم الباطلة، وقد بين القرآن نفسه المراد من كلمة البينة وفسره ﴿رَسُولٌ مِّنَ

(١) مستدرک الحاكم ٢: ٦٠١.

(٢) الخصال: ٥٩٩.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٣٦.

اللَّهُ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿١﴾.

والبينة كما تأتي بمعنى الحجة الظاهرة، كذلك تأتي بمعنى الفصل والقطع والإبعاد من أبان يبين، وهذا المعنى أبلغ من المعنى الأول وأوفق بتفسير الآية وإن كان المعنى الأول مناسباً أيضاً فإن النبي ﷺ أبانهم عن عقائدهم وقطعهم عنها.

هذا وقد اتفق المفسرون على أن المراد بالبينة هو النبي محمد ﷺ، ووردت الأخبار بذلك^(٢).

(١) البينة: ٢.

(٢) البحار ٢٣: ٣٦٩.

حرف التاء

الأسماء المصدرة بحرف التاء

٢٢٩. تاويل القرآن العظيم

القرآن هو كلام الله ﷻ الذي يحمل معانٍ سامية ومترفية يحتاج معها إلى تفسير وتبيين يكشف النقاب، والإسفار عن وجه تلك المعاني التي جاءت متفاوتة مع فهم الناس ونظرتهم للحياة المادية، وغير ذلك مما يساهم في حصول كثير من الملاسات.

ولما كان للقرآن بطون ومعاني عميقة ودقيقة يساند بعضه بعضاً ويتصرف بعضه ببعض احتاج إلى التأويل والتفسير ببيان الوجوه العديدة والبطون المتعددة للقرآن وغيره من الكتب السماوية.

ومن ناحية أخرى فإن التفسير والتأويل له انحاء مختلفة وطرق متفاوتة، فمرة يكون بالكلام والبيان باللسان، وقد تسنده الإشارة باليد.

وأفضل طرق التفسير والتأويل هو البيان العملي والتعليم العملي؛ لمحسوسية الفرق بين النظر والعمل وتسليمه، ولازال التعليم العملي أنجح في مقام التفهيم والتطبيق من التعليم النظري البحث.

ولما كان عمل الرسول المصطفى ﷺ موافقاً بكل حذافيره ودقائقه للكتاب، جاء عمله مفسراً للقرآن وتأويلاً له، وكان هو ﷺ بعمله تأويلاً للقرآن العظيم وتفسيراً عملياً له، بيد أن الذي جعل

الرسول ﷺ رسولاً هو عمله لا بدنه، فالبدن متشابه في جميع البشر مع أدنى تفاوت، والمايز هو العمل.

ويبقى أن ملاحظة هذه الظرائف وهذه الزوايا الخابية من حياة الرسول ﷺ وصفاته، يحتاج إلى سليقة خاصة، تلك التي تتوفر عند أوصيائه ﷺ والمقربين من أصحابه المخلصين له، أعني بذلك مثل أبي ذر الغفاري؛ فإنه لما بايع الناس لأبي بكر دخل المسجد وخطب الناس وقال: أيها الناس إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين - إلى أن قال - فمحمد ﷺ وصي آدم، ووارث علمه وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وتأويل القرآن العظيم، وعلي بن أبي طالب ﷺ الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، ووصي محمد، ووارث علمه، فما بالكم أيها الأمة المتحيرة بعد نبيها لو قدمتم وخلفتم الولاية لمن خلفها له النبي ﷺ والله لما عال ولي الله ولا اختلف اثنان إلى آخر ما قال^(١).

٢٣٠. تاج الأولياء

تمثل كلمة التاج الشرف والعز، والاستعزاز بالشيء الذي استعملت فيه، فتاج الأولياء هو العلامة على الشرف والرفعة، وما يعتز به الأولياء ويعزّون به، وما لولاه لذلوا.

وكذا يعني الذروة والعلو، فلو مثل مجموع الأولياء شخصاً واحداً لكان الرسول المصطفى هو التاج والذروة فيهم.

وليس هذا التأويل هو المغزى لهذا الوصف الذي يوصف به النبي ﷺ، وإنما هو إشارة إلى التدرّع والتوسل والعلاقة القلبية الهائلة

(١) تفسير فرات: ٢٦، البحار ٢٨: ٢٤٧ ح ٢٨.

التي تشبه علاقة الملك بملكه وعزه الذي يمثله التاج ويدل عليه أو يكتفى به عنه، فكما يحب الملك تاجه وملكه، يحب الأولياء تاجهم الذي هو النبي ﷺ.

وهكذا يحكي ابن شهر آشوب صفات النبي ﷺ فيقول: «قائد الخلق يوم الجزاء، سراج الأصفياء، تاج الأولياء، إمام الأتقياء، خاتم الأنبياء»^(١).

٢٣١. تارك الإكثار

ما زال الالتفات إلى مسير الأحداث التي يقضي فيها الزمن، يستوجب القيام على أساس تجاوز الإكثار والتفريط، والزحف نحو الاعتدال والتوسط، لتفادي الفشل الذي ألم بكل من مارس الإفراط وانتحاه. ولا يختص ذلك جانباً دون آخر من جوانب الحياة، بل يشمل كل ممارسات الإنسان مهما كانت تهدف، وأينما صبّت، اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو صحية، وحتى لو كانت علمية أو عبادية.

ويدخل جميع ذلك تحت شعار «خير الأمور أوسطها» ممّا يناسب الفطرة السليمة، والدعوة العامة من العقلاء.

وهنا يروي مختلف الطوائف أنّ النبي ﷺ ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار وما لا يعنيه^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣.

(٢) معاني الأخيار: ٨٣، مكارم الأخلاق: ١٤، مستدرك الوسائل ٩: ٣٣ عن الحسن بن علي ﷺ الشمائل المحمدية للترمذي: ٢٩٠، الأحاديث الطوال للطبراني: ٧٧.

٢٣٢. تارك ما لا يعنيه

تقدم أن النبي ﷺ ترك نفسه من ثلاث، ثالثها ما لا يعينه، ولا شك أن ترك الإنسان لما لا يعنيه مستحسن ومطلوب، والذي نهدف إليه في هذا الموضوع تعيين ما يعني الرسول ﷺ وما لا يعنيه، بعد ثبوت الولاية بنوعها له.

والقاعدة تقضي بتبعية ذلك للمصالح والمفاسد، فكل ما فيه مصلحة عامة ومنفعة عائدة للمجتمع مما يؤدي إلى حفظ النظام وسيادة الصلح وتعميم الأمن فهي مما يعني الرسول ﷺ وكذا ما كان فيه مفسدة كذلك، كل ذلك حرصاً منه ﷺ على وصول النفع إلى الناس، وإرادة الخير لهم، مما يدخل في عنوان الرحمة، فإنه ﷺ نبي الرحمة.

وأهم من ذلك المصالح والمفاسد الأخروية، وسبل النجاة من عذاب الآخرة، فقد تتجاوز هذه المرحلة إلى المصالح الشخصية، علماً منه ﷺ بشدة العذاب وعظم الثواب مما يثير عطفه ويثير حفيظته لتجنيب أبناء النوع من العذاب الأليم، ويدخل في عنوان الرحمة والرأفة ويحسن عقلاً ويدخل في حيز من أحيى نفساً فقد أحيى الناس جميعاً.

وأما ما لا يعنيه ففي كل ما استوى طرفاه ولم تغلب فيه جهات الحسن، أو غلبت ولم تبلغ حد الإلزام والهلاك، والوقوف على الحریم الشخصي لكل فرد واستكشاف البواطن، بل نهى ﷺ عن التجسس والتطلع في الدور، وتبع عورات الناس.

وأهم من جميع ذلك هو المعاملة مع ظاهر الأشخاص مع العلم بظلمة الباطن، وانحراف المذهب.

ويجمع الجميع ما كان في الدخول فيه أدنى مفسدة أو تفضيح،

أو ما خلا عن المفسدة ولم تعارضه مصلحة أهم، مما يدخل تحت عنوان لا يحكم العقل بحسنه ولا يدخل تحت عنوان الرحمة والرأفة.

والدليل على جميع ذلك هو شدة التفاف الأصحاب حوله، وعمق محبتهم له الناشئ من لمس هذه الحقيقة ودركها، ورسوخ الاعتقاد بأن كل ما أراده الرسول المصطفى ﷺ هو الخير المحض والرحمة الشاملة، المشتقة من الرحمة الإلهية.

٢٣٣. تارك المراء

كل حدث استراتيجي، أي كل حدث يضع في اعتباره وفي صلب أهدافه التغيير الجذري يحتاج إلى قاعدة محكمة وحجج قوية دامغة، بعيدة عن متاهات الاحتمال وسوح الجدل والمراء.

وأعني بالتغيير الجذري هو التغيير الاعتقادي لقاعدة كبيرة من الناس تنزع منهم اعتقادات سائدة اعتادوا عليها، وتكسبهم ثوباً جديداً من الاعتقاد والتفكير، مع رضئ منهم بذلك التغيير والاستحالة.

ولا شك أن الرسول المصطفى ﷺ قام بمهمة فريدة تجمع بين تغيير اعتقادي شامل وبين تأسيس قواعد إمبراطورية عظمى لتحكم بالنهاية جميع أقطار الأرض، فلا يسمح لها الاستناد إلى حجج واهية، أو جدال فارغ، بل لا بد في استناده ﷺ إلى الحجج القوية البعيدة عن المراء.

وهكذا سائر الأنبياء ﷺ لم يزالوا يركنون إلى أدلة ساطعة ومعاجز باهرة من دون اعتماد على إدامة جدال، وممارسة مراء، بل كقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) مما لا بد للخصم التسليم فيه.

(١) سورة يس: ٧٨.

وبذلك يتضح الوجه في ترك الرسول ﷺ للمراء، فقد ورد أنه ﷺ ترك نفسه من ثلاث: المراء، الإكثار، وما لا يعنيه^(١).

٢٣٤. تمام عدة المرسلين

النيبون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون منهم ثلاث مائة وثلاثة عشرة جمّاً غفيراً، وكان آدم أول الأنبياء وأول الرسل، والرسول المصطفى ﷺ هو آخر الأنبياء وآخر الرسل^(٢)، وهو تمام عدة المرسلين التي أراد الله ﷻ لها التمام.

وقد ورد أن عدّة أصحاب المهدي هم ثلاثمائة وثلاثة عشرة، فإذا اجتمع له ﷺ هذا العدد ظهر ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً.

وتفسيرنا لهذا التوافق في العدد هو وجود قاعدة وقانون إلهي مرتبط بهذا العدد بالذات، وإن كنا لا نتعقله ولا نعرفه بالدقه اليوم، ولكن يمكن تقريبه إلى الذهن وتطبيعه بملاحظة بعض الأجهزة التي تتحكم بها الأعداد أو عدد الجداول أو السطور أو شيء من هذا القبيل فإنّه لا يعمل ولا يعطي النتيجة المطلوبة إذا لم يتم العدد المحدد له.

فكذا عدة المرسلين إذا لم تبلغ هذا العدد بالذات لا تعطي النتيجة المطلوبة، وبهذا يكون للعدد الأخير أهمية خاصة، فهو بالإضافة إلى كونه واحداً من الأعداد، يعود متمماً لها ولا ينفع كل ما عداه من الأعداد بجهودهم من دونه.

ويبقى الكلام في الفرق بين النبي والرسول.

(١) معاني الأخبار: ٨٣، مكارم الأخلاق: ١٤، مستدرک الوسائل ٩: ٣٣ عن الحسن بن علي ﷺ.

(٢) انظر البحار ١١: ٣٢ ح ٢٤.

والذي تحدثت عنه الأخبار، وذكرته في مقام الفرق هو أن الرسول من ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، والنبى ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص، ولا تجتمع له الرؤية والسمع، ولا ينزل عليه الوحي^(١)، والتوغل في بيان الفرق له محل آخر.

ومهما يكن من أمر فإن تمام العدد بالرسول ﷺ يعد امتيازاً، وصفة فائقة، باعتبار توقف نجاح أعمال الرسل في تحقيق الإشاء الإلهية عليه، وبعبارة أدق فإنه ﷺ هو الثمرة المنشودة لجميع الرسائل والنتيجة المطلوبة من وراء أعمال الرسل ومساعدتهم، فهو تمام العدة بمعنى النتيجة وحاصل جميع تلك الجهود.

ولهذا نجد الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في بعض صلواته: «اللهم صل على محمد خاتم النبيين، وتمام عدة المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين»^(٢). مما ينبى عن أهمية هذه الصفة، وليس مجرد إتمام عدد.

٢٣٥. تمام النبوة

النبوة كما بينا مقام علمي شامخ، وارتفاع في الروح والنفس مؤهل لاستلهاام المعارف وسماع الوحي أو رؤيته، فإن النبوة لفظ من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض.

فلو لاحظنا منسوب علم البشر لوجدنا بينهم تفاوتاً وصعوداً ونزولاً في الخط المميز له، ووجدنا ارتفاعات في هذا المنسوب

(١) انظر البحار ١١ : ٤١ ح ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الصحيفة السجادية : ٥٤٨ .

ملحوظة وكبيرة تتمثل بالأنبياء ومن أحاط بهم وأخذ عنهم، بحيث يصير الخط المشخص لعلم البشر إلى جانب تلك الارتفاعات كالأرض شبه مستوية.

ولو سائرنا هذا الخط المشخص ومررنا بجانب تلك المرتفعات لوجدناها تنتهي بأشمخها وأرفعها وهو ارتفاع منسوب علم الرسول المصطفى ﷺ ونبوته التي بجانبها مرتفعات أوصيائه وصحابته المتجيين ومن أخذ عنه كالسفع لها.

فالرسول ﷺ هو آخر النبوة وتمامها بمعنى الارتفاع، وآخر من نزل عليه الوحي ورآه وسمع منه، المجموع في قوله ﷺ: «لا نبي بعدي»^(١).

وقال علي عليه السلام في بعض خطبه: «بعث الله محمداً رسول الله ﷺ لإنجاز عدته، وتمام نبوته»^(٢).

ويظهر من هذا الكلام معنى أدق وأعمق مما ذكرناه، وهو توقف تمامية النبوة على بعثته ﷺ وليس مجرد انتهاء ارتفاع، بل تكون النبوة ناقصة بدونه، وهو تمامها، إذ أنه فرض النبوة المنسوبة إلى الله شيئاً واحداً، ولم يقل تمام النبوات.

فالنبي ﷺ هو المتمم لنقصها الذي بدونه لا تتم، بمعنى أنها لا تؤثر في تحقق الهدف المنشود والغاية المستوخاة من بعثة الرسل.

٢٣٦. التهامي

التهامي نسبة إلى تهامة، وتهامة اسم مكة الأول، وقيل هو اسم

(١) الكافي ٨: ٢٦، ١٠٧، الفقيه ٤: ١٦٣ ح ٥٣٧٠، علل الشرائع ١: ٦٦ .

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٤ / البحار ١٨: ٢١٦ ح ٤٨.

ما بين ذات عرق إلى البحر، وفي قول إلى مرحلتين من وراء مكة، ويحاذيها نجد، فهي إلى ذات عرق^(١).

ويحضرني التعبير بالتهامي وتلقيب النبي ﷺ من عدة أشخاص، منهم سطيح الكاهن في كتاب بعثه إلى زرقاء اليمامة: أما بعد فإني كتبت إليك كتابي وأنا في هموم وسكرات، وغموم وخطرات، وقد تعلمين ما الذي يحل بنا من الدمار والهلاك من خروج التهامي. ومنهم الرسول ﷺ نفسه في بعض كتبه، جاء فيها: «هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ النبي الأمي المكي المدني التهامي الحجازي الأبطحي»^(٢).

ومنهم زين العابدين في بعض دعائه: «اللهم بذمة الإسلام أتوسل إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبحبي للنبي، الأمي، القرشي، الهاشمي، العربي، التهامي»^(٣).
ومنهم السيد الحميري الشاعر:

بحق محمد قولوا بحق فإن الإفك من شيم اللثام
أبعد محمد بأبي و أمي رسول الله ذي الشرف التهامي
ليس علي أفضل خلق ربي وأشرف عند تحصيل الأنام

وأود أن أذكر هنا أنّ التلقيب والنسبة إلى بلد أو أرض أو مدينة لم يكن دائراً أيام رسول الله ﷺ بين العرب، وإنما يغلب ذكر الاسم والكنية. وتنحصر النسبة إلى الأرض والديار فيمن كان له خطر وشرف، بحيث تُعرف الديار به أو تفرده ومعروفيته في تلك الديار كزرقاء اليمامة، لتفردها.

(١) لسان العرب ٢: ٥٩ «تهم».

(٢) مكاتيب الرسول ٣: ٧٥١، مكارم الأخلاق: ٤٠٩.

(٣) الصحيفة السجادية: ٢٢٤.

والرسول المصطفى ﷺ إنما ينسب إلى تهامة لأن تهامة صار لها خطر بوجوده الشريف وبفضله عرفت وشاع ذكرها بين الأمم، فأخذت تهدد إمبراطوريتي العالم آنذاك.

٢٣٧. التين

إن شجرة الإنسان كانت بذرتها آدم ﷺ، ثم فُلقت لترشد وتنمو وتكبر وتتعاظم وتورق وتثمر، والثمر هو الجزء الأكثر نفعاً فيها ويتمثل بالأنبياء العظام ﷺ الذين هم نفع مجرد.

وكني عن النبي ﷺ بالتين لكونه من ألد الثمار وأطيبها، وهي كثيرة المنافع والفوائد حتى روي أنه من ثمار الجنة، أو أنه أشبه شيء بثمار الجنة^(١).

وبذلك يتضح الوجه فيما جاء في تفسير سورة التين بأن التين هو رسول الله ﷺ والزيتون أمير المؤمنين ﷺ^(٢)، وكذا مثل ما روي من أن التين هو الحسن ﷺ^(٣)، أو أن التين هي المدينة المنورة.

فإن ثمار تلك الشجرة وتينها كثير ومختلف في الطعم والأثر، والمدينة سميت تيناً لتضمنها للتين الذي هو النبي ﷺ، أو هي تين لما شاع منها من النفع وانتشر نتيجة لاستقبالها النبي ﷺ ومعاونتها على نشر دعوته، وتكريسها الجهود لنصرته.

ومع ذلك لا يبقى مجال للمنافاة المزعومة بين كل تلك الأحاديث، وتندفع غائلة التعارض الموهومة.

(١) البحار ٦٣ : ١٨٥.

(٢) تفسير القمي ٢ : ٤٢٩، البحار ٢٤ : ١٠٥ ح ١٢.

(٣) كنز الفوائد : ٣٩٣، البحار ٢٤ : ١٠٥ ح ١٤، ١٥.

حرف الشاء

الأسماء المصدرة بحرف التاء

٢٣٨. الثابت للقدم

بالنسبة لنا ، لا نعتقد بأنّ النقاش حول العقائد والسنن والسيادة والسياسة خصوصاً إذا صاحب انهيارات وتحولات جذرية، أمرٌ سهلٌ خالٍ من المزالق والمهاوي العظيمة.

ومن الناقل تصور تسليم الرؤوس المتصلبة في مواقفها والتمسكة بعقائدها وسننها، من دون المحاولة لاستعمال جميع الوسائل المتاحة لمحو أثر الاستراتيجية الجديدة الناشئة.

كما لا يمكن الوقوف من خلال التاريخ على حدود البلاء الذي أحاط بالنبي ﷺ والضعف المضنية التي واجهها، والمغريات التي عرضت عليه من أجل التراجع خطوة واحدة إلى الوراء.

فإنه من الصعب تصوّر الثبات أمام عرض الرئاسة والمال والنساء والشرف والرفعة والمقام والمكانة بإزاء التراجع عن الموقف التوحيدى، أو حتى مجرد الامتناع من الدعوة إليه.

ومن ذلك ما هو معروف ومشهور ومروي: أنه لما أظهر رسول الله ﷺ الدعوة بمكة اجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سقّه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا، فإن كان يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالا حتى

يكون أغنى رجل في قريش، ونملكه علينا، فأخبر أبو طالب رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك ما تركته»^(١).

وأصعب من ذلك الثبات أمام ردود الفعل العقائدية التي تفجرت من الحرم والسوق والمزرعة وكوالييس البيوت، ومن كل طبقات المجتمع.

ولا يحيد عن بالي صعوبة مشاهدة الرسول ﷺ زوجته خديجة التي كانت في ذروة العز والشرف والمال تموت جوعاً في المحاصرة الظالمة بين ثنايا الشعب، وكذا سائر أشرف قومه كأبي طالب وولده وغيرهم، كل ذلك بسبب مواقف النبي ﷺ.

هذا بالإضافة إلى التهديدات المستمرة، والظروف الحرجة، فهي في الحقيقة مزالتق ومهاوي يعد من يصمد عندها ثابت القدم حقاً.

ومن هنا انبرى أمير المؤمنين في دعاء الصباح للتمجيد بهذه الحقيقة فقال: «صل اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل، والماسك من أسبابك بحبل الشرف الأطول، والناصر الحسب في ذروة الكاهل الأعبل، والثابت القدم على زحالييفها في الزمن الأول»^(٢).

فقد عبّر عن المزالتق بالزحالييف، وهو جمع زحلوفة التي تعني المكان المنحدر الأملس^(٣)، وفسرها بعضهم بآثار تزلج الصبيان، أي تزلقهم من فوق التل إلى أسفله.

(١) البحار ١٨ : ١٨٢ ح ١٢، سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦.

(٢) البحار ٨٤ : ٣٤٠.

(٣) مجمع البحرين ٢ : ٢٧١.

حرف الجيم

الأسماء المصدرية بحرف الجيم

٢٣٩. جاعل السنة

إن الإنجازات الحضارية للمجتمعات التي خضعت للديانة التوحيدية السماوية هي إنجازات حقيقية في ميدان تطوّر الآداب والعلوم الدينية والاجتماعية والسياسية و كلها تخضع لطريقة مجعولة وخطوط مرسومة يرسمها المفجّر الأول للثورة الدينية أو المصلح الأول فيها.

وهذه الطريقة هي التي نعبر عنها بالسنة في اصطلاحنا كمسلمين، غير أن السنة عندنا لها إطار أوسع من السنة المرسومة لباقي الأمم فإنها وضعت لتشمل جميع شئون الحياة، ولم تتغافل عن أقل جزئياته حتى لحظات التقلّب في الفراش في آناء الليل فضلاً عن أصول الحياة المعنوية والمادية بكل زواياها.

فالسنة التي سنّها الرسول المصطفى ﷺ وجعلها للأمة وإن كانت تُشير إلى حقيقة واحدة وهي التقرب إلى الله ﷻ يدخل فيها كل عمل شرعي واعتقاد حق، وتنقسم إلى واجب وندب، وفرض ونفل، وفريضة وفضيلة، والفريضة ما يثاب عليها فاعلها ويعاقب على تركها، بينما الفضيلة ما يثاب بإتيانها ولا يعاقب بتركها.

ولا يخرج عن ذلك المعنى من فسر السنة بقول النبي ﷺ وفعله

وتقريره، فإنها تفسيرات تشير إلى حقيقة واحدة، وهي الطريقة التي يرسمها المعلم الأول سواء كانت للمجتمع بعامه أو للأفراد وحدودهم الشخصية خاصة.

ويبدو أنّ التعبير عن الرسول ﷺ بأنه جاعل السنة لا يتأطر بذلك المعنى، بل أريد له أن يتوسّع ويشمل جعل السنة لعامة البشر، بل عامة الخلق؛ إذ كان تسبيح الملائكة الكرام بتسبيحه عندما خلقه الله سبحانه نوراً وأقرّه، وتابعه بالإقرار جميع الأنبياء، ولذا روي أنّه جاء في بعض المزامير: «اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنّه بشر»^(١) فهو يعني أن نعت النبي ﷺ بأنه جاعل السنة ميزة له تميزه عن سائر الأنبياء.

ولا تكون هذه الصفة لمحمد ﷺ وحده إلا إذا كانت بالمعنى العام الذي ذكرناه، وإلا فكل نبي هو جاعل لسنة.

٢٤٠. الجامع

إن الحديث عن جامعية الرسول ﷺ يتوقف على معرفة معنى الجامع وكل جامع، والأغلب في الجامع هو ما يضم عدداً كبيراً ممّا هو قابل للضم والجمع، كالمسجد الجامع الذي يضم أكبر عدد من الناس الذين هم من خارج المسجد، وله قابلية على استيعاب أكبر عدد ممكن.

والجامعية في الأفراد تتمثل بضم أكثر عدد من الصفات الحسنة والفضائل السنّية ممّا هي خارج عن الذات، وتغلب في الصفات المكتسبة، كالعلم والمهارة والأدب وحسن الخلق وقد تشمل غير

المكتسبة كالكرم والرحمة والشجاعة والغيرة، بل كل فضيلة تساهم في بناء الشخصية المثالية، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أعطى الله نبياً درجة، ولا مرسلأ فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد صلى الله عليه وآله وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة»^(١).

والأفضل من ذلك في تفسير جامعية الرسول صلى الله عليه وآله التعبير عنها بالظرفية والقدرة على استيعاب جميع الصعوبات، واحتمال أصعب المسئوليات، واحتواء أنواع الطبقات، ومعاشرة كل الأصناف بما ينطوون عليه من المضمرات، والأخلاق المتفاوتة، من الشريف المقدم إلى الوضيع المعدم، أو المريض المنبوذ، إلى الملائكة الكرام، والإنس والجن وغير ذلك مما لا نعرفه.

بيد أن التعبير بكلمة الجامع جاءت في كلام الرسول صلى الله عليه وآله نفسه، وليس مجرد توصيف من يرى الظاهر ويحكم بما يراه بعينه فقط، والحال أن الرسول صلى الله عليه وآله ينظر بأكثر من عين ويرى أكثر مما يرى غيره ومع ذلك روي أنه صلى الله عليه وآله قال: «أنا القشم الكامل الجامع»^(٢) وسيأتي الكلام في القشم.

٢٤١. جليل الكتد

الجليل هو العظيم، والكتد هو مجتمع الكتفين، وبالذقة هو من أصل العنق إلى أسفل الكتفين، وقيل غير ذلك مما يقارب ذينك المعنيين.

والمهم أن هذا يدخل في متمامات خلقته وكمال بدنه صلى الله عليه وآله، فإذا

(١) الاحتجاج للطبرسي ١ : ٣١٤، حلية الأبرار للبحراني ١ : ٣١، البحار ١٠ : ٤٨.

(٢) البحار ١٦ : ٩٣ ح ٢٧.

كان النبي ﷺ - كما سيأتي - جليل المشاش وعظام الكتفين ناسب أن يكون مجتمع الكتفين جليلاً أيضاً، وليس من المناسب أن يكون ضئيل الكتد وصغيره بعد ما ثبت أنه معتدل الخلقة.

ومما يؤكد تلك الصفة وثبوتها فيه ﷺ نقل اللغويين^(١) وغيرهم^(٢) لها، فقد نقل بعضهم أنه ﷺ جليل المشاش والكتد، واكتفى البعض الآخر بذكر جليل الكتد، ولم يذكر المشاش.

٢٤٢. جنب الله

لا ينبغي الريب أن البعد والقرب من الله ﷻ لا يكون مكانياً أبداً، ولا رتبياً أيضاً بمعنى قربه وبعده في سلسلة العلل، وإنما هو قرب منزلة ومقام، وحب وذكر واعتقاد كمنزلة الحبيب والخليل والتصير وغيرها.

فالكافر الجاحد بعيد عن الله ﷻ، وكذا الضال المضل والجبث والطاغوت وغيرهم من أجزاء الوجود البعيدة عنه ﷻ، والمؤمن الصادق هو القريب من الله سبحانه، وكذا العالم العامل، والتقي المخلص، والنافع السليم القلب وغير ذلك من بقع الوجود القريبة منه سبحانه.

فهذه هي جغرافيا الوجود الحقيقية، وخارطة الكون الأساسية التي يكون البعد والقرب والموقعية فيها بمقدار الحب والإيمان والعلم وغيرها. ولو أمكن رسمها وأخذ كل موجود موضعه على مقدار حبه واعتقاده وباقي مؤهلات القرب الطولية والعرضية بحيث يجعل لكل

(١) لسان العرب ٣: ٣٧٧.

(٢) الغارات ١: ١٦٥ ح ٢، مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٦.

منها مداراً وطولاً وعرضاً، وكذا مقدار عدائه وجهله وباقي المبعديات الطولية و العرضية بحيث يجعل لها مدارات وخطوط ؛ لتمت خارطة الوجود على أن يكون بحارها العلماء، وسباخها الجهال، وأنهارها ما صدر من العلماء من النفع ليصل إلى الجاهلين، وهي الأرض الجذب فتحى به . ويكون سائر الموجودات لا دخل لها فيها بل تكون كالهواء غير الملحوظ في خارطة الأرض.

والمهم معرفة جنب الله ﷻ، إذ الجنب بمعنى القرب، وجنب الله هو أقرب الوجودات من الله سبحانه في تلك الخارطة الوجودية، ولا شك أنه وجود الرسول المصطفى ﷺ، كما صرح بذلك نفسه ﷺ فقال: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته - إلى أن قال - ونحن جنب الله الذي ينادي من قرط فينا يوم القيامة بالحسرة والندامة»^(١) إشارة إلى قوله تعالى: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِهَتَرْتُكَ عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ»^(٢).

فالرسول ﷺ أقرب تلك البقاع من الله ﷻ، ويليه أهل بيته المعصومون وسائر الأنبياء والشهداء والصالحون، ولا يكون الجالس إلى جنب الرسول ﷺ من الكفار والمنافقين جنب الله سبحانه؛ لأن القرب ليس مكانياً، ولا المؤمن البعيد عن النبي ﷺ يبدنه بعيد من الله سبحانه، بل هو جنب النبي وإن بعد جسمه.

ولا يكون مثل من جعل نفسه خليفة لرسول الله ﷺ إذا لم يكن بوصية منه بجنبه؛ لأنه غاصب، بل المحقق أنه أبعد عن الله ﷻ.

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٥٨، البحار ٢٥: ٢٢.

(٢) الزمر: ٥٦.

حرف الحاء

الأسماء المصدرة بحرف الحاء

٢٤٣. الحاد

روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «إن اسم رسول الله صلى الله عليه وآله في صحف إبراهيم الماحي، وفي توراة موسى الحاد، وفي انجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمد..» قيل: فما تأويل الحاد؟ قال: «يحادُّ من حادَّ الله ودينه، قريباً كان أو بعيداً»^(١).

ويحادُّ معناه يعادي ويخالف وينازع، والرسول صلى الله عليه وآله يحاد من حادَّ الله تعالى ومن حادَّ دين الله، أي عاداه وخالفه ونازعه.

ويرعي هذا الاستعمال وهذا الاسم في خصوص التوراة انتباهنا إلى نقطة هامة وحقيقة واقعة، وهي معاداة الرسول صلى الله عليه وآله لليهود الذين يعملون بادعائهم بالتوراة، وهم أتباع النبي موسى صلى الله عليه وآله بحسب الظاهر، فإن هذا الاسم يشير إلى أن الذين سيعاديهم الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله هم في الحقيقة أعداء الله ومخالفو أوامره ودينه؛ واختياره في خصوص التوراة لسابق علمه سبحانه بمعاداتهم له ولتتم الحجة بذلك عليهم، فهم الذين نصبوا العداوة للرسول صلى الله عليه وآله، وعاداهم الرسول بأمر من الله العالم بالخفيات، فقال

(١) الفقيه ٤: ١٧٧ ح ٥٤٠٣، الأمالي للصدوق: ٢٩ ح ١١٧: البحار ١٣: ٣٣٢.

عز من قائل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾^(١).

فاليهود هم أعداء الله وأعداء دينه، ولذلك عاداهم الرسول وحادهم، فكان أوضح صفاته وأسمائه عندهم هو الحاد والمعادي.

ولو تسأل اليهود اليوم ما محمد؟ لقالوا: هو الحاد الذي قتل اليهود وأخرجهم من الجزيرة، ظناً منهم أن هذا الاسم وهذه الصفة لهم، غافلين عن أنها عليهم لما يجدونه في كتابهم من أن اسم النبي الخاتم هو الحاد، فتم حجة الله عليهم، وينقضي عذرهم.

٢٤٤. حاسر الحسير

كلما خرج الرسول ﷺ مع جماعة إلى سفر أو غزاة أو حج تجده يتأخر عن الجميع في المسير، ليتفقد الحسير الذي أعيب في طريقة، وأصابه الكلال، والغرض من هذا العنوان هو وصفه ﷺ بالشفقة على الخلق في حال سفرهم معه في الغزوات وغيرها ؛ لأنه كان يسير في آخرهم، ويتفقد المنقطع منهم لأجل عياء وتعب أو انكسار مركوب أو عطب دابة، فلا يزال يلطف به حتى يبلغه أصحابه.

ولا يشذ عن الذهن إرادة الأكثر من ذلك، وهو تفقد من توقفت قدم عقله في السلوك إلى الله، وأعيب عن المسير في طريق الخلد والكرامة والذي ضل عن الطريق أو انكسرت به مطية الإيمان، فيدركه النبي ويقيمه على المحجة البيضاء، ويهديه حتى يوصله إلى الغاية المطلوبة والهدف المنشود.

ويدلّ على المعنى الثاني ما جاء في نهج البلاغة في بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد ؛ فإن الله سبحانه بعث محمداً ...

ليسوقهم إلى منجاتهم ويبادر الساعة أن تنزل به، يحسر الحسير، ويقف للكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكاً لا خير فيه، حتى أراهم منجاتهم، ويواهم محلثهم^(١).

ويدل على المعنى الأول ما ورد عن جابر بن عبد الله قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه شأدت منها تسعة عشر، وغبت عن اثنتين، فبينما أنا معه في بعض غزواته إذ أعيا ناضحي - أي بعيري - تحتي بالليل فبرك، وكان رسول الله ﷺ في آخرنا في أخريات الناس، فيزجي الضعيف ويردقه، ويدعو لهم، فانتهى إليّ وأنا أقول: يالهدف أمياه، ما زال لنا ناضح سوء، فقال: «من هذا؟» فقلت: جابر بن أبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: «ما شأنك؟» قلت: أعيا ناضحي، فقال: «أمعك عصا؟» فقلت: نعم، فضربه، ثم بعته، ثم أناخه، ووطئ على ذراعه، وقال: «اركب» فركبت فسأيرته، فجعل جملي يسبقه.

٢٤٥. الحاشر

أبدأ تحليلي لحقيقة الحاشرية بتسليط الضوء على حالات إسناد الفعل إلى شخص أو أشخاص، حيث إنّ الفعل يسند تارة إلى الفاعل الذي صدر منه الفعل وهو الغالب مثل الماشي والقارئ، وقد يسند إلى الأمر به من دون أن يكون هو المباشر، كعنوان القاتل الذي يسند إلى السلطان الأمر جلاده بذلك، وقد يسند إلى صاحب العمل كما إذا قيل بنى زيد داراً إذا لم بينها بيده وبنائها البناء، ويندر إسناده إلى المقارن كالقادم الذي يقارن مجيئة البركة والخير أو تخلفه البركة، فيسمى المبارك.

ويبدو في أول وهلة أنّ الحاشر جاء بحسب المعنى الأخير من بين المعاني، أي أنّ الرسول ﷺ جاء مقارناً لمجيء الحشر وقريب منه، المستفاد من مثل قوله ﷺ: «أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى السبابة والوسطى^(١).

وبتعبير أكثر استساغة ما روي عن النبي نفسه في تفسير الحاشر فقال: «إنّ لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»^(٢).

وقيل في تفسيره أيضاً: إن الحاشر من أسماء النبي ﷺ لأنه يحشر الناس ممّن على دينه خلفه^(٣). ولكن لا وجه لهذا التقييد بعد ما عرفنا في عنوان «الأول» المتقدم أن الرسول ﷺ أول من تنشق عنه الأرض وأول محشور وأول منشور إلى غير ذلك ولا يتقدم أمته فقط.

ويدل على ذلك مجيء هذا الوصف في الإنجيل فيما أوصى به الله ﷻ عيسى بن مريم ﷺ: يا عيسى بن الطاهرة البتول اسمع قلبي، وجد في أمري ... فآمنوا بي وبرسولي النبي الأمي الذي يكون في آخر الزمان نبي الرحمة والملحمة، الأول والآخر قال: أول النبيين خلقاً وآخرهم مبعثاً ذلك العاقب الحاشر، فبشر به بني اسرائيل^(٤).

مما يدل على اختصاصه بهذه الصفة، وإلا فكل نبي تحشر أمته خلفه كما هو مروى، فلا بد من إرادة حشر جميع الناس خلفه ﷺ، وعلى قدمه حتى تكون ميزة له.

(١) أمالي المفيد: ١٨٧، البحار ٢: ٢٦٣ ح ٢.

(٢) البحار ١٦: ١١٤ ح ٤٣، مسند أحمد ٤: ٨٠، صحيح البخاري ٦: ٦٢.

(٣) إقبال الأعمال ٢: ٣٢٩.

(٤) إقبال الأعمال ٢: ٣٤٠.

٢٤٦. حاط حاط

ذكر في كتاب سبل الهدى والرشاد حاط حاط، وقال: قال عليه السلام هو اسمي في الزبور^(١).

ونقول: إذا كان هذا الاسم بلسان داود وقومه فلا سبيل إلى معرفة معناه، وإذا كان ترجمة لما جاء في الزبور كما هو الحال في تسميته بـ «حاد» في التوراة الذي تقدم الكلام فيه، فإن المعنى لا يخرج عن تنزيل سمات الظلم والحط منها، وكذا تنقيص زخرف الحياة الدنيا، ليرفع العدل والإنصاف والقيم الحقيقية.

٢٤٧. الحافظ

الحافظ بمعنى المحفوظ، كما يظهر من كلام ابن شهر آشوب الذي انفرد بذكر هذه الصفة للرسول ﷺ فقال: الحافظ ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢) وروى ابن كثير عن ابن عباس قال: فأنزل الله ﷻ في عامر وأريد ﴿اللَّهُ يَمَلِكُ مَا يَشَاءُ مَا يَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَلَيْهِ الْقَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُنْتَعَالِ سِوَاهُ مِنْكُمْ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَمْ نُعَمِّقَنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣) يعني محمداً ﷺ^(٤).

٢٤٨. الحافظ على عهد الله

لا شك أن تبلور هذه السمات له محله ورتبته وتحققه في حد

(١) سبل الهدى والرشاد ١: ٤٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠ والآية في سورة الرعد: ١١.

(٣) الرعد: ٨ - ١١.

(٤) البداية والنهاية ٥: ٧١.

ذاته وفي واقعه، وهو تحقق تكويني وتحقيقي وليس بلفظي اعتباري فحسب، بل قد لا يدخل في حيز الألفاظ وقد يدخل، فليس ذلك بالمهم.

والمهم هو التحقق التكويني، والوجود الواقعي الذي يعكسه مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(١).

أو قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢).

وهذا هو الذي يسمى بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فإن الميثاق كالشهادة التي شهدها بنو آدم على أنفسهم، والأنبياء يأتون مفطورين على الميثاق كما يأتي بنو آدم مفطورين على الفطرة.

فهذه هي حقيقة العهود التي بلغنا عنها بعض العلم، ومن المتيقن وجود عهود ومواثيق مأخوذة على الأنبياء كثيرة لا نعلمها ولا نعرفها بل لا نتعقلها، خصوصاً في حق خاتم الأنبياء وآخر الرسالات، ولكن هناك فرق بين العهود المأخوذة على بني آدم والعهود المأخوذة على الأنبياء، فإن العهود المأخوذة على بني آدم قلقة وقابلة للزوال وتخضع للجو والمحيط والأطراف والأهل، إذ أن كل مخلوق يخلق على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه.

وعلى العكس من ذلك العهود المأخوذة على الأنبياء، فهي تتمتع بالثبات، ولا يتصور فيها التغيير إلا في مثل ترك الأولى مما لا

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

يرتبط بمصير الأمة، وبهذا يكون في النبي المؤهلات لأن يكون حافظاً بطبعه لليهود والموثيق، وليست هي صفة كسبية، وإلا لما صار نبياً، ولا يتعقل فيها النسبية والتغير والتبدل لخطورتها وانهايار القواعد المرسومة من دونها، وهذا هو الذي يسمى بالعصمة.

ولما كان هذا المعنى دقيقاً لم يخبر عنه إلا عالم الأمة وربانيها وتالي تلو النبي ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «اللهم اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ... كما حمل فاضطلع قائماً بأمرك مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكل على قدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيك ؛ حافظاً على عهدك، ماضياً على نفاذ أمرك»^(١).

٢٤٩. الحافظ لما استودع

إن المستودعات عند الرسل الكرام ﷺ تجتمع في حقبة العلم، وتفصيلها مقاليد النبوة والإمامة العامة، وأخبار السماء، وأخبار الأرض، وخبيايا الأنفس، وأسرار الخلقة، وعلم كنوز الأرض، ومفاتيح السماء، والاسم الأعظم، وآثار الأنبياء وغيرها.

وأهم تلك المستودعات هي الولاية والإمامة التي لم يحظ بها مثل النبي إبراهيم إلا بعد أن خاض الامتحان وأتم الكلمات ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ والأخطر من ذلك هو حفظ امتدادها وبقائها فيما بعده وذلك بتوديعها صاحبها المقرر والمعين من قبل الله ﷻ، وهذا ما يعدل كل الرسالة، المستفاد من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَلُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

(١) نهج البلاغة ١: ١٣٠، البحار ١٦: ٣٧٨.

(٢) المائدة: ٦٧.

فلم يكن إلا الأمر بتبليغ الإمامة، وتعيين الإمام من بعده المتعين في أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى قام ﷺ في غدِير خَم خطيباً وقال «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ألا هل بلغت»^(١)، هذا المتمثل بحديث الغدير المتواتر المنقول من قبل جميع الطوائف الإسلامية.

فإذا كان حفظ العهود والمواثيق المأخوذة لها أهمية بالغة، فإن حفظ ما استودع من ودائع الإمامة له القسط الأوفى بحيث يعادل كل تلك العهود والمواثيق، ويتطلب جهداً معنوياً لا يطاق عادة.

ولذا قال رسول الله ﷺ مؤكداً لهذا الجانب: «فنحن الحافظون لما استودعوا»^(٢).

٢٥٠. الحاكم

تفرّد ابن شهر آشوب بذكر هذا الاسم للنبي فقال في عداد أسمائه ﷺ: الحاكم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾^(٣). وأظن أن هذا وأمثاله من استظهاراته، لأنه لم يروه ولم ينقله كحديث مآثور أو منقول.

ومهما يكن من أمر فإنه لا شك في كون الرسول ﷺ حاكماً، والمقصود به منصب القضاء والحكومة في المنازعات والمشاجرات الذي هو من مناصب الرسول ﷺ المسلمة، بل لا يكون الإنسان مؤمناً من دون الاعتقاد بثبوت هذا المنصب لرسول الله ﷺ والتسليم لما قضى به، والعمل بقضائه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ

(١) ينظر الجزء الأول من كتاب الغدير للأميني.

(٢) تفسير فوات بن إبراهيم: ١١٠، البحار ١٦: ٣٧٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١﴾.

فالمرحلة الأولى: هي ترك التحاكم إلى الطاغوت والظالم
 واجتناب التفاوض إليه؛ لأنه داخل في الضلال البعيد.

والمرحلة الثانية: هي الاستجابة إلى دعوة للمرسول ﷺ للحكم
 بينهم بما أنزل الله، فإن الإعراض عندها والصدود لا يكون إلا علامة
 على النفاق قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى
الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَوَفِّينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٢).

والمرحلة الثالثة: هي توقف الإيمان على الرجوع الطوعي إلى
 الرسول ﷺ والتسليم بما قضى به قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣).

٢٥١. الحامد

احتكر بنو إسرائيل القرار في ترك الحمد والثناء على الله ﷻ
 وقالوا: يد الله مغلولة، وقد استمرت هذه السيرة على الرغم من
 المساعي الذي بذلها النبي عيسى ﷺ لتجديد سيرة الحمد والثناء على
 الله ﷻ والرضا بقضائه وقدره، فإنه وإن استطاع وتمكن من الحد من
 ذلك المد اليهودي الاعتراضي الساخط، غير أن دعوة الرسول
 المصطفى ﷺ شكّلت نقطة عطف حاسمة في هذا السبيل، إذ قام
 النبي ﷺ بغرس أسس الشريعة الناشئة في منابت الحمد وأطره، حيث

(١) النساء: ٦٠.

(٢) النساء: ٦١.

(٣) النساء: ٦٥.

وقف لوحده في برهوت الكفر والجحود ليقول: الحمد لله رب العالمين، ثم قام بتشكيل نواة صغيرة تجمعه هو وعلي وزوجته خديجة ليقولوا: الحمد لله رب العالمين، ثم تكاثر العدد وصفت الصفوف واستطالت لتقول، الحمد لله رب العالمين ثم بقيت من بعده سنة في مليارات البشر كل يوم عشر مرات على الأقل إلى الأبد.

ولا شك أن الناظر إذا نظر من بعيد لهذا التغيير ولهذا الحدث، لا يسعه إلا أن يقول هذه هي دعوة الحمد، وإن أول مشخصات هذه الرسالة هو الحمد، وأول سمات هذا الرسول هو الحامد؛ لأن أول شعار له بعد التهليل هو الحمد، وأم كتابه هي الحمد، وما دعا الناس بعد التوحيد إلا إلى الحمد، ولواؤه لواء الحمد، فكيف لا يكون هو الحامد.

ولذا تجد أن جبرئيل ينزل على النبي ﷺ ليسلم عليه فيقول: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا حامد، السلام عليك يا محمود، كما نقل ذلك الواقدي^(١).

كما ويؤكد المجابهة بين الدعوتين، أعني الدعوة اليهودية، والدعوة المصطفوية ما رواه الشامي في سبيل الهدى والرشاد أن أم النبي ﷺ رأت في منامها قائلاً يقول: إنك حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه محمداً؛ فإن اسمه في التوراة حامد، وفي الإنجيل أحمد^(٢).

حيث تعرّفنا سابقاً على أن ذكر اسم من أسماء الرسول ﷺ في بعض الكتب السماوية فيه عناية خاصة وهي هنا إتمام الحجة على اليهود

(١) نقله في البحار ١٥ : ٣٥١.

(٢) سبيل الهدى والرشاد ١ : ٤٤٥.

إذا عرفوا أنّ النبي الخاتم هو الحامد، وهي مشخصته والفارق بين
دعوته ودعوة غيره.

٢٥٢. حامل عين الله

لما أراد الله ﷻ أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من
ريكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ والأئمة ﷺ،
فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء
حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون^(١).

ويسنحني في هذا الموضع الإشارة والتلميح إلى بعض الحقائق
الخلقية، إذ من المعلوم أن العلم له حقيقة وواقع وله وجود صادق لا
ينكره حتى السوفسطائيين، ويليه في مرتبته الدين والشرع.

وبعد تسليم ذلك يتأتى السؤال عن ظرف العلم والدين ووعائهما
قبل وصوله إلى البشر وقبل انتقاله إليه، ومن أين انتقل وجاء، وبأي
وسيلة، والحال أن الإنسان مخلوق من ماء وتراب، فهل إن المساهم
في ذلك الانتقال هو الماء أو التراب أو كلاهما، أو غيرهما.

ولما كان عنصر الحياة هو الماء، والتربة هي عنصر الممات
والتحلل يترجح أن يكون هو الماء، خصوصاً بعد الالتفات إلى أن
تعليم الله للبشر لا يكون بالكلمات والألفاظ، وليس جميع علوم
الإنسان مسموعة، ولها أصل غير مسموع لا محالة.

ويدل عليه ما روي أن داود الرقي سأل أبا عبد الله ﷺ عن
قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، فقال له: «ما يقولون؟» قلت
يقولون: إن العرش كان على الماء، والرب فوقه، فقال: «فقد كذبوا،

(١) الكافي ١: ١٣٣.

من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه».

قلت: بيّن لي جعلت فداك، فقال: «إن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض وسماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربكم؟ فكان أول من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني»^(١).

ولعل تفسيره هو خلقه ﷺ الوجودات المستعدة لاستلام العلم واكتسابه من موضعه، أعني الماء، فيكون استخباره هو خلقه ما هو بتلك الصفة والقدرة، أو يفسر بأن الماء الذي خلق منه كل حي هو السبب في وجود الأذهان المستعدة، فيكون برتبة سابقة مالكاً لذلك الاستعداد ومادة العلم الذي تحقق بفضل الماء في الإنسان، بمعنى وجوده كإنسان.

٢٥٣. حامل عرش الله

لا شك في قصور عقول أمثالنا عن توهم العرش ومكوناته، وقوائمه وما يحف به ويمينه ويساره وحمله وحامله.

فإن من يعجز عن أن يدرك ما في جوفه لولا أن يرى ما فيه كيف يمكنه معرفة العرش وما حوله.

وغاية ما نتعقله وما بلغ إلينا نقله هو أن العرش غير الله ﷻ،

(١) الكافي ١: ١٣٣، والآية في سورة هود: ٧.

وأنة مخلوق، وليس هو عرش كعرش الملوك المصنوعة، ولا يدخل في تكوينه خشب ولا حديد، بل هو اسم وعلم وقدرة وعرش فيه كل شيء، و ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ﴾ يعني الرسل والأوصياء فقد أضاف الله ﷺ الحمل إلى غيره، أي خلق من خلقه؛ لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه ﴿وَيَجُلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ يعني: محمداً، وعلياً، والحسن، والحسين، ونوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ على ما جاء في الأخبار^(١).

﴿وَمَنْ حَوَّلَهُ﴾ يعني الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا - وفي خبر الذين آمنوا شيعة آل محمد ﷺ - ويعملون بعلمه، وملائكة يكتبون أعمال عباده، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ والعرش ومن يحمله ومن حول العرش فالله هو الحامل لهم والحافظ لهم، الممسك القائم على كل نفس، وفوق كل شيء وعلى كل شيء، ولا يقال: محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى.

والكرسي سوى العرش وما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة.

وروي عن الإمام الصادق ﷺ تفصيل أكثر في حقيقة العرش قال: «العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسي وعاؤه، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه،

(١) بحار الأنوار ٣٢: ٣٦٣ ح ٢٣، وج ٥٥: ٣٥ ح ٥٦، مسند الإمام الرضا ﷺ ٣٨: ١، تفسير فوات: ١١، تفسير القمي: ٥٨٣، كثر الفوائد: ٣٥١.

والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحداً من أنبيائه ورسوله وحججه ﷺ^(١).

ونخلص من جميع ما مر إلى أن الأساس في العرش هو العلم، وأن أول حامل له هو الرسول المصطفى ﷺ؛ إذ كان أول الثمانية.

٢٥٤. حامل علم الله

إن العلم هو الغاية النهائية من كل الاستراتيجيات السماوية، والممارسات المفروضة والمسنونة، وهو الهدف الأساسي لخلق البشر، والمفسر به قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فإن معناه ليعلمون.

وأوله العلم بوجود الله ووحدانيته وقدرته وعظمته ورحمته، فإنه جل وعلا كان كنزاً مخفياً فخلق الخلق ليعرفوه، ويليه العلم بكل شيء، أعني بكل الكلمات. فأول من عرفه الأنبياء، وتحملوا علم ذلك، ؛ وانتقل إليهم من على الماء كما ذكرنا ذلك في حديث سابق وقام الأنبياء بنقل ذلك إلى الناس.

ويبقى تحميلهم علم ذلك إما بتركيب أذهان مستعدة فيهم قادرة على استقبال العلم من موضع استقراره، أو أنّ الانتقال من الماء يعني تسبب الماء في وجود الذهن المستعد والعلم معاً.

ومهما يكن من أمر فإن الرسول المصطفى ﷺ أجلى مصاديق الحامل لعلم الله؛ لأنه أول حامل له، والمتحمل لأكبر قسط منه، لأن علمه علم جميع الأنبياء ويزيد عليه.

فقد ورد: «أنه لما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه،

فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ والأئمة صلوات الله عليهم فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي، وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون^(١).

وروي: أن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «أن النبي ﷺ أوتي علم النبیین وعلم الوصیین وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم تلا هذه الآية يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾^(٣).

٢٥٥. حامل الهراوة

يمكن القول أن أول ما يخطر بالبال من الأشياء واللوازم التي تتعلق بالأنبياء هي الهراوة، أي العصا الضخمة التي يصحبونها، خصوصاً إذا خرجوا خارج المدن والبيانات، أو سافروا وترحلوا في البلدان.

و هنا يخطر في البال قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَهَشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَإِنَّ فِيهَا مَآرِبًا أُخْرَىٰ﴾^(٤).

ومن النافل القول بأن حمل العصا كان عبثاً أو مجرد عادة بعد ما ثبت أنه عمل كثير من الأنبياء، فلا بد من وجود فوائد في هذا

(١) الكافي ١: ١٣٣.

(٢) التوحيد للصدوق: ٣٢٩، البحار ٢٦: ٢٧٧.

(٣) البحار ١٦: ٣٥٢ ح ٣٤، تفسير فرات: ٩٦.

(٤) طه: ١٨.

العمل، وقد ذكر القرآن بعضها وأشار إلى آخر ﴿قَالَ مِنْ عَصَايَ
أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا فإِذَا هَمَّ بِهَا لَحِيظٌ مِّنِّي وَلِيٌّ فِيهَا مَقَارِبٌ أُخْرَى﴾.

ومن تلك المآرب: الأمن من السبع الضار ومن كل لص عاد،
ومن كل ذات حمة، ويكون للحامل سبعة وسبعون من المعقبات
يستغفرون له حتى يرجع ويضعها^(١)، وأن من أراد أن تطوى له
الأرض فليخذ النقد من العصا، والنقد عصا لوز مر^(٢)، ويروى أنها
تنفي الفقر، ولا يجاور حاملها شيطان^(٣)، وتنفي الوحشة، وذلك أن
آدم ﷺ مرض مرضاً شديداً فأصابته وحشة، فشكى ذلك إلى جبرائيل،
فقال له: اقطع واحدة منه وضمها إلى صدرك، ففعل ذلك فأذهب الله
عنه الوحشة^(٤).

وأفضل من كل ذلك أنها تمنح الحامل لها نوعاً من الدعة
والتواضع إذا لم تكن ثمينة، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «تعصوا
فإنها من سنن إخواني النبيين، وكانت بنو إسرائيل الصغار والكبار
يمشون على العصي حتى لا يختالوا في مشيهم»^(٥).

وبعد كل ذلك يحسن التآسي بالأنبياء والاستئنان بسنتهم، ولكن
هيات، فإن الحياة الجديدة لا تسمح بذلك اليوم، وكيف يمكن إحناء
الرؤوس المرفوعة تغطرساً بحمل العصا والإتكاء عليها.

بينما كان حمل الهراوة من شخصات الرسول المصطفى ﷺ

(١) الفقيه ٢: ١٧٦ ح ٧٨٦، الوسائل ١١: ٣٧٧ ح ١٥٠٥٨، عن رسول الله ﷺ .

(٢) ثواب الأعمال: ٢٢٢ ح ١، الوسائل ١١: ٣٧٨ ح ١٥٠٥٩، عن رسول الله ﷺ .

(٣) الفقيه ٢: ١٧٦ ح ٧٨٦.

(٤) ثواب الأعمال: ٢٢٢ ح ١، الوسائل ١١: ٣٧٨ ح ١٥٠٦١.

(٥) الفقيه ٢: ١٧٦ ح ٧٨٨.

التي سلّم بها عليه جبرائيل فقال: السلام عليك يا صاحب التاج والهراوة^(١)، بل هي من صفاته التي عرفته بها الأمم السابقة من أنه ﷺ راكب الجمل، ومحرم الميتة، وخاتم النبوة، وحامل الهراوة كما جاء في الحديث^(٢) وتكهن به الكهان كسطيح^(٣).

فالمستحسن سحب عصا اللوز المر في السفر ولو من دون مسكها لاستيفاء خيراتها.

ومهما يكن من أمر فإن النبي ﷺ كان يمشي بها بين يديه، وتغرز له فيصلي إليها^(٤)، أي يتخذها سترة في البر.

وعبرت بعض الأخبار بالعنزة، فقد روي أنه ﷺ كانت له عنزة يتكئ عليها ويخرجها في العيدين فيخطب بها، وكان له قضيب يقال له: ممشوق^(٥)، ولكن قيل: العنزة هي الحربة، والقضيب العصا.

٢٥٦. الحامي

الرسول ﷺ يحمي ماذا ومن؟

لا شك أن المحتاج إلى الحماية هو الضعيف والفتي.

والفتي هو الإسلام الذي نشأ من الصفر، وصار يخوض صراعاً أيدولوجياً مع أقطاب لها جذور عميقة في حقبة الزمن وفي نفوس الناس، كاليهودية والنصرانية والوثنية، ومن المعلوم أن الانتصار الساحق لجيوش الإسلام ليس انتصاراً عقائدياً كذلك، لاحتفاظ الكثير

(١) البحار ١٥ : ٣٥١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٤.

(٣) الخرائج والجرائح ٢ : ٥١٢.

(٤) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢٦١.

(٥) البحار ١٦ : ١١٠، وانظر ١٢٥ ح ٦٣.

من المغلوبين عسكرياً بعقائدهم، بينما ظلت رواسب الشرك والوثنية في نفوس الكثير ممن أسلم ولم يؤمن، وخصوصاً أصحاب المطاعم السياسية والاقتصادية وغيرهم.

ولا شك أن هذا الأخير أكثر خطراً، ويبقى تهديداً مستمراً على مر العصور، وهي نقطة الضعف الأساسية التي يمكن وصول التحريف والغلو إلى ساحة الإسلام من خلالها، وكذا انتشار الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة بحيث تعم جميع المسلمين فيخفق صوت الحق، وتموت الحقائق، ولا يبقى لها أي أثر.

وهنا وجد الرسول المصطفى ﷺ نفسه مضطراً لأن يكون هو الحامي لهذا الدين، فأخذ في التدبير الشامل، ابتداءً من إيداع العلوم والأحكام والسنن في صدور أمينة كالإمام أمير المؤمنين ﷺ وسائر أهل بيته، ثم أرشد الناس إليهم فقال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١).

بالإضافة إلى حماية هذا الدين في طول فترة الرسالة بالتبليغ الشامل مع المواظبة على حفظه وصيانته عن التحريف والديس والزيادة والنقيصة.

وأما الضعيف فهو المؤمن الواقعي، الذي هو قليل جداً كالكبريت الأحمر في كل زمان، ويتمثل في زمان النبي ﷺ بأهل بيته وشيعتهم، فأخذ بالوصية بهم في كل موطن وموقف كما في الرواية السابقة وغيرها مما لا يحصى.

وبالرغم من تكالب الأعداء والوثبة عليهم لاستئصالهم، أفادت

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ باب فضائل علي، سنن ابن ماجة ٢: ٤٧٩، سنن أبي داود ٤: ١٩٧، سنن الترمذي ٥: ٣٢٩، مسند أحمد ٢: ٤٧٩.

توصية الرسول ﷺ وتدييره في حفظ تلك الشجرة الطيبة والثلة المشايعة لهم، ولو بمقدار أن لا تخلو الأرض منهم، ولو خلقت لقلبت، فالرسول ﷺ هو الحامي كما أن خلفاءه من أهل البيت ﷺ قاموا بهذا الدور من بعده، وبفضل تدييرهم لم تنطف جذوة الحق ولم يُستأصل أهله، وهو معنى ما قاله رسول الله ﷺ: «نحن الأولون ونحن الحماة»^(١).

٢٥٧. حبر الدهر

إن الله ﷻ منح من أوتي حظاً من العلم مهابة في نفوس الناس، يسندها حكم العقل بحسن العلم وقبح الجهل، ولا يقتصر ذلك على طائفة خاصة من الناس بل يشمل ويطال حتى الرؤساء والحكام في الظروف الاعتيادية، حتى قيل: إن العلماء حكام على الملوك، ولا يخلو ملك من عالم مدبر يستشيره ويرجع إليه في الصعاب فيأخذ بتوجيهه ويعتمد على رأيه، وبالتالي يركن إليه بنحو من الأنحاء.

ولما كان الحبر هو العالم من أهل الكتاب سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فإن حبر الدهر يكون بمعنى عالم الدهر، ولا يقال عالم الدهر إلا إذا كان فريد دهره في غزارة العلم مع التلبس بآثاره وشمائله من الحلم والصمت والوقار والسكينة.

ومع الالتفات إلى ما قدمناه من خضوع الناس بطبعهم لمن له حظ من العلم وإدراك العقل تقديمهم، يعلم أن الرسول المصطفى ﷺ - الذي هو أكثر الناس علماً وعلمه علم جميع الأنبياء وعلم ما كان وما يكون - في الحقيقة هو رئيس العالم، مع قطع النظر عن غضب الغاصبين، فضلاً عن كونه حبر الدهر.

وقال رسول الله في حق نفسه وفي حق أهل بيته ﷺ: «نحن أحبار الدهر»^(١).

٢٥٨. جبل الله

يُضرب الجبل مثلاً لكل وسيلة ينجو بها الإنسان، خصوصاً إذا كان التخوف من السقوط، فإن الجبل وسيلة ينجو بها المتسلق في الجبال يمسك به ويحفظ نفسه من السقوط بل أكثر من ذلك فهو وسيلة للارتفاع وصعود القمم الشامخة وبلوغ الأمان الصعبة.

ولما كانت جهنم هي الهاوية وحفر النيران التي لها جذب وتدعو من أدبر وتولى، وكل منا واردها وينحصر طريق النجاة بالتمسك بالنبي وآله ﷺ لأنهم على الصراط المستقيم، وهم جبل الله، والتمسك بهم منجاة من السقوط وجاء في كثير من الأخبار تفسير جبل الله في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾^(٢) بالنبي ﷺ والأئمة، ومن جملة ما نقل عن الإمام الباقر والإمام الصادق ﷺ من قولهم: «نحن جبل الله»^(٣).

وكما ذكرنا فإن المراد أكثر من الاستمساك من السقوط، بل هم جبل يتمسك به من أجل الصعود إلى غاية الغايات، وهو التقرب من الله ﷻ فإنه قال جبل الله، ولم يقل جبل فقط. وحقيقة الحبلية يمكن تفسيرها بنحوين، أحدهما: علمهم بطرق النجاة وجوامع المقربات الجالبة لمرضاة الله ﷻ، الثاني: وهو الأقرب، هو أن صرف التمسك بهم ومحبتهم نجاة، وهل الدين إلا الحب.

(١) البحار ٢٥ : ٢٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٧٢، أمالي ابن الشيخ: ١٧١، مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٧٣، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٧٠، الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٣٩.

٢٥٩. الحبل المتين

إن المتانة في الحبل تكسب المتمسك به اطمئناناً أكثر، بحيث لا يخاف انقطاعه ونقضه، فإن الأنبياء جميعاً هم حبل الله، ولكن المتانة من مختصات رسول الله ﷺ، فمن المروري أنه ﷺ قام خطيباً وذلك في آخر خطبة خطبها فقال: «جمع الله لنا عشر خصال لم يجمعها لأحد من قبلنا ولا تكون في أحد غيرنا - إلى أن قال - ونحن الحبل المتين»^(١).

والوجه في كونها من مختصاته هو احتفاظه بامتيازات على سائر الأنبياء والأولياء تتخلص بأقربيته من الله ﷻ، وعدم تركه الأولى الذي لا يخلو منه نبي وولي، واحتفاظه بالدعوة المستجابة لأمره، بينما استنزفها سائر الأنبياء في الدنيا إما بالدعاء عليهم أو لهم^(٢)، وأهم من جميع ذلك هو امتلاكه المؤهلات لتصدي أعظم مقام، ألا وهو مقام الشفاعة، الموسوم بـ «المقام المحمود».

ولما كان المهم هو لحاظ الماسك بالحبل متانته وإحراز صحة متمسكه، فليس المراد هي المتانة في حد ذاتها، بل المتانة الملحوظة والمعروفة، وهذا يعني استحكام عقيدة أصحابه به بما ظهر إلى الناس من صدق كلامه، وأحقية دعوته بتطور العلوم وتقدمها، فأخذت تتوالى الأرقام الذهبية المؤيدة لذلك، والمضاعفة لدرجات الاعتماد والاطمئنان، كل ذلك مما يجعل المعتقد به يلمس اطمئناناً أكثر.

(١) الخصال ٢ : ٥١، البحار ٢٦ : ٢٤٤.

(٢) جاء في حديث عنه ﷺ: «وجعل لكل نبي مسألة فسألوه إياها، فأعطاهم ذلك في الدنيا، وأعطاني مسألة، فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمتي يوم القيامة، ففعل ذلك، البحار ١٦ : ٣١٦ ح ٦.

٢٦٠. الحبيب

إن الحب بين الخلق يتلخص في تعلق الفؤاد وحصول الاضطراب وضربان الفؤاد عند رؤية المحبوب أو تذكره أو ذكره، وله آثار وعلامات كثيرة منها مداراة المحبوب والتوسعة له في الأخلاق والقلب والتحمل واستحسان جميع ما يصدر منه وإن لم يستحسن من غيره كعتابه.

وكل تلك الأمور متصورة في حق النبي ﷺ المحب لرب العالمين، بينما المتعقل في حب الله ﷻ لنيه ﷺ هو الآثار والمداراة والتوسعة، وهذا ما يبدو جلياً في مقايسة مقام الخليل مع مقام الحبيب، التي تتلخص في أن احتياجات الخليل و الصديق تنتجز بالطلب، بينما تنفذ مطالب الحبيب تبرعاً ومن دون طلب.

فالخليل ﷺ طالب، قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْكَ رَبِّي﴾ والحبيب مطلوب: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَا﴾.

قال الخليل ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَلْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ وقيل للحبيب: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾.

وقال الخليل: ﴿وَلَا تُخزِينِي﴾ وللحبيب: ﴿بِوَمٍ لَا يُخزِي اللَّهُ﴾ وقال الخليل ﷺ وسط النار: حسبي الله، وقيل للحبيب ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّوِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ قال الخليل ﷺ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ وقيل للحبيب ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال الخليل ﷺ: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ وقيل للحبيب ﷺ: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ (٢٧١).

(١) الآيات بالترتيب الصافات: ٩٩، الإسراء: ١، الشعراء: ٨٢، الفتح: ٢، الشعراء: ٨٧، التحريم: ٨، الأنفال: ٦٤، الشعراء: ٨٤، الشرح: ٤، البقرة: ١٢٨، الإسراء: ١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١، البحار: ١٦٦: ٤٠٥.

وهكذا تجد مقام الخليل الصديق وما يتمتع به من استجابة خليله لمطالبه، بينما تظلّ المغازلة والمناغاة ابتداءً وتبرعاً بين الحبيب وحبيبه، فهذا يتقرب ويلقي نفسه في مشقة شديدة حتى قيل له: ﴿طه مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وذلك يتبرع ويتقدم في إنفاذ حوائجه وما يسره ويسعده من دون طلب.

ولا ينتهي الكلام في الحب والحبيب دون كتاب، غير أنا نكتفي بالإشارة في هذا الكتاب.

ومن ناحية أخرى، فإن تسمية النبي ﷺ بالحبيب لا تحتاج إلى سند ودليل لمعروفيتها وكفاية ما ذكرناه من كلام الله ﷻ، ومع ذلك فهو مقول في الأخبار كثيراً^(١).

٢٦١. حبيب الله

تقدم الكلام في معنى حبيب الله، وكيف عرف ذلك من خلال الآثار والمغازلة في عنوان الحبيب، ونذكر هنا استعمالات هذا الوصف وتاريخه.

ويبدو ثبوت هذه الصفة من اليوم الأول على أنها كلمة من الكلمات التي لها آثار عظيمة ترتبط ببعض مراحل وجود الإنسان على الأقل، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «ادخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، علي ولي الله»^(٢).

فأدنى تفسيره أن رمز دخول الجنة هو التوحيد و الاعتقاد بعظم

(١) أمالي الصدوق: ٣٧٥، الصحيفة السجادية: ٦٠٠، البحار: ٢٣: ١٢٨.

(٢) الخصال: ١، البحار: ٨: ١٩١.

مقام الرسول ﷺ وهو مقام الحبيب، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ولا وجه لكتابتها إلا ذلك، فصار أفضل وجود للإنسان وهو الوجود الفردوسي الذي يكون أكمل وأتم مراحل وجود الإنسان الفائز في الامتحان.

ويليه حينما خلق الله ﷻ آدم ﷺ وحشر له ذريته نظر آدم إلى طائفة من ذريته يتلألأ نورهم يسعى، قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال: يا رب فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: هذا محمد حبيبي^(١).

وكان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم أنه قال له: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك... ثم إني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحبيبي^(٢).

وجاء أيضاً في كلام جبرئيل مع الله سبحانه أن قال: إن آخر من بلغته رسالتك ووحيك محمد بن عبدالله حبيبي^(٣).

وإنما قال ذلك جبرئيل طمعاً بأن يتقرب إلى الله سبحانه بقوله إني كلمت حبيبيك وبلغته الرسالة يعني عملت له عملاً وقمت بخدمته فأكرمني، ومعلوم أن مثل هذا الموقف يستحق الإكرام عند المحب.

وقال الرسول ﷺ: «إن كان إبراهيم خليه فانا حبيبه»^(٤).

٢٦٢. حبيب القلوب

في اعتقادي أن كل من يطالع حياة الرسول ﷺ ودعوته فإنه

(١) سعد السعود: ٣٤.

(٢) البحار ١٤: ٢٩٤.

(٣) البحار ٧: ٢٨١.

(٤) الاحتجاج: ٢٨، البحار ١٦: ٣٢٨ ح ٢٥.

سينظر إليه بعين الاحترام والتقدير، إذ يجد مرامه الباطني والطوباويات الفطرية جميعاً متوفرة في هذا الوجود المبارك بجميع خصاله وأفعاله.

وحتى مثل حروبه ومناجزاته إذا تأمل المتأمل في كفيتهها ولاحظ مقدماتها ومؤخراتها يجدها تنسجم مع الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة، بيد أن الدعوة إلى الله ﷻ والتوحيد لا يكون بشكل من الأشكال مستقبلاً في واقع الضمير، مع قطع النظر عن التعصبات والمصالح الشخصية.

ويشهد لذلك توهج عشق كل من شاهده وعاشه حتى من عاداه وحاربه وقتل من المسلمين وقتل من قومه، فإذا هو اليوم عدو له، وغداً تجده في صفوف مقاتليه يتفانى عنه ويتفداه.

بل حتى أولئك الذين ضربت مصالحهم من رؤوس الكفر وصناديد قريش وأثريائها، فإنهم رغم المصالح المضروبة صاروا يحبون النبي ﷺ لما شاهدوه وأقروا به من أخلاقه السامية ونفسه الطيبة وجوده وبذله وعطائه وسماحته وإيثاره وعمله بما يأمر به وتركه لما ينهى عنه وعفوه عن المسيء ولطفه بالضعيف وتواضعه مع ملكه وغيرها مما لا يحصى.

بالإضافة إلى تمام خلقته وتكامل بدنه وتناسق أعضائه وطيب ريحه، وأهم من جميع ذلك ما ظهر من المعجزات والكرامات على يديه مما يُنبئ عن إكرام رب السماء له وتمجيده.

وكذا شدة التصاقه بالله سبحانه ووجه له وتفانيه في إقرار توحيده.

فلا محالة أن شخصاً كهذا يُعشق، ويكون محبوباً بين الناس، وقريباً إلى قلوبهم.

وقد مرّ علينا قول ورقة بن نوفل لخديجة: اشهدك يا خديجة أنني

أحبه، وذلك قبل البعثة وقبل ظهور الكرامات على يديه.

واشتد حب الناس للرسول ﷺ من بعده، وحينما فقدوه، وذلك أنهم احسوا بالخسارة العظمى وكان يوم ارتحاله شديداً على المسلمين، تزايدت فيه الحسرة، وعرفوا قدره لما خلفه من لا يشبهه بشيء^٤.

وجعلها أمير المؤمنين عليه السلام سنة باقية للخواص فقال: «من زار النبي ﷺ فليسترجع ثلاثاً ثم ليقل: أصبنا بك يا حبيب قلوبنا فما أعظم المصيبة بك حيث انقطع الوحي، وحيث فقدناك، ما شاء الله وإنا إليه راجعون»^(١).

٢٦٣. حجاب الله

أنت تعلم جيداً أن السؤال الدائم عن رؤية الله ﷻ من قِبَل البشر المحب للإطلاع كقول اليهود أرنا الله جهرة، وسؤال الزنادقة لماذا احتجب عن خلقه؟ ولماذا لم يظهر لخلقهم ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف اثنان؟^(٢)، وسؤال كيف نعبد رباً لم نره؟ يحتاج إلى جواب شافٍ، يمنع كل هذه المحاولات لرؤيته، ويبرهن على عدم إمكانها.

فإن رسول الله هو حجاب الله ﷻ، لأن ثبوت عدم إمكان الرؤية وصرف الناس عن كل تلك المحاولات وكل ذلك السعي والجواب عن كل تلك الأسئلة يكون ببيان الرسول ﷺ وبراهينه، فهو حجاب مانع من التعرض لذلك؛ لأن الحجاب هو ما يمنع عن الرؤية.

وتكون هذه المزية للعقل أيضاً، فقد ورد: «بها - أي بالحواس -

(١) مستدرك الوسائل ١٠ : ١٩٠ ح ١١٨٢٤، جمال الأسبوع : ٣٧.

(٢) انظر الكافي ١ : ٢، علل الشرائع ١ : ١١٩.

تجلى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية^(١) أي بالعقول يستنبط ويستدل على أنه لا يرى وتستحيل رؤيته بالعيون.

ويمكن صياغته بشكل آخر، فإنه ورد: «سبحان من احتجب عن العباد ولا شيء يحجبه»^(٢) أي لا جسم، وورد: «أن الله ﷻ احتجب بنوره»^(٣) ولنعم ما قال الشاعر :

يا من هو اختفى لفرط نوره الظاهر الباطن في ظهوره^(٤)

فقد أخذ ذلك من تلك الأحاديث المروية، وإلا فمن أين يعلم أن حجابة هو نوره، ومن أين يعلم أن نور الله سبحانه هو النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محققين، والروايات بهذا المعنى كثيرة.

فعندها يصير المعنى أدق من السابق، فإنه يصير بمعنى الحائل بين المحجوب والمحجوب عنه، أي الفارق والمايز والواسطة بين الله وبين خلقه، كما أن الحجاب متوسط بين المحجوب والمحجوب عنه.

ومهما يكن من ذلك فقد ورد عن أبي جعفر ﷺ: «محمد ﷺ حجاب الله»^(٥) وعن جعفر بن محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ قال: «بمحمد تطمئن القلوب، وهو ذكر الله وحجابة»^(٦).

ويجمع جميع ذلك ما يروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري

(١) تحف العقول: ٦٦.

(٢) الصحيفة السجادية: ٢٤، الكافي: ١: ١٠٥.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق: ٤٥، كفاية الأثر: ١٦١.

(٤) شرح منظومة السيزواري: ٨.

(٥) بصائر الدرجات: ١٩، البحار: ٢٣: ١٠٢.

(٦) تفسير العياشي: ٢: ٢١١. والآية في سورة الرعد: رقم ٢٨.

قال: رأيت في لوح مكتوب عند فاطمة عليها السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نوره وسفيره وحجابه ودليله»^(١).

٢٦٤. الحجة العظمى

إن الله ﷻ لا يُعرف بخلقه وهو سبحانه أجل من ذلك، بل غيره يعرف به، ومن عرف أن له رياً، فلا بد أن يعرف أن لذلك الرب رضىً وسخطاً، ولا يعرف رضاء ولا سخطه إلا عن طريق الوحي أو إرسال الرسل، فإذا لم يكن الوحي، فلا بد من معرفة الرسل، وبعد معرفتهم يعرف أنهم الحجة ولهم الطاعة المفترضة، ولا شك أن رسول الله ﷺ الحجة من الله على خلقه.

فأصل لزوم وجود الحجة لا شك فيه، ولا تقوم لله الحجة على خلقه إلا بإمام حتى يعرف، ولا تخلو الأرض من حجة مهما قل الناس، بل لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها، وانقطع العذر، ولم يبق إلا اللغو والعبث والباطل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وينبع لزوم وجود الحجة عن أن احتجاج الله سبحانه على عباده إنما يكون بعد المعرفة، ولا يحتج عليهم إلا بما آتاهم وعرفهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا﴾^(٢) حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه، وليس لله على العباد أن يعرفوا، وللخلق على الله أن يعرفهم، وعليهم أن يقبلوا، ويحتج عليهم بما آتاهم وعرفهم فأرسل إليهم رسولاً، وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهى.

(١) كمال الدين: ١٧٩، عيون الأخبار: ٢٥، البحار: ٣٦: ١٩٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٥.

وبعبارة أخرى لما ثبت أن لنا خالقاً وصانعاً متعالياً عنا وعن جميع الخلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لا يمكن أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشروهم ويحاجوهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى عبادته ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن العليم الحكيم في خلقه والمعتبرون عنه جل وعز، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤدبين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو الأرض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته، وجواز عدالته.

ومن هذا الكلام يعلم وجه التقييد بالعظمى في خصوص الرسول ﷺ، وذلك لأتمية براهينه وأرجحية دلائله، وأكملية شرائعه، لما جاءهم بكل ما يرضي الله سبحانه وجميع ما يسخطه من دون ملاحظة الظروف والأحوال، على خلاف سائر الرسالات التي جاءت لوقتها ولفترة معينة، بينما تظل شريعة النبي ﷺ هي الباقية والكاملة، ويكون هو الحجة العظمى.

ولما قام النبي في آخر خطبة خطبها قال: «جمع الله ﷻ لنا عشر خصال لم يجمعها لأحد قبلنا - إلى أن قال - ونحن الحجة العظمى»^(١).

(١) الخصال ٢: ٥١، تفسير فرات الكوفي: ١١٠، البحار ١٦: ٣٧٦، وج ٢٦:

٢٦٥. حجة الله على الأولين والآخرين

في اعتقادي أنّ الأولين هم المتقدمون على نصف عمر الدنيا، أعني فترة وجود البشر على الأرض، ومع ذلك سنكون بحاجة إلى ذخيرة كافية من المفاهيم التي يمكننا من خلالها معرفة أن الرسول ﷺ هو حجة على من تقدم على زمانه، وخصوصاً الأولون المتقدمون على نصف عمر الدنيا، إذ لم يكن بينهم ولم يكن مخلوقاً بعد.

ويستبين ذلك من خلال الوقوف على أن فكرة الإنسان الأتم والأكمل متى تولدت في أذهان الناس صاحبت تصور وجود كل الصفات الحسنة والفعال المحمودة والخصال الحميدة في ذلك الكامل، وتولدت رغبة في الاقتداء ببعض فعالة وكسب بعض صفاته.

ولمّا كان المعتقد هو وجود فكرة الرسول الخاتم الذي هو سيد الرسل وخير الخلق في الأمم السالفة، وذلك بتبشير رسلهم بظهوره، ونصرتهم له وموازرتة وفاءً بالميثاق الذي أخذ عليهم، ولا يكون ذلك إلا بذكر صفاته ومكارم أخلاقه.

فإن كل ذلك سيساهم في تصور جميع صفات الخير في هذا الوجود المبارك وتبعه حصول الرغبة في الاقتداء به والتخلق بأخلاقه واكتساب الصفات الحميدة، وبذلك يكون الرسول ﷺ حجة، أعني وسيلة يحتج بها الله ﷻ على البشر وواسطة في معرفة ما يسخطه وما يرضيه.

ومع ذلك تصح المؤاخذة والسؤال والاحتجاج بأن يقول الله ﷻ لهم: لماذا لم تقتدوا بالرسول ﷺ، أستم عرفتم صفاته، وطوبى لمن اقتدى به .

كل ذلك بقريئة ما ورد في انتظار الفرج: طوبى للمنتظرين المقتدين بفعاله في غيبته.

ورود في بعض زيارات الرسول ﷺ «السلام عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين»^(١).

٢٦٦. حجة الله في بريته

البرية الخلق، وبالذقة أنه ما يقتضي تمييز الصورة، فقولنا برأ الله الخلق أي ميز صورهم^(٢)، ومعه يكون معنى حجة الله في بريته هو أنه حجة على كل من ميز صورته، أي آحاد الناس وغيرهم.

فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «إنه لما عرج بي إلى السماء حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله ﷻ من ملكوته، فنوديت يا محمد أنت عبدي، وأنا ربك، فإياي فاعبد، وعلني فتوكل، فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجتي في بريتي»^(٣).

٢٦٧. الحجة من الله على خلقه

جاء هذا التعبير في كلام بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، أي منصور بن حازم، قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله، قال: صدقت، قلت: إن من عرف أن له رباً فينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضاءً وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاءً وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأت الوحي فينبغي له أن يطلب الرسول، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة، وأن لهم الطاعة المفترضة، وقلت للناس: إن رسول الله ﷺ كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله ﷺ من كان

(١) المزار للشهيد: ١١.

(٢) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٩٨.

(٣) كمال الدين: ٢٥٥، عيون الأخبار: ١٤٤، علل الشرائع: ١٣، البحار: ٢٦:

الحجة على خلقه، فقالوا: القرآن، فنظرت في القرآن، فإذا هو يخاصم به المرجئ والحروري والزنديق الذي لا يؤمن، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، فما قال فيه من شيء كان حقاً^(١) ويستمر هذا الراوي ليثبت بذلك الإمامة.

والمهم في محل البحث قوله «إن رسول الله هو الحجة من الله على خلقه» فالجديد فيه هو زيادة كلمة «من» ليخرج بها عن المعاني المبحوث عنها، ويجعله مركباً من معنيين، أحدهما الحجية والآخر هو أن النبي ﷺ مبعوث من قبل الله تعالى.

٢٦٨. الحجج

لو لاحظنا الدين الإسلامي، ولاحظنا خصوصيته الدينية بالمقارنة مع العقائد الأخرى نجد أنه خاض من اليوم الأول لظهوره صراعاً عقائدياً مع أيديولوجيات مختلفة تحررت بمرور الزمن من أطر النقل وأعطت للعقل فرصة في تحقيق نتائج هائلة، يدخل في تلك النتائج التي تبدها أو أبدعتها كل واحدة من تلك الثقافات التي قامت نوع استبداد وفرض تميز لتلك الثقافة على غيرها.

كل ذلك مما جعل الدين الإسلامي في معترك صراع عقائدي دائم، وصار الغالب عليه هو طابع المحاجة والاحتجاج مع تلك العقائد المبتدعة، فما يلحق أي اجتماع بين الرسول ﷺ مع أرباب بعض الديانات المطروحة آنذاك إلا عن محاجة عقائدية حازمة، ومغالبة بإظهار الحجج على الخصم، بينما تكون النتيجة دائماً بصالح

(١) الكافي ١: ١٦٨ ح ٢، علل الشرائع ١: ١٩٢، رجال الكشي: ٢٦٤، الوسائل ٢٧: ١٧٦، البحار ١٨: ٢٣.

النبي ﷺ لما يتمتع به من قدرة المحاجة، والعلم الوافر، ورسوخ العقيدة.

ولا شك أن فرض ظروف كهذه تجعل عنوان الحجيج عنواناً طبيعياً للنبي ﷺ، ومن الطبيعي أن يستمر هذا العنوان بعد النبي ﷺ في قالب الأمة الإسلامية عامة، ومثقفها خاصة، خصوصاً وقد ألفت الرسول ﷺ نظر الأمة إلى ذلك ففيما يروى عنه أنه تخوف الدجال فقال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه»^(١) والدجال معنى عام يشمل كل من يتخذ الدجل والحيلة وسيلة لتحقيق مآربه، بينما يشير الرسول ﷺ إلى أن المعركة مع الدجال ثقافية عقائدية بقوله «أنا حجيجه» وقوله: «فامرؤ حجيج نفسه».

ولا يتوقف هذا الاحتجاج والمرادة الكلامية في أطر الإلجام والإسكات والغلبة وإظهار الحجة على الخصم، بل يستمر ليبلغ المحشر ويوم القيامة ويأخذ طابع الملامة والمؤاخذة، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة»^(٢)، ولكنه قد يفقد معنى الغلبة واللامة، ويأخذ طابع الاعتذار، فقد روي أن أمير المؤمنين ﷺ قال لقنبر: «يا قنبر ابشر وبشر واستبشر ... من عمل منكم حسنة فلا يحصى تضاعفها، ومن أساء منكم سيئة فمحمد ﷺ حجيجه»^(٣) يعني يحاج عنه ويعتذر عنه ؛ وإلا لما كان معنى للبشارة.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ٢ : ١٢ .

(٢) ميزان الحكمة ٣ : ٢١٤٧ ، سنن أبي داود ٢ : ٤٥ .

(٣) تفسير فرات : ٢٠٨ ، البحار ٧ : ٢٠٤ ، وج ٢٧ : ١٠٩ .

٢٦٩. الحرز للأميين

الحرز هو الحصن والواقى، والأميون هم سكان مكة وما والاها؛ واسم مكة هو أم القرى، وقد مر الكلام في ذلك في عنوان الأمي.

ولا شك أن مكة لا زالت محمية وآمنة في أرض لا معنى للأمن فيها باعتبار ما يدور في أطرافها من الظلم والتجاوز والغارات والحروب ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُحْتَفُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(١).

ومن ذلك يعلم أنها كانت مشمولة لرعاية الله ﷻ وفضل عنايته، وقد تجلّت في مورد أصحاب الفيل، وذلك لسرّ كامن لا يمكن التوصل إليه بالتحليلات، وإن كان المألوف في الأذهان هو وجود البيت المنظور إليه بالقداسة والاحترام، ولكن ذلك وأمثاله يدخل في إطار الدواعي التي يوجد بها الله سبحانه في الأذهان من أجل ذلك، ولأفمثل أبرهة لم يمنعه قداسة البيت بل لم يكن يرى له أي قداسة.

والسر هو وجود النبي ﷺ سواء كان في الأصلاب أو على ظهراي الأرض، فهو الحرز الحقيقي لمكة وأهلها الأميين لتامة إساءة الله سبحانه في حفظه وبقائه وظهوره ودعوته ممّا لازم حفظ مكة وأهلها، على الرغم من تدبير الكثير لاجتياح أهلها وإبادتهم وإيقاع الشر بينهم وفيهم وخصوصاً اليهود، ولذا ورد في صفة الرسول في التوراة: أنه لموصوف فيها بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ونذيراً وحرزاً للأميين^(٢)؛ أليعلمهم الله ﷻ أن تدبيرهم وحياتهم لتفنيدها هذا الجمع وإبادته أو إيصال الشر إليه لم يقدر له أدنى توفيق، لأنه محروز ومحصن بحصن حصين، وحرز حريز، وهو الحرز للأميين الرسول المصطفى ﷺ.

(٢) مسند أحمد ٢: ١٧٤.

(١) العنكبوت: ٦٧.

٢٧٠. حرم الله الأكبر

إن مادة حرم بشتى اشتقاقاتها كحرام وتحريم وإحرام وحُرمة وحریم وغيرها تدل على المنع، وكل ما جعل الله تعالى له حرمة لا يحل انتهاكه، وَمَنَعَ من كسر تعظيمه وعزه، وَزَجَرَ عن فعله وتركه كأولياء الله وملائكته ومكة ودين الله، وأهم من جميع ذلك هو وجود الرسول المصطفى ﷺ فإن الله ﷻ حظر من الانتقاص أو النيل منه، وأوجب على ذلك القتل وعقاب الآخرة، وما نال منه أحد أو انتقص إلا وأصيب ببليّة، أو نكبة أو مرض وغير ذلك، وقصص ذلك منقوله وكثيرة.

فإن المطالع في حياة الرسول ﷺ إذا يشاهد المحاولات اللامحدودة من أجل إيصال الشر إليه كمحاولات اليهود قبل وبعد ولادته لإطفاء نوره، وتدبير قريش لقتله يوم بات على فراشه علي بن أبي طالب ﷺ، وتبت يدا أبي لهب الذي أراد الغدر بالنبي ﷺ وغير ذلك ممّا لا يجمعه كتاب يذعن أن الرسول ﷺ هو حرم الله ﷻ الذي منع من انتهاكه وقلته، وحرم وأوجب عليه القتل، وغيرها من المزايا التي جعلها الله سبحانه لسائر ما حرّمه كالحرم والبيت وغيرها كل ذلك إلى استيفاء مدته وتامة دعوته ودينه، وبعد ذلك أيضاً.

على أن الرسول ﷺ هو الحرم الأكبر الذي لا أكبر منه حرمة وويله أوصياؤه وبيت الله وحرم أمنه وغير ذلك.

ولذا ورد عن أبي جعفر ﷺ قال: «نحن شجرة النبوة ... ونحن حرم الله الأكبر»^(١).

(١) بصائر الدرجات: ٧٧ ح ٣، البحار ٢٦: ٢٤٥.

٢٧١. الحرمي

يتنا في بحث سابق أن التلقب - خصوصاً الملحق بياء النسبة - لم يكن سائداً بين العرب على خلاف التكنية والتسمية، ولم نجد ذلك إلا فيمن كان له خطر عظيم أو أعمال وإنجازات كبيرة، أو صفات وخلق سامية بحيث يعرف المكان والبلد ويميز عن غيره به، ولا يميز هو بالبلد.

فإن الحرم ومكة لم تعد أن تكون مدينة صغيرة بين قبائل متخلفة ومتناحرة يكتن لها بعض العرب قداسة، وهذا وأمثاله موجود في كل الديار وكل البقاع، وإنما شرف الحرم وشرفت مكة وصار لها محورية عالمية بظهور النبي ﷺ ودعوته الناس إلى الإسلام، فدخلت في قلوب المسلمين وعرفها غيرهم من أجل ذلك النور .

والنبي ﷺ حرمي، ومنسوب إلى الحرم، لأن الحرم صار حرماً به، وصار معروفاً بدعوته، وأخذ عالميته من الرسول ﷺ، فالنبي ﷺ حرمي لا لتمييزه عن غيره، بل لأن الحرم محمدي.

ويعود هذا التلقب إلى صفوف الملائكة المكرمين، بعد سؤال يسأله الله ﷻ من جبرائيل عن تبليغ الرسل، فيقول: وإن آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك و علمك وكتابك وكلامك محمد بن عبد الله العربي القرشي الحرمي حبيبي^(١).

وأوحى الله إلى يعقوب، أني أبعث من ذريتك ملوكاً وأنبياء، حتى أبعث النبي الحرمي الذي تبني أمته هيكل بيت المقدس^(٢).

وذكر ذلك اللقب رب العزة للنبي موسى ﷺ بعد ما ناجى موسى ربه فيما وهب الله لمحمد وأمه حيث قرأ التوراة وأصاب فيها

(١) تفسير القمي ١ : ١٩٢ ، البحار ٧ : ٢٨١ .

(٢) ميزان الحكمة ٤ : ٣١٩٩ .

نعت النبي ﷺ وأمه قال: يا رب من هذا النبي الذي جعلته وأمه أولاً
وآخرأ؟ قال: هذا محمد النبي الأمي العربي الحرمي التهامي من ولد
قاذر بن إسماعيل^(١).

وأخذه اليهود من التوراة، فقد ورد أن يهودياً كان في بني عبد
الأشهل فقال: قد أطل هذا النبي القرشي الحرمي، فقال له البعض
بعد ما جاء النبي ﷺ إلى المدينة: هذا النبي قد جاء، فقال أما والله
إنه لأنه، فقيل له: مالك عن الإسلام؛ فقال: والله لا أدع اليهودية^(٢).

٢٧٢. الحريص

لم تكد الآهات والحسرات لتعتزل رسول الله ﷺ، بل كان دائم
الخشية كثير التألم متوالي الحسرات حرصاً على قومه وأمه، وشوقاً
إلى إسعادهم، وفلاحهم بالنتيجة، حتى كادت أن تذهب نفسه ويفارق
الدنيا حزناً، فهون عليه مُرسله وقال له: ﴿فَلَا تَذْهَبَ تَشْكُ عَلَيَّمْ
حَسْرَتِي﴾^(٣).

وإنما مثله كمثله من يشاهد طفلاً يوشك أن يتردى في وادٍ
سحيق وهو غير ملتفت إلى ذلك، أو يرى من يتراجع إلى الورا،
ووراء حفرة من النار وهو لا يعلم، أو من هو نائم وإلى جنبه ثعبان
يريد نكزه وقتله، أو من يتلهف إلى أكل طعام مسموم من دون علم،
فيتألم المشاهد لأمثال ذلك ويتأثر وينفعل ويضطرب فيشير ويلوح
وينادي حذاري حذاري.

والنبي المكرم ﷺ يرى أن الناس على شفير جهنم، وهم
يتراجعون إليها وهو يتألم ويلوح ويشير ويصيح وينادي: لا ترجعوا
كفاراً، لا ترجعوا إلى جهنم، وهم لا يهتمون ولا يعلمون، ولا

(٢) الأحاد والمثاني ٤: ١٠.

(١) الدر المشور ٣: ١٢٣.

(٣) فاطر: ٨.

يروعهم ما يقول، فيتألم وتأخذه الحسرة وتجري آهاته، كل ذلك حرصاً على سلامة القوم وسعادتهم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِن تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾^(٢).

ولا يتوقف حرص النبي ﷺ عند أولئك الذين لم يؤمنوا، بل هو أشد حرصاً على المؤمنين، فهو يحرص على دوام سعادتهم وتمامها وكمالها، ويطالب بالتخفيف لهم إذا علم عدم احتمالهم لبعض النكاليف، كما يحرص على حياتهم الدنيوية ورفاههم وغناهم، وتوفيقهم وصحتهم وسلامتهم حتى أكثر من حرصهم على أنفسهم، لأنه يعلم بما يضرهم وما ينفعهم، فأسس لهم طباً مترقياً، وبين سبل الوقاية والعلاج، وغير ذلك من الطوباويات مما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِذُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) وهو يقول: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) و رب اغفر لقومي إنهم لا يعلمون.

وعلى أساس ذلك ذكر ابن شهر آشوب في عداد أسماء النبي ﷺ وصفاته عنوان الحريص؛ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٥).

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) النحل: ٣٧.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٠.

٢٧٣. حسن للقامة

ذكر سطيح صفات النبي ﷺ فقال في جملتها: هو رجل لا بالقصير اللاصق، ولا بالطويل الشاهق، حسن القامة^(١).

ونذكر أن الذي يعطي لهذه الصفات تفسيرها وإسنادها هو حال المرسل وطبيعة المرسل إليه، فكلما كان المرسل شريفاً كان رسوله أمياً زياً وأسلم مظهراً، لأن ذلك يعدّ من شؤون ذلك المرسل ويحسب عليه، فكيف إذا كان المرسل هو الله ﷻ فلا يعقل أن يكون المرسل قصيراً أدهماً، ولا معلولاً ناقصاً، فيقال له: لو كان لك عنده شأن ما خرجت إلينا بهذه الهيئة وأصلح لك حالك.

ومن ناحية أخرى إذا كان المرسل إليه يلحظ ذلك الظاهر ويرتب عليه الأثر ولا يؤمن بدعوة المشوّه والمفرط في الطول الذي يكون مثاراً للسخرية، أو القصير الذي يضحك منه كل رائي ولا ينقاد له أحد، لزم على المرسل من أجل تحقيق أهدافه أن يرسل حسن القامة، معتدل البدن في كل أجزائه وأطرافه.

وهكذا كان الرسول المصطفى ﷺ كما أطبق عليه جميع واصفيه، بل جاءت به نعوته في كتب الأولين، وعلمه منها سطيح المار الذكر.

٢٧٤. حسن الكلام

إن معاجز الأنبياء مذهلة ومحيرة للعقول كاستحالة النار برداً وسلاماً، وصيرورة العصا ثعباناً، والولادة من غير أب، والكلام في المهد، وإحياء الموتى وإبراء المرضى، والنجاة بسفينة بعد غرق

(١) البحار ١٥ : ٣٠٧.

العالم، وغير ذلك من المعاجز الباهرة، التي يكون لها أثر بالغ في نفوس المشاهدين، بحيث لا تبلغه المعجزة الكلامية وحسن التعبير في العاجل، وإن قيل: إن من البيان لسحرا .

ولكن يبدو أن المعجزة الكلامية أبقى أثراً وأدوم نفعاً في الساحة العلمية، وبعبارة أخرى فإن سير الأحداث أثبت أن الإنجازات الثقافية أكثر توفيقاً من الإنجازات المادية العملية.

ولعل السر يعود إلى سهولة نقل الإنجازات الثقافية وانتقالها، وإحضارها وإراءتها، بينما تظل الإنجازات المادية إما محدودة بأيدي صانعيها أو تشغل مساحة معينة ولا تبلغ مبلغاً هاماً في عمود الزمن.

فإن مثل عصا موسى ﷺ لم تنتقل عنه إلى غيره، ولا يتمكن أن يحتج بها أحد بأن يريها لمن يريد الاحتجاج عليه، بينما الإنجاز الثقافي، والعلمي والمعجزة الكلامية تنتقل بسرعة ويمكن استحضارها في كل آن، ويبقى أثرها بل يزداد في خط الزمان.

وأضرب لك مثلاً أن بيتاً من الشعر واحداً قد يكون أوقع في النفوس من سماع خبر العصا، وأكثر أثراً، فكيف بمعجزة القرآن وكلام النبي ﷺ.

ولذا جعلها النبي من خصائصه فقال: «أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلّ لي المغمم، ونصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلام، وأعطيت الشفاعة»^(١) وجامعية الكلام واحدة من محاسنه.

ولما ذكر الإمام الحسن ﷺ صفات رسول الله ﷺ لملك الروم

قال في جملتها: «هذه صفة جدي رسول الله ﷺ كثيف اللحية، عريض الصدر ... حسن الكلام، فصيح اللسان»^(١).

٢٧٥. حسن الوجه

ذكروا في وصف وجه رسول الله ﷺ أن في وجهه تدوير وهو أبيض اللون مشرباً بحمرة، وكان بياضه بياضاً زاهراً - أي نيراً - يتلألا وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، وهو كث اللحية، واللحية الكثة هي غير الرقيقة ولا الطويلة وفيها كثافة، واسع العينين وهما شديدتا البياض والسواد، أزج الحاجبين بمعنى أن حواجه سوابغ وافرتا الشعور وفيها طول وامتداد من غير قرن بينهما، ويتوسطهما عرق يدرة الغضب، عريض الجبهة، بين عينيه غرة أي نور وبياض، سهل الخدين، أي سائل الخدين وغير مرتفع الوجنتين، يراد أنه أسيل الخدين لم يكثر لحمه فيرز، ولم تغلظ جلده.

أشنب الفم، أي فيه تحدر ورقة وحدة في طرف الأسنان ولريقه عذوبة وبرد كالذي يكون في الحدائث والشباب ضليع الفم، أي كبيره، أو عظيمه واسع الشدقين، وقيل: إن المراد به تمامية أسنانه، وهو مفلج الأسنان، أعني بين أسنانه فواصل.

أقنى الأنف في عظمه نوع احديداب في وسطه وقيل: نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، أي مرتفع القصبه مع استواء أعلاها وفيه طول مع دقة أرنبته^(٢).

وجميع ذلك يفسر ما ذكره الإمام الحسن ﷺ في صفة جده فقال: «هذه صفة جدي محمد ﷺ ... حسن الوجه»^(٣).

(١) تفسير علي بن إبراهيم ٥٩٨، مدينة المعاجز ٣: ٣٥٢، البحار ١٦: ١٤٦.

(٢) انظر البحار ١٦: ١٤٤ - ١٦٤.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ٥٩٨، البحار ١٦: ١٤٦.

٢٧٦. الحسنى

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (١) وفسر ابن شهر آشوب الحسنى برسول الله ﷺ (٢) وقيل: إن الحسنى هو وعد رسول الله ﷺ (٣) كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فأما من أعطى مما آتاه الله واتقى وصدق بالحسنى، أي بأن الله يعطي بالواحد عشر إلى كثير من ذلك - وفي رواية أخرى إلى مائة ألف فما زاد - فسنيسه لليسرى قال: لا يريد شيئاً من الخير إلا يسره الله له» (٤) وبهذا يكون معنى الحسنى هو مضاعفة الأجر أو الوعد بذلك، وإنما ينسب إلى الرسول ﷺ لأنه المخبر بذلك، والتصديق إنما يكون للشخص الجائي بالخبر، فتكون الحسنى - التي هي مؤنث الأحسن - هو الرسول ﷺ بالعناية والمجاز.

٢٧٧. الحق

إن الذي يعطي لكل شخص هويته ويميزه عن سائر الأشخاص وخصوصاً الأنبياء ﷺ هو ما ينطوي عليه من الحق وما يحمله من العلم.

فليس امتياز النبي ﷺ الذي يجعله نبياً هو رجله أو يده أو حتى جميع جسده، وإنما هو ما تحمله من العلم وما يدعو إليه من الحق، فلما دخل الرسول المصطفى ﷺ مكة وكسر الأصنام وهدم الدعوة إليها وأذابها في نفوس المعتقدين بها ليحل محلها دعوة التوحيد التي جاء بها الرسول ﷺ، والتي هي حقيقة الرسول ﷺ - كما بينا - تجلى

(١) الليل: ٥ - ٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١.

(٣) قرب الإسناد: ٣٥٦.

(٤) مجمع البيان ١٠: ٧٦٠.

أهم مصاديق قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

ويتجلى ذلك ويزيده وضوحاً تطبيق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٢) فقد روي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ قال: «الحق رسول الله ﷺ»^(٣).

٢٧٨. حلو الكلام

إن حلوة الكلام لها علل وأسباب مختلفة يعود بعضها إلى سبكه وجزالة ألفاظه وتناسق كلماته وحروفه، وإيجازه، ووضوح معانيه.

ومنها: شموخ معانيه وغزارة مادته العلمية ومطلوبيتها عند السامع، والتصديق المتكلم بها وصدق لهجته.

ومنها: تضمينه لظرائف النكات البديعية واستعمال الكنايات والمجازات، التي يكون بين الكلام والوصول إلى معناه وقفة وسكته، فلما يكتشف السامع المراد منها من لازم ذلك الكلام والمعاني المجازية يستلذ بها.

ومنها: محبوبة المتكلم، فليس أعذب وأحلى من كلام المحبوب والمعشوق وإن كان عتاباً وتقريعاً، وليس أسمج من كلام العدو وإن كان بليغاً.

ومنها: الاعتقاد بالكلام، والتصديق به، كالكتب السماوية.

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) المؤمنون: ٧١.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ٢: ٩٢، البحار ٩: ٢٢٦، وج ٣٦: ٨٢.

ومنها: طريقة أدائه، فكلام المتشدد والمتمسخر غير محمود، بينما كلام المثبت المتأمل محبوب وحلو.

ومنها: حال السامع إذا كان مرتاحاً يطرب لكل صوت وكلام، وإذا كان منزعجاً يتذمر من كل صوت وكل كلمة، ولذا ورد في مورد القرآن: «اللهم ارزقنا حلاوة في تلاوته»^(١) أي حالاً.

ومنها: سياسة المتكلم، إذا كان يعرف مداخل الكلام المحبوبة للسامع والمخارج الجذابة.

وغير ذلك، ولكن هذا لا يعني أن لا يكون للكلام حلاوة بذاته مع قطع النظر عن تلك العوامل.

وحينما قال سطيع في جملة وصفه لرسول الله ﷺ «حلو الكلام»^(٢) أراد به توفر جميع تلك العلل والأسباب في كلام النبي ﷺ، فإن من المشهود في كلامه هو رعاية كل تلك العلل والأسباب المحسنة من اختيار أجزل الألفاظ والكلمات والحروف المتناسقة مع رعاية الإيجاز ووضوح المعاني وشموخها وغزارة مادتها العلمية وهو يكلم من يحب أن يسمع كلامه، ويدخل من مداخل تجذب السامع ويميل إليها وإن كان شائناً أو منافقاً.

فهو ﷺ بين أن يقول: «هذه مكة رمتكم بأفلاذ أكبادها» حينما سمع خروج سادات مكة ووجوهها لقتاله^(٣)، وبين قائل «رفقاً بالقوارير»^(٤) لسائق النجب، وقائل: «الآن حمي الوطيس»^(٥) حينما

(١) الكافي ٢: ٥٧٤.

(٢) البحار ١٥: ٣٠٧.

(٣) المجازات النبوية: ١٣.

(٤) البحار ١٦: ٢٩٤ ح ١.

(٥) المجازات النبوية: ٤٥.

اشتدت الحرب، أو «المسلمون تتكافأ دماؤهم»^(١) أو «اليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢).

وبين أن يأتيه رجل وهو على حصير قد أثر في جسمه، ووسادة ليف قد أثرت في خده فجعل يمسح ويقول: ما رضي بهذا كسرى ولا قيصر، إنهم ينامون على الحرير والديباج وأنت على هذا الحصير قال، فقال رسول الله ﷺ: «لأنا خير منهما، لأنا أكرم منهما والله، ما أنا والدنيا، وإنما مثل الدنيا كمثل راكب مرّ على شجرة ولها فيء فاستظل تحتها، فلما أن مال الظل عنها ارتحل فذهب وتركها»^(٣) فهو حلو بمعانيه لمواكبته الواقع.

ولعل أحد عوامل حفظ الصحابة لكلام النبي ﷺ هو حلاوته، بيد أن الكلام الحلو لا ينسى . كما أن لحلاوة الكلام مراتب، أعلاها كلام الله ﷻ فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ ناجى موسى بن عمران ﷺ بمائة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام ولياليهن، ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله ﷻ»^(٤). ويليه كلام رسول الله ﷺ المستكشف من شدة ملازمة أصحابه له، ونقلهم لأقواله حتى كأنه ليس هناك قائل آخر.

٢٧٩. الحلِيم

الحلم هو الصبر والأناة، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة،

(١) المجازات النبوية: ١٥.

(٢) البحار ١٦: ٢٨٣.

(٣) البحار ١٦: ٢٨٣.

(٤) الخصال: ٦٤٢.

ويضبط نفسه عند هيجان الغضب، ولا يُظهر شيئاً.

والرسول المصطفى ﷺ نشأ حليماً، فقد قال علي رضي الله عنه: «إن محمداً أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان، فلم يرغب لهم في صنم قط، ولم ينشط لأعيادهم، ولم يُر منه كذب قط، وكان أميناً صدوقاً حليماً»^(١).

وهو كذلك قبل أن يكلفه الله ﷻ بذلك المتمثل بقوله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢).

وقبل تكرر أمره بالصبر والصفح والتحمل ولا تحزن ولا تاتك في ضيق مما يمكرون، وغاية ذلك أمره بصلة القاطع، وإعطاء الحارم، والعفو عن الظالم.

وأما الكلام في سعة حلمه وشدة احتماله وصبره مما لا يكاد يبلغ حقيقته قلم الكاتبين، وقد يشير إلى ذلك عرض بعض ما واجهه من المصائب والمصاعب وأذى القوم وجفاء الجفات، وخشونة المحيطين به ووعورة أخلاقهم، والتفاف المنافقين حوله، وتدبير أعدائه، وأذى بعض أزواجه، وتظاهر العرب على قتاله، وشدة حرصه على فلاحهم وهدايتهم.

ومن الواضح أن كل حليم قد عُرفت منه زلّة، وحُفظت عنه هفوة، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حليماً.

فلما وُطئ ظهره وكُسرت رباعيته وشُج وجهه يوم أحد وشقّ ذلك على أصحابه وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث

(١) حلية الأبرار للبحراني ١: ٣٣.

(٢) الأعراف: ١٩٩.

لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(١) ولا يخفى ما في هذا الكلام من غاية الصبر والحلم ؛ إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم، فقال: اغفر واهد، واعتذر عنهم بجهلهم.

وقال له رجل حينما قسم غنائم: اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فقال له: «ويحك، فمن يعدل إن لم أعدل، خبثٌ وخسرت إن لم أعدل»^(٢).

وأجمل من ذلك لما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله ﷺ منتبذ - أي جالس - تحت شجرة وحده قائلاً - أي نائماً - والناس قائلون في غزاة، فلم ينتبه رسول الله إلا وهو قائم والسيف صلتاً في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله» فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس^(٣).

وأعظم من ذلك عفوه وحلمه عن اليهودية التي سمته في ذراع شاة بعد اعترافها بذلك وما زال يصيبه منه عداد حتى توفي بذلك السم.

وعفا عن أولئك الذين دبروا لقتله بدحرجة الدباب، وأشير عليه بقتلهم فقال: «لا، لئلا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه»^(٤).

وجاء رجل يتقاضاه ديناً واغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مطل، فانتهره عمر وشد له في القول والنبي ﷺ يتبسم

(٢) الشفاء: ١٠٦.

(٤) البحار: ٢١: ٢٣٤.

(١) الشفاء: ١٠٥.

(٣) الشفاء: ١٠٧.

فقال ﷺ: «أنا وهذا كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي» ثم قال: لقد بقي من أجله ثلاث، وأمر بمن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه.

وما عفوه ذلك كعفوه عن أبي سفيان وقد سبق إليه بعد أن جلب عليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم، فغفا عنه ولاطفه^(١).

وكل ذلك وأمثاله بما ينطوي عليه من الآلام وغصص كقطرة في بحر لجي من حلمه عن بعض أصحابه مع خشونته وغلظته، خصوصاً حين قاربته ﷺ الوفاة فقال: «أتوني بقلم ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً»، فقال ذلك الصحابي: أتركوه إن الرجل ليهجر^(٢).

٢٨٠. حَمَطَايَا

روي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يسمى في الكتب القديمة: أحمد، ومحمد، والمأحي، والمقفي، ونبي الملاحم، وحمطايا، وفارقليطا، وماذا.

وقال أبو عمر الزاهد: سألت بعض من أسلم من اليهود، فقال معناه يحمي الحرم، ويمنع الحرم.

وقال الهروي: حمياطاً وفسره بحامي الحرم^(٣).

وقد تقدم في عنوان «حرز الأميين» بعض الكلام في حقيقة حماية الحرم وحصانته بوجود النبي ﷺ، ونزيد هنا أمرين، أحدهما: شمول حماية الحرم للحماية المعنوية، أي حمايته من وقوع الظلم

(١) أورد ذلك القاضي عياض في كتاب الشفاء: ١٠٦ - ١١٠.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ - ١٢٥٩ كتاب الوصية، صحيح البخاري ٥: ١٢٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ١: ٤٥١، تاريخ الخميس: ٢٠٦، البحار ١٦: ١٣٠.

والفساد والفحشاء فيه المتمثل بعبادة الأصنام والزنا والفجور والتظاهر بذلك.

والثاني: إلفات النظر إلى أنه يكمن في خروج النبي ﷺ من مكة وهجرته إلى المدينة نكتة حفظ الحرم وصيانته وتجنب سفك الدماء فيه، فلا يكون آمناً كما أراد الله.

وكذا تأخره ﷺ وترثه في فتح مكة حتى اجتماع العدد القاهر، ومفاجأتهم بالفتح حتى لا تهراق فيه الدماء، صيانة لحرم الله وأمنه، وأخيراً عفوه عن أهلها.

فهذا وأمثاله نوع من الحفظ، وهو حفظ حرمتها، ودوام أمنها.

٢٨١. حمياطا

روي أن رسول الله ﷺ قال: «إن اسمي في التوراة أحميد ... وفي الزبور حمياطا» وقيل معناه: يحمي الحرم من الحرام ويوطئ الحلال^(١).

وروي أن البعض ذكر له ﷺ أسماء الأنبياء وأوصيائهم في الكتب، فسأله النبي ﷺ عن اسم وصيه، فقال: «ما رأيت اسمك محمد إلا هو وراءه، اسمك في التوراة ميد ميد واسم وصيك إلبا، واسمك في الإنجيل حمياطا، واسم وصيك هيدار ... فقال له النبي: «ما معنى حمياطا؟» قال: مصطفى^(٢).

٢٨٢. الحنيف

إن الدين الإسلامي جاء لطرح الواقع المطلق وغير المقيد بظروف خاصة ولا يتحدد بمدة محدودة، مع خلوه عن البدع

(١) تاريخ الخميس: ٢٠٦.

(٢) الروضة في المعجزات: ١٥٨.

والانحرافات التي أصابت الديانات الأخرى كالرهبنة والاعتزال، والتقوقع وتفضيل عرق وتقديم بعض الشعوب على بعض، وبعض الناس على بعض.

مما حدى بتلك الديانات إلى التلاشي من الداخل كحصول الثورة البروتستنتية أو لاهوت التحرير، بينما ظل الإسلام أكثر تماسكاً، ولم تفلح نظائر البروتستنتية رغم المحاولات الجادة لإجرائها على الإسلام، فإنه كان لغياب الكنيسة عن الساحة نتائج إيجابية، بينما عزل الدين في الساحة الإسلامية يعطي نتائج معاكسة وسلبية، فإننا نجد أن توفيق الدولة الإسلامية في حل معضلاتها الاقتصادية أو اجتماعية وسياسية يتزامن مع اقترابها من الدين على مر التاريخ، كما حدث ذلك في برهة من الزمن، فقد ساهم تمسك الحكام بدينهم في حيوية اقتصاد الدولة واستتباب الأمن.

وينبع كل ذلك من حنيفة دعوة النبي ﷺ، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «إني إنما بعثت بالحنيفية السمحة، ولم أبعث بالرهبانية البدعة، وإن أقواماً ابتدعوا الرهبانية فكتب عليهم فما رعوها حق رعايتها، ألا فكلوا اللحم، واتوا النساء، وصوموا و أفطروا، وصلوا وناموا؛ فإني بذلك أمرت»^(١).

وفي خبر آخر عنه ﷺ قال: «أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة السهلة، وهي ملة إبراهيم لا ضيق فيها»^(٢).

وقيل: الحنيف هو المسلم، وهو المائل إلى الدين الحق وهو الدين الخالص^(٣).

(١) مجمع الزوائد ٤ : ٣٠٢.

(٢) دعائم الإسلام ١ : ١٣١.

(٣) شرح أصول الكافي ٨ : ٤٧.

ومع رفع تلك التعقيدات الدينية التي جاءت بها المسيحية واليهودية وغيرهما تمكّن الدين الإسلامي من معايشة كل الظروف ومهما حصل التغيير في طريقة حياة البشر، وعاش السوق والمزرعة والمصنع والجامعة والشارع وحتى المصايف وسوح الرياضة والمسابقات، كل ذلك سر حفظه وبقائه وعدم حصول تغيير جذري فيه.

٢٨٣. الحيي

ومن الملفت للنظر أن هذا النبي العظيم الذي أحدث كل ذلك التغيير وزعزع أطراف العالم والقوى العظمى آنذاك وعلى مر القرون كان أشد حياءاً من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه^(١)، بل إن ذلك من سماته الظاهرة وصفاته اللازمة ولذا قال أبو عبدالله عليه السلام في خطبة يذكر فيها صفات النبي صلى الله عليه وآله: «هاشمي لا يوازي، أبطحي لا يسامي، شيمته الحياء، وطبيعته السخاء».

وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله حياً لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه^(٢).

وقد أثنى الله صلى الله عليه وآله على هذه الصفة في نبيه، فكان فيما وعظ عيسى بن مريم أن قال له: ثم إني أوصيك يا بن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحييبي ... الحيي^(٣).

ويكمن في صفة الحياء فوائد جمّة، فإنها تحجب عن المعاصي،

(١) مكارم الأخلاق: ١٧، صحيح البخاري ١: ٥٠٤، المصنف لعبد الرزاق ١١: ١٤٣.

(٢) الكافي ١: ٤٤٤، البحار ٣٦٩.

(٣) البحار ١٦: ٢٣٠.

ولذا اشتهر إذا لم تستحي فافعل ما شئت، ولولا الحياء لما بذل باذل، ولا أنفق منفق، ولا وفى معاهد أو عاقد، بل إن الدنيا تقوم على أساسه، هذا بالنسبة لغير النبي ﷺ، وإلا فهو معصوم، وتكون بالنسبة له ﷺ آية صدقه وإخلاص نيته، وطيب سريره، الملازم لاتباعه والتصديق برسالته.

إلى هنا تمّ ما أردنا تقييده من الأسماء والصفات في هذا الجزء، كتبناه تبركاً وتيمناً في مدة قصيرة، وإن كان يعزّ علينا ترك شيمة المنقّب المحقّق، لنظهر بمظهر الكاتب المسوّق، إلا أنها استجابة لطلبات، ورضوخ عند رغبات، ونسأل الله الصبر والثبات، إنه ولي النعمات.

١٦/ محرم الحرام/ ١٤٢٣ هـ

عباس تبريزيان

فهرس المصادر

القرآن الكريم

- ١ -

- أحاديث أم المؤمنين عائشة للعلامة السيد مرتضى العسكري (معاصر) التوحيد للنشر / قم - إيران / ط : ٥ ، سنة ١٤١٤ هـ .
- الأحاديث الطوال للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط : ١ سنة ١٤١٢ هـ .
- الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢٨٧هـ) دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع / الرياض - السعودية / ط : ١ ، سنة ١٤١١ هـ .
- الاحتجاج لأحمد بن علي الطبرسي (٥٦٠ هـ) منشورات دار النعمان للطباعة والنشر / النجف الأشرف - العراق .
- الاختصاص للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (٤١٣هـ) نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم - إيران / بتحقيق علي أكبر الغفاري .
- اختلاف الحديث للشافعي لمحمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) مجلد واحد .

- الأسفار لصدر الدين الشيرازي - نشر دار إحياء التراث العربي.

- الإرشاد للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (٤١٣هـ) دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / قم - إيران.
- إرشاد القلوب للديلمى الحسن بن أبي الحسن محمد (من أعلام القرن الثامن) انتشارات الشريف الرضي / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٩هـ.

- الاستبصار للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية / قم - إيران / ط: ٤، سنة ١٣٦٣ ش.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٥هـ.

- أسنى المطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لمحمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزري الدمشقي الشافعي (٨٣٣هـ) مكة المكرمة - السعودية / سنة ١٣٢٤هـ.

- إعانة الطالبين للعلامة أبي بكر المشهور بالسيد البكري الدمياطي (١٣١٠هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٨هـ.

- إعلام الوري بأعلام الهدى للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٧هـ.

- إقبال الأعمال للسيد رضي الدين علي بن موسى جعفر بن طاووس (٦٦٤هـ) مكتب الإعلام الإسلامي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٤هـ.

- الأمالي للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) نشر مؤسسة البعثة / قم - إيران / ط: ١ سنة ١٤١٧هـ.

- الأمالي = أمالي الشيخ لمحمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) نشر دار الثقافة / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٤هـ.

- الأمثال النبوية لمحمد الغروي مؤسسة الأعلمي / بيروت - لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠١هـ.

- أنساب الاشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ) مؤسسة الأعلمي / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٣٤٩هـ.

- الأنوار في شمائل النبي المختار للحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ) دار الكتبي / دمشق - سوريا / ط: ١ سنة ١٤١٦هـ.

- ب -

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار للعلامة محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) مؤسسة الوفاء / بيروت - لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٣هـ.

- البداية والنهاية = تاريخ ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨هـ.

- بشارة المصطفى لعماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (٥٢٥هـ) مؤسسة النشر الإسلامي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٢٠هـ.

- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠هـ) مطبعة الأحمدية / طهران - إيران / سنة ١٤٠٤هـ.

- ت -

- تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) مكتبة الحياة / بيروت - لبنان.

- تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبري (٥٤٨هـ) نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم - إيران / سنة ١٤٠٦هـ.

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٧هـ.

- تاريخ الخميس في أحوال أنفاس نفيس للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الدياربيكري مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع / بيروت - لبنان.

- تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النميري (٢٦٢هـ) دار الفكر / قم - إيران / سنة ١٤١٠هـ.

- تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤١٥هـ.

- تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (٢٨٤هـ) مؤسسة أهل البيت ﷺ / قم - إيران.

- تحريرات في الأصول للسيد مصطفى الخميني (١٣٩٨هـ) مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٨هـ.

- التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين للسيد رضي الدين علي بن طاووس الحسني (٦٦٤هـ) مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣هـ.

- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ لابن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع) مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم - إيران / ط: ٢ سنة ١٤٠٤هـ.

- تحقيق النصرة

- ترتيب كتاب العين للخليل أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) انتشارات اسوه التابعة لمنظمة الاوقاف والامور الخيرية / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٤هـ.

- تذكرة الموضوعات لمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني (٩٨٦هـ).

- تصحيقات المحدثين للحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٣٨٢هـ) المطبعة العربية الحديثة / القاهرة - مصر / ط: ١، سنة ١٤٠٢هـ.

- تفسير ابن كثير = التفسير العظيم لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ) دار المعرفة / بيروت - لبنان / سنة ١٤١٤هـ.

- تفسير الإمام العسكري المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٩هـ.

- تفسير الثعالبي لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٨٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٨هـ.

- تفسير العياشي للنظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي
السمرقندي (٣٢٠هـ) المكتبة العلمية الإسلامية / طهران - إيران.

- تفسير فرات لأبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي
(٣٥٢هـ) وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي / إيران / ط: ١، سنة
١٤١٠هـ.

- تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري
القرطبي دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٥هـ.

- تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (٣٢٩هـ)
مؤسسة دار الكتاب / قم - إيران / ط: ٣، سنة ١٤٠٤هـ.

- تفسير كنز الدقائق للميرزا محمد شهدي القمي (١١٢٥هـ)
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / ط:
١، سنة ١٤٠٧هـ.

- تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن
الطبرسي (٥٦٠هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت - لبنان / ط:
١، سنة ١٤١٥هـ.

- تفسير نور الثقلين للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي
(١١١٢هـ) مؤسسة إسماعيليان / قم - إيران / ط: ٤، سنة ١٤١٢هـ.

- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)
دار الكتب الإسلامية / إيران / ط: ٤ سنة ١٣٦٥ ش.

- تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف المزي (٧٤٢هـ) مؤسسة
الرسالة / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٦هـ.

- كتاب التوابين لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة

- المقدسي (١٦٢٠هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٣هـ.
 - التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي (١٦٠هـ) مؤسسة الوفاء /
 بيروت - لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٤هـ.

- ث -

- الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي
 (٣٥٤هـ) مؤسسة الكتب الثقافية / الهند / ط: ١، سنة ١٣٩٣هـ.
 - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق محمد بن
 علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) منشورات الشريف الرضي
 / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٣٦٨هـ.
 - الجامع الصغير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
 السيوطي (٩١١هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠١هـ.

- ج -

- الجامع الكبير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
 السيوطي (٩١١هـ).
 - جامع المقاصد للمحقق الشيخ علي بن الحسين الكركي
 (٩٤٠هـ) مؤسسة آل البيت عليه السلام / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٨هـ.
 - جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي (١٢٦٦هـ) دار
 الكتب الإسلامية / طهران - إيران / ط: ٣، سنة ١٣٦٧ ش.
 - جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لشمس الدين أبي
 البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوتي الشافعي (٨٧١هـ) مجمع
 إحياء الثقافة الإسلامية / قم - إيران / ط: ٣، سنة ١٤١٥هـ.
 - الجوهرة في نسب الإمام علي وآله لمحمد بن أبي بكر

أسماء الرسول المصطفى ﷺ ٤٦٦

الأنصاري التاهساني (معاصر) مكتبة النوري / دمشق - سوريا / ط : ،
سنة ١٤٠٢هـ

- ح -

- الحدائق الناضرة للمحدث الشيخ يوسف البحراني (١١٨٦هـ)
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / ٢٥
مجلد.

- الحد الفاصل للرامهرمزي (٣٦٠هـ) دار الفكر / بيروت -
لبنان / ط : ٣ ، سنة ١٤٠٤هـ.

- حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني (١١٠٧هـ) مؤسسة
المعارف الإسلامية / قم - إيران / ط : ١ ، سنة ١٤١١هـ.

- حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني
(٤٣٠هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان.

- حياة أمير المؤمنين ﷺ للشيخ محمد محمديان (معاصر)
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / ط : ١ ،
سنة ١٤١٧هـ

- خ -

- الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي (٥٧٣هـ) مؤسسة
الامام المهدي «عج» / قم - إيران.

- الخراجيات للمحقق الشيخ علي بن الحسين الكركي (٩٤٠هـ)
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / ط :
١ ، سنة ١٤١٣هـ.

- خصائص الأئمة للشريف الرضي (٤٣٦هـ) مجمع البحوث الإسلامية - الاستانة الرضوية المقدسة / مشهد - ايران / سنة ١٤٠٦هـ -
- الخصال للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم - ايران.

- د -

- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) دار المعرفة / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٣٦٥هـ.
- دعائم الإسلام لنعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (٣٦٣هـ) دار المعارف / القاهرة - مصر / سنة ١٣٨٣هـ.
- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) دار الإمام النووي / عمان - الاردن / ط: ٣، سنة ١٤١٣هـ.
- دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ) دار طيبة / الرياض - سعودية / ط: ١، سنة ١٤٠٩هـ.

- ذ -

- ذخائر العقبي للعلامة الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (٦٩٤هـ) مكتبة القدسي / القاهرة - مصر / سنة ١٣٦٥هـ -
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة للعلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٣٨٩هـ) دار الأضواء / بيروت - لبنان / ط: ٣، سنة ١٤٠٣هـ.

- ر -

- رجال الكشي = اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ) مؤسسة آل البيت ﷺ / قم - إيران / سنة ١٤٠٤هـ.
- الرسائل العشر للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / سنة ١٤٠٤هـ.

- الرسالة السعدية للعلامة الحلبي (٧٢٦هـ) نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٠هـ.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لعبد الرحمن السهيلي (٥٨١هـ) دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي / بيروت - لبنان / بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.

- روضة الواعظين لمحمد بن الفثال النيسابوري (٥٠٨هـ) منشورات الشريف الرضي / قم - إيران.

- س -

- سبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (٩٤٢هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٤هـ.

- سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري (٣٤١هـ) انتشارات الشريف الرضي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣هـ.

- سعد السعود لعلي بن موسى بن طاووس (٦٦٤هـ) منشورات المطبعة الحيدرية / النجف - العراق / ط: ١، سنة ١٣٦٩هـ.

- سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان.

- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٠هـ.

- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٣هـ.

- سنن الدارمي لعبد الله بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ) مطبعة الاعتدال / دمشق - سوريا.

- السنن الكبرى = سنن البيهقي لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان.

- سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٣٨٤هـ.

- سيرة النبي = سيرة ابن هشام لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (١٥١هـ) مكتبة محمد علي صبيح وأولاده / مصر / سنة ١٣٨٣هـ.

- ش -

- شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)، المكتبة التجارية الكبرى / مصر / ط: ١٤، سنة ١٣٨٤هـ.

- شرح الأخبار للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (٣٦٣هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم - إيران.

- شرح الأسماء الحسنی للحاج ملا هادي السبزواري (١٣٠٠هـ) مكتبة بصيرتي / ٢ مجلد.

- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني
(١٠٨١هـ) دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان/ ط: ١، سنة
١٤٢١هـ.

- شرح المقاصد لمسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بعمد
الدين التفتازاني (٧٩٣هـ) منشورات الشريف الرضي / قم - إيران/ ط:
١، سنة ١٤١٢هـ.

- شرح مسلم للنووي (٦٧٦هـ) دار الكتاب العربي / بيروت -
لبنان/ ط: ٢، سنة ١٤٠٧هـ.

- شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري - الشيخ خليل محيي
الدين الميسر (١٠١٤هـ) دار الكتاب العربي / بيروت - لبنان/ ط: ٢،
سنة ١٤٠٧هـ.

- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦٥٦هـ) دار الكتاب
العربي / بيروت - لبنان/ ط: ١، سنة ١٣٧٨هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض
اليحصبي (٥٤٤هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان/ سنة ١٤٠٩هـ وطبعة
أخرى في دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.

- الشمائل المحمدية لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي
(٢٧٩هـ) مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت - لبنان/ ط: ١، سنة
١٤١٢هـ.

- شواهد التنزيل للحافظ الكبير عبيد الله بن أحمد المعروف
بالحاكم الحسكاني (من أعلام القرن الخامس) مجمع أحياء الثقافة
الإسلامية - التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي / طهران - إيران/
ط: ١، سنة ١٤١١هـ.

- ص -

- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) دار العلم للملايين / بيروت - لبنان / ط : ٤ ، سنة ١٤٠٧هـ
- صحيح البخاري للأمام البخاري (٢٥٦هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠١هـ
- صحيفة الرضا عليه السلام جمع مؤسسة الإمام المهدي «عج» مؤسسة الإمام المهدي «عج» / قم - ايران / سنة ١٤٠٨هـ
- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) دار الفكر / بيروت - لبنان
- الصحيفة السجادية الكاملة للإمام السجاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام جامعة المدرسين التابعة للحوزة العلمية / قم - ايران

- ط -

- الطبقات الكبرى = طبقات ابن سعد لابن سعد (٢٣٠هـ) دار صادر / بيروت - لبنان / ٨ مجلدات.

- ع -

- عدة الأصول للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ) مؤسسة آل البيت / بتحقيق محمد مهدي نجف ٣ مجلدات
- عدة الداعي ونجاح الساعي لأحمد بن فهد الحلبي (٨٤١هـ) مكتبة الوجداني / قم - ايران
- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية للفقيه الجليلي رضي

الدين علي بن يوسف المطهر الحلبي (٧٢٦هـ) مكتبة آية الله العظمى
المرعشي النجفي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٨هـ.

- كتاب العرش لمحمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي
(٢٧٩هـ) مكتبة المعلا / الكويت / ط: ١، سنة ١٤٠٦هـ.

- علل الشرائع للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه القمي (٣٨١هـ) المكتبة الحيدرية / النجف - العراق / سنة
١٣٨٥هـ.

- العمدة ليحيى بن الحسن الاسدي الحلبي المعروف بابن
البطريق (٦٠٠هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين /
قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٧هـ.

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين أحمد
بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه (٨٢٨هـ) مكتبة الحيدرية / النجف
- العراق / ط: ٢، سنة ١٣٨٠هـ.

- عوالي اللآلي لابن جمهور الأحسائي (٨٨٠هـ) مطبعة سيد
الشهداء / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٣هـ.

- عيون الأثر لابن سيد الناس (٧٣٤هـ) مؤسسة عز الدين /
بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٦هـ.

- عيون أخبار الرضا ﷺ للشيخ الصدوق محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات /
بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٤هـ.

- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي
(١٧٥هـ) مؤسسة دار الهجرة / إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٩هـ.

- غ -

- الغدير للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (١٣٩٢هـ)
دار الكتاب العربي / بيروت - لبنان / ط: ٤، سنة ١٣٩٧هـ.
- غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥هـ) دار
المدنية للطباعة والنشر والتوزيع / جدة - السعودية / ط: ١، سنة
١٤٠٥هـ.
- الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني (٣٨٠هـ) مكتبة الصدوق /
طهران - إيران / سنة ١٣٩٧هـ.

- ف -

- الفائق في غريب الحديث للعلامة جار الله محمود بن عمر
الزمخشري (٥٨٣هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١٠، سنة
١٤١٧هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لشهاب الدين ابن حجر
العسقلاني دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان / ط: ٢.
- الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن
شيرويه الديلمي الهمداني الملقب إلكيا (٥٠٩هـ) دار الكتب العلمية /
بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٦هـ.
- الفضائل لأبي الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل القمي
(نحو ٦٦٠هـ) المكتبة الحيدرية / النجف - العراق / سنة ١٣٨١هـ.
- فضائل الشيعة للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه القمي (٣٨١هـ) كانون انتشارات عابدي / طهران - لبنان.
- فقه السنة للشيخ سيد سابق (معاصر) دار الكتاب العربي /
بيروت - لبنان.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوي (١٣٣١هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان/ ط: ١، سنة ١٤١٥هـ.

- ق -

- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.

- قرب الإسناد لأبي العباس عبد الله الحميري البغدادي (٣٠٠هـ) مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم - إيران/ ط: ١، سنة ١٤١٣هـ.

- ك -

- الكافي للشيخ الكليني محمد يعقوب (٣٢٩) دار الكتاب الإسلامية - مرتضى آخوندي / طهران - إيران/ ط: ٣، سنة ١٣٨٨هـ.

- كتاب سليم بن قيس لأبي صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (٥٧٦هـ)، بتحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجرامي (١١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان/ ط: ٢، سنة ١٤١٠هـ.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان.

- كشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء (١٢٢٨هـ)، انتشارات مهدي / اصفهان - إيران.

- كشف الغمة للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (٦٩٣هـ)، دار الاضواء / بيروت - لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٥هـ.

- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (٧٢٦هـ)، بتحقيق حسين الدركاهي / طهران - ايران / ط: ١، سنة ١٤١١هـ.

- كفاية الأثر لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي (٤٠٠هـ)، انتشارات بيدار / قم - ايران / سنة ١٤٠١هـ.

- كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - ايران / سنة ١٤٠٥هـ.

- كنز العمال للمتقي الهندي (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٩هـ.

- ل -

- لسان العرب للعلامة ابن منظور (٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨هـ.

- م -

- المبسوط في فقه الإمامية للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، المكتبة المرتضوية / طهران - ايران / ١٣٨٧هـ.

- مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ)، مؤسسة الوفاء / بيروت - لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٣هـ.

- مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي (٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٨هـ.

- المجموع لمحي الدين بن النوي (٦٧٦هـ)، نشر دار الفكر / بيروت - لبنان.

- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (٢٧٤هـ)، دار الكتب الإسلامية / بيروت - لبنان.

- المحتضر للشيخ الجليل حسن بن سليمان الحلبي (القرن التاسع)، المكتبة الحيدرية / النجف - العراق / ط: ١، سنة ١٣٧٠هـ.

- مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني (١١٠٧هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣هـ.

- مروج الذهب للمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦هـ)، دار الهجرة / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٤هـ.

- المزار لمحمد بن مكي العملي الجزيني المعروف بالشهيد الأول (٧٨٦)، مدرسة الامام المهدي «عج» / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٠هـ.

- المزار للشيخ محمد بن المشهدي (٦١٠هـ)، مؤسسة الافاق / طهران - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٩هـ.

- المزار للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (٤١٣هـ)، مدرسة الإمام المهدي «عج» / قم - إيران / ط: ١.

- مستدرک سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي (١٤٠٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم - إيران / سنة ١٤١٩هـ.

- المستدرك على الصحيحين = مستدرك الحاكم لمحمد بن محمد الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، دار المعرفة / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٦هـ.

- مستدرك الوسائل للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨هـ.

- مسكن الفواد للشهيد الثاني زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي (٩٦٥هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٧هـ.

- مسند أبي داود الطيالسي لسليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي (٢٠٤هـ)، دار الحديث / بيروت - لبنان.

- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى التميمي (٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث / دمشق - سوريا.

- مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر / بيروت - لبنان.

- مسند الإمام الرضا عليه السلام لداود بن سليمان بن يوسف الغازي (٢٠٣هـ) مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٨هـ.

- مسند الحميدي لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (٢١٩هـ)، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٩هـ.

- مشكاة الأنوار لأبي الفضل علي الطبرسي (من أعلام القرن السابع الهجري)، المكتبة الحيدرية / النجف - العراق / ط: ٢، سنة ١٣٨٥هـ.

- مصباح المتجهد للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)،
مؤسسة فقه الشيعة / بيروت - لبنان/ ط: ١، سنة ١٤١١هـ.

- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري
(٧٧٠هـ)، مكتبة لبنان / بيروت - لبنان/ سنة م.

- المصنف لأبن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، دار الفكر / بيروت
- لبنان/ ط: ١، سنة ١٤٠٩هـ.

- معاني الأخبار للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه القمي (٣٨١هـ) انتشارات اسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم
- ايران/ سنة ١٣٦١ ش.

- معجم أحاديث الإمام المهدي «عج» للشيخ علي الكوراني
(معاصر)، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية / قم - ايران/ ط: ١، سنة
١٤١١هـ.

- معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (نحو ٣٩٥هـ)،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - ايران/ ط:
١، سنة ١٤١٢هـ.

- معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله
الحموي الرومي البغدادي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي / بيروت
- لبنان/ سنة ١٣٩٩هـ.

- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني
(٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية / القاهرة - مصر/ ط: ٢.

- معجم ما استعجم لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري
الاندلسي (٤٨٧هـ)، عالم الكتب / بيروت - لبنان/ ط: ٣، سنة
١٤٠٣هـ.

- المعيار والموازنة لأبي جعفر الاسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي (٢٢٠هـ)، بتحقيق محمد باقر المحمودي.

- مفتاح الكرامة للسيد محمد جواد العاملي (١٢٢٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - ايران / ط: ١، سنة ١٤١٩هـ.

- مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان / ط: ٢.

- المقنعة للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (٤١٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - ايران / ط: ٢، سنة ١٤١٠هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ)، نشر فرانز / ط: ٣، سنة ١٤٠٠هـ.

- مقتل الحسين = مقتل أبي مخنف للمؤرخ لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي (١٥٧هـ)، المكتبة العامة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي / قم - ايران / سنة ١٣٩٨هـ.

- مكاتيب الرسول لعلي بن حسين علي الأحمدي الميانجي (معاصر)، دار الحديث / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٩٩٨ م.

- مكارم الأخلاق للشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي / قم - ايران / ط: ٦، سنة ١٣٩٢هـ.

- مناقب آل أبي طالب = مناقب ابن شهرآشوب لمشير الدين أبي عبد الله محمد بن شهرآشوب (٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية / النجف - العراق / ثلاث مجلدات.

- مناقب أمير المؤمنين ﷺ للحافظ محمد بن سليمان الكوفي
القاضي (من أعلام القرن الثالث)، مجمع إحياء الثقافة الاسلامية / قم
- ايران/ ط: ١، سنة ١٤١٢هـ.

- المنجد في اللغة والأعلام دار المشرق / بيروت - لبنان/ سنة
١٩٨٤ م.

- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، انتشارات اسلامي التابعة لجماعة
المدرسين / قم - ايران/ ط: ٢، سنة ١٤٠٤هـ.

- ن -

- نظم درر السمطين لجمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن
بن محمد الزرندي الحنفي المدني (٧٥٠هـ)، مخطوطات مكتبة الإمام
أمير المؤمنين ﷺ العامة / ط: ١ - ١٣٧٧هـ.

- النهاية في غريب الحديث لمجد الدين أبي السعادات المبارك
بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٦٠٦هـ)، دار الفكر / بيروت
- لبنان/ ط: ١، سنة ١٤١٨هـ.

- نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده دار المعرفة / بيروت -
لبنان.

- نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين للسيد نعمة الله
الموسوي الجزائري (١١١٢هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة
لجماعة المدرسين / قم - ايران/ ط: ١، سنة ١٤١٧هـ.

- ه -

- الهداية الكبرى لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي

(١٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ / بيروت - لبنان / ط: ٤، سنة ١٤١١هـ.

- و -

- وسائل الشيعة للفقهاء المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤١٤هـ، وطبعة أخرى في دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان.

- ي -

- اليقين في امرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للسيد رضي الدين علي بن طاووس الحسني (٦٦٤هـ)، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣هـ.

- ينابيع المودة لذوي القربى للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٩٤هـ)، دار الاسوة / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٦هـ.

فهرس المواضيع

١١ حول هذه الموسوعة
٢١ كلمة الموسوعة حول هذا الكتاب
٢٥ مقدمة حول الاسم والتسمية
٢٧ تعريف الاسم
٢٩ الاسم والمسمى
٣٠ الأسماء حادثة أو أزلية
٣٢ الأسماء في سلسلة العلل
٣٤ التسمية والوضع
٣٦ الواضع للأسماء
٣٨ الأسماء تنزل من السماء
٣٨ تسمية النبي ﷺ
٤١ توقيفية أسمائه ﷺ وعدمها
٤٣ أسماء النبي ﷺ العشرة
٤٤ كثرة الأسماء علامة على السموة
٤٥ الأسماء والصفات
٥١ الكنى والألقاب
٥٣ الوجود الرابع اسم
٥٥ حكم مسّ أسماء النبي ﷺ

٤٨٤	أسماء الرسول المصطفى ﷺ
٥٧	التسمية واختيار الاسم
٦١	التسمية بأسماء النبي ﷺ
٦٨	إكرام المسمى باسم النبي ﷺ وعدم إيذائه
٦٨	التسمية بالأسماء الدخيلة
٧٥	تغيير النبي ﷺ لأسماء الأشخاص
٧٩	تغيير الأسماء القبيحة
٨٤	تأثير الأسماء الجميلة والقبيحة
٨٨	التوسل باسم النبي ﷺ وآله
٩٠	من أحب أن يرزق ولداً ذكراً
٩٤	الصلاة على النبي ﷺ عند سماع اسمه
٩٧	قائمة الكتب المؤلفة في أسماء النبي ﷺ

الاسماء المصدرة بالألف

١٠١	١ - أثر الخلق عند الله
١٠٤	٢ - الآخذ بأمر الله
١٠٥	٣ - الآخذ بحُجزة الله
١٠٥	٤ - الآخذ بدين الله
١٠٦	٥ - الآخر
١٠٨	٦ - آخِر الأنبياء
١١٠	٧ - الآزفة
١١١	٨ - آكل الذراع
١١٤	٩ - الأمر بأمر الله
١١٤	١٠ - الأبطحي
١١٧	١١ - الأبلج
١٢٠	١٢ - ابن بطحاء مكة

- ١٢٠ ابن الذبيحين - ١٣
- ١٢٤ ابن شيبه الحمد واللواء - ١٤
- ١٢٥ ابن عبدالله - ١٥
- ١٢٩ ابن عبد المطلب - ١٦
- ١٣٠ ابن العواتك - ١٧
- ١٣٤ ابن الفتى - ١٨
- ١٣٦ ابن الفخر والمجد والسناء - ١٩
- ١٣٧ ابن الفواطم - ٢٠
- ١٣٩ ابن معد بن عدنان - ٢١
- ١٤٢ ابن هاشم - ٢٢
- ١٤٣ أبو إبراهيم - ٢٣
- ١٤٦ أبو الأرامل - ٢٤
- ١٤٨ أبو الأمة - ٢٥
- ١٥٠ أبو الدرتين - ٢٦
- ١٥١ أبو الريحانيتين - ٢٧
- ١٥٢ أبو الطاهر - ٢٨
- ١٥٤ أبو القاسم - ٢٩
- ١٥٧ أبو النور والإشراق - ٣٠
- ١٥٨ أتقى ولد آدم - ٣١
- ١٥٩ أجرأ الناس صدرأ - ٣٢
- ١٦٠ أجود المستمطرين ديمة - ٣٣
- ١٦١ أجود الناس - ٣٤
- ١٦٥ أجود الناس كفاً - ٣٥
- ١٦٥ أحب أنبياء الله إليه - ٣٦
- ١٦٧ أحب خلق الله إليه - ٣٧

- ٣٨ - أحسن الخلائق ١٦٧
- ٣٩ - أحسن من مشى ١٦٨
- ٤٠ - أحسن الناس ١٦٩
- ٤١ - أحسن الناس خُلِقاً ١٦٩
- ٤٢ - أحسن الناس خَلَقاً ١٧١
- ٤٣ - أحسن الناس صوتاً بالقرآن ١٧٣
- ٤٤ - أحسن الناس وجهاً ١٧٤
- ٤٥ - أحمد ١٧٥
- ٤٦ - أحمد في الأمم المتقدمين ١٧٦
- ٤٧ - أحمد في الأولين ١٧٧
- ٤٨ - الأحمد من الأوصاف ١٧٨
- ٤٩ - الأهور الطرف ١٧٨
- ٥٠ - أحور المقلتين ١٧٩
- ٥١ - أخيد ١٧٩
- ٥٢ - أخضر الشمط ١٨١
- ٥٣ - أخف الناس صلاة في تمام ١٨١
- ٥٤ - أخو الفتى ١٨٣
- ٥٥ - أدعج العين ١٨٤
- ٥٦ - أديب الله ١٨٥
- ٥٧ - أرأف الناس بالناس ١٨٦
- ٥٨ - أرجح الأنبياء إسلاماً ١٨٨
- ٥٩ - أرجح الأنبياء إيماناً ١٨٩
- ٦٠ - أرجح الأنبياء برأ ١٩٠
- ٦١ - أرجح الأنبياء حِلماً ١٩٠
- ٦٢ - أرجح الأنبياء خشوعاً ١٩٣

- ٦٣ - أرجح الأنبياء سلماً ١٩٤
- ٦٤ - أرجح الأنبياء صدقاً ١٩٥
- ٦٥ - أرجح الأنبياء عبادة ١٩٨
- ٦٦ - أرجح الأنبياء عفافاً ١٩٩
- ٦٧ - أرجح الأنبياء علماً ٢٠١
- ٦٨ - أرجح الأنبياء ورعاً ٢٠٢
- ٦٩ - أرجح الأنبياء يقيناً ٢٠٤
- ٧٠ - أرجل الناس جمرة ٢٠٥
- ٧١ - أرحب الناس صدرأ ٢٠٥
- ٧٢ - أرفع النبيين درجة ٢٠٨
- ٧٣ - أزج الحواجب (الحاجبين) ٢١٠
- ٧٤ - أزهد الأنبياء ٢١١
- ٧٥ - أزهر اللون ٢١٣
- ٧٦ - إسرائيل ٢١٤
- ٧٧ - أسمر اللون ٢١٥
- ٧٨ - أسود الحدقة ٢١٦
- ٧٩ - أشبه الناس بآدم ٢١٦
- ٨٠ - أشجع الناس ٢١٧
- ٨١ - أشرف الأشراف ٢٢٠
- ٨٢ - أشرف الأنبياء ٢٢١
- ٨٣ - أشرف أهل الأرض ٢٢١
- ٨٤ - أشرف أهل السماء ٢٢٢
- ٨٥ - أشرف زينة الجنان ٢٢٣
- ٨٦ - أشرف الناس حسباً ٢٢٥
- ٨٧ - أشعر الذراعين والمنكبين ٢٢٧

٤٨٨	أسماء الرسول المصطفى ﷺ
٢٢٨	٨٨ - أشفق الناس على الناس
٢٢٩	٨٩ - أشكل العينين
٢٣١	٩٠ - الأشنب
٢٣٢	٩١ - أصدق البرية كلها
٢٣٣	٩٢ - أصدق البرية لهجة
٢٣٤	٩٣ - أصدق الناس لهجة
٢٣٦	٩٤ - أصفى الأنبياء سريرة
٢٣٦	٩٥ - أصفى الناس سريرة
٢٣٧	٩٦ - الأصل المبارك
٢٣٨	٩٧ - الأطهر
٢٣٩	٩٨ - أطهر الخلائق
٢٣٩	٩٩ - أطهر المطهرين شيمة
٢٤٠	١٠٠ - الأطيب
٢٤٢	١٠١ - أطيب المرسلين
٢٤٢	١٠٢ - الأظهر معجزة
٢٤٤	١٠٣ - أعرب العرب
٢٤٥	١٠٤ - أعرف الأنبياء لله
٢٤٧	١٠٥ - أعز الخلائق
٢٤٨	١٠٦ - الأعظم
٢٤٩	١٠٧ - أعظم خلق الله منزلة
٢٥٠	١٠٨ - أعظم العالم
٢٥٠	١٠٩ - أعلى الخلائق يوم القيامة ذكراً
٢٥١	١١٠ - الأعلى من الملائكة
٢٥١	١١١ - أعلم الأنبياء
٢٥٣	١١٢ - أفصح العرب

- ١١٣ - أفضل الأمم ٢٥٦
- ١١٤ - أفضل الأنبياء ٢٥٧
- ١١٥ - أفضل أنبياء الله ٢٥٩
- ١١٦ - أفضل برية الله ٢٦٠
- ١١٧ - أفضل برية في دار السلام ٢٦٢
- ١١٨ - أفضل الخلائق ٢٦٣
- ١١٩ - أفضل خلق الله ٢٦٣
- ١٢٠ - أفضل الراسخين في العلم ٢٦٥
- ١٢١ - أفضل رتبة في دار السلام ٢٦٨
- ١٢٢ - أفضل رتبة من أهل دار السلام ٢٦٩
- ١٢٣ - الأفضل عند الله من جميع الملائكة ٢٦٩
- ١٢٤ - أفضل من العرش ٢٧١
- ١٢٥ - أفضل من الملائكة المقربين ٢٧٢
- ١٢٦ - أفضل النبيين ٢٧٥
- ١٢٧ - أفضل والذي الأمة ٢٧٨
- ١٢٨ - أفضل ولد آدم ٢٧٨
- ١٢٩ - أفلج الأسنان ٢٧٨
- ١٣٠ - أقرب الأنبياء من الله ٢٨٠
- ١٣١ - أقرب المرسلين من الله ٢٨١
- ١٣٢ - أقرب الناس من الله منزلة ٢٨٢
- ١٣٣ - أقصر الناس خطبة ٢٨٢
- ١٣٤ - أقصر من المشذب ٢٨٣
- ١٣٥ - أفنى الأنف ٢٨٣
- ١٣٦ - أفنى العرنيين ٢٨٤
- ١٣٧ - أكثر الأنبياء تبعاً ٢٨٤

- ٢٨٥ ١٣٨ - أكثر النبيين أمة
- ٢٨٦ ١٣٩ - أكرم الأولين والآخرين
- ٢٨٧ ١٤٠ - أكرم خلق الله عليه
- ٢٨٧ ١٤١ - أكرم الخلق عند الله
- ٢٨٨ ١٤٢ - أكرم الخلق على الله
- ٢٨٩ ١٤٣ - أكرم ربيعة ومضر
- ٢٩٠ ١٤٤ - أكرم السابقين على الله
- ٢٩١ ١٤٥ - أكرم العبيد
- ٢٩٢ ١٤٦ - الأكرم على الله
- ٢٩٢ ١٤٧ - أكرم الأنبياء على الله
- ٢٩٣ ١٤٨ - أكرم من نشأ
- ٢٩٣ ١٤٩ - أكرم الناس
- ٢٩٤ ١٥٠ - أكرم الناس عشرة
- ٢٩٥ ١٥١ - أكرم الناس على الله
- ٢٩٦ ١٥٢ - أكرم ولد آدم
- ٢٩٦ ١٥٣ - أكرم ولد آدم على الله
- ٢٩٦ ١٥٤ - الإكليل المحمود
- ٢٩٧ ١٥٥ - ألين الناس عريكة
- ٢٩٩ ١٥٦ - أم القرآن المبين
- ٣٠٠ ١٥٧ - الإمام
- ٣٠٢ ١٥٨ - إمام الأئمة
- ٣٠٢ ١٥٩ - إمام الأتقياء
- ٣٠٣ ١٦٠ - إمام البررة
- ٣٠٤ ١٦١ - إمام الخلق
- ٣٠٥ ١٦٢ - إمام الرحمة

- ١٦٣ - إمام المتقين ٣٠٥
- ١٦٤ - إمام المرسلين ٣٠٧
- ١٦٥ - أمته أفضل الأمم ٣٠٨
- ١٦٦ - أمته أكثر الأمم ٣٠٩
- ١٦٧ - الأمي ٣١٠
- ١٦٨ - الأمين ٣١٣
- ١٦٩ - أمين الله ٣١٤
- ١٧٠ - الأمين على التنزيل ٣١٦
- ١٧١ - أمين الله على رسالته ٣١٧
- ١٧٢ - أمين الله على رسله ٣١٨
- ١٧٣ - أمين الله على عزائم أمره ٣١٩
- ١٧٤ - أمين الله على وحيه ٣٢١
- ١٧٥ - الأمين على وحي الله ٣٢١
- ١٧٦ - أمين الله في أرضه ٣٢٢
- ١٧٧ - أمين الله في خلقه ٣٢٣
- ١٧٨ - أنجب البرية كهلاً ٣٢٤
- ١٧٩ - أنجل العينين ٣٢٥
- ١٨٠ - الإنسان ٣٢٦
- ١٨١ - أنور المتجرد ٣٢٧
- ١٨٢ - أهدب الأشفار ٣٢٨
- ١٨٣ - أهل بيت الرحمة ٣٢٩
- ١٨٤ - أوجب الناس عند الله شفاعه ٣٣٠
- ١٨٥ - أوسع الناس جبهة ٣٣١
- ١٨٦ - أوفى الناس ذمة ٣٣٢
- ١٨٧ - الأول ٣٣٣

٤٩٢ أسماء الرسول المصطفى ﷺ
٢٩٤ ١٨٨ - أول الأنبياء خلقاً
٢٩٥ ١٨٩ - أول شافع
٢٩٦ ١٩٠ - أول الفوائد من سليم
٢٩٦ ١٩١ - أول قارع لباب الجنة
٢٩٦ ١٩٢ - أول المؤمنين
٣٤٠ ١٩٣ - أول مرور
٣٤١ ١٩٤ - أول محبور
٣٤٢ ١٩٥ - أول محشور
٣٤٢ ١٩٦ - أول منشور
٣٤٣ ١٩٧ - أول من ابتدا من خلق الله
٣٤٣ ١٩٨ - أول من يدعى من القبور
٣٤٤ ١٩٩ - أول النبيين ميثاقاً
٣٤٥ ٢٠٠ - أولى بكل مؤمن من نفسه
٣٤٦ ٢٠١ - الأولى بالمؤمنين من أنفسهم
٣٤٧ ٢٠٢ - أولى الناس بإبراهيم
٣٥٠ ٢٠٣ - أولى الناس بعيسى بن مريم

الأسماء للمصدرة بالياء

٣٥١ ٢٠٤ - باب العلم
٣٥٥ ٢٠٥ - باب الله
٣٥٦ ٢٠٦ - باب الهدى
٣٥٧ ٢٠٧ - بادن متماسك
٣٥٨ ٢٠٨ - البحر السافع للشاربين
٣٥٩ ٢٠٩ - البدر
٣٦٠ ٢١٠ - البر

٣٦١	البرزخ	- ٢١١
٣٦٢	البرهان	- ٢١٢
٣٦٣	البريء من الفساد	- ٢١٣
٣٦٤	البريء من كل عيب	- ٢١٤
٣٦٦	البسام	- ٢١٥
٣٦٧	بشارة عيسى	- ٢١٦
٣٦٩	بشرى عيسى	- ٢١٧
٣٧٠	البشير	- ٢١٨
٣٧١	بصر من اهتدى	- ٢١٩
٣٧٢	بصيرة من اهتدى	- ٢٢٠
٣٧٤	بعث الله بالحق	- ٢٢١
٣٧٤	بعيد ما بين المنكبين	- ٢٢٢
٣٧٥	البلد الأمين	- ٢٢٣
٣٧٦	بلقيطا	- ٢٢٤
٣٧٧	بهيائيل	- ٢٢٥
٣٧٧	بين عينيه غرة	- ٢٢٦
٣٧٨	بين كتفيه علامة	- ٢٢٧
٣٧٩	البينة	- ٢٢٨

الاسماء المصدرة بالتاء

٣٨٣	تأويل القرآن العظيم	- ٢٢٩
٣٨٤	تاج الأولياء	- ٢٣٠
٣٨٥	تارك الإكثار	- ٢٣١
٣٨٦	تارك ما لا يعنيه	- ٢٣٢
٣٨٧	تارك المرء	- ٢٣٣

- ٢٣٤ - تمام عدة المرسلين ٣٨٨
٢٣٥ - تمام النبوة ٣٨٩
٢٣٦ - التهامي ٣٩٠
٢٣٧ - التين ٣٩٢

الأسماء المصدرة بالثاء

- ٢٣٨ - الثابت القدم ٣٩٥

الأسماء المصدرة بالجيم

- ٢٣٩ - جاعل السنة ٣٩٩
٢٤٠ - الجامع ٤٠٠
٢٤١ - جليل الكتد ٤٠١
٢٤٢ - جنب الله ٤٠٢

الأسماء المصدرة بالحاء

- ٢٤٣ - الحاد ٤٠٧
٢٤٤ - حاسر الحسير ٤٠٨
٢٤٥ - الحاشر ٤٠٩
٢٤٦ - حاط حاط ٤١١
٢٤٧ - الحافظ ٤١١
٢٤٨ - الحافظ على عهد الله ٤١١
٢٤٩ - الحافظ لما استودع ٤١٣
٢٥٠ - الحاكم ٤١٤
٢٥١ - الحامد ٤١٥
٢٥٢ - حامل دين الله ٤١٧
٢٥٣ - حامل عرش الله ٤١٨

٤٢٠	حامل علم الله	- ٢٥٤
٤٢١	حامل الهراوة	- ٢٥٥
٤٢٣	الحامي	- ٢٥٦
٤٢٥	حبر الدهر	- ٢٥٧
٤٢٦	حبل الله	- ٢٥٨
٤٢٧	الحبل المتين	- ٢٥٩
٤٢٨	الحبيب	- ٢٦٠
٤٢٩	حبيب الله	- ٢٦١
٤٣٠	حبيب القلوب	- ٢٦٢
٤٣٢	حجاب الله	- ٢٦٣
٤٣٤	الحجة العظمى	- ٢٦٤
٤٣٦	حجة الله على الأولين والآخرين	- ٢٦٥
٤٣٧	حجة الله في بريته	- ٢٦٦
٤٣٧	الحجة من الله على خلقه	- ٢٦٧
٤٣٨	الحجيج	- ٢٦٨
٤٤٠	الحرز للأمين	- ٢٦٩
٤٤١	حرم الله الأكبر	- ٢٧٠
٤٤٢	الحرمي	- ٢٧١
٤٤٣	الحريص	- ٢٧٢
٤٤٥	حسن القامة	- ٢٧٣
٤٤٥	حسن الكلام	- ٢٧٤
٤٤٧	حسن الوجه	- ٢٧٥
-	الحسنى	- ٢٧٦
٤٤٨	الحق	- ٢٧٧
٤٤٨	حلو الكلام	- ٢٧٨

٤٩٦	أسماء الرسول المصطفى ﷺ
٤٤٩	٢٧٩ - الحليم
٤٥٤	٢٨٠ - حَمَاطَا
٤٥٥	٢٨١ - حميَاطَا
٤٥٥	٢٨٢ - الحنيف
٤٥٧	٢٨٣ - الحيي
٤٥٩	فهرس المصادر
٤٨٣	فهرس المواضع

والحمد لله أولاً وآخراً

مَدِينَةُ الْجَزِيرَاتِ الْعَرَبِيَّةِ
 مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ
 فِي رَجَبِ الثَّانِي ١٤٣١ هـ
 طبع في المطبعات
 طبع في المطبعات
 طبع في المطبعات

دراسات مطبوعة للموسوعة

- ١- أسماء الرسول المصطفى ﷺ وألقابه وكناه وصفاته :
ثلاثة مجلدات - عباس تبريزيان بمساعدة هاشم الخائمي .
- ٢- الرسول المصطفى ﷺ وفضائل القرآن (عرض ونقد):
مجلدان - عبد الحلیم الحلبي .
- ٣- عبد الله بن عمر ومدرسة الرسول المصطفى ﷺ (الذاتية والانتماء) :
مجلد واحد - ضمن سلسلة: الرسول المصطفى ﷺ ومصادر التشريع - باسم الحلبي .
- ٤- دراسة في طب الرسول المصطفى ﷺ :
ثلاثة مجلدات : الأمراض - العلاج والمستشفى - الوقاية - عباس تبريزيان .
- ٥- من هن زوجات الرسول المصطفى ﷺ في الآخرة ؟
مجلد واحد - محمد رضا الأنصاري .
- ٦- فصاحة الرسول المصطفى ﷺ وبلاغته :
مجلد واحد - عادل البدری .

دراسات في طريقها إلى الطبع

- ١- جهاد الرسول المصطفى ﷺ والسلام العالمي :
ثلاثة مجلدات - ستار حبار الزهيري .
 - ٢- الرسول المصطفى ﷺ قراءة في الدائرة الحمراء :
مجلد واحد - ستار حبار الزهيري .
 - ٣- الصلاة والسلام على الرسول المصطفى ﷺ وعترته :
مجلد واحد - باسم الخلي - بمساعدة هاشم الخاتمي .
 - ٤- الرسول المصطفى ﷺ ونشوء الكون :
مجلد واحد - غانم الشيباني .
 - ٥- الرسول المصطفى ﷺ في الآخرة :
مجلد واحد - عبد الحلیم الخلي .
 - ٦- الرسول المصطفى ﷺ وزيارة القبور :
مجلد واحد - عبد المجيد ميردامادي
 - ٧- الرسول المصطفى ﷺ ومدرسة الرأي - ضمن سلسلة: الرسول المصطفى ﷺ ومصادر التشريع - مجلد واحد - باسم الخلي .
 - ٨- آلام الرسول المصطفى ﷺ :
مجلد واحد - محمد رضا الأنصاري .
 - ٩- الرسول المصطفى ﷺ واليهود :
مجلد واحد - عارف كشفي .
- وهناك عشرات البحوث ستصدر تباعاً في المستقبل بإذن الله تعالى

MAWSOUAT AL-RASOOL
AL-MOSTAFA
(1)

Address in Lebanon:

P.O.Box 25/138

Al-Ghobairi-Beirut

Address in Iran:

P.O.Box 91375/4436 Mash had

Fax: 0098-511-2222483

Email: almawsouah@hotmail.com

almawsouah@yahoo.com

Website: www.almawsouah.org

All rights reserved

First print in Beirut 1423 -2002

Second print in Tehran 1423 – 2002

MAWSOUAT AL- RASOOL

AL- MOSTAFA

A highly informative encyclopedia
of Prophet Mohammad's life

Administered by: **Mohsen Ahmad Al-Khatami**

**NAMES, NICKNAMES AND CHARACTER
TRAITS OF PROPHET MOHAMMAD**

By: Abbas Tabrizian
Assisted by: Hashem Al-Khatami
(Volume One)